أمـــراء ومواطنون

رصد لظاهرة الإسلام الحركى فى مصر
خلال عقـــد التسعينات

الرصـــــد الكمى والنوعى

خريطة التنظيمات السرية

محطات الإرهاب فى العالم

تمويل وتسليح الإرهاب

الإرهاب والجاسوسية

التاريخ السرى للأمراء

سنوات الاغتيالات الكبرى

الهاربون من قنا حتى سويسرا

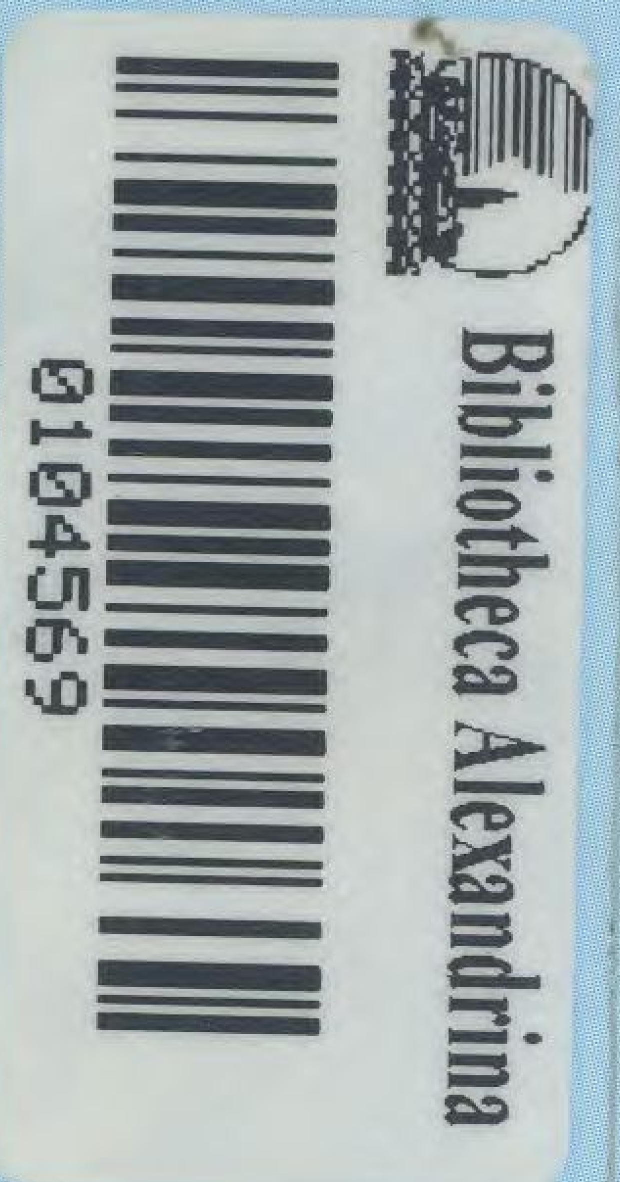
من مقهى وادى النيل .. إلى معبد حتشبسوت

تأليف

نبيل شرف الدين

مكتبة مدبولى

١٩٩٨



أمراء ومواطنون

رصد لظاهرة الإسلام الحركى فى مصر

خلال عقد التسعينات

الكتـــــاب : أمــــراء ومواطنـــون

رصـــد لظـــاهرة الإســـلام
الحـــركى فى مصر
خـــلال عقـــد التسعيـــنات

المؤلـــــف : نبيـــل شـــرف الدين

الطبعـــــة : الأولى ١٩٩٨

الناشـــــر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب

تليفـــون : ٥٧٥٦٤٢١

فـــاكس : ٥٧٥٢٨٥٤

رقم الايـــداع : ١٤٩٣٧ لسنة ١٩٩٧

الترقيم الدولى : ISBN : 977-208-241-1

الغـــــلاف : الفنان ياسر عيد

أمــراء ومواطنون

رصد لظاهرة الإسلام الحركى فى مصر
خلال عقــد التسعينات

الرصــــــد الكمى والنوعى	خريطة التنظيمات السرية
محطات الإرهاب فى العالم	تمويل وتسليح الإرهاب
الإرهــاب والجاسوسية	التاريخ السرى للأمراء
سنوات الاغتيالات الكبرى	الهاربون من قنا حتى سويسرا

من مقهى وادى النيــل .. إلى معبد حتشبسوت

تأليف

نبيل شرف الدين

مكتبة مدبولى

١٩٩٨

الإهــداء :

إلى روح الزميل والصديق خــالد زمــزم
ورفــاقه من شــهداء الواجب والوطن :
لم تزل دماؤكم أمانة فى أعناق الجميع .

" قدسوا الحرية . . . حتى لا يحكمكم طغاة الأرض "

فهـــرس الكتـــاب

الموضــــــوع	الصفحة

مقدمة :

لماذا يخرجون من جحورهم عند كل منعطف تاريخى يمر به الوطن ؟ ..

ولمـــاذا يتسللون من خلف ظهورنا فى أعقاب كل أزمة أو كارثة تحل بنا ؟ ..

ولماذا ينقضون على كل بارقة أمل تلوح فى الأفق .. كما حدث فى مجـــزرة الأقصر ؟ .

ولماذا يشهرون فى وجوهنا سيف التكفير .. ويسلطون على رقابنـــا خنـــاجر الطاعة العمياء .. والرغبات العمياء .. والضمائر العمياء .. والحياة العمياء ؟

ومن أين أتوا بكل هذا اليقين فى تعاطى كافة المشكلات السياسية والإقتصادية والإجتماعية وهم الجهلة المتعصبون ؟ .. ومن منحهم حق الحديـــث باســم اللـــه ورسوله دون غيرهم من مسلمى الأرض ؟ .. وما صلتهم بالأوطان .. والأشجار.. والأطفال .. والمهمشين .. والمستقبل .. والسماحة .. وحتى بالإســـلام ذاتـــه ؟ .. ولماذا يكرهون هذه الأشياء وغيرها ؟ .. أو بتعبير أدق : لمـــاذا يكرهـــون كـــل الأشياء الجميلة .. والكائنات الجميلة .. وكل من ليس منهم .. أو لا يشـــبههم ؟ .. ومن أين أتوا ؟ .. وإلى أين يمضون .. ويريدون بنا أن نمضى معهم أو خلفهم ؟ .

* ففى أعقاب إنهيار أول تحرك شعبى وطنى خالص فى تاريخنا الحديث وهو ثورة ١٩١٩ ظهر العراب الأول لهذا التيار وهو حسن البنا مؤسس جماعة لإخوان المسلمين ، تلك الجماعة الأم الولود لكل فصـــائل جماعـــات التطـــرف والإرهاب التى أصبحت تعج بها الآن الساحة المصرية بل والعربية أيضاً .

وفى أعقـــاب تراجع ثوار يوليو عـــن الخيـــار الديمقراطـــى واســـتئثارهم بالسلطات .. كل السلطات.. ومحاولاتهم انتزاع البلد من تاريخه .. ومؤسســـاته .. وأحلام ابنائه .

وفى هذه المحنة عاود كهنة الإرهاب الظهور مرة اخرى عـــام ١٩٥٤ حتـــى تلقوا ضربات موجعة على يد عبد الناصر كانت كفيلة بادخـــالهم الجحـــور مـــرة أخرى أو الفرار خارج حدود الوطن أو أسواره حينئذ .

★ وحينما واتتهم الفرصة فى العام ١٩٦٧ فى أعقاب تلك الهزيمـة النكـراء التى نالت من أرواحنا قبل أجسادنا .. ومن مستقبلنا قبل حاضرنا .. ومن أحلامنـا قبل واقعنا .. عاد الخوارج مرة أخرى فى هيئة جديدة أشـد ضـراوة .. وأعلـى صوتاً.. وأكثر دموية على يد الإخوانى المنشق شكرى مصطفى الذى شرب مـن سيد قطب حتى الثمالة ورضع من صديد السجون حتى العمى .. وأعلـن التكفـير والهجرة دستوراً لأجيال - لم تزل تتكاثر حتى يومنا هذا - من محـترفى تكفـير الجميع .. حكاماً ومحكومين .. وهجـرتهم إستعداداً للعودة فاتحين بعد أن يمكّـن الله لهم فى الأرض ، ولكن الله خير حافظاً .. فلم يمكنهم أو يمكن لهم رغم النكسة والإحباط واليأس .. وهو ما لم يرض عجرفة السادات وأصدقائه على ما يبـدو ، فقـرر الرجل أن يمكنهم بنفسه فتحالف معهم وأخرجهم من القمقم .. واسـتخدمهم فى المدارس والجامعـات والمسـاجد والنقابـات والأحـزاب وأجهـزة الإعـلام وأفغانستان أيضاً ، ولم يدرك السادات هذه الخطيئة حتى فى الحظة التى إخـترقت رصاصتهم قلبه .. فوقف يتلقاها وهو يردد : "مش معقول" .. لكنه للأسـف كـان معقولاً جداً .. فمن يربى الذئب فى بيته لابد أن يعقره .. ويلتهم أصابع أطفالـه ، هذه هى طبائع الذئاب التى جبلت عليها .. ولا جدوى من محاولات إستئناسها .

★ ولم تزل المعركة مستمرة .. والتحقيقات جارية بينما المواطن البسيط يرزح بين شقى رحى ، فهناك مقتضيات المواجهة وما فرضته مـن ظـروف إسـتثنائية طالت حتى تعـايش معها الناس وهناك أيضاً الظـروف الإقتصادية القاسية مـن جهة ، ومن الجهة الأخرى لم يزل الأمراء والمرشدون يواصلون جهادهم الدمـوى بعشوائية لم يشهد مثلها الوطن طيلة تاريخه المعاصر ، والمؤسف حقاً أنه كان بيننا من لم يزل يصدق .. أو يرغب فى الحوار معهم .. بينما هم ماضون فى طريـق الجهاد المزعـوم فتطال رصاصاتهم وقنابلهم أرواح الأبريـاء والأطفـال حتـى لفظهم الناس .. وأصبحت مشـاعر الكراهيـة والرفض معلنة فى وجوههـم مـن جانب الناس .. كل الناس الذين لا يرى فيهم الأمـراء مـا يسـتحق التوقـف أو الإهتمام .. فهم موقنون أنهم سيفعلون بالسلطان ما عجزوا عن تحقيقه بالقرآن .

★ والحقيقة أن الممارسة المصرية – بالتحديد – للإسلام تنطوى على أكبر قدر من التسامح الأصيل غير المفتعل .. وتقبل الآخر .. ونبذ التعصب والإستعلاء والتخلف أيضاً ، وهو ما يؤيد القول بأننا لسنا بصدد مفهوم واحد للإسلام نتفق عليه ونلتف حوله ، فهناك الإسلام الشعبى أو بتعبير أدق الممارسة الشعبية للإسلام عقيدة وسلوكاً وتقاليد ومنهاجاً وشعائر ومعاملات وهى كما أسلفنا توليفة من منابع متعددة .. السنة النبوية الشريفة دون تنطع .. وحب آل البيت دون تشيع أو مرجعيات أو لطم للخدود وشق للجيوب ، ونكهة صوفية محببة تعول على صفاء القلوب وحلاوة الأرواح التى إلتقت بدورها مع روحانية شركائنا فى الوطن من الأقباط فى مناطق بعيدة عن الكهنوت .. ، ولم يهدر هذا المفهوم الشعبى للإسلام الحاضر والمستقبل كما يفعل الأمراء بزعم أن الله تعالى لم يخلقنا إلا للعبادة .. مؤكدين لهؤلاء أن العمل أيضاً عبادة .. والزود عن الأوطان عبادة .. والسعى من أجل صنع مستقبل الأبناء عبادة ...

★ وهناك إسلام آخر وهو الإسلام الرسمى الذى يتحدث عنه الرسميون فى الأزهر ودار الإفتاء وبعض المؤسسات التعليمية .. وهى فى واقع الأمر دوائر لم تتمكن من الإضطلاع بدورها المتوقع منها على نحو فعال لأسباب عديدة لا مجال للخوض فيها فى هذا السياق .

ونأتى للمفهوم الثالث وهو دخيل علينا – فى مصر على الأقل – وهو الإسلام الحركى .. إسلام التنظيمات السرية والخلايا العنقودية .. والكلاشينكوفات .. والجنازير .. وفتاوى الإستحلال .. ودعاوى التفريق بين الأزواج .. ومصادرة الروايات ودواوين الشعر .. وإرتداء الجلاليب القصيرة .. وإطلاق اللحى الصفراء التى تشبه لحية " أبى لهب " والولع بكل ما هو بدوى .. وبدائى كأن الصحراء هى الجنة الموعودة .

وهكذا وجدنا أنفسنا – كجيل – تائهين بين الإسلام الرسمى والإسلام الحركى وإسلام أبائنا وأمهاتنا الذين لم يرتدوا عمامة الأزهر .. أو جلباب الأفغان .. أو عباءة البدو .. إذن فأين المفر ؟ ومن أين نبدأ ؟ .

★ والبداية الصحيحة والمنطقية تكون بالوعى .. ومحاولة الفهم بلا توقف .. أو تبنى مواقف مسبقة ، وهو ما لن يتأتى إلا بمزيد من المعرفة والمعلومات عن هذا التيار .. وتلك الجماعة .. وذاك التنظيم ، وهو ما لا أعد القارئ بسواه ، فقد أخذت على عاتقي فى كل كلمة من هذا : الكتاب المحاولة " أن أرصد حجم الظاهرة وأصولها وتفاعلاتها وعلاقاتها وممارسات أمرائها آرائهم ورؤاهم خاصة فى تلك القضايا التى تهمنا جميعاً - كشركاء فى الوطن - كالديمقراطية مثلاً .. أو وضع المرأة .. أو حقوق الإنسان أو حتى فى الشعر والعلم والفن .. والحاضر والمستقبل ، وحرصت فى نهاية الكتاب على نقل حوارات مع أقطاب هذه الظاهرة من أجيال مختلفة ليس بالطبع بهدف الترويج لأفكارهم ومعتقداتهم .. وليس أيضاً بقصد التربص بهم وتصيد الأخطاء لهم .. ولكن للقارئ .. وللناس حتى نحتكم إليهم فى نهاية الأمر .. وحتى نطلعهم على بعض مما ينتظرهم فيما - لا قدر الله - لو حكمهم هؤلاء الأمراء الطغاة .

قصارى القول أن الأمر لا يحتمل لعبة منتصف المسافات .. أو الرقص مع الأمراء .. أو إقرار ما هو كائن .. أو ترقب ما سيكون أو ما تسفر عنه الأيام .. الأمر - كما أظنه - يهمنا ويستحق منا أن نهتم .. ونكابد .. ونحاول .. ونفهم .. ونسمع .. ونرى .. ونقول بكل صراحة وبملء الفم .

نبيل شرف الدين

حدث ذات يـوم ٠٠٠فى إمـارة ديـروط

فـن صنـاعة نـفـوذ التطـرف

كيف توغل التطرف وعشش الإرهاب فى قرى ومدن الصعيد ؟

كيف صنع المتطرفون وأمراء جماعات الإرهاب سطوتهم ونفوذهم فى كـــل شبـــر من أرض الوطن ؟

كيف إستطاع "المرشدون والأمراء " التسلل لعقول وأفئدة صفوة شباب مصـــر وفلذات أكبادها ؟

وهل حدث ذلك فى غيبة الجميع ؟

وأين كان المسئولون عن أجهزة الدولة وهيبتها من كل هذا الذى كان ؟

وأين كان مدمنو الشعارات والأغانى الوطنية مماحدث ؟

عشرات من الأسئلة وعلامات الإستفهام التى تمسنا جميعاً ، وتشير بأصـــابع الإتهام إلينا جميعا .. وتلقى بظلالها الكثيفة على الماضى والحاضر والمستقبل٠

وفى السطور القادمة سنحاول –مجرد محاولة– للبحث عن إجابة والتنقيب عن وســيلة للفهم دون أن نوجه إتهامات لأحد .. أو نسعى للدفاع عن أحـــد .. فهـــى مجرد محاولة لإعادة صياغة عدد من الحقائق حول أنشطة جماعات الإرهاب فـــى بعض مدن وقـــرى أسيوط –كحالة نموذجية قابلة للتكرار– لقواعد بنــــاء النفـــوذ الفكرى والإجتماعى والحركى على كل شــبر فى صعيد مصـــر ، ومـــن خـــلال معايشة يومية لمظاهر الأزمة والظواهر التى صاحبتها ، وانطلاقـــاً مـــن رغبـــة صادقة لفهم الطريقة التى تسلل بها المتطرفون لنخاع هذا الجـزء الحيـــوى مـــن الوطن .. وكيف تســـربوا لصفوة شــبابها ؟ .. وكيف إخترقوا نواميس هذا المكان فاصبح الأمير بديلا عن الأب أو الكبير .. وصارت الجماعـــة قـــبلة وقبيلـــة ..

وأمسى السلاح منهجاً وعقيدة .. كيف تمكنوا من تجنيد الصبية .. وتحييد الشيوخ ؟ كل هذا يجرى فى ظل أجهـزة تنفيذية وشعبية ومحلية تبدو كالأشـباح .. نسـمع عنها ولانراهـا .. نخـاف منها ولانحبها .. وفى هذه السطور أدعوكم لنحـاول الفهم مرة .. ونمارس الصدق مرة .. ونسمى الأشياء بمسمياتها الحقيقية مـرة .. وأبدأ الحديث بتفنيد مقولتين خاطئتين رغم شيوعهما عن هذه الجماعات وأمرائهـا وأنشطتها وهما :

أولاً : أنهم فئـة ضئيلة العـدد والتاثيـر .

ثانياً : أنهم يتحركون بشكل عشوائى .

فالحقيقة التى يعرفها الجميع هنا فى صعيد مصـر أنهـم يـتزايدون بشـكل سرطانى مخيف ، فتبدأ القرية بأحدهم الذى يبشر بأفكاره ومنهجـه بيـن الأهـالى وسرعان ما يلتف حوله عدد من المريدين والمتعاطفين ويصبحون جماعة يكون هو أميرهـا وهكذا تتكاثر الجماعات بشكل عنقودى مطرد ويقتحمون كـل مجـالات الحياه فلا يدعون نشاطاً إلا ويطرقونه لإستمالة الأهالى لصفهم وإحكـام السـيطرة على المكان ومقدراته .. فهم يدرسـون الواقع ومشكلاته وأزماته جيدا ثم يفرضون حلولا وبدائل تضعهم فى منزلة أولى الأمر والنهى وتلزم أتباعهم بمواقـع السـمع والطاعة فيتخلون عن عقولهم طواعية ويقدمون علـى أشـرس الجرائـم بـروح الإستشهاد .. وهنا تحدث الكارثة ونصرخ أين الأمن ؟ .

وهذا الأسلوب يمثل تسويقاً لابأس بجدواه لفكرهم ومنهجهم ، وسعياً لإكتساب مشروعية من نوع ما ، وإعتـداء على دور كان ينبغى على الأجهـزة الرسـمية القيام به هذا لو كان هناك من لا يزال حريصاً على مستقبل هذا البلد ، ولعلنـى إذ أرصد ذلك الواقع الأليم فى شتى المجالات كما لمستها شخصياً أحذر وأنبـه لعـل أحداً يتحرك فى الإتجاه المضاد قبل أن يجرفنا الطوفان جميعاً .. ولا يجدى حينذاك البكاء على اللبن المسكوب فتعالوا معى نرى ما يقوم به الأمراء .. ومـا يرتكبـه السادة الموظفون فى شتى مجالات الحياة هناك .

ففى مجال المواصلات :

مثلاً فى مركز ديروط ٥٤ قرية يحتاج الآلاف من سكانها التوجه إلى المدينة أو المحافظة يومياً كالموظفين والعمال والطلبة والمترددين لقضاء مصـالحهم فـى

دواوين الحكومة وهو الأمر الذى يتطلب ضرورة توافر وسيلة مواصلات ، وكما يحدث فى كل القرى المصرية كانت تستخدم السيارات النصف والربع نقل لذلك الغرض بأن يتم شحن البشر فى صندوقها الخلفى المكشوف بلا مقاعد ، وهنا قام الأمراء بإلزام أصحاب السيارات بتجهيزها بغطاء من القماش أو الجلد ، وتزويدها بمقاعد خشبية ، وتنظيم دورات توصيل الركاب ، وتحديدأجور ثابتة لاتقبل الزيادة مستغلين فى تنفيذ ذلك نفوذهم وسطوتهم وربما جنازيرهم لو إقتضى الأمر التلويح بالعقاب .. على أن يتم الفصل بين الرجال والنساء فتخصص لكل منهم سيارات مستقلة .

ووصل الأمر إلى حد إستقطاب بعض أصحاب هذه السيارات لصفوفهم مع التنويه إلى أن إتباع هذا الاسلوب يدر ربحا لابأس به على أصحاب هذه السيارات من ناحية ، ويوفر خدمة للركاب تمثل أفضل البدائل المتوافرة من ناحية أخرى ، ويأتى كل هذا فى ظل هيمنة الأمراء على سير الأمور والتصدى لأية مشكلة بين الركاب والسائقين بما يكفل للجماعات السيطرة التى لاتفتقد للشرعية المستندة على تنظيم هذه الخدمة الهامة .

والسؤال الأن : ألم يكن هناك مجلس مدينة أومجالس محلية حتى يتركوا الجماعات تمارس هذا الزحف لكسب صفوف الأهالى ؟ والمثير أنه يوجد بالفعل هذه المجالس وغيرها لكن القائمين على أمرها موظفون أيضاً لايعنيهم الأمرفى شئ ليس هكذا فحسب لكنهم يستقلون سيارات الأمراء ليتوجهوا لمقار عملهم يوميا للتوقيع فى دفتر الحضور والإنصراف وانتظار المرتب والعلاوة والمعلوم والذى منه .

أما فى مجال الصحة :

فقد أصبح مشهداً مألوفاً فى المساجد التى يسيطر عليها الأمراء أن نرى لافتة كبيرة تحمل إعلانا عن " مستوصف إسلامى " يضم أطباء من الإخوة يقومون بتوقيع الكشف الطبى على المرضى مقابل أجور رمزية بينما تتم إدارة هذا المستوصف بمعرفة أحد أعضاء هذه الجماعات والذى يقدركل حالة على حده فهو يعرف الجميع ويلم بظروفهم الإجتماعية والإقتصادية جيدا ولاينتهى الأمر عند

الكشف الطبى بل يمتد إلى تقديم أدوية من العينات الطبية المجانية التى يحصل عليها الأطباء العاملون بالمستوصف من شركات الأدوية كدعاية ، هذا بالإضافة لمشروع يدعو الأهالى للتبرع بفوائض الأدوية التى إستعملوها حتى يستفيد منها إخوة لهم مرضى غير قادرين على شرائها ، ويذكر أهالى قرى صنبو والحوطة ودشلوط وبنى يحيى وغيرها القافلة الطبية للإخوة تحت إشراف الأخ الدكتور مجدى وهو طبيب ملتح كان يجوب القرى والنجوع شرق النيل لعيادة المرضى غير القادرين فى منازلهم وغالباً ما كان يرفض تقاضى أجراً .. وقد كان ذلك يتم باسلوب دعائى منظم يقوم به حشد من الأمراء والأتباع والمريدين .

ويمتد الأمر لمجال البيطرة وعلاج المواشى :

وهى دعامة أساسية للإقتصاد الريفى هنا حيث كان الطبيب البيطرى "الأخ" بتفقد حالات الماشية المريضة والإشراف على علاجها بأسعار زهيدة تحقق نفس النتائج السابقة وتضمن رصيداً من ولاء الناس لهم والتفافهم حول الأمراء الذين يقدموا لهم خدمات حقيقية وحيوية .

والسؤال عن دور الوحدات الصحية والبيطرية بالقرى يذكرنا بالصورة الدرامية التقليدية لطبيب الصحة الذى يتعالى على عباد الله ويسبهم ويتهمهم بالجهل والقذارة ، ويستولى على أدوية وزارة الصحة ليبيعها لحسابه وفى أفضل الفروض يقدم للمرضى الفقراء حبوب السلفا كعلاج لجميع الأمراض ، أما الطبيب البيطرى فيكفيه الإشراف على السلخانة وما أدراك ما السلخانة وخيرات السلخانة، ولاينتقل للكشف على أية حالة إلا بعشرين جنيها على الأقل .

وفى مجال التموين : .

أيضاً – لم يعد سراً أن أعضاء الجماعات وأمراءها قد أسسوا مشروعات اقتصادية ناجحة تباع منتجاتها قبل أن تعرض كمناحل العسل ومزارع الدواجن ومشروعات التسمين وإنتاج الألبان والجبن بينما أقامت زوجاتهن مشروعات صناعة المربى والمخللات وأعمال الإبرة والتريكو والتطريز الأمر الذى يترتب عليه توفير عشرات من فرص العمل لعدد لابأس به من العاطلين من الرجال

والنساء الذين سيدينون بالولاء بالطبع لهؤلاء الأمراء بالإضافة لبيع هذه المنتجات باسعار معتدلة أمام المساجد مع التأكيد على أنها "منتجات إسلامية " وخلافها بالطبع من صنع الكفار ومن أموال الربا المحرمة ..

ولعل أهالى قرى صنبو ومنشية ناصر يتذكرون أزمة توزيع الخبز وتزاحم الأهالى على المخابز وما يستتبعه من مشاجرات حتى تدخل الأمراء لدى أصحاب المخابز ليجبروهم على توليهم وأتباعهم مسألة تنظيم البيع بطريقتهم مستغلين في ذلك قدرتهم الفائقة على السيطرة والهيمنة على الأهالى ، وهكذا أصبحت ديروط تأكل خبزها من تحت أيدى الأمراء وبمعرفتهم هذا بالإضافة للإتجار فى الملابس الرخيصة الثمن والكتب الدينية وبعض المنتجات التى تمثل طقوساً هامة فى سلوكهم كالسواك والعطور الزيتية وخلافهما ، وهذه مشاهد تتكرر آلاف المرات فى مصر كلها ، أما عن وزارة التموين ودورها فالأفضل ألا نعلق حتى لانقع تحت طائلة قانون العقوبات .

وفى مجال العمل الإجتماعى :

والمصالحات يمكن رصد ما يتناقله أهالى قرى صنبو ودشلوط والبر الشرقى مسلمين ومسيحيين عن الأمير القتيل "عرفة درويش" ودوره هنا فى فض الخصومات الثأرية المزمنة والمنازعات اليومية حول الجيرة والبيع والشراء ، وما أقوى تأثيرها على عقول ونفوس البشر هنا حتى على هؤلاء الذين نالوا حظاً وفيراً من التعليم ٠٠ليس هذا فحسب بل إمتد دوره إلى حل الخلافات الزوجية أيضاً مستعيناً بجماعته ونفوذهم وبمقولاته الدينية وقدرته الخطابية وحضور ذهنه ، وفى إطار ضوابط صارمة لايملك أطراف النزاع إلا الإمتثال لها ، فما أن تقع خصومة حتى يبادر أطراف النزاع إلى اللجوء إليه مباشرة بينما أفراد الجماعة يكونون قد نقلوا له صورة أمينة عن أسباب النزاع وملابساته وشهوده وحينئذ يتدخل "عرفة درويش" مستدعياً كل الأطراف ويعقد "مجلساً إسلامياً للصلح" ويفرض قراره على الجميع دون أن يجرؤ أحد علىمخالفة ماإنتهى إليه ،ليس هذا فحسب بل إن بعض الأهالى أشاروا إلى قيام بعض الجهات الرسمية بإحالة

شكاوى المواطنين إليه بصفته الشخصية لعلمهم بقدرته على احتواء المواقف وفرض الحلول الواقعية أكثر مما تستطيعه هذه الجهات الرسمية ، وإمتد تأثيره إلى درجة التحكم فى ترجيح خط سير ومجرى الإنتخابات النيابية والمحلية ، وعلى حد قول أحد المواطنين " كنا بنعتبر أن عرفة وجماعته عائلة قائمة بذاتها فى البلد أسمها عائلة السنية ، ويمكن أقوى من العائلات التقليدية كمان" وأى سيطرة ونفوذ سيكفلها له هذا الوضع .. وأى دين فى عنق من قاموا بترجيح كفته للفوز ؟

هذا بالإضافة لإستغلاله الفكر المستقرة فى أعماق الريفيين لتحبيذ الحلول الودية على الحلول الرسمية وما يستتبعها من لجوء للشرطة والنيابة والقضاء التى ينفر المواطن الصعيدى من التعامل معها بطبعه .

وأمور أخرى كزيارة المرضى وجمع الزكاة وتوقيع العقوبات المالية على الخارجين على منهجه والمرتكبين للمعاصى – على حد تعبير أمراء الجماعة – وضمان حسن سير الأفراح وفقا لضوابطهم التى تمنع الغناء وغيره وتفرض إقامته بالمسجد والإكتفاء " بالعقيقة " – وهى نحر المواشى – وتقديمها لجماعته ومن يسيرون فى فلكها ، ورفض العزاء فى سرادقات وتلاوة القرآن إلا فى مسجدهم أما عن السؤال عن دورالإدارة المحلية وما يسمى بلجان المصالحات هنا فلا معنى ولا قيمة له حيال هذا الزحف المنظم والمخيف إذا ما قورن بأداء الموظفين إياهم كفانا الله وإياكم شرورهم .

أما فى مجال التعليم :

وهنا مربط الفرس .. حيث يبرز أخطر أدوارهم فى دس السم فى الدسم .. فبينما يقدمون حلولا لمشكلات التعليم المزمنة والدروس الخصوصية الباهظة التكاليف وما يترتب عليها من أعباء اقتصادية يعجز عنها القطاع الأكبر من الأهالى هنا تقوم الجماعات بتنظيم مجموعات دراسية بالمساجد يدرس فيها المدرسون الإخوة وتتخلل هذه الدروس بالطبع أوقات للصلاة حيث يؤدى الطلبة معهم الصلاه وتعقبها ندوة دينية مع أحد الأمراء المتمرسين فى زرع الخراب فى نفوس هؤلاء الصبية الصغار فيبدأ بطرح أفكار سلفية مستقاه من فقيه العصر المملوكى وإمامهم الروحى "إبن تيمية" ومروراً بداعية تكفير المجتمعات

وجاهليتها الباكستانى "أبو الأعلى المودودى" حتى يصل التلميذ لمرحلة متقدمة يكون قد تهيأ فيها لإستقبال أفكار "سيد قطب" فى المؤلف الدستورى للجماعات "معالم فى الطريق" وانتهاء "بالفريضة الغائبة" لمفتى تنظيم الجهاد عبد السلام فرج والتى تقفز بالعضو من مرحلة الفكر والسماع إلى مرحلة القنابل والخناجر وروح الإستشهاد وغيرها مما نراه ونعانى منه الآن ..

هذا عن التعليم فى المدارس أما فى الجامعات فيقوم الأمراء بنسخ المذكرات وتصويرها دون الإعتداد بحقوق التأليف بالطبع مما يجعل سعرها رمزيا مكتفين بتذييل له دلالته هو "مع تحيات الجماعة الإسلامية" بينما يخشى الأساتذة التعرض لهم أو المطالبة بحقوقهم حتى لايصطدموا برموز هذه الجماعات وما يلوحون به من عقوبات تصل لحد التصفية الجسدية والإتهام بالكفر ، ولا يمكن إغفال دور الأمراء فى تنشئة الصغار بحجة تحفيظ القرآن الكريم وهنا يجدون أرضا بكرا ومناخا رائعا لزرع مفاهيم الطاعة العمياء داخلهم مع التنويه بأن ثقافة القاعدة العريضة من هذه الجماعات هى ثقافة سماعية فى المقام الأول تتوقف عند حد السمع وترديد مقولات الأمراء ومفتى الجماعة دون إعمال للعقول التى يعد طرحها أمراً يخرج بالفرد من الجماعة ويشكل جريمة الردة عنها ، وحينئذ تتم تصفيته إستناداً إلى فتوى إقامة الحد الشرعى عليه ، وهكذا يدخل التلميذ عش الدبابير فلا يستطيع منه فكاكاً وتبدأ دورة المعتقلات حيث تؤصل داخله الأفكار الضبابية التى سبق وطرب لسماعها دون تفكير .

ونرى أنه لاداعى مطلقاً للسؤال عن دورمؤسسات التربية والتعليم فى ظل أحوال المدرسين المتردية ، والإعتراف الصريح من جانب مسئولى وزارة التعليم بالدروس الخصوصية كحل يرضى جميع الأطراف وكأسلوب لتربية أجيال قادمة يفترض فيها قيادة هذا الوطن .

وفى مجال الأنشطة الرياضية يتكرر نفس السيناريو ! :

يقوم الأمراء بتنظيم دورات رياضية للألعاب لشباب هذه القرى المحرومة دائما من مراكز الشباب والأندية والمحذوفة أبداً من فكر واهتمامات رجال الشباب والرياضة والإعلام وهنا يشجع أمراء الظلام على إقامة المباريات فى الأراضى الخلاء والجرى في الصحراء ورياضات العنف وغيرها داخل غرف

ملحقة بمساجدهم بهدف تجنيد العناصر التى تثبت كفاءة عاليـــة وولاء لايساوره الشك فى إنتمائهم إليهم تمهيداً لإلحاقهم بلجان العدة وهى الجناح العسكرى للتنظيم حتى يكونوا أدواتهم الفعالة فى ضرب أهدافهم سواء بالقتل أو الإعتداء على أعدائهم سواء فى أشخاصهم أو ممتلكاتهم حال قيامهم بتطبيق عقوباتهم المزعومة بالإضافة إلى أن تنظيم هذه الدورات يشكل غطاء أمنيا رائعا تحت راية النشاط الرياضى البرئ الذى يدرأ عنهم شبهة الإجتماعات التنظيمية أو التجمهر بينما يتاح لهم التعارف بين القرى وبعضها والمحافظات وبعضها وغالبا ما يعقب هذه المباريات لقاءات دينية مع أمرائهم من حملة الجنازير والأسلحة وعن الساحات الرياضية ومديرية الشباب هنا فقد تحولت بفضل الموظفين المهرة إلى مقاهٍ يرتادها العاملون بها للفرجة على التليفزيون وشرب الشيشة والشاى والحديث عن الميزانية الضعيفة المخصصة لهم والتى لاتكفى لشئ .

وفى نهاية هذا المطاف نأتى لعامل اجتماعى نفسى هام وهو أن هذه الجماعات تعد مرتعاً خصباً لأبناء الفئات الهامشية فى مجتمع الصعيد القبلى الذى يرسم أدواراً سابقة الإعداد لكل فرد بحسب انتمائه القبلى ومكانته الإجتماعية والإقتصادية ، فبينما لا يستطيع هؤلاء الهامشيون مجاراة أبناء العائلات القوية فى مظهرهم وسلوكهم الإجتماعى يجدون متنفسا فى الإنتماء لهذه الجماعات ربما يؤهلهم لأدوار ومواقع ما كانوا ليصلوا إليها فى ظل الأعراف التقليدية السائدة ويتندر الأهالى هنا بوالد "هانى قطب" تابع الأمير بقوله دائما "أنا ابنى شتم الضابط ورد على مدير الأمن والمحافظ وكل الحكام بيعملوا حسابه" ، وكان التعليم – حتى وقت قريب – هو الحل الأمثل للقفز على هذه الحواجز واختراق الإطار الإجتماعى الهامشى ثم استتبعه السفر للخارج الذى بدل مواقع الخريطة الإجتماعية بأسرها ، ولكن حينما فقد التعليم حتمية الصعود ودلالته السابقة وانحسرت فرص السفر للخارج لم يجد هؤلاء الهامشيون سوى التشبث بتلابيب الأمراء ربما يكفل لهم هذا الإنتماء قدرا من التميز واحترام السلطات والعامة والفاعلية الإجتماعية فى إدارة شئون القرى وربما الأمل فيما هو أكبر من هذا فى ظل غياب الجميع الذين لايستيقظون إلا لفترات وجيزة على طلقات الرصاص وهم يردون عبارات مهووسة عن ضرورة التدخل الأمنى الحاسم والتصفية

الكاملة ويتزعمون أحيانا قوافل الدعـوة المسرحية المثيرة للسخرية هنا مـن كـل فئات المواطنين حيث لايحضرها سوى منظميها فقط .

وهكذا يتضح إلى أى مدى إستطاعت الجماعات وأمراؤها إجادة فنـون بنـاء النفوذ الفكرى والسياسى بحنكة واقتدار فى مجتمع الغليان والنسيان هنا٠٠وهنـاك والحقيقة الثابتة أن الدور الخدمى الذى لعبته هذه الجماعات فى القـرى والأحيـاء الشعبية بالمدن فى مقابل تدنى الخدمات المفترض قيام الأجهزة الرسمية بهـا قـد ساهم بصورة أو أخرى فى توجيه الرأى العام إيجابياً لدعمهم أو على أقـل تقديـر تحييد موقف المواطن البسيط غير المنتمى حيـال المواجهـة القائمـة بيـن هـذه التنظيمات والسلطات المعنية بالمواجهة ، وهو الأمر الـذى ألقـى بـالمزيد مـن الأعبـاء والتحديات الملقاة على عاتق أجهزة الأمن فى هذه المعركة الشرسة .

والسؤال الأخير لكل المسئولين عن الأنشطة السابقة وغيرها :

ما هى البدائل الحقيقية التى قدمتموهـا فى هذا السـباق المحمـوم لمواجهـة زحف الأمراء لبنـاء نفوذهم الجماهيرى والسياسى .. واكتساب ثقـة المواطنيـن الذين يمنحونكم مشروعية وجودكم واستمراركم ؟

ألستم معى أنه ليس بالأمن وحده ستستقر البلاد ويحيا العباد ؟

هذه بعض من الأسئلة الكبيرة والكثيرة لمن لايزال يهمه أمـر هـذا الوطـن الجميل ولمن لايزال يخشى خطر هؤلاء الأمراء الدمويـيـن .. حـاملى الجنـازير والكلاشيكوفات .. ومفتشى ضمائر العباد .

البـــاب الأول

الرد الكمى والنوعى
لجماعات الإسلام الحركى فى خلال
عقد التسعينـات

إما أن يتعلق بعضنا ببعض .. أو ســنتعلق فرادى

وجاء فى كتابه تعالى : (بأنكم من مصر تخرجون)

نزار

الفصــل الأول

بانوراما الإرهـاب فى مصـر

خريطة جماعات الإرهـاب على الساحة المصرية

الساحة المصرية دائماً هى الرائدة فى كل نشاط فكرى أو فنى أو سياســـى .. ليس هذا من قبيل الإنغماس فى القطرية بقدر ما هو إقرار لوضع قــائم ومتكــرر تشهد عليه حوادث التاريخ وتؤيده جغرافيا المنطقة العربية ، وما يحدث فى مصـر يتكرر بصورة أو أخرى فى بلدان عربية وإسلامية مجاورة ، ومــن أبــرز هــذه الظواهر ظاهرة الإسلام الحركى ومن هــنا يتبيــن أهميــة رصــد الجماعــات والمجموعات النشطة على الســاحة المصرية فى معبرة إلى حد بعيد عمــا يــدور إقليمياً وربما عالمياً إزاء هذه القضية ذات الطبيعة الأممية ، والبدايــة الصحيحــة لرصد حجم الظاهرة من الفيوم حيث كان يقيم عمر عبد الرحمن ولعلنــا لا نذيــع سراً إذا قررنا أنهلم يفر من مصر هرباً من أجهزة الأمن فقط كمــا قــد يتصــور الكثيرون من المراقبين أو المتابعين ، ولكن الحقيقة أن خوفه من تهديدات تلاميــذه القدامى الذين إنشقوا عليه وصاروا خصومه وأفتوا بــإهدار دمــه وهــم جماعــة "الشوقيون" – التى أســسها شوقى الشيخ وعادل عبد الباقى وآخرون –كان يقــف وراء فــراره أيضاً إلى جانب عوامل أخرى بالطبع سنأتى إليها فى موضع آخــر من الكتاب .

وهذه المعلومة تقودنا إلى حلبة الصراع بين " الإخــوة " الذين يتحدثون لغــة واحدة .. وينشدون أهدافاً واحدة .. ويبررون إرهابهم بمنطق واحد .. ولا تزيــد الخلافات فيما بينهم على كونها مجرد خلافات فى الوسائل ، لا الإســتراتيجية ، .. وفى الأشخاص لا الأهداف ، وفى الإطار التنظيمى والأسـلوب الحركــى وليــس جوهر المخاطر التى تشكلها هذه الجماعات على إختلاف مسمياتها ، وباختصــار فهى خلافات لا تفسد للود بينهم قضية .. ولكن على الرغم من هذا التشــابه فــإن

الفهم الصحيح وتحديد لغة التعامل مع هذه الجماعات يقتضى ضرورة تصنيفها بدقة وهو الأمر الذى يدفعنا للنبش فى جذور الشجرة الخبيثة التى طرحت كل هذه الفرق فى محاولة لرسم ورصد بانوراما التنظيمات الحركية النشطة على الساحة المصرية التى هى بالضرورة بمثابة نموذج متكرر أو قابل للتكرار فى كافة البلاد العربيـــة والإسلامية .

ومن خلال المتابعة الميدانية والدراسة المســتفيضة ، واللقــاءات الشــخصية والإطلاع على الوثائق المتصلة بهذا النشاط وغير ذلك مــن المصــادر والدوائــر المهتمة بدراسة ومتابعة هذا الظاهرة ، فقد توصلنا إلى تصور لتصنيف كــل هــذه الجماعات والتنظيمات تحت ثلاثة محــاور رئيسية .. يضم كل محور منها عــدداً من الجماعــات والتيارات الفرعية التى تدور جميعها فى فلك المحــور الرئيســى على النحو الآتى :

أولاً : المحور السلفى .

ثانياً : المحور الجهادى .

ثالثاً : محور التكفير .

وكما أسلفنا فإنه يكاد لايخرج تنظيم أو جماعة على الساحة عن هذه المحاور الثلاثة رغم تعدد المسميات ، ولا يمكن أن يعزى تنوع هذه الجماعات إلى مجــرد إختلافات فكرية فجميعها خرجت من نفس المنطلق الفكرى وتكــاد تحمــل ذات الملامح العقائدية ، ولكن الخلافات التنظيمية والشخصية حول الإمارة والزعامــة هى التى أوجدت هذا التنوع الذى يصل فى كثير من الأحوال إلى حد تكفــير كــل جماعة للأخرى وإهدار دماء أعضائها واستباحة أموالهم وأعراضهم .

ونبــدأ بتناول العوامل المشتركة بين هذه المحاور الثلاثـــة الرئيســية لهــذه الظاهرة والتى يمكن إيجازها وفقاً لتصورنا ومن خلال متابعات مستمرة وإستقراء متكامل على هذا النحو :

١ - وحــدة المنبــع :

فقد خرجت كل هذه التيارات أو الفرق من عباءة السلف مؤمنين بأن الماضى بكل مفرداته وقضاياه -التى تلاشى أغلبها -هو السبيل الوحيد للتعامل مع قضايـــا

الحاضر والمستقبل ، مؤكدين على رفض الواقع وإنجازاته العلمية والتقنية والثقافية بوصفها أساس البلاء وسبب المحنة "فكل محدثة بدعة" ، ولايترددون لحظة فى تحريم كل الفنون والآداب والأنماط الحضارية فى السلوك الإنسانى والسعى نحو إعادة المجتمع بأسره إلى حظيرة الأمس بوصفه الجنة الضائعة أو اليوتيبيا المنشودة ، وإن كان ذلك لا يحول دون إستخدام منجزات العصر التقنية مما يشير إلى منطق إنتقائى لا يخلو من الإنتهازية والتناقض على النحو الذى سنتعرض له فى مواضع أخري بشئ من التفصيل .

٢ – وحدة الهدف :

لا يمل منظرو هذه من التأكيد على الأهداف التى تبدو فى ظاهرها نبيلة كإقامة الخلافة الإسلامية وترديد شعارات حق يراد به باطل " كالإسلام هو الحل " وغير ذلك من العموميات المفرطة دون عرض برنامج فكرى أو سياسى محدد وواضح الملامح ، واستناداً إلى حلم الخلافة وباسم الإسلام يتصارع الجميع ويهدرون دماء من يخالفهم الرأى أو حتى الوسيلة .

٣ – اللامنهجية الفكرية :

تفتقد هذه الجماعات إلى المنهج سواء بمفهومه العلمى أو الفقهى فيقومون عادة بانتقاء ما يروق لهم من إحدى المدارس الفقهية دون الإعتداد بالأطروحات الأخرى التى تناولها هذا المذهب الفقهى فيما يمكن وصفه بالإجتزاء من السياق العام وفى غير السياق ، وتكاد أن تنحصر مفاهيمهم فى عدة ثوابت أستدعى بعضها من الفقه الحنبلى تارة .. ومن المنهج الحركى الوهابى تارة أخرى دون أن يجمع ذلك سياق مشترك يتصدى لقضايا العصر .

٤ – السلوك التبريرى :

يجيد أمراء هذه الجماعات ومنظريها وحتى المتعاطفون معها السلوك التبريرى فى محاولات مستميتة لإسباغ الصفة الشرعية على كافة رؤاهم وشطحاتهم الفكرية بدءاً من أبسط صور السلوك الإنسانى وإنتهاء باستسهال وصم الجميع بالكفر إذا حاول مجرد مناقشة هذه المعتقدات أو الأطروحات ، ويجرى ذلك بأسلوب يتراوح بين توليف الأفكار وتأويل النصوص بما يتسق ويتلائم مع

مخططاتهم الحركية مما يؤكد على "اللامنهجية" التى تحكم منطق وأسلوب هذه التنظيمات بصفة عامة فضلاً عن الأسلوب التبريرى والإنتقائى الذى يتبعه منظرو هذه الجماعات كما سنورد ذلك تفصيلياً فيما بعد .. ونبدأ بالمحور الأول الذى يضم جماعة " الإخوان المسلمين " وجماعات " السلفيين " :

أولاً :التيار السلفى :

ويندرج تحت هذا المسمى جماعة الإخوان المسلمين وعدد الجمعيات السلفية التى تدور فى فلكهم ، أما جماعة الإخوان فيعود تاريخ إنشائها إلى عام ١٩٢٨ حينما أسس حسن البنا جماعة خيرية بهذا الإسم بهدف العمل على نشر الدعوة الإسلامية ، وبالتدريج تحولت الجماعة من صبغتها المدنية إلى تنظيم دينى له سمات حركية وتنظيمية بالغة الدقة والإنتشار ، ثم أخذ البنا فى تأسيس جناح عسكرى للجماعة تحت مسمى "فرق الكشافة" وفى مدينة الاسماعيلية مهد الجماعة حيث كان البنا يعمل كمدرس بها بدأ يخوض فى الأمور والقضايا السياسية والإجتماعية مؤكداً فى كل مناسبة أن (الإخوان قد أصبح لهم دار فى كل مكان .. ودعوة على كل لسان) وفى عام ١٩٣٣ بلغ عدد فروع جماعة الإخوان ثلاثمائة فرع فى كافة أنحاء مصر ثم أخذ ينتشر خارجها فى بعض البلدان العربية والإسلامية ، وظل تنظيم الإخوان يتنامى ويكبر حتى إنتهج خط العنف الصريح فأسسوا النظام الخاص أوالجهاز السرى فى جو من الغموض والسرية وقد قام على هيئة خلايا وأركان حرب وخلايا، وحددت واجبات كل منهم وفقا للشروط والقدرات المتوافرة لدى كل فرد أو مجموعة بحيث يكون لكل خلية أمير ويلتزم الأعضاء بواجب الطاعة العمياء لهذا الأمير وفقا للبيعة التى كانت تحدث على مصحف ومسدس وفى إطار طقسى بالغ الرهبة ، ثم ما لبثوا أن شكلوا ما يمكن وصفه بجهاز مخابرات الجماعة يكون هدفه التجسس على الأعضاء للتأكد من ولائهم والتزامهم بالإنصياع فى "اليسر والعسر والمنشط والمكره معاهدين على الكتمان وعلى بذل المال والدم ... " كما يذكر نص القسم الذى كان يردده أعضاء النظام الخاص أمام عبد الرحمن السندى ، ومن جهة أخرى يتم جمع المعلومات عن القوى والأحزاب السياسية ، وكانت ميزانية هذا الجهاز السرى عام ١٩٤٨

قد بلغت مبلغاً كبيراً بلغة تلك الأيام وهو خمسون ألف جنيه مصرى حتى أنه فى أواخر ذلك العام أصبح الإخوان دولة داخل الدولة ، لكن حكومة النقراشى أصدرت قراراً بحل الجماعة وإعتقال أعضائها ومصادرة ممتلكاتها وهو الأمر الذى جعل أحد الأعضاء وهو عبد المجيد حسن يطلق الرصاص على النقراشى باشا داخل مبنى وزارة الداخلية وردت حكومة القصر على هذا الحادث بتدبير خطة لقتل حسن البنا .

أما عن طبيعة العمل داخل الجهاز السرى للإخوان فقد كانت تبعيته المباشرة للمجلس الأعلى للجهاد والذى كان يتكون من عبد الرحمن السندى ويوسف طلعت وصلاح شادى ومحمد فرغلى وخميس حميدة وكان هذا المجلس يخضع مباشرة للمرشد العام ، أما عن تسليح الفصائل التى يتكون منها الجهاز السرى فقد كان مسدسا لرئيس المجموعة وثلاث بنادق ومدفعين "أوستن" ومدفع "برن" وقنبلتين لكل فرد .. وكان يشرف على التسليح طالب بكلية الآداب هو السيد عبد الله الريس الذى كان يتخذ من مقابر أسرة حسن الهضيبى بعرب جهينة مخزناً عمومياً له ، وقد تعرضت جماعة الإخوان لعدة صدامات وأبرموا عشرات التحالفات وشهدت العديد من عمليات الإنشقاق وأصبح لها فروع بمعظم البلاد العربية فى فلسطين والأردن وسوريا والجزائر والسودان والخليج العربى والسعودية واليمن وغيرها وتعتبر جماعة الإخوان بمثابة الجماعة الأم التى خرجت من عباءتها كل التنظيمات التى تشهدها الساحة المصرية بل والدولية الآن .

أما عن وضعهم الحالى فإنهم يلعبون دورا مزدوجاً بالغ الخطورة وشديد التنظيم والإحكام ، فعلى الرغم من كونها جماعة محظورة النشاط ومنحلة من الناحية الرسمية بموجب قرار جمهورى صدر بحلها منذ حكم عبد الناصر .. إلا أنهم يسعون للتواجد بشكل مكثف فى قطاعات هامة ومؤثرة كبعض المؤسسات الصحفية والتعليمية والإقتصادية والحزبية ، وكان الكثيرون منهم قد سافروا فى أعقاب خروجهم من السجون فى عهد عبد الناصر واتجهوا للجزيرة العربية وألمانيا الغربية والولايات المتحدة وإستطاعوا تكوين ثروات هائلة ودوائر إتصالات ضخمة وظفوها لعقد العديد من التحالفات ذات الصبغة السياسية التى

ترتب عليها نتائج هامة ، فمحلياً إستغل الإخوان المشروعية السياسية والدستورية لبعض الأحزاب سعياً لإكتساب وجود حقيقى لهم تحايلا على القرار بحل الجماعة والتفافاً على الدستور المصرى الذى يحظر إقامة أحزاب على أساس دينى أو مذهبى أو طائفى ، وبالمقابل منحوا تلك الأحزاب قاعدتهم الشعبية المتعاطفة معهم ودعموهم مالياً ومضوا خلال العقود الثلاثة المنقضية يقيمون فى طول البلاد وعرضها عشرات المدارس والشركات التجارية وغيرها فى إطار خطة خطيرة لإقامة مؤسسة اقتصادية موازية تساند أنشطتهم وتدعم أهدافهم .

ومن أخطر وسائل جماعة الإخوان "المنحلة" عمليات التسلل الهادئ لشرائح عريضة فى المجتمع من جهة . ومن جهة أخرى يلتزمون بمعايير معينة فى قبول عضوية فرد جديد فهم يعمدون للإنتقاء النوعى لمن سيتقرر ضمه إليهم ، هذا على العكس من أساليب الجماعات الراديكالية الأخرى التى تفتح أبواب الإنضمام إليها دون تمييز ، والملاحظ أن قادة الإخوان يتخذونً موقفا شديد الميوعة تجاه أحداث الإرهاب التى ترتكبها جماعات الإرهاب الأخرى فيكتفون دائماً بإصدار بيانات إنشائية تدين العنف من جانب الحكومة وأجهزة الأمن ومن يطلقون عليهم " الشباب المتحمس المغالى فى دينه " .

وعموماً فإن الحديث عن الإخوان أمر يطول .. وربما يحتاج إلى مجلدات بما لايسمح المقام بالإستفاضة والإستطراد فيه هنا وسنأتى إليه فى موضع آخر من هذا الكتاب ، وما يهمنا فى هذا السياق هو رصد ما تفرع عن جماعة الإخوان من جماعات أخرى توصف بالسلفية .

الجماعات السلفية :

ويقصد بها فى هذا الإطار تلك المجموعات المتناثرة فى طول البلاد وعرضها من الشباب الذين ربما لم ينخرطوا تنظيميا – حتى الأن – تحت لواء أية جماعة تتخذ منهجاً حركياً يقر العنف كأسلوب صريح لها وهى عادة جمعيات مشهرة بالشئون الإجتماعية ...كالجمعية الشرعية والتى يرأسها عبد اللطيف مشتهرى أحد أقطاب جماعة الإخوان المسلمين ، وهناك أيضاً جماعة أنصار السنة

المحمدية وجماعة التبليغ والدعوة وجماعة شباب محمد وغيرها ، ويؤكد معظم المراقبين أن هذه الجماعات أو الجمعيات تشكل القاعدة غير المرتبطة تنظيميا أو حركياً بأى تنظيم أو جماعة ، لكن أعضاءها يؤمنون بنفس المنهج الفكرى .. ويسعون إلى نفس الأهداف ويسعون للإنتشار أفقياً فى شتى أنحاء البلاد بمعدلات مطردة ويعولون على مناهج التربية وفقا للمفاهيم السلفية المتزمتة ،ويعمدون إلى إشاعة قيم الإلتزام بالمسلك المتطرف فى قطاعات تلاميذ المدارس والجامعات .. ويذكر أن كافة الأسماء اللامعة فى عالم التطرف والإرهاب قد بدأت نشاطها من خلال الإنضواء تحت راية هذه الجماعات السلفية فى البداية .. ثم انشقت عليها لتنضم وتؤسس التنظيمات الإرهابية الأخرى فمثلا ... عبود الزمر وناجح إبراهيم وكرم زهدى كانوا أعضاء فى الجمعية الشرعية .. وأيمن الظواهرى كان عضواً بجماعة أنصار السنة ... أما طلعت فؤاد قاسم وطلعت همام وصفوت عبد الغنى كانوا أعضاء فى جماعة التبليغ والدعوة وحتى شكرى مصطفى وعمر عبد الرحمن كانت بدايتهما مع الإخوان المسلمين وأخيرا فإن ما يمكن قوله فى هذا المضمار أن هؤلاء السلفيين وإن لم يحملوا السلاح حتى الآن إلا أنهم لم يلقوه بعد .

وباستقراء الخريطة التنظيمية لوجودهم فإننا نراهم بشكل مكثف فى القاهرة والجيزة والقليوبية والشرقية والاسكندرية ، ويظل مؤشر وجودهم مرتفعا نسبيا فى محافظات الدلتا والقناة ، بينما ينخفض المؤشر كلما إتجهنا جنوبا ففى الوقت الذى يحتفظون بالوجود المؤثر فى شمال الصعيد كالفيوم وبنى سويف والمنيا ويكاد يتضاءل وجودهم فى أسيوط وسوهاج وقنا وأسوان والوادى الجديد وهم بهذا يسيرون فى إتجاه معاكس تماماً لتواجد الجماعات الأخرى فى شتى مدن وقرى مصر باستثناء القاهرة نظراً لطبيعتها الديموجرافية الخاصة .

ثانياً: المحور الجهادى :

ولا نقصد بالجهاد – فى هذا السياق – ذلك التنظيم الذى أسسه محمد عبد السلام فرج عام ١٩٧٩ واستطاع ضم مئات العناصر إليه ونجح فى التنظير الفقهى له من خلال مؤلفه (الفريضة الغائبة) الذى سنتناوله بالشرح فى موضع آخر من هذا الكتاب ، والملاحظ أنه على الرغم من بقاء هذا التنظيم على قيد

الوجود فى الساحة المحلية والإقليمية حتى وقتنا هذا إلا أنه كانت هنالك تنظيمات سابقة أو لاحقة عليه تحمل نفس الإسم ويبقى التمايز الوحيد داخل هذا التيار محسوباً لصالح تنظيم آخر وهو "الجماعة الإسلامية" والفارق بينهما يكاد لايتجاوز فروق ظروف النشأة والمناخ الجغرافى لكليهما .. ففى الوقت الذى نشأ فيه تنظيم الجهاد فى القاهرة والجيزة كانت ملامح "الجماعة الإسلامية" تأخذ شكلها النهائى فى المنيا وأسيوط وتتضح معالمها الفكرية والحركية على يد طبيب شاب هو ناجح إبراهيم ومعه عدد من طلبة كلية الهندسة هم طلعت فؤاد قاسم ، وأسامة إبراهيم حافظ ، وعاصم عبد الماجد وآخرين إستطاعوا بجهد مشترك أن يفرضوا وجودهم داخل المحيط الجامعى فى البداية ثم انطلقوا منه إلى كافة القطاعات الإجتماعية فى القرى والنجوع والأحياء السكنية بمدن الصعيد حتى تم أول تعاون مشترك بين جماعة "الجهاد" و "الجماعة الإسلامية" فى ذلك التحالف المعروف الذى سبق إغتيال السادات بأشهر قلائل ، وكان محور ارتكازه هو شخص عمر عبد الرحمن بما يمثله لكلا الطرفين من مصداقية ومرجعية فقهية وشخصية ، ولكن عقب حادث المنصة تعرض هذا التحالف لعدد مكثف من الضربات الأمنية المتلاحقة والتى كانت كافية لتفتيت مركزيته بعد القبض على معظم قياداته بينما هرب آخرون خارج البلاد لدول عربية أو أفغانستان .

أما على مستوى الرصد الكمى والنوعى لوجود الجماعتين (الجهاد ، الجماعة الإسلامية) على الساحة فقد حدث أن تقلص وجود الجهاد فى معظم محافظات الصعيد وظلت محصورة فى بضعة جيوب متناثرة فى بنى سويف وأسيوط وقنا بأعداد لاتتجاوز العشرات ، فى الوقت الذى إرتفع فيه العدد فى الأحياء العشوائية بالقاهرة الكبرى كعين شمس وإمبابة وغيرهما ، بينما تكاثرت عناصر " الجماعة الإسلامية " فى منبتها الأول – محافظات الصعيد – على النحو التالى : كان هناك ما يزيد على ألفى عضو فى الفيوم ، وأكثر قليلاً من ألف عضو فى بنى سويف وفى المنيا نفس العدد تقريبا ، بينما ازداد العدد بشكل هائل فى أسيوط ليتجاوز ثلاثة آلاف عنصر ، وتناقص العدد فى سوهاج تناقصا ملحوظاً فلم يتجاوز عدد العناصر أربعمائة عنصر فقط أو أقل ، وعاد المؤشر للإرتفاع بحدة فى قنا

ليصل العدد إلى ألف عضو أو أكثر قليلا بينمالم يتجاوز العدد خمسمائة عنصر في أسوان في الوقت الذى ظلت فيه منطقة النوبة خالية أو شبه خالية تقريباً .

آليات النشاط الحركى فى عقد التسعينات :

وقد تحكمت فى الأنشطة الحركية لجماعات الإرهاب عدة آليات جديدة وذلك فى أعقاب إجهاض التحالف بين تنظيمى الجهاد والجماعة الإسلامية ، وبروز الصراعات الشخصية والتنظيمية بين قياديى الفرق العنقودية التى تتشكل منها كلا الجماعتين ، مما أسفر عن تغيير العديد من ملامح النشاط الحركى والسمات التنظيمية التى يمكن إيجازها على النحو التالى :

أولاً : فقد التنظيم صفته المركزية سواء فى توجهاته الإستراتيجية أو أنشطته الحركية وهو الأمر الذى مكن الأمراء المحليين من الرعيل أو الجيل الثانى والثالث فى الإنفراد بصنع قرارات مجموعاتهم الإرهابية وفقا لمفاهيمهم وإجتهادتهم الخاصة ، وتبعا لظروف الحال وتقديراتهم الشخصية لمجريات الأمور، ذلك لأن المتابعة الأمنية المستمرة قد حالت دون التنسيق المشترك بين رموز الجماعات المتناثرة وقطعت الكثير من قنوات الإتصال بين رؤوس التنظيمات وقياداتها فى الخارج أو فى السجون من جهة ، وعناصرها فى عشرات القرى والمدن المصرية من جهة أخرى .

ثانياً : تركز وجود عناصر هذا التنظيم فى محافظات الصعيد بينما تراجع وجودهم فى محافظات الدلتا مع الأخذ فى الإعتبار التكوين الديموجرافى الخاص لمدينة القاهرة بوصفها بؤرة تجمع سكانى رهيبة تصب فيها كل التيارات السياسية المختلفة .

ثالثاً : على الرغم مما حققته المواجهات الأمنية من تشتيت لصفوفهم وقطع قنوات الإتصالات وتجفيف منابع التمويل إلى حد كبير إلا أنهم إكتسبوا من خلالها المزيد من الخبرات فيما يتعلق بالعمل الحركى الصدامى ومتغيراته ، وترتب على ذلك إتباعهم أساليب جديدة فى نشاطهم الحركى كإعمال مبدأ "التقية" وهو مأخوذ من المذهب الشيعى ويعنى إظهار خلاف ما يبطنونه لإتقاء عيون الأمن، وكذا إقرار مبدأ العنف العشوائى ضد الأهداف السهلة المنال كالمواطنين

الأقباط أو الأفواج السياحية وذلك بغرض إحراج النظام وممارسة الضغوط على أجهزة الأمن لتخفف من قبضتها المحكمة على مناطق نفوذهم التقليدية كأسيوط .

رابعاً : إصطدموا بكل التيارات الأخرى المخالفة لمنهجهم الفكرى أو الحركى ، أو حتى تلك التى تمارس أنشطة إرهابية في إطار منهج مختلف كجماعات التكفير – التوقف والتبين – الشوقيون – وغيرهم ، فاتهموهم بفساد العقل والعقيدة والإنسحاب من المواجهة فى المرحلة المعروفة لدى هذه الجماعات بمرحلة الإستضعاف والتى سيأتى تناولها تفصيلياً فيما بعد ، وقد وقعت بين هذه الجماعات عدة عمليات إرهابية داخلية كتبادل فتاوى التكفير وتصفية الخصوم .

خامساً : عمدت هذه الجماعة إلى تصعيد الصدام مع السلطة وأجهزة الأمن كعمليات إغتيال رجال الشرطة وتوجيه ضربات إرهابية إنتقامية من نوع جديد كإطلاق النيران على قطارات السكة الحديد والحافلات التى تقل السياح ومحاولات تفجير بعض المنشآت الهامة وذلك بهدف تفتيت جهود أجهزة الأمن وتشتيت خطط المواجهة وإضعاف موارد الدولة ، وهو تصعيد بالغ الخطورة لم يسبق له مثيل فى تاريخ هذه التنظيمات جميعا ، وقد ساعد فى التخطيط لهذه العمليات وتنفيذها تلك العناصر التى عادت من أفغانستان بعد أن تلقت تدريبات رفيعة المستوى وخاضت تجربة حية للحرب .

ثالثا : محور جماعات التكفير :

وهى الشريحة الأقل عدداً بين جماعات الإرهاب النشطة حركياً على الساحة المصرية ، وعلى الرغم من ضآلة حجم المنتمين لهذه الجماعات بالقياس لهؤلاء المنتمين إلى المحورين السابقين (السلفى والجهادى) إلا أن هذا التيار يشكل خطورة لا تقل عن تلك التى تشكلها التنظيمات الأخرى .. وربما تفوقها نوعيا وتكتيكياً ، ولعل تلك الخطورة تعود لمنهج هذا الفصيل الإرهابى فى النشاط الحركى الذى يتسم بالمركزية التامة فى إتخاذ القرارات المتعلقة بالممارسات التنظيمية ، فضلاً عن الإلتزام الصارم بقواعد العمل السرى وآلياته وتقاليده المتعارف عليها ، وحتى تتضح الرؤية ينبغى فى البداية التعريف بهذا المحور

الإرهابى الذى خرج من عباءة الإخوان المسلمين مباشـــرة ودون المــرور بأيـــة حلقات وسطى ، ونشأ على يد الإخوانى شكرى مصطفى الذى تبنى فـــى البدايـــة المنهج الفكرى لسيد قطب ثم إستطاع التوصل إلى تـــاصيل منهجـــه الفكـــرى الخاص به فى مؤلفه الحركى "الخلافة" ، وما أن خرج من الســـجن حتـــى أنشـــأ جماعته التى أطلق عليها "جماعة المسلمون" والتى أشتهرت إعلاميـــا بـــجماعة "التكفير والهجـــرة" ولكنها ما لبثت أن أجهضت تنظيميا عقب إختطـــافهم للشـــيخ حسين الذهبى وزير الأوقاف الأسبق وقتله بعد محـــاولة مساومة الســـلطات علـــى تلبية مطالب لم يكن ممكناً الرضوخ لهـــا ، وهكذا إنتهت تلك الجماعة واندثـــرت من على الساحة منذ ذلك الوقت بينما ظلت أفكارها الفقهية والحركية كمدرسة رائدة للتكفير خرج من بين ثناياها العديد من الجماعات التى تحمـــل مســـميات مختلفـــة وتسلك نفس المنهج الفكرى والحركى الذى يقوم على السرية التامة والمرحلية فـــى النشـــاط والتدرج فى الإنتشـــار وفقـــاً لمفاهيمهم المتعلقة بالتحرك على مراحـــل ثلاث هى :

١- **الدعـــوة** : وتتمثل فى نشر دعوتهم بشكل سلمى وبشكل مكثف وبطريقة هادئة داخل قطاعات محددة بغرض توسيع قاعدة الجماعة والإنتشار الأفقى لضـــم من يرونه صالحا للإنضواء تحت رايتهم بعد أن يجـــتاز عدداً مـــن الإختبـــارات الدقيقة الصعبة التى تحتم على العنصر أن يثبت ولاءه الأعمـــى لأمـــير الجماعـــة ولايناقشه فيما يكلفه من أعمال حتى ولو كانت متنطعة أو تافهـــه فبعـــد أن يبـــايع العضو أمير الجمـــاعة على السمع والطاعة يفقد إرادة القبول والرفـــض ويتحـــول لمجرد أداة عمياء فى يد الأمير الذى يصبح بوسعه التدخل فى كافة شئونه العامـــة والخاصة وعليه أن يقاطع أهله ويمتنع عن العمل سواء لدى الدولة أو حتى العمـــل الحر وما إلى ذلك من ممارسات بالغة الشذوذ سير تفصيلها فيما بعد .

٢- **الإستضعـــاف** : وفى هذه المرحلة يعتزلون المجتمع "الكافر" وينســـحبون منه تماماً سواء بالإقامة فى الصحراء على النحو الذى حدث مع جماعـــة شـــكرى مصطفى فى بداية تكوين التنظيم ، أو داخل المدينة فى الشـــقق المفروشـــة مـــع إعتزال كل الناس من الأهل والأقارب والأصدقاء والإنعزال عن المجتمـــع وعـــدم

الإهتمـــام بقضاياه ، ويرفضون التعامل مع أشخاصه ومؤسساته ويعيشـــون حيـــاة بدائية للغاية تطبيقاً لمبدأ (**المفاصلة الشعورية**) الذى إستدعاه شكرى مصطفى مـــن فقـــه سيد قطب وقـــام بالتأصيل الحركى له ، وهو يعنى فى أبســـط تعريـــف لـــه الإنفصال الشعورى التام عن الوسط المحيط بعضو الجماعـــــة ، وخطـــورة هـــذه المرحلة أنها بمثابة عملية "غسيل مخ" جماعى لأعضاء التنظيم .

٣- **التمكن** : وهى المرحلة التى يبشـــــر بهـــا أمـــراء ومنظـــرو جماعـــات التكفير أتباعهم بأنهم سيعودون فيها من هجرتهم للمجتمع "الكافر" فاتحين ومستعدين لكل عمل صدامى مع المجتمع الكافر بعد أن أصبحوا أقوى وأكـــثر عـــدداً وعـــدة وعتاداً على النحو الذى حدث مع المهاجرين الأوائل إبان الهجرات الأولى للحبشـــة ويثرب ثم عودتهم لمكة فاتحين ، وفى هذه المرحلة يحدث تحول كبير فى ســـلوك أعضاء الجماعة حيث يبيحون أرواح وأموال وأعراض كل من يخالفهم وذلك بعـــد أن صار العضو – عقب المرحلة السابقة – مجرد أداة طيعة فى يد الأمير وهـــى عمل مشابهه لما كان يقوم به حسن الصباح فى إيران قديما مع فرقـــة الحشاشـــين الباطنية ، أو فى عمليات غسيل المخ الجماعية التى تمارسها بعـــض الجماعـــات الغربية وتدعـــو أعضاءها للإنتحار الجماعى أو ممارسة العنـــف ضـــد المجتمـــع وتظهر بين الحين والآخرعلى النحو الذى يحدث فى أمريكا وأوروبا .

وعقب تفتت جماعة المسلمين – التكفير والهجرة – تفـــرق أعضاؤهـــا فـــى دروب شـــتى بين الإنخراط فى صفـــوف الســـلفيين أو الجماعـــة الإســـلامية أو الإخوان أو حتى الكف عن النشاط الحركى تماما ، ولكن مدرسة التكفـــير عـــادت للظهور مرة أخرى عام ١٩٨٧ على يد عنصرين من أخطر نشطاء الحركة همـــا محمد كاظم ويسرى عبد المنعم الذين إستطاعوا تجنيد عشرات الشباب فيما عـــرف آنذاك بجماعة "التوقف والتبين" التى أشتهرت إعلامياً باسم "الناجون مـــن النـــار" ويعتمد فكر هذه الجماعة منهج التكفير بأسلوب يتسم بالإمعان فى السرية وتوخـــى الحذر والتحرك فى دوائر مغلقة ، ونتيجة لذلك لم تتمكن أجهزة الأمـــن آنـــذاك أن ترصد وجـــود أو نشاط هذه الجماعة إلابعد قيام أعضائها بتنفيـــذ عـــدة عمليـــات إرهابية أبرزها محـــاولات إغتيال الصحفى مكرم محمد أحمد ووزيرى الداخليـــة الســـابقين حسن أبو باشا والنبوى إسماعيل ، وتخبطت أجهزة الأمن كثـــيراً فـــى

تحـديد هوية مرتكبى تلك الجرائم حتى إنكشف أمر الجماعة – مصادفـة – وتـم القاء القبض على قادتهم فى حـادث قرية "الخرقانية" الشهير الذى لقى فيه كـاظم مصرعه وتمكن مجدى الصفطى من الفرار ولم يضبط .

وهكذا أصبحت حقيقة مؤكدة لدى رجال الأمن كما سبق وأوضحنا أن جماعة شكرى مصطفى قد تلاشت بالفعل تنظيمياً لكنها ظلت باقية كمدرسة للتكفير تظهـر فى صور متعددة من حين لآخر وهوالأمر الذى حدث مرة أخرى فى الفيوم منـذ سنوات حينما إنشق شوقى الشيخ أحد تلاميذ عمر عبد الرحمن عليه وتبنـى فقـه مدرسة التكفير وبدا فى مطلع الأمر مسـالما والحقيقـة أنـه كـان فـى مرحلـة "الإستضعاف" التى تحدثنا عنها ثم خرج من قبضة السيطرة الأمنية عليـه وعـاد بجماعته المسماه "بالجهاد الجديد" والمعروفة إعلاميا "بالشوقيين" وأعلن خصومتـه مع شخص وجماعة عمر عبد الرحمن حتى أنه اضطر حينذاك لمغـادرة منزلـه بالفيوم وتوجـه للإقامة ببنى سويف خشية من فتوى أطلقها شوقى الشيخ بتكفـيره وإهدار دمه ، وقد كان عمر عبد الرحمن يعرف حقيقـة وأبعـاد منهـج التكفـير وخطورته جيداً.

وهكذا مضى شوقى الشيخ يستقطب حوله الأنصار من شباب الفيوم ويدربهـم فى الصحراء حتى تصادف أن شاهدهم مهندس مساحة كان يقوم بعملية مسـاحية فقتلوه ظناً منهم بأنه أحد ضباط أمن الدولة ، ومنذ هذه اللحظـة إتجـه شـوقى وجماعته إلى العلانية فى النشاط حتى وقعت مواجهة أمنية بقرى كحك وأبو شنب راح شوقى وعدد من أتباعه ضحيتها وقبض على آخـرين وتمكن البـاقون مـن الفرار إلى الأحياء العشـوائية بالقاهرة أو إلى قرى نائية على حـدود الصحـراء وبدأوا سلسلة من أعمال الإرهاب بعد أن أعادوا تنظيم صفوفهم فاغتـالوا المقـدم أحمد علاء البراوى ضابط أمن الدولة بالفـيوم ، ونفذوا عدة جرائم سطو مسـلح على محلات المجوهرات بأحياء الزيتون والمطرية بالقاهرة والخانكة بالقليوبيـة ، وتشـير المعلومات الأمنية إلى مسئولية هذه الجماعات عن إرتكاب العديـد مـن جرائم السطو المسلح وسرقة أسلحة جنود الشرطة والخفراء النظاميين بعد قتلهـم ، ومرجعية هذا الإتهـام تعود لما يتسم به نشاطهم من سـرية بالغـة ومـا يحيـط بأساليبهم من دقة متناهية فى دراسة للأهداف التى تقـرر التعـامل معهـا سـواء

بالإغتيال أو التخـريب أو السطو المسلح أو غير ذلك مـن الوسـائل الإرهابيـة المتعددة ، ووضع خطة التنفـيذ وتحديد الطريقة والأشخاص المنوط بهـم ذلـك ، وذلك خلافاً لأسلوب "الجماعة الإسلامية" الذى يمكن أن ينفرد الأمـراء المحليـون بقرار تحديد وتنفيذ بعض العمليات الإرهابية بصورة عشوائية نسبياً .

وتأسيساً على ذلك فقد إعتبر العديد من المراقبين أن وسائل وطرق التحـرك التى تنتهجها جماعات التكفير قد وضعتها فى مصاف أشـرس أجنحـة جماعـات الإرهاب قاطبة ، والملاحظ ان وجود هذه الجماعة يتركز بشكل رئيسى فى دوائـر محدودة وهى : الشوقيون بالفيوم ، والتوقف والتبين فى دمياط والقليوبية ، وتكفير الكافر فى بورسعيد والسويس ، مع التنويه - كما نؤكد دائمـاً -إلـى خصوصيـة الوضع الديموجرافى والطبيعة الكوزموبوليتانية للقاهرة بإعتبارها مصبـاً وملتقـى لكل الجماعات والتيارات ، ويكاد يتلاشى وجود هذه التيار التكفيرى فى محافظات الصعيد الذى تسيطر عليه تنظيمات الجماعة الإسلامية والسلفيين ، بينمـا توجـد أعداد ضئيلة فى الاسكندرية ومدن القناه وخصوصا بورسعيد .. وينعدم وجودهـم فى المجتمعات الجديدة .

ويبقى أن نذكر أن محاولتنا لرصد الوجود الحركـى والتنظيمـى لجماعـات الإرهـاب على خريطة البلاد هو فى النهاية مجرد محاولة متواضعة إستعنا فيهـا بعدة مصادر رسمية وغير رسمية أبرزها :

أ - تقارير مصلحة الأمن العام .

ب - تقارير مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام .

ج -مقابلات وحوارات مع مسئولى مكافحة النشاط المتطرف بأجهزة الأمن .

د - المتابعة الإعلامية والميدانية .

هـ- الدراسات والأبحاث المتصلة بهذا الشأن .

الفصـــل الثـــانى

قراءة فى البنية التنظيمية لجماعات الإرهاب
رؤية من الداخل

أبلغ الأمثلة على حجم الخطر الذى يتربص بهذا البلد هو ذلك العدد المخيـف من جماعات الإرهاب العنقودية التى تنهش قلب الوطن وتتربص بمستقبله .

وكما سبق وصنفنا كل هذه الجماعات تحت ثلاث محاور رئيسية هى المحور (السلفى ، والجهادى ، والتكفير) ، ولعله من الأهمية بمكان فـى هـذا السـياق أن نتعرض بالدراسة للبناء التنظيمى لكل من الطائفتين الأخيرتين بالمقارنة مع البنيـة التنظيمية لجماعة الإخوان المسلمين .

والثابت أن هاتين الطائفتين خرجتا من عباءة الإخوان الرأس التنظيمـى الأول للتيارات السلفية .. ومن بين سطور كتابات "سيد قطب" و" أبو الأعلى المـودودى" و"حسن البنا" وأخيراً "عمر عبد الرحمن" .. ومن وراء القضبان .

ولعل هذا الطرح يدفعنا لعقد المقارنة بين الهيكل التنظيمى لجماعة "الإخـوان المسـلمين" وبين البناء التنظيمى للجماعات الإرهابية الراديكاليـة التـى تعـاقب ظهورها مؤخراً على الساحة العربية بل والدولية أيضاً ، وقبل الخوض فـى هـذه المقـارنة نرى أنه لابد من رصد وتصنيف الجماعات التى تطفـو علـى سـطح المجتمع المصرى هذه الأيام فى محاولة لتعرية ما قد يلتبس علـى البعـض مـن إختلاط مخادع ونستهل هذا السرد بإيضاح عدد مـن الحقـائق الأساسـية عنهـا والمشتركة بين هذه الجماعات كالتالى :

أولا – أن هذه الجماعات إستقت أفكارها من منابع مشتركة وأصول واحـدة تبدأ بفتاوى فقهاء سلفيين دون غيرهم كابن تيمية ومرورا بأبى الأعلى المـودودى وانتهاء بأطروحة سيد قطب عن تكفير المجتمع وجاهليته والدعوة لمحاربة المجتمع ومؤسساته بكل وسائل العنف والإصطدام مع المؤسسات المختلفة فى الدولة وفـى مقدمتها أجهزة الأمن ، وإقرار العمل السرى والعنف منهاجاً فى التعامل .

ثانيـاً : أن كل هذه الجماعات على إختلاف مسمياتها وتوجهاتها تتطلع إلـى أهداف مشتركة ذات صبغة سياسية بالدرجة الأولى كالوصول إلى مقاعد السـلطة والقفز على مقدرات البلاد والعباد – وهذا فى حد ذاته ليس أمراً معيباً شـريطة أن يمر عبر قنوات الشرعية الدستورية وفى إطار الثوابت المتعارف عليها فى الـدول الديموقراطية –ولكنها تكون مرفـوضة عندما تأتى تحت ستار ما يسـمى بإقامـة الدولة الدينية التى يتاح لهم فى ظلها التسلط والدكتاتورية والقهر المسـتتر بـالدين إعمالاً لمفاهيمهم عن الإستخلاف فى الأرض ، ويكاد أن ينحصر الخلاف بينهـم– كما نؤكد دائمـاً – فى إستراتيجيـة العمل الحركى وأسلوب الوصـول لأهدافهـم المعلنة والخفية .. فمنهم من يرى أن الطريقة المثلى تلـك التـى إتبعهـا عسـكر السودان وهى "الإنقلاب العسكرى" ، ومنهم من يحبذ المنهج الإيرانى القائم علـى "الثورة الشعبية" ، وقد ظلت هذه الخلافات فى طور الكمون فترة لم تطـل حتـى ظهرت جلية فى الصراع الدائر على السلطة الآن فـى أفغانسـتان بيـن فصـائل المجاهدين ، وفى لندن بين الإخوان والجهاد ، وداخل السجون بين كافـة تيـارات وفصائل التطرف والإرهـاب .. وعموماً فإن قضية الخلافات بين هذه العنـاصر وما يمثلونه من جماعات أمر يتطلب مساحة أكبر سنتطرق إليها فى موضع آخر .

ثالثاً : أن المناهج الفكرية والحركية لهذه الجماعات ومنتسـبيها تشـكل فـى مجملها سلسلة من الحلقات المتصلة التى تخدم هدفا مشتركا ، وتتدرج من الدعـوة فى أبسط صورها والتى قد تبدو لأول وهلة مجرد سلوك معتدل لا تشوبه شـائبة ، إنتهاء بالعمل الإرهابى من حمل الأسلحة والجنازير وتنفيـذ عمليـات الإغتيـال والتفجير –وذلك فيما يشبه عملية تربية الكوادر التى تقوم بها عصابـات المافيـا والجريمة المنظمة–تمهيداً لخوض حروب المدن والعصابات ، فما أن يبدأ الشـاب فى الإنسياق خلف مقولات الإلتزام الفكرى والسلوكى وفقاً للآليات التى يروجـون لها حتى يندفع لنهاية الطريق ويجد نفسه بعد فترة تطول أو تقصر يهتـف مطالبـا بإقامة ما يسمى "بإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة وتعبيـد النـاس لربهـم " وينخرط فى العمل السرى ويحمل السلاح لتحقيق هذه الأهداف .

رابعـاً : أن ثمة تراكماً للخبرات الفكرية والتنظيمية والعمليـة قـد أفـادتهم وأصلت لديهم موروثاً ثقافيـاً أو فقهياً هو فى نهاية المطاف خليط مـن النفايـات الفكرية ، والتى تعبر فى أفضل صورهـا عن تناقض بين الأهداف والوسـائل .. فهم مثلاً ينكرون أفكار الشيعة ولكنهم يأخذون منهم مبدأ "التقية" ، وهـى إعـلان خلاف ما يبطنون من أهداف والتدرج فى كشف نواياهم حتى الوصـول لمرحلـة

التمكن وغير ذلك من المواقف الفكرية والحركية التى تنطوى على مغالطات متعمدة وتناقضات صارخة لا حصر لها .

خامساً : أن شخص مؤسس الجماعة أو أميرها هو المحور الرئيسى لكل هذه التيارت وما يتفرع عنها من جماعات عنقودية على إختلاف مسمياتها الحركية أو الإعلامية ، وتدور مع شخص الأمير أو قائد التنظيم وجوداً وعدماً .. وترتبط بمنهجه ورؤيته وقدراته التنظيمية ومزاجه الشخصى ، ولعل هذا هو السبب الجوهرى وراء تكاثر هذه الجماعات وانتشارها على هذا النحو المتشعب العنقودى والبالغ التعقيد والتراكم .

سادساً : وأخيراً فإن هنالك تنسيقاً شديد التنظيم والإحكام وربما توزيع للأدوار بدقة وعناية بين هذه الجماعات على إختلاف مسمياتها بشكل أو آخر وبصيغة أو أخرى ؛ فالسلفيون والتبليغ والدعوة للإستقطاب وتكوين القاعدة العريضة من الأتباع والمريدين ، والجهاد والتكفير للإغتيالات وأعمال العنف والسطو المسلح والإنتقام ، والإخوان للمعالجة السياسية والتحرك الدولى والإستنكار والتبرير والإدلاء بالأحاديث الصحفية المنمقة ، ولامانع أيضاً من عقد بعض الصفقات الحزبية فى إنتهازية صريحة لاتتسق مع ما يرددونه من مقولات دينية ، أو ربما لتهدئة الأجواء وإحتواء المواقف الساخنة المضادة لأعضاء هذه الجماعات الذين يرون فى أنشطتهم الإرهابية حماساً وحباً للشهادة على حد تعبير مرشدهم الحالى مصطفى مشهور فى كتابه (من فقه الدعوة) .

ونأتى بعد هذا السرد العام للمحاور المشتركة بينهم إلى تصنيف هذه الجماعات الراديكالية – وكما أسلفنا – تندرج تحت طائفتين رئيسيتين هما :

الأولى : طائفة جماعات التكفير .

ثانياً : طائفة جماعات الجهاد .

أما طائفة التكفير – فقد نشأت بين جدران السجن الحربى عام ١٩٦٥ على يد الشيخ على عبده اسماعيل وهو أحد أقطاب الإخوان من الرعيل الثانى الذين إعتنقوا أفكار سيد قطب التى تدور فى مجملها حول التأصيل الفكرى لمفاهيم أصبحت فيما بعد ثوابت وأدبيات هذه التنظيمات والجماعات ومنها على سبيل المثال

مفاهيم : جاهلية المجتمع .. وتكفير الحاكم والمحكومين .. وقضية العذر بالجهل .. والمفاصلة الشعورية .. وتغيير المنكر بالقوة وغيرها ، ثم قام فجأة على عبده إسماعيل بالإنخراط فى صفوف الإخوان وتبنى آراء حسن الهضيبى المرشد العام للجماعة آنذاك ، فأعلن داخل السجن توبته عن منهج التكفير بطريقة مسرحية حينما خلع جلبابه وأحرقه قائلاً : "أشهد الله أننى تخليت عن أفكار التكفير كما تخليت عن هذا الثوب تماما" ، لكن تلميذه شكرى مصطفى لم يقتنع بهذا السلوك وظل على يقينه مؤمنا بأفكار التكفير وسار عكس الإتجاه الذى سار فيه أستاذه .. فانشق على إنتمائه السابق للإخوان وتشدد فى أحكام التكفير وتوسع فى مفهوم (المفاصلة الشعورية) والتى تعنى الإنفصال عن المجتمع بمعنى هجرته تماما حتى فى حالة الإضطرار فى العيش داخله فإنه ينفصل عنه بمشاعره تماماً وقد كان بروز هذه الجماعات المتعددة على يديه ومن بين ثنايا جماعته الأم التى تحولت لاحقاً إلى مدرسة فى التكفير ، وهنا سنعرض لأهم هذه الجماعات :

١ - التكفير والهجرة :

وهى الجماعة الأم التى أسسها شكرى مصطفى وقد إعتنقت أفكاراً بالغة الغرابة وغير مسبوقة فى إطار التنظيمات ذات الصبغة الدينية كتكفير المجتمع وهجرته إلى الجبال والمغارات والشقق المفروشة وتزويج وتطليق الأعضاء بإرادة الأمير المنفردة ، وقد إنتهى بهذه الجماعة الأمر إلى جريمة إختطاف الشيخ الذهبى وزير الأوقاف الأسبق ومساومة السلطات على مطالب مستحيلة التنفيذ ثم قتلوه حينما رفضت مطالبهم ، وقد أعدم شكرى وعدد من معاونيه وبالرغم من هذا لم تمت أفكار شكرى فقد توارثها عدد من أتباعه ليكونوا جماعات أخرى إنتهجت فكر التكفير تحت مسميات مختلفة .

٢ - جماعة السماوية :

ومؤسسها هو عبد الله أحمد السماوى الشهير بطه السماوى والذى كان محبوسا مع شكرى مصطفى داخل زنزانة واحدة فى أوائل السبعينيات وسميت هذه الزنزانة "بالمكفرة" لمبالغتهم فى تكفير جميع الإتجاهات المتطرفة حتى هؤلاء الذين يقفون معهم على أرضية واحدة ، وحينما أفرج عنه إنشق على جماعة

شكرى وكون جماعة لاتتميز أفكارها ومنهجها عـــن الجماعــة الأم إلا بالتشـــدد الأحمق والتنطع الذى تجـــاوز حدود تكفير الحـــاكم والمحكـــوم وتحريـــم العمـــل بوظائف الدولـــة والتعليم ليصل إلى مناطق وعرة وبالغة الحماقـــة مـــن مظـــاهر السلوك الإنسانى – أو اللاإنسانى – ومنها على سبيل المثـــال لا الحصـــر تكفـــير التداوى لدى الأطباء ، ووجوب المجاهرة بالهجوم على السلطات ، وقصر الســـمع والطاعة للأمير وحده الذى كان يستغلِ أعضاء جماعته فى أعمال حقـــيرة كغســـل ملابسه الداخلية وتدليك جسده وغيرها مما يعف عن ذكرها اللسان .

٣ – الشوقيون " الجهاد الجديد " :

وقد نشأت هذه الجماعة بطريقة مريبة فى منتصف الثمانينيات بمركز أبشواى بالفيوم على يد مهندس زراعى يدعى شوقى عبد الرازق الشيخ ، ومنـــه اســـتمدت إسمها الحركى وكان قد إنشق على تنظيم الجماعة الإسلامية بعـــد أن كـــان أحـــد أعضائها فى البداية ، وعمل شوقى والعناصر الموالية له على مواجهة عمر عبـــد الرحمن وجماعته وأفتوا بتكفيره حتى تمكن من السيطرة على عـــدد مـــن القـــرى أشهرها "كحـــك" ، وأطلق على نفسه لقب "أمـــير المؤمنيـــن" وعلـــى زوجتـــه "أم المؤمنين" وأفتى بتحريم زواجها بعده لو طلقها أو توفى ثم إنزلقت بصورة ســـريعة إلى دائرة العنف بشكل مفـــاجئ عندما قتل شوقى أحد الخفراء النظاميين ويدعـــى زيد مجاهد أبو الغيط لشكه فى التجسس على نشاطه فى تدريـــب جماعتـــه علـــى الرياضة العنيفة بالصحراء ثم قتل مهندس المساحة لإعتقادهم أنه أحد ضباط أمـــن الدولة حينما شـــاهدهم مصادفة يتدربون فى الصحراء وأخيرا قتل المقـــدم أحمـــد علاء البراوى ضابط النشاط المسئول بأمن الدولة بالفيوم فـــى الحـــادث الشـــهير ، وانتهى الأمر بمقتل شوقى برصاص الشرطة ضمن عدد من أتبـــاعه فى مواجهـــة دامية بقرية كحك وقد أطلق عليها أتباعه فيما بعد (ساحة الشهداء) .

٤– الناجون من النار أو"التوقف والتبين" :

تزعم هذه الجماعة بأنه لايكفى لاعتبار المرء مسلما أن يلتزم بأركان الإسلام الخمسة والإبتعاد عن الكبائر من الذنوب بل توسعوا فى منطق التفكـــير ومنهجـــه حتى اعتبروا أن المرء يعد كافراً بمجرد إرتكابه أية معصيـــة ولـــو كـــانت مـــن

الصغائر وهو ما أطلقوا عليه (**التكفير بالمعصية**) ، ثم مضوا لما هو أبعد من هـذا فأفتوا بتكفير هؤلاء الذين لم تصلهم الدعوة الإسلامية بعد وكـذا الذيـن يجهلـون الأحكام الشرعية فيما يعرف فى أدبيات فقه التطرف بـ (**عدم العذر بـالجهل**) .. وأخذت هذه الجماعة على عاتقها مهمة محاكمة الجميع .. كل فرد علـى حـده ، فيتوقفون مثلا عند فلان ويفحصون سلوكه الشخصى وحينما يتبين ارتكابه للمعصية ينفذون فيه حـد الردة وهو التصفية الجسدية وقد قاموا بعـدة محـاولات فاشـلة لإغتيال حسن أبو باشـا والنبوى اسماعيل وزيرى الداخلية السـابقين والصحفـى مكرم محمد أحمد ، ولايزال نشـاط هذه الجماعة قائما للآن وإن كان قـد تراجـع كثيراً ، وآخر عملياتهم هو محاولة إحراق أحد الأضرحة بمحافظة دميـاط أثنـاء إحتفال الأهالى بمولد أحد الأولياء كما يجـرى العرف الإجتماعى فى العديد مـن القرى والمدن المصرية ، ويعتبر المراقبون هذه الجماعة من أشرس الفرق القائمة على التكفير وأخطرها فى ساحة العمل الإرهابى حالياً رغم ضآلة أعداد المنتميـن إليها نسبياً بالمقارنة بالجماعات الأخـرى ، ومرجع تلك الخطورة عـدة أسـباب تتعلق بالإمعان فى السيطرة النفسية والفكرية على أعضائها هذا فضلاً عن التدقيق فى قبول العناصر الجديدة وإخضاعهم لعدة مواقف منتقاة بهدف الكشف عن مـدى إستجابتهم لما يكلفون به من مهـام .. والملاحظ أن أسلوب هـذه الجماعـة فـى التعامل مع أعضائها وعناصرها يكاد يتطابق مع أسلوب بعض الفـرق التاريخيـة التى كانت تطفو على سطح الأحداث بين الحين والآخر وخاصة تلك الفرق التـى إنبثقت عن المذهب الشيعى كفرقة الحشاشين الباطنية وهو أمر يتطلـب دراسـات تاريخية مقارنة مستفيضة .

الفصـــل الثالث

الهيكل التنظيمى لجماعـــات الإرهـــاب ... رؤيـــة مقـــارنة

الهيكل :

محـــور جماعـــات التكفيـــر :

ونبدأ بالهيكل التنظيمى لجماعات التكفير وهو نظام فى غاية البساطة يكاد أن ينحصر فى شخص الأمير العـــام الذى يمكن وصفه بالحاكم العسكرى المســـيطر على كافة مقـــاليد الأمور فى الجماعة .. والمتصرف فى كافة شـــئون أعضائهـــا بصفة عامة حتى هذه المتعلقة بالأمور الشخصية كـــالزواج والطـــلاق والإنفـــاق والسكن وغيرها ، وهناك أيضاً أمراء المناطق التى يتمتعون بنفوذ محدود وتتســـع دائرة أنصارهم فيها ، ولعل الســـبب الكامن وراء هذا النسق التنظيمـــى المبســـط يرجع لتلك الصلاحيات الواسعة التى يتمتع بها الأمير فى جماعته فهو كما أســـلفنا صاحب الحق فى إصدار الفتاوى ، وهو أيضاً الوحيد المخول بإصدار قـــرار تنفيذ تلك الفتاوى .. وإختيار الوسيلة المناسبة لذلك أيضا ًفضلاً عن تحديـــد العنـــاصر المنوط بهم التنفيذ أيضاً ، ولعل أقوال "شكرى مصطفى" فـــى تحقيقـــات النيابـــة توضح إلى أى مدى وصلت سطوة الأمير وسيطرته على أعضاء جماعته حينمـــا أجاب عن سؤال المحقق عن مفهومه للبيعة فقال :

" البيعة للأمير هى شرط صحة إسلام المرء وأحد أركانه الأساســـية وتكـــون البيعة فيما يحب ويكره . . وفى اليسر والعسر . . وعلى ألا ينازع الأمر أهلـــه – أى الأمير – وإن أخذ ماله وجلد ظهره . . والبيعة هى المقابل الموضوعى للبيـــع

---

* قضية إختطاف وقتل الشيخ حسين الذهبى وزير الأوقاف الأسبق ، وهذه القضية هى المعروفة إعلامياً بقضية تنظيم " **التكفير والهجرة** " والتى إرتكبتها جماعة "**المسلمون**" بقيـــادة شـــكرى مصطفى .

بمفهومه الحرفى . . الذى يعنى أن يبيع المرء نفسه كاملة لله من خلال الجماعة متمثلة إرادتها فى عقد البيع لأميرها وبمقتضى هذه البيعة ينبغى أن يكون الأمير أقرب إلى الإنسان من نفسه .. وأولى بها ، فقد باع إرادته وانتهى الأمر ولم يتبق له من الأمر شيئاً إلا السمع والطاعة فحسب" .

أنواع البيــوع وأحكامهــا :

ثم يستطرد شكرى مصطفى ليشرح أنواع البيوع فقال : "البيعة أنواع . . فهناك (بيعة الجهاد) وهى ما إرتبطت بالحاجة إلى الجهاد ولاتنقضى إلا بإنقضاء الحاجة إلى الجهاد ، وهناك (بيعة النصر) وهى ما التزم المرء بموجبها بالبيعة حتى النصر وينقضى الأمر ويصبح فى حل من بيعته فى حالة تحقق النصر فى هذه المعركة التى بايع بصددها ، وهناك (بيعة الموت) وهى التى تتصرف لحياة المرء وموته وهى أكثر أنواع البيوع إمتداداً إذ لا تنقضى إلا بموت من بايع أو من بويع ويظل الإلتزام بها قائماً فيما عدا ذلك ، وهناك (بيعة الهجرة) وهى ما تقتصر على الوفاء بأحكام الهجرة ومقتضياتها من أوامر ونواه واعتبارات تتعلق بدار الهجرة ، وأخيرا هناك (بيعة السمع والطاعة) وهى أهم البيوع وأفضلها عند الله تعالى وأقربها إلى الجنة وهى ما يلزم المرء فيها نفسه بالسمع لأولى الأمر وطاعتهم دون أن يكون لإرادته دخل فى تنفيذ ما يكلف به أو حتى مناقشته" .

إلى هنا نتوقف عن سرد إعترافات شكرى مصطفى التى أدلى بها إبان محاكمته فى قضية إغتيال الشيخ الذهبى ولعلها توضح إلى أى مدى وصلت سيطرة الأمير على أتباعه وكيف إنتزع إرادتهم ورهن أرواحهم لديه فتحولوا على يديه من مجرد شباب متدينين يلتزمون بتعاليم الدين إلى أعضاء فى جماعة تنظر وتؤصل لأبشع صور الجرائم والممارسات الدموية ، ومن ثم إلى أدوات عمياء فى يد الأمير فيأمرهم بهجرة أهلهم وذويهم فيهجرون ، وبطلاق زوجاتهم فيطلقون .. وبالإعتداء على المنشقين المرتدين على الجماعة وأميرها فيعتدون من دون أن يكون هناك مجالا للتفكير فى عواقب الأمور أو أسباب هذه الطاعة ومبرراتها .. ويأمرهم بالقتل فيقتلون دون أن تهتز فى أجسادهم شعرة .. وتماما كما باع فاوست روحه للشيطان مقابل الخلود فى الأسطورة الألمانية الشهيرة التى كتبها الشاعر الكبير "جوته" ، فقد إستطاع الأمير إقناع أنصاره بأنه ظل الله على

الأرض ومندوب السماء لدى البشر . . ومارس كهنوتاً لا أساس له في العقيدة الإسلامية ، فلا إسلام إلا من خلال رضاه . . والكفر مرهون بفتواه ولا تجب الطاعة إلا له وحده . . وهنا يدخل العضو إلى أشد المناطق وعورة في هذه السلسلة الدامية التى بدأت أولى حلقاتها باستدعاء مفاهيم الجاهلية .. والحاكمية .. والمفاصلة الشعورية . . والتكفير بالمعصية .. وعدم العذر بالجهل والولاء والبراء وغيرها من عشرات المفاهيم التى أطلت برأسها من بين سطور "سيد قطب"، وتأصلت خلف القضبان ، وتبلورت فكرياً وتنظيمياً على أيدى منظين آخرين من جماعة الإخوان المسلمين الذين تمثلوا خطى فقيههم الأول سيد قطب فيما يمكن وصفه (بفقه القضبان) .

محور تنظيمات الجهاد :

ونأتى للطائفة الثانية أو المحور الثانى من هذه الجماعات ، وهو محورجماعات الجهاد ، ولا نقصد به هنا تلك الجماعة التى أشتهرت إعلامياً بجماعة أو تنظيم الجهاد بل يمتد هذا المفهوم إلى تيار بأسره يضم تلك الجماعات التى تتقلص وجوه التمايز أو الإختلاف فيما بينها ، وتكاد تنحصر الفوارق الأساسية بين تلك المجموعات فى المسميات فحسب أو فى شخص أمير الجماعة الذى تتمحور دائماً حوله الجماعة فكرياً وتنظيمياً وحركياً ، وعلى أفضل تقدير يمكن القول بأن الظرف السياسى قد لعب دوراً حاسماً فى ظهور واستمرار وتصاعد دور هذه الجماعات كما سنرى تفصيلياً أثناء استعراضنا لنشأتها وحجمها التنظيمى وفعالياتها الحركية ومدى قدرتها علىالتأثير السياسى والجماهيرى ، وخلال السطور التالية سنعرض من خلال السرد التاريخى والتأصيل الفكرى لأبرز هذه التنظيمات الجهادية التى ظهرت على الساحة المصرية خلال العقود الثلاثة الماضية وفقاً لتسلسل ظهورها الزمنى مع التركيز على الموقف خلال عقد التسعينات باعتبارها المرحلة المحورية فى هذا التناول ، وذلك على النحو التالى :

١- تنظيم صالح سرية :

وهو ذلك التنظيم الذى نشأ على يد الفلسطينى صالح عبد الله سرية مؤسس جماعة "شباب محمد" ، والتى اشتهرت إعلامياً بأسم "جماعة الفنية العسكرية" ، وذلك لارتباطها بعملية محاولة إقتحام الكلية الفنية العسكرية من خلال تجنيد عدد من طلبتها ، وأما عن صالح سرية فهو من مواليد عام ١٩٣٣ بقرية جزيم قرب حيفا بفلسطين ، وقد حصل على درجة الدكتوراه فى التربية من جامعة عين

شمس عام ١٩٧١ ، وتشير المعلومات المتوافرة عنه أنه نشأ فيكنف "تقى الديـــن النبهانى" ذلك الشخص الغامض الذى أسس حـــزب التحرير الإســـلامى ، وكـــان سرية قد بدأ نشاطه السياسى بالإنتماء لمنظمة فتح ثم فصل منها وإلتحق بجماعـــة الإخوان المسلمين بالعراق وطرد منها لأفكاره المتطرفة ، وحضر للقاهرة ليعمـــل بجامعة الدول العربية وهو مزود بخبرات واسعة فى القـــدرة علـــى التنظيـم . . والعمل الســـرى . . وتسييس العسكريين وطرق وأساليب الإنقـــلاب العســـكرى ، وبالرغم من هذا لم يؤسس سرية مجتمعاً مغلقاً على النحو الذى ســـــلكه شـــكرى مصطفى ، ولكنه مضى يتحسس طريقه بحثاً عن العناصر ذات الميل إلى النشـــاط الحركى والسرى وكان يحرص أثناء إختياره لهم على الإلـــتزام بعـــدة إعتبـــارات أبرزها إتسام هؤلاء المرشحين لعضوية تنظيمه المزمع إنشـــاؤه بصفـــات محـــددة كالتهـــور والإندفاع وعدم سابقة الإنخراط فى العمل السرى مـــن قبـــل ، وتمكـــن بالفعل من إستقطاب خلية أولى كان أبرز عناصرها نبيل البرعى وحسن الهـــلاوى اللذان كانا يكونان مع آخرين جماعة محدودة العدد والأنشطة وبالغ أعضاؤها فـــى الإلتزام بقواعد السرية والتدقيق فى قبول أعضاء جـــدد أو الإنتشار الأفقى حتـــى إلتقوا بصالح سرية الذى إستطاع توظيف خبراته السابقة فى العمل الحركى وأقنعهم بضرورة العمل على محاولة إختراق القطاعات المؤثرة فى المجتمـــــع ، وهكـــذا إستمر يمـــارس حياته وهو وجماعته بشكل عادى وذلك كـــإجراء تـــأمينى حتـــى لايلفت إليهم أنظار رجال الأمن، وخصوصا أن عدداً من جماعته كانوا عســـكريين كطلاب بالكلية الفنية العسكرية ، وكان يفترض قيـــامهم بقيـــادة الطـــالب كـــارم الأناضولى بإحتلال مبنى الكلية والإستيلاء على مخزن السلاح بهـــا ثـــم التوجـــه لمهاجمة رئيس الجمهورية والوزراء الذين كان من المقرر إجتماعهم وقتئذ بمصر الجديدة ، ولكن هذه الخطة الساذجة باءت بالفشل وتم إجهاضها فى مهدها وحوكـــم صالح سرية وكارم الأناضولى وأعدما ، وسجن عدد كبير من أعضاء التنظيـــم ، وإنتهى أمر هذه الجماعـــة بين تشتت أفرادها أو إنضمامهم لتنظيمـــات أخـــرى ســـيرد ذكرها .

٢- تنـــظيم ســـالم الرحـــال :

وهو التنظيم الثانى الذى يحمل إسم الجهاد ومؤسسه محمد سالم الرحال ، وهو طالب أردنى كان يتلقى دراسة أزهرية ويقيم برواق الشـــوام بـــالأزهر ، وكـــانت

تجمعه بمحمد عبد السلام فرج صلة الإنتماء للتنظيم الأول الذى حمل نفس الإسم أيضاً (الجهاد) والذى كان قد أسسه شخص غامض يدعى على محمد إبراهيم سلامة ، وكان يعمل بإحدى الشركات بالاسكندرية هى شركة "هايدلكو" ، وألقت أجهزة الأمن القبض عليه ، وغادر سالم الرحال الأسكندرية إلى القاهرة حيث نشبت بينه وبين فرج خلافات تنظيمية حول أساليب العمل الحركى ووسيلة إقامة الدولة الدينية ، فبينما كان يرى الرحال أن أسلوب "الإنقلاب العسكرى" هو الأنسب للمجتمعات العربية ، كان فرج يتمثل خط الخومينى مؤمناً بمنهج " الثورة الشعبية " ، ولذلك لم يجمعهما نشاط مشترك فيما بعد ، ومضى الرحال يعمل على تحقيق أهدافه بتجنيد ضابط بإدارة المدفعية هو الرائد عصام القمرى وعدد من ضباط الصف بالإضافة لبعض طلاب جامعة القاهرة ، وقبل أن يبدأ نشاطه عملياً أجهض التنظيم وطرد الرحال من مصر ، وتشتت أتباعه وإنضم عدد منهم لعبد السلام فرج فى تنظيمه "الجهاد الثالث" والذى سنأتى للحديث عنه .

٣- " تنظيم الجهاد " : محمد عبد السلام فرج

وهو - كما أوضحنا من قبل - يمثل التجربة الحركية الثالثة فى حلقات محاولات بناء تنظيمات تتبنى الفكر والمنهج الإنقلابى لذلك يعتبره المراقبون أحد أخطر التنظيمات نشاطاً ، وأكثرها تنظيماً حتى الآن لما إنطوت عليه عملية تكوينه من تراكم لعدة تجارب حركية سابقة ساهمت بشكل أو آخر فى بلورة الأسس الفقهية وترسيخ المفاهيم التنظيمية التى قام عليها التنظيم ، ومن هنا فقد كان طبيعياً أن تنبثق منه غالبية الجماعات العنقودية المنتشرة فى صعيد مصر حاليا بعد أن تلقى التنظيم الأم عدة ضربات أمنية قوية كان من شأنها إجهاض شكله المركزى وتفتيت بنيته التحتية .

ومن المعلوم أن محمد عبد السلام فرج مهندس شاب كان فى الثلاثين من عمره - حينئذ - من بلدة الدلنجات بالبحيرة ، وكان قد إنسلخ كما أسلفنا من تنظيم الجهاد السكندرى الأول، ثم سافر إلى القاهرة ليعمل مهندساً بجامعة القاهرة وأقام بحى بولاق الدكرور، وهناك إلتقى بطارق الزمر وعبود الزمر واستطاع إقناعهما بأفكاره التى ضمنها فيما بعد مؤلفه الشهير " الفريضة الغائبة " - والمقصود بها الجهاد - والذى يعتبره معظم المراقبين الدستور الفكرى

والحركى لكل التنظيمات والجماعات التى تدور فى فلك التيار الجهادى ، وقد طرح فيه عبد السلام فرج تأصيلاً جديداً لتكتيك المنهج الحركى يعتمد على المزج بين الدعوة العلنية لأدبيات التنظيم والإعتبارت المرعية فى العمل التنظيمى السرى ، وتعرض بالشرح والتنظير لمصطلح الجهاد وجعله فرض عين على كل مسلم باعتباره أداة التغيير والإستيلاء على مقاليد السلطة وفقاً لتصورات تأسست فى مجملها على التراث الفقهى والفكرى لرموز هذا الإتجاه بدءاً من إبن تيمية ومروراً بأبى الأعلى المودودى وانتهاء بسيد قطب ، وفى هذا الكتيب إستطاع فرج أن يحشد أكبر قدر ممكن من الآراء الأيدلوجية التى ترسخ الرؤية الحركية التى ينشدها التنظيم ضد كل من أسماهم بالكفار والمشركين والطواغيت .. وتناول العديد من الأمور الفقهية فى إطار تنظيمى وحركى مستشهداً ببعض ما روى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنها على سبيل المثال الرواية الشهيرة عن مقتل اليهودى كعب بن الأشرف وغيرها ، وإستطاع بحنكة تنظيمية وإقتدار لاشك فيه أن يقنع العديد من الشباب بالإنخراط فى صفوف تنظيمه أو جماعته وخاصة من بين قطاعات طلاب الجامعة الأم فى القاهرة فضلاً عن عناصر ذات خبرات عسكرية مثل عبود الزمر وعصام القمرى ونبيل المغربى وغيرهم ، وهكذا أصبح فرج بفضل منطقه الفقهى ومنهجه الحركى شخصيه محورية لكل هؤلاء الأعضاء حتى كان لقاؤه بأمراء تنظيم الجماعة الإسلامية بالصعيد ، والذين كانوا هاربين آنذاك من تتبع أجهزة الأمن لهم عقب حوادث العنف الطائفى بالمنيا ، وتمكن من إخفائهم وتدبير أماكن لإيوائهم والعمل على توفير منابع للتمويل تقوم على عدة مصادر بدءاً بفرض الأتاوات وعمليات السطو على محلات الذهب وغيرها ، وعقدت صفقة تنظيمية بينهما ليشتد عود التنظيمين معاً .. الجماعة الإسلامية والجهاد .. وتم بالفعل دمجهما فى إطار بنية حركية وتنظيمية موحدة ، وتم تأسيس الهيكل التنظيمى لهذا التحالف الجديد على النحو التالى تفصيله بعد :

مجلس شورى التنظيم :

ويضم أحد عشر عضواً هم : محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر وناجح عبد الله إبراهيم وكرم زهدى وعلى الشريف وفؤاد حنفى وعصام دربالة وحمدى

عبد الرحمن وطلعت قاسم وعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ . . وتم توزيع العمل مركزياً ومحلياً فيما بينهم شريطة أن يكون مجلس الشورى هذا هو الهيئة العليا التى تملك سلطة الإدارة وتجنيد الأعضاء والتمويل ، وباختصار كل الأنشطة ما عدا الفتوى التى أسندت للدكتور عمر عبد الرحمن والذى صار مركزاً لهذه الدائرة الخفية . . ومرشداً فكرياً فيما يتصل بالنزاعات والخلافات الفقهية بين أعضاء التنظيم كما سنوضح فيما بعد .

وإنبثقت من هذا المجلس لجان ثلاث هى :

لجنة الدعوة :

وهى بمثابة الجهاز الإعلامى والدعائى للتنظيم ، وتختص بإعداد المنشورات والملصقات والنشرات وطباعتها وتوزيعها ، وتعمل على نشر فكر التنظيم وفقا لخطة متدرجة فتستقطب فى البداية أكبر عدد ممكن من الأعضاء الجدد ، من خلال إعداد الخطب والندوات بالمساجد التى يسيطرون عليها وتنظيم سير الأمور بها والعمل على ضم المزيد من هذه المساجد الأهلية ، بالإضافة لطبع الكتب والمنشورات والمجلات التى تخدم منهجهم الفكرى .

لجنة العدة :

وهى المعروفة إعلامياً بالجناح العسكرى للتنظيم ، وتشتمل مهامها على إعداد وتزويد التنظيم بالأسلحة والذخيرة والسيارات والرسوم البيانية للأهداف تمهيدا للتعامل معها تخريبيا أو انتقاميا ، ومن المنطقى أنها تضم عدداً من العسكريين السابقين والشباب المؤهلين بدنياً وفكرياً للمضى فى تنفيذ الأعمال الإرهابية التى تطفو من وقت لآخر على ساحة الواقع بما يحقق أهداف التنظيم .

وفى إحدى الوثائق السرية لهذا التنظيم والمرجح أن يكون عبود الزمر هو الذى وضعها ، وتشتمل على شرح تفصيلى لخطة التحرك من خلال لجنة العدة ، وهى بعنوان (مقومات الإستمرار) وتتضمن إستراتيجية التحرك على المحاور التالية :

١- محور التحرك الإنقلابى المفاجئ :

ويعتمد على إعداد البنية التنظيمية المؤهلة والقادرة على الإطاحة بنظام الحكم القائم والإستيلاء على كافة السلطات بالدولة مع إتخاذ التدابير الإحتياطية

للتصدى لأية تحركات معادية للثورة الإسلامية حتى تستقر الأوضاع والأركان التى يقوم عليها الحكم الجديد ، والحقيقة أن هذا المحور يعتمد أسلوب الإنقلاب العسكرى كخطة حركية للتنظيم على النحو الذى تناوله فيما قبل صالح سرية فـــى مخططــه لإقامة الدولة الإسلامية وفقاً لتصوراته التنظيمية على النحو السابق تناوله سلفاً .

٢- محور دفع الجماهير لتأييد الإنقلاب :

وهو محور مكمل للمحور السابق حيث يجرى الإعداد لحشد الجمـــاهير فـــى الإتجاه المؤيد للإنقلاب المخطط لتنفيذه حسماً لإحتمالات التدخل الأجنبى لمـــؤازرة النظام القائم أو إعاقة تسلم التنظيم للسلطات فى الدولة ، ومن هنـــا يتحتـــم وجـــود تحرك جماهيرى يمثل العمق الشعبى لخطة التنظيم الإنقلابية ، ويدعم التنظيم أمام الرأى العام العالمى .

٣- محور توحـــيد الجهود والطاقات لتأييد الإنقلاب :

ويعتمد هذا الجانب من الخطة على توحيد صفـــوف الفصـــائل والتنظيمـــات الإسلامية المتعددة وحشد فعالياتها أثناء المواجهة المرتقبة مع النظـــام ومؤسســـاته بالقـــدر الذى يكفل تنفيذ خطة الإنقلاب بنجاح ، مع النظر بعيـــن الإعتبـــار إلـــى إستفادة كل هذه القوى الداعمة والمؤيدة فى حالة التمكن وهو وعد صريح بقطعـــة من كعكة النجاح لكل من شارك فى صنعه .

٤- محور التحول إلى الخطط البـــديلة :

والمقصود بالخطط البديلة هى تلك التصورات التى سبق الإعداد لها من قبـــل بهدف التعامل مع الموقف الجديد إذا تعرضت الخطة الأصلية للفشـــل أو التدهـــور كلية أو فى أحد عناصرها الرئيسية لأى سبب من الأسباب .

٥- محـــور التحرك الإضطـــرارى :

ويرتبط هذا التحرك بالتوقيت المقرر لتنفيذ الإنقلاب ، ولكن فى حالة وقـــوع خلل مفاجئ للنظام الحـــاكم الحالى بما يتحتم معه ضرورة التحرك الفـــورى مـــن جانب التنظيم لتنفيذ خطة الإنقلاب قبل موعده المحدد وهو الأمر الذى إتضح أنـــه يتطلب لتنفيذه بذل المزيد من الجهود المكثفة، وإختصار بعض الإجراءات الثانويـــة مع مراعاة عدم الإخلال بالخطوط العريضة للخطة الأصلية ، كما يجب تفعيل هذا المحور فى حالة إنكشاف أمر التنظيم من جانب أجهزة الأمن .

٦- محــور الردع والنـــصرة :

وهو جانب تكتيكى من الخطة العامة للتنظيم يستهدف تفتيت جهـــود أجهــزة الأمن وتشتيت قواها فى عدة عمليات متفرقة من شأنها إشاعة الذعر داخل الأوساط السياسية والشعبية مما يدفعها إلى إحــداث تغــييرات مستمرة فى قيادات أجهـــزة الأمن .. وهو الأمر الذى يمنح التنظيم المزيد من الوقت اللازم لإعــداد كــوادره والمضى فى تنفيذ مخططاته وإبعاد الأنظار عن تحركاته أو متابعتـــه بصــورة أو بأخرى .

وعلى الرغم من شمولية المحاور التى تضمنتها هذه الخطة إلا أنه ينبغـــى أن نضع فى الإعتبار أنها كانت تتسم بالعمومية التى تقتضى التعامل معهـــا بوصفهـــا مجرد خطوط عريضة ذات طابع إستراتيجى وهو الأمـــر الـــذى تداركـــه أمـــراء الجماعة فى عدة وثائق تنظيمية أخرى إهتمت بالتفاصيل العملية بصورة مباشـــرة ومن بينها وثيقة بعنوان (مراحل تطور الحركة الإسلامية) والتى تناولت التفاصيل الحركية لتحقيق أهداف التنظيم من خلال آليات محددة ورد ذكرهـــا بـــالنص فـــى الوثيقة كالإغتيال وإختطاف بعض الشخصيات المؤثرة وقطع خطوط المواصــــلات والإتصالات وإحتجاز الممثلين الدبلوماسيين الأجانب بهدف منع التدخـــل الأجنبـــى وعلى النحو الذى سلكته الثورة الإيرانيـــة حيال أعضاء السفارة الأمريكيـــة فـــى طهران ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الخطة كانت تقتضى مرور ثلاث سنوات حتى يتأهل التنظيم لتنفيذ بنودها ومحاورها وفقاً لإعترافات عبود الزمر أمام نيابة أمـــن الدولة .

لجـــنة بيت المال : أو (اللجنة الإقتصادية)

وهى بمنزلة وزارة مالية التنظيم وخزانته العامة ، وتهتم بتدبير المال بطـــرق شتى تبدأ بوســـيلة جمع التبرعات من أثرياء الجماعـــــة ومـــن خـــلال صنـــاديق التبرعات بالمساجد ومن العاملين منهم خارج البلاد ، وذلـــك بالإضافـــة لعمليـــات السطو المسلح على محـــلات الذهب التى أفتى عمر عبد الرحمن بإباحة ســـــرقتها فيما عرف بفتوى الإستحلال ، وقد يمتد نشاط هذه اللجنـــــة للإتصـــال الخـــارجى بجهات الدعم الأجنبية سواء كانت أشخاصاً أو هيئات أو مؤسسات سوف نتوقف فى موضع آخر لتناولها بشئ من التفصيل المناسب .

كان هذا السرد السابق عن الشكل المركزى للتنظيم بصورة عامة ، أما عن الإطار المحلى فقد روعى أن يلتزم أمراء المحافظات والمدن والمساجد بهذا الإطار التنظيمى بشكل مصغر ومماثل للبنية الرئيسية لمجلس شورى التنظيم وذلك شريطة أن يشرف عليها أمير المنطقة الذى قد يكون هو نفسه عضوا بمجلس الشورى أو إحدى اللجان التى سبقت الإشارة إليها ، مع التنويه هنا لإعتبارات أمن العمل السرى التى رسخها أيضاً عبود الزمر من واقع خبراته السابقة كضابط سابق بجهاز المخابرات الحربية ، وقد تلخصت فيما يلى :

١ - العلم بقدر حاجة عضو التنظيم إلى المعلومة وأسندها شرعياً إلى المقولة الشهيرة "إن من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه إلى ما يعنيه" .

٢ - متابعة أمراء المناطق ورؤساء اللجان وأسرهم سلوكيا وفكريا ورصد تحركاتهم واتصالاتهم وأساليب ممارستهم حياتهم اليومية .

٣ - إنشاء ما يشبه جهاز المخابرات الخاص بالتنظيم ، والذى يختص بجمع المعلومات عن أشخاص أو أهداف يراها التنظيم هدفا له . . أو حتى يعتبرها محل بحث أو اهتمام لأية أغراض أخرى ، ويتم ذلك من خلال أعداد كبيرة من الصبية والنساء الذين يجهلون بالطبع خطورة الدور الذى يقومون به والمتمثل فى زرعهم فى المجتمع أو المحيط الذى يسهل تحركهم داخله دون أن يثيروا الإنتباه أو توخى الحذر فى التعامل معهم .

٤- إقرار مبدأ " التقية " ولعل أبرز مظاهر تطبيق هذا المبدأ يتمثل فى عدم الإلتزام بالمظهر المألوف لأعضاء الجماعات المتطرفة كالزى الأفغانى المميز واللحية المرسلة بلا تهذيب وخلافه ، وذلك الأمر مقصور على أعضاء لجنة العدة من الكوادر الحركية وعلى بعض الهاربين أو المستهدفين منهم وفقا لكل حالة على حدة .

وبهذا الإستعراض يتضح أن التنظيم قد قطع شوطا رهيبا فى بنائه وتقسيم الأدوار داخله ، ولكن الصراع على إمارة التنظيم كان على أشده بين أمراء الصعيد من ناحية . . وفرج من ناحية أخرى . . وعبود الزمر من ناحية ثالثة ، وكاد أن يتمزق شملهم لولا أنهم إتفقوا على إختيار عمر عبد الرحمن الأستاذ بكلية الشريعة بالأزهر لعرض إمارة التنظيم عليه لعدة اعتبارات منها تخصصه فى أصول الدين وعلوم الحديث ، وفكره المتطرف المعلن ، هذا فضلا عن كونه

يفوقهم جميعاً فى العمر وبالفعل توجه موفدون من الفريقين لمقابلته والتقوا به مرة بمنزله في بني سويف ، ومرة أخرى بمنزله الثانى فى الفيوم ، وطرحوا عليه أفكارهم ومواضع خلافاتهم الفكرية والتنظيمية ودعوه لقيادة التحالف المزمع عقده بين الجماعتين ، وقبل دعوتهم بعد مداولات وعمل على فض الإشتباك بين الأمراء بمنطق السمع والطاعة ، وانفرد هو بحق إصدار الفتوى ورئاسة لجنة العلماء التى تم إنشاؤها ، ومضى هذا التنظيم المحكم يمارس أنشطته فى طول البلاد وعرضها حتى أفاق الجميع على صوت الرصاصات التى إخترقت صدر السادات ، وتلتها أحداث مذبحة أسيوط الشهيرة ، وهنا تعرضوا لعمليات أمنية متكررة أسفرت عن فض ذلك الشكل المركزى السابق للتنظيم ، وإن تكونت من بقاياه العديد من الخلايا العنقودية فى صعيد مصر ظلت كلها تتبنى ذات المنهج الفكرى وتعمل وفقاً للأطر التنظيمية السابقة ، ولكن بدلا من العمليات الكبرى لجأت لوسيلة الكر والفر والعمليات الإرهابية الفردية المتفرقة هنا وهناك وذلك بهدف إنهاك أجهزة الأمن وإشاعة جو من الإرتباك على المستوى السياسى والأمنى بالبلاد ، وإثبات الذات والتواجد على الساحة .

وأما عن رؤيتهم للشورى :

فلعل ما ورد على لسان منظر التنظيم وعرابه الأول محمد عبد السلام فرج أمام النيابة ما يوضح لنا مفهومهم للشورى ، فقد ورد باقواله فى التحقيقات رداً على سؤال عن قواعد الشورى التى يتبعها :

"ينفرد الأمير بإختيار الموضوع المطروح للشورى أولا ، وبعدها يختار من يستشيرهم من أعضاء المجلس ، والشورى لاترد على الأصول العامة ، بل تنحصر فى المسائل الفرعية اليومية أو العارضة ، ومع هذا كله فالشورى ليست ملزمة بل معلمة للأمير ، فله أن يأخذ بها أو ينفرد برأيه ولو اجتمعت الأمة بأسرها على خلاف ما ذهب إليه .. فالأمر مفوض للأمير بموجب البيعة وعلى الكافة السمع والطاعة " ، وهل تتطلب مثل هذه الرؤية لشورى السمع والطاعة إلى تعليق ؟ وهل ترقى لحد الحوار الفكرى ؟! وهل تتقبل أساساً ما يمكن وصفه بالإختلاف فى الرؤى أو التعددية أو حتى الحوار ؟

---

* تحقيقات قضية إغتيال الرئيس السادات سنة ١٩٨١ التى قضى فيها بإعدام عبد السلام فرج وآخرين .

وما يعنينا هنا هو دراسة البناء التنظيمى لجماعة الإخوان المسلمين مقارنة بالهيكل السابق توضيحه لتنظيم الجهاد وفحص مدى علاقة البناء التنظيمى بينهما ومدى تماثل اسلوب العمل والأنشطة التى تتفاوت بين السرية والعلنية ، وفقاً لتقديرات الأطراف موضع الدراسة ، فنرى أن الإخوان ظلوا ملتزمين بالإطار التالى فى بناء التنظيم :

المرشد العام :

ويؤدى دور القائد أو ما أصطلح على تسميته بالإمام وفقاً لأدبيات هذا التيار عامة والإخوان على وجه الخصوص ، وهو صاحب الكلمة العليا فىحالة اختلاف الأعضاء حول موضوع أو قضية ما ، ويوازيه فى تنظيمى الجماعة الإسلامية والجهاد موقع الأمير العام .

مكتب الإرشاد العام :

وتوكل إليه واجبات الفتوى الشرعية والتأصيل الفقهى وهو بمثابة الجهة الإستشارية للمرشد العام ، ويماثله تماما فى تنظيمى الجماعة الإسلامية والجهاد مجلس العلماء الذى كان يترأسه عمر عبد الرحمن .

الهيئة التأسيسية :

وتمثل شكل مجلس الشورى أو البرلمان ضمانا لإلتزام أمراء وقادة المناطق بما أصدره مكتب الإرشاد العام من فتاوى وتكليفات والعمل على متابعة تنفيذها ، وهو نفسه مجلس الشورى بتنظيمى الجماعة الإسلامية والجهاد ، ولكن مع اختلاف المسميات .

الجهاز السرى :

ويطلق عليه أيضاً النظام الخاص وهو المنوط باعداد الكوادر من خلال التشكيلات التى عرفت فى أوساط الجماعة بفرق الجوالة والكتائب ونظام الأسر وكان ذلك يتم فى إطار من الرقابة الصارمة لكل تحركات الأعضاء فى ممارستهم لبرنامج يومى يقوم على التدريب والرياضة وتعاليم فقهاء الجماعة واتسم بالسرية التامة فى كل ما يتصل به من أنشطة أو تحركات ، وصاحب إنشاء هذا

النظام عدة ملابسات إستهدفت تكوين عدة خلايا شبه عسكرية بغرض الإضطلاع بتنفيذ العمليات ذات الطابع القتالى باعتباره أداة الجماعة فى ضرب خصومها وتحقيق أهدافها وتصفية المنشقين عليها ، ويثير هذا النظام عدداً من التساؤلات حول إقرار الجماعة لمبدأ العنف وترسيخ تقاليد العمل السرى ووضع آلياته التى إستفادت منها لاحقاً بصورة أو أخرى جماعات الإرهاب الراديكالية ولعل نقاط التماس بين هذا النظام وما يعرف بـ"لجنة العدة" فى تنظيمى الجماعة الإسلامية والجهاد ما يشير إلى مدى إستفادة هذه التنظيمات من التجربة الإخوانية فكرياً وحركياً ، وعلى أية حال فإن تتبع ودراسة تاريخ النظام السرى لجماعة الإخوان مسألة بالغة التعقيد ويقتضى تناوله مساحة كبيرة من البحث والدراسة بما لا يتسع له المقام هنا ، وقد قام كثير من الباحثين بدراسات مستفيضة فى هذا الشأن .. ومن بين هؤلاء يمكن للمزيد من التفصيلات الإحالة إلى د. عبد العظيم رمضان فى كتابه (الإخوان والتنظيم الخاص) ، وأحمد عادل كمال فى مؤلفه (النقط فوق الحروف) ، ود. ريتشارد ميشيل فى كتابه الهام (الإخوان المسلمون) وغيرهم .

جماعة الإرشاد :

وهذه الجماعة يمكن وصفها بالجناح شبه العلنى داخل التنظيم الإخوانى الأم ودورها يشبه إلى حد كبير دور وزارة الإعلام وجهاز المخابرات فى آن واحد من وعظ وخطابة وإعداد وتوزيع المنشورات والملصقات والكتب والدوريات وجمع المعلومات وتجنيد الأعضاء الجدد والإنتشار المدروس داخل القطاعات الإجتماعية والمؤسسات الفاعلة ، ويقابلها من جهة أخرى ما يسمى " بلجنة الدعوة " فى تنظيمىالجهاد والجماعة الإسلامية .

وهكذا يتضح أن هنالك علاقة وثيقة تكاد تصل لحد التماثل والإمتداد المنهجى بين الشكل التنظيمى لكل من التنظيم الإخوانى من جهة . . والتنظيمات الراديكالية الأخرى كالجهاد والجماعة الإسلامية من جهة أخرى ، هذا فضلاً عن الأساس الفكرى المشترك والأهداف الإستراتيجية المشتركة بين هذين الفصيلين ، بل قد لايعد تزيداً أو تحاملاً أن نعتبر التنظيمات الإرهابية الأخرى كالجهاد والجماعة الإسلامية وحتى جماعات التكفير قد إنسلخت جميعها فكريا وتنظيميا من الإخوان وخرجت من عباءتها الفكرية والتنظيمية ، وحتى الممارسات التى

كان يقوم بها الجهاز السرى آنذاك لا تختلف كثيراً عن العمليات الإرهابيـــة التـــى تنفذها كافة التنظيمات الراديكالية الآن مع اختلاف الأقنعة والمســـميات وظـــروف النشـــأة والزعامات والخلافات الشخصية وغيرها من الإعتبارات الأخـــرى التـــى تحكم آليات العمل فى الوقت الراهن ، فحينما كان يستتر النشاط الإرهابى للجهـــاز السرى للإخوان فيما مضى وراء قناع العمل الوطنى وضرب رمـــوز الإحتـــلال الأجنبى وأعوانه وهى اللغـــة المقبولة شعبياً وبين النخبة المثقفـــة آنـــذاك ، نـــرى الجهاد والجماعة يرتديان قناع الدفاع عن الإسلام والشـــريعة الآن فـــى محاولـــة لفرض الوصاية بشكل أو آخر على الجميع .

فالسيناريو الذى يتكرر دائماً يبدأ بفتوى لعمر عبد الرحمن أوغـــيره بـــإهدار الدماء وإستحلال الأموال والأعراض ، ويلتقط هذه الفتوى صفوت عبد الغنـــى أو غيره فيخطط وينسق ويحدد الأهداف ويختار المنفذين وأسلوب التنفيذ ، ثم يكلـــف مجهولين مغرر بهم مازالوا فى طور الإختبار لتحمل مسئولية التنفيذ .. ويواكـــب ذلك موجات عـــارمة من التبرعات الضخمة ومصادر التمويل الهائلة التى تنهمـــر من الداخل والخارج ، وتدفع الحقول والحـــارات بـــأجمل الشـــباب .. ويســـتنكر الإخوان ما يحدث أحياناً ويبررون دائماً أو يلزمون الصمت المتواطئ على أفضل الفروض إنها فى حقيقة الأمر سلسلة متصلة الحلقات واضحة للعيان يـــؤدى كـــل طرف فيها دوراً محدداً فى مؤامرة دنيئة على هذا الوطن الرائـــع .. الـــذى يحلـــم الأمراء والمرشدون بالإنقضاض على مقدراته ،ولعله لم يعـــد موضـــع جـــدل أن القضية الآن لا يجوز التعامل معها بوصفها تطرفاً بل هى الإرهاب ، فـــالتطرف يرد على الأفكار فحسب ، ويتوقف عند الغلو والتعصب لهذه الأفكار، أما تكويـــن الجماعات .. والأنظمة الخاصة والعمـــل الســـرى والخلايـــا وتربيـــة الكـــوادر الإنتحارية وحمل الجنازير والأسلحة وتفجير القنابل والتخطيط للإغتيالات فهـــذا هو ما يجب أن يسمى – صراحة – بالإرهاب ولا شئ غيره .

الفصـــل الرابـــع

الأوراق والخطط السرية للإخوان المسلمين

قراءة فى ملــف خطـــة التمكين (سلسبيـــل) *

كل ما فى هـــذه القضية هـــام وخطير ويجب أن يدون للناس وللتاريخ ولوجه الله ، بدءاً بالأشخاص .. والأوراق .. والخطط .. وأسلوب المعالجـــة السياســية والحركية والتناول .. لكن يبقى الفكر الإستراتيجى الذى صيغت به خطة الإخـــوان لإعادة تشكيل التنظيم التى تدور حول إخـــتراق الشــرائح الإجتماعيـــة والدوائـــر السياسية بمثابة خلاصة التجارب الفكرية والحركية التى خاضتها الجماعـــة علـــى مدار ما يزيد على سبعين عـــاماً من العمل السرى والحركى والسياسى أيضـــاً .. وقد قام خبراء محترفون من أعضاء الجماعة بتجميع آلاف البيانات والمعلومـــات عن طريق خلايا الجماعة المنتشرة فى كل محافظات الجمهورية وداخـــل بعـــض المؤسسات العلمية والأكاديمية وذلك تحت مظلة مراكز البحـــوث الخاصـــة التـــى إنتشرت مؤخراً بطريقة مريبة ، وبعد الإنتهاء من جمع هذه المعلومـــات يجـــرى التعامل معها ومعالجتها آلياً بواسطة الكمبيوتر حيث يتم تحليل هذه البيانـــات كمـــاً وكيفاً وفى الوثيقة الأساسية التى أطلق عليها خطة "**التمكين**" والتى صيغـــت فـــى شكل تقرير يؤكد على أن المرحلة الجديدة من عمر التنظيم تتطلب المواجهـــه ولا تحتمل عمومية الأهداف التى كانت قد وضعت ســـلفاً وأن التحرك الذى تقتضيـــه هذه المرحلة يتلخص فى الإنتشار والتوغل وأنه ينبغى أيضاً عـــدم الوقـــوع فـــى مصيدة تضـــارب وتناقض القرارات المتعلقة بكافـــة المواقـــف التـــى يحتمـــل أن تتعرض لها الجمـــاعة ، هذا فضلاً عن التحديات والتهديـــدات الخارجيـــة وكـــذا المواجهة الحتمية بين الأنظمة السياسية الموجودة فى كافة البلاد العربية والإسلامية

---

* كان قد صـــدر قـــرار النيابة بحظر النشـــر فى هذه القضية منذ ضبطها ، ولم يرفع الحظـــر إلا بعد صدور حكم قضائى فيها .

وحركات الإسلام السياسى العاملة على الساحة الدولية عموماً ، وقبل أن نبدأ باستعراض مضمون الوثيقة قد يكون من الأهمية أن نعرض للإجراءات الخاصة بضوابط السرية أثناء إجراء إنتخابات مجلس شورى الجماعة والتى أجملتها مقدمة الوثيقة فى أربعة إجراءات هى :

١- التأكيد بصفة مبدئية على سرية إجراءات الإنتخابات ونتائجها وكذلك الأشخاص المقرر أن تطرح أسماؤهم خلال هذه الإنتخابات .

٢- جمع كافة المعلومات عن العناصر المقرر ترشيحهم فى الإنتخابات واستبعاد من تحوم حوله الشبهات فيما يتعلق بعدم ولائه التام للجماعة .

٣- إتخاذ كل سبل الحيطة والحذر فى تحديد زمان ومكان إجراء الإنتخابات مع ضرورة مراعاة إجرائها فى أوقات متباعدة وأماكن مختلفة مثل المساجد والجمعيات والنقابات والمدارس التى تسيطر عليها العناصر المشاركة .

٤- تكوين لجنة عليا برئاسة أحد القياديين من قدامى أعضاء مكتب الإرشاد تكون مهمتها الإشراف على إدارة هذه الإنتخابات وفرز الأصوات حتى إعلان النتائج مع التأكيد على مسئولية هذه اللجنة عن إعدام كافة الأوراق التى سبق إستخدامها فى العملية الإنتخابية ، وكذلك يراعى إحتجاز جميع المشاركين حتى الإنتهاء من فرز الأصوات وإعلان النتائج على أن يكون إنصراف هؤلاء الأعضاء فرادى وليس فى مجموعات .

التمـــويـــل :

ثم تطرقت الوثيقة فى مقدمتها الطويلة نسبياً إلى مسألة التمويل اللازم لدعم أنشطة الجماعة وتحركاتها التى سيرد الحديث عن تفصيلاتها فى صلب الوثيقة وذلك من خلال عدة محاور رئسية على النحو التالى :

١- تشكيل لجنة عليا على غرار اللجنة المشار إليها فى إدارة الإنتخابات تكون مهمتها إجراء الإتصالات اللازمة بالعناصر الموسرة وقيادات بعض الجمعيات الخيرية المنتشرة فى شتى ربوع الوطن العربى والتى تتمتع بميزانيات مالية ضخمة والعمل على محاولة إقناعهم بالإنضمام للجماعة وتمويل أنشطتها .

٢- جمع التبرعات من الأثرياء والموسرين الذين قد لا يتيسر لهم الإنخـــراط تنظيمياً فى صفوف الجماعة شريطة أن تكون عملية جمع التبرعات هـــذه تحـت غطاء دينى أو إجتماعى يقبله المنطق السياسى والواقع الأمنى السائد .

٣- إيفاد عدد من أعضاء اللجنة العليا المشار إليها للإتصال بعناصر الجماعة من الأثرياء المقيمين خارج البلاد (التنظيـم الدولـى) للعمـل علـى إقنـاعهم بالإنضمام للتشكيل الجديد للجماعة ودعم أنشطة خطة التمكين وخاصة من خـــلال جمع التبرعات التى يجب أن تكون أيضاً تحت ستار العمل الخيرى والإجتمـــاعى المقنن .

٤- جمع إشتراكات مالية يتم فرضها على أعضاء الجماعة الذيـــن إنضمـوا مؤخراً لها وشاركوا فى الإنتخابات على أن تكون هذه الإشتراكات متصاعدة وفقـاً لدرجة يسر العضو وإمكانياته المالية وموقعه التنظيمى داخل الجماعة .

ولعل المراقب المتمعن لطبيعة هذا التحرك الإخوانى من خـــلال إستـــقراء مقـدمة الوثيقة المدونة بذلك الأسلوب البالغ الدقة والتنظيـم يـدرك مـدى حجـم الخطورة التى يشكلها التنظيم الإخوانى بالمقارنـــة بالأســاليب الحركيـة والفكـر التنظيمى لدى الجماعات الراديكالية الأخرى كالجماعة الإسلامية وتنظيـم الجهـاد وغيرها ، فضلاً عن تناقض هذا الطرح الذى قدمته الوثيقة بصورة صريحة عـــن النشاط الحركى للجماعة مع إصرارهم الدائم فى كل مناسبة على إنكار وجود نشاط تنظيمى بزعم إقتصار أنشطتهم على العمل العلنى المحض ، ولعـل ما يتضمنـــه صلب الوثيقة من خطط تنظيمية وأطر حركية ما يكشف عن قنوات الإتصال بيـــن التنظيم الإخوانى الأم فى الداخل وأجنحته فى الخارج التى إمتدت إلـــى الولايـات المتحدة الأمريكية وكندا والأردن والكويت واليمن والســودان وتونـس والجزائـــر فيما يطلق عليه (التنظيم الدولى للإخــوان) من ناحية، ومن ناحية أخرى ارتبـــاط هذا النشاط مع أنشطة عناصر ذات توجهات متطرفة فى تلك البلدان ولعل أبـــرز هذه العناصر أسامة بن لادن- قبل إنشقاقه عنهم - وياسر توفيق السرى وهو أحد قادة جماعات الإرهاب المقيمين فى لندن ، ولعل قضيـــة أميـن النقابـــة الفرعيـــة

* صدر بحقـــه حكم قضائى بالإعـدام لتورطه فى الإعـداد لمحاولة إغتيال عـــاطف صدقـــى رئيس الوزراء المصرى الســابق .

للمهندسين فى السويس الإخوانى المعروف عبد الوهاب شرف الدين عبد الوهاب وثبوت قيامه بدور ضابط الإتصال مع مجموعة حزب التحرير ما يمكن وصفه بإحدى نقاط الإلتقاء الفكرى والتنظيمى والتنسيق الحركى على مستويات متعددة .

ثم نأتى لصلب الوثيقة التى تطرح فى البداية عدة إشكاليات تعد بمثابة المحاور الرئيسية لخطة "التمكين" وذلك على النحو التالى :

المحور الأول : يدورحول الأهداف التى تطلق عليها الوثيقة (الرسالة) التى تسعى الجماعة لتحقيقها من خلال تنفيذ هذه الخطة .

المحور الثانى : يتناول الأوضاع والظروف والملابسات المحيطة بالخطة والتى ينبغى أن تحقق النتائج المرجوة على المدى القريب والبعيد من حيث :

١- تحقيق الرسالة أو الأهداف المنشودة .

٢- الإستمرارية فى العمل بنفس الآليات .

٣- التأهب للمهام المستقبلية الممثلة فى تنفيذ البنود الإستراتيجية للخطة .

٤- العمل علىزيادة كفاءة وفاعلية الخطة والقائمين على تنفيذها .

والرسالة أو الأهداف وفقاً لمفاهيم الجماعة وما أوردته وثيقة "التمكن" تتلخص فى التهيؤ للإضطلاع بمهام المستقبل والإستعداد بالكوادر والنظم التى تكفل عملية إدارة الدولة وإعداد البناء الداخلى لما يطلق عليه " مرحلة الكفاءة " والأعباء المترتبة عليها وهذه الأخيرة تعنى – وفقاً لأطروحات الوثيقة – وضع سياسات المواجهة لكل التهديدات الخارجية مثل محاولات إجهاض مخططات الجماعة وأنشطتها التى تستهدف بالدرجة الأولى السيطرة والتوغل داخل البنية الإجتماعية والسياسية من خلال الطرق التى حددتها الوثيقة على النحو التالى :

١- الإنتشار والتوغل الواعى داخل شرائح ودوائر المجتمع الحيوية وامتلاك القدرة على تحريكها وحشدها لصالح أهداف الجماعة .

٢- العمل على إختراق المؤسسات الفاعلة ممثلة فى النخب السياسية للأنظمة الحاكمة فى المنطقة العربية ويقصد بها فى هذا السياق الجيش والشرطة والقضاء .

٣- مراعاة التعامل قدر الإمكان مع القوى الإجتماعية والسياسية الأخرى وعدم إظهار آية نوايا قد يستشعر منها الرغبة فى إقصائها أو تهميش أدوارها ، ويقصد بالقوى الأخرى على سبيل المثال الأقباط ودوائر النفوذ الأجنبية كالسفارات والمكاتب الدولية ، وممثلى المصالح الإقتصادية من ركبار رجال الأعمال وغيرها .

٤- العمل على دعم الصلات والعلاقات بغرض الإستفادة من البعد الخارجى وذلك من خلال وضع آلية للتعاون مع التنظيم الدولى للإخوان المسلمين .

وتتناول الوثيقة هذه الأهداف بالشرح والتحليل فتؤكد أن الإنتشار والتوغل داخل القطاعات الجماهيرية "شرائح المجتمع" الحيوية والفاعلة وإمتلاك القدرة على حشدها وتحريكها إنما يحقق الكثير من النتائج الإيجابية للجماعة أهمها التقليل من فرص التهديد المتمثلة فى المواجهة الأمنية ، وأن مثل هذا الإختراق والحشد الشعبى من شأنه أن يشكل صعوبة بالغة لدى إتخاذ السلطات لمثل هذا القرار ، كما أن تحريك هذه القطاعات العريضة سوف يزيد من فرص التغيير والإقتراب من تحقيق الرسالة التى هى القدرة على إدارة وتسيير أمور الدولة والسيطرة على مقاليد الحكم .

وما زلنا مع اطروحات الوثيقة التى تحدد الأسس والمعايير الواجب أن يتم من خلال الإلتزام بها كيفية إختيار القطاعات المرشحة للإختراق والتوغل وفقاً للتصور التالى :

- سهولة الإنتشار داخل القطاع المرشح للإختراق والتوغل .
- إمتلاك القدرة والفعالية على التأثير فى هذه الشرائح وتحريكها .
- إمكانية التأثير بصفة مستمرة داخل هذه الشرائح المرشحة .

وإعمالاً لهذه المعاييرأو الأسس فقد تم اختيار القطاعات المستهدفة بصفة مبدئية وهى الطلاب والعمال والمهنيين ورجال الأعمال بالإضافة إلى الطبقات الشعبية كعينات مبدئية يجرى فيها تنفيذ خطة التمكين بكافة محاورها إنطلاقاً من منهج التغيير الذى يفترض فيه أن يبدأمن أسفل وليس من قمة النظام باعتبار أن

الجماعة (الإخــوان المسلمين) ليست معنية فى هذه المرحلة بالحكم والحاكم بشكل مباشر بقدر ما هم معنيين بتغيير القيم الإجتماعية والتوغل فى الشرائح الرئيســية التى يتكون منها المجتمع وهو الأمر الذى سيترتب عليه بشكل آلى تغيــير البنيــة السياسية للدولة بأسرها تأسيساً على الخطوات المتدرجة التى عــبر عنهــا عمــر التلمسانى المرشد الأسبق للإخوان على النحو التالى :

- إننا نصبو إلى صياغة القيم الكفيلة بتكوين الفرد المسلم فكراً وعقيدة .

- سيؤدى ذلك إلى وجود الأســرة المسلمة ومن مجموع هذه الأســر يتكون الشعب المسلم والمجتمع الإسلامى الذى لن يرتضى سوى الحكومة المسلمة " .

وتعود الوثيقة لتناول آلية الإختراق أو ما تطلق عليه التوغــل فــى الشــرائح المختلفة وتبدأ بتفصيل مدى قابلية كل شريحة للتغيير وتبدأ بالطلاب حيث تؤكــد الوثيقة أن هذا القطاع يتسم بسهولة إنتشار المفاهيم والرؤى الفكرية التــى تتبناهــا الجماعة وكذا إمكانية تحــريك هذه الشريحة واســتنفارها بســهولة فضــلاً عــن استمرارية التــأثير عليها على مدار عــدة أجيال متصلة ، ثــم تؤكــد أن قطــاع العمال لا يختلف كثيراً عن الطلاب فى درجــة استجابته للدعوة أو الرسالة علــى حد تعبير الوثيقة .

ولا ترى إختلافاً كبيراً لدى قطاع المهنيين عن سابقيه بينما تصــف العمــال والمهنيين بأنها شرائح شديدة الحساسية وبالغة التــأثير جماهيريــاً وتعنــى بهــا الحكومات كثيراً على إختلاف توجهاتها .

أما بالنسبة لشريحة رجال الأعمال فتصفهم الوثيقة بالعامل الحاسم فى هــذه القضية لما لهم من نفــوذ فى دوائر السلطة وقبول لــدى الجهــات والمؤسســات الأجنبية لإرتباط مصالح هذه الدوائر بهم بصورة أو أخرى ، وتعول الوثيقة كثيراً على الدور المنشــود لرجال الأعمال من أعضاء الجماعة أو المتعاطفين معها فى خلق رأى عام مساند أو مؤيد للطرح الفكرى والتنظيمى لخطة الجماعة .

المؤسســات السيــادية فى الدولــة :

ويمثل هذا المحور نقطة الذروة فى خطة التمكين الإخوانية التى تتصدى فــى هذا المحور لموقفها من المؤسسات السيادية من خلال إستراتيجية تعتمد مبدأ التحييد

أو الإحتواء وترى الوثيقة خطورة هذه المؤسسات الفاعلة لما تشكله من قوة دعم للنظام الحاكم من جهة وما تمثله من مخاطر على أهداف الجماعة من جهة أخرى فقد وصفت الوثيقة المؤسسات الأمنية والعسكرية والقضائية بأنها :

١- الأدوات الأساسية للنظام فى مواجهه الحركة (الإسلامية) وتحجيم فعاليتها .

٢- أن التعامل الإيجابى الواعى معها من شأنه أن يشكل إضافة حقيقية لقوة الجماعة (الإخوان) وفاعلية الحركة نحو التغيير الإجتماعى والسياسى المستهدف .

وتحدد الوثيقة المعايير والسمات التى يتم تمييز تلك المؤسسات السيادية وفقاً لعدة أسس أهمها :

- مدى فعالية نشاط كل مؤسسة على حده فى مواجهة وتحجيم الحركة الإسلامية عامة والتنظيم الإخوانى خاصة

- قدرة المؤسسة على القيام بعملية التغيير المنشود من جانب الجماعة .

- إتساع دائرة إختصاصات المؤسسة ومساحة تأثيرها الفكرى والإجتماعى والسياسى .

- إمكانية المؤسسة على المواجهة الممتدة زمنياً ومكانياً وعلى مستوى الشرائح .

وتخص الوثيقة المؤسسة القضائية باهمية خاصة مؤكدة أنها تتسم بفاعليتها الفريدة فيما يتعلق بإمكانية التغيير الذى ترمى إليه الخطة الإخوانية بهدوء ومن دون الحاجة إلى اللجوء لأعمال العنف أو الإنقلاب العسكرى الذى قد تترتب عليه نتائج سيئة ومن الممكن أن يتيح الفرصة أمام من أطلقت عليهم الوثيقة بـ "القوى المناوئة للعمل الإسلامى"وذلك من خلال مواجهة القيم السلبية والعمل على ترسيخ المفاهيم التى ترمى إليها خطة النشاط الإسلامى والتصدى للعناصر المعادية للحركة شأنها فى ذلك شأن المؤسسة التشريعية وهى "مجلسى الشعب والشورى" .

الموقــف من الآخــر :

وتتناول الوثيقة بالشرح والتنظير مفهوماً غير مطروق لدى هذا التيار برمتــه وهوما أطلقت عليه الوثيقة حرفياً { التعامل الواعى مع الآخر ضمن إطــار خطــة التمكين} فقد أوردت تأصيلاً لمفهوم الآخر ، ووضعت الأسس التى ينبغى الإلــتزام بها فى التعامل معه على النحو الذى يكفل تحقيق أهدافها أو على الأقل عدم إعاقــة هذه الأهداف ويأتى ذلك التأصيل الفكرى والحركى بمنطق تكتيكى ينم عن خبرة لا يستهان بها فى هذا المضمار فضلاً عن فهم للغة الخطاب السائدة والمقبولــة فــى أوســاط النخب الثقافية والسياسية ، ولعل هذا النص يعبر عــن الــدلالات التــى تعرضنا لها إذ تؤكد الوثيقة : "إننا كجماعة لانعمل بمفردنا فى الساحة ولكن توجــد قوى أخرى تؤثر سلباً وإيجاباً على قدرتنا فى أداء رسالتنا السامية ، لذا فإن توافر حــالة الإستمرارية فى جهود التمكين يتطلب تعاملاً واعــياً يؤدى إلــى إحتــواء الآخر أو التعايش أو التحييد أوعلى أقل تقدير تقليل فاعليــة الجهــات المناوئــة ، والتوجيه والتنسيق مع الجهات المحايدة التى لم تحدد موقفهــا بعــد ، أو الجهــات المؤيدة لرسالتنا كلياً أو فى بعض جزئياتها ، على أن نضع فى إعتبارنا أن تكون لدينا القدرة على التعامل مع الحالات البديلة فى آن واحد " .

وتحــدد الوثيقة أهم القوى التى يمكن إدراجها تحت بنــد "الآخــر" وهــى : **السلطة والأقباط والمؤسسات المشبوهة (الأندية والجمعيات) وجماعات الضغــط (الأحزاب والنقابات والتجمعات الإقتصادية) والغرب (أمريكا وأوروبا)** ، وتتنــاول وضع الأسس والقــواعد الواجب مراعاتها فى التعامل مع كل مــن هــذه القــوى إستناداً إلى الآليات الأساسية المتفق عليها وهى (الإحتواء أو التحييد أو التعايش أو تقليل الفاعلية) وذلك على النحو التالى :

فيما يتعلق بالتعامل مع أجهــزة ومؤسسات السلطة فقد حددت الخطــة هــذه البدائل الأتية :

أولاً : الإحــتواء :

ويقصد به فى هذا السياق العمل على إحتواء الشخصيات أوالعناصر المؤثــرة فى أجهزة الدولة المختلفة ، وتوظيف هذه الأجهزة إيجابياً بغرض تحقيق رسالة أو

أهداف الجماعة من خلال إتخاذ القرارات الإيجابية فى الإتجاه المواتى والمتفق مع توجهات التنظيم الإخوانى ، هذا مع الأخذ بعين الإعتبار أن ذلك الإحتواء سيؤدى حتماً وبطريقة آلية وخلال زمن محدد إلى إحداث التغيير المنشود لنظم السلطة وتوجهاتها ، وذلك باعتبار أن المؤسسة فى النهاية هى نتاج مجموعة الأفكار والقيم التى يؤمن بها القائمون على تسيير أمورها ورسم سياستها وتحديد طرق تنفيذ تلك السياسات .

ثانياً : التعايش :

بمعنى العمل على التوصل إلى صورة من صور التعايش المرحلى مع النظام من خلال التأثير المستمر والفعال على منظومة الأوضاع السائدة وهو الأمر الذى سيجبر النظام على استمرار وجود الجماعة بفاعلية ويعنى ذلك فى أبسط صورة أن تبقى قنوات الإتصال وتتشابك المصالح المتبادلة مع القائمين على مختلف المؤسسات السيادية فى الدولة ومن هنا يأتى رفض الجماعة لكل صور القطيعة أو الإصطدام بالنظام بشكل مباشر على النحو الذى تقوم به الجماعات الأخرى .

ثالثاً : التحييد :

وذلك عن طريق ترسيخ الشعور لدى دوائر السلطة والمؤسسات الفاعلة فيها أو المستفيدة من بقائها أن الجماعة وأنشطتها لاتشكل أية خطورة عليهم أو على مصالحهم بل ينبغى أن تحاول الجماعة إثبات العكس بإشعار دوائر السلطة دائماً بأهمية الإبقاء على جزء من نشاط الجماعة فى حيز الوجود العلنى ، تماماً كما تؤكد السياسة الإعلامية المعلنة للجماعة بأن وجودها أمر من شأنه تحجيم وجود وأنشطة الجماعات الراديكالية الأخرى .

رابعاً : تقليل الفاعلية :

ويتأتى الحد من الفاعلية عن طريق تقليل فرص المواجهة مع السلطة وأجهزتها قدر الإمكان ، وهو الأمر الذى يكفل إستمرار جهود التمكين على النحو المنشود دون وقوع صدام مباشر مع السلطة قد يكون من شأنه إجهاض الخطة أو

إعاقة مسيرتها على نحو ما ، وتؤكد الوثيقة أن تقليل فاعلية أجهزة السلطة يمكن تحقيقه من خلال عدة وسائل يأتى فى مقدمتها تفتيت جهودها فى صدامات مع جماعات العنف والعمل على تنفيذ ما أصطلح على تسميته بـ (فقه الحركة) وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول من أطلق هذا التعبير هو سيد قطب فى الجزء الثانى من مؤلفه الشهير "معالم على الطريق" والذى لم ينشر وكان يتضمن أحكاماً فقهية يختلف كثيراً عما إستقر عليه رأى جمهور الفقهاء حتى أكثرهم تعصباً ، ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة والموضوعية إذا وصفنا ما ورد فى هذا الكتاب بأنه يخرج تماماً عن دائرة الإجتهاد الفقهى ليدخل تحت مسمى "مانيفستو" العمل التنظيمى والنشاط الحركى لذلك التأصيل الفقهى الذى سبق لقطب أن طرحه فى الجزء الأول من معالم فى الطريق .

الموقف من الأقباط :

وبالنسبة للتعامل مع الأقباط فقد إنتهى الرأى -كما تشير الوثيقة- إلى ضرورة الإستقرار على منهج يتمثل فى ثلاثة محاور رئيسية هى التعايش والتحييد والحد من الفاعلية وفقاً لما إتفق عليه فقه أهل السنة فيما يتعلق بمعاملة أهل الذمة ، كما يلى تفصيله :

أولاً : التعايش

ويتأتى من خلال إقناع الدوائر القبطية التى تبدأ بالكنيسة وخاصة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والجمعيات القبطية فى الداخل والخارج ورجال الأعمال الأقباط والمجالس الملية والمجالس العلمانية فى الكنيسة وغيرها بأن تطبيق الحكم الإسلامى لا يتعارض مع مصالحهم ولا ينتقص من حقوقهم بل على العكس فهو يعفيهم من أعباء كثيرة ويضمن لهم البقاء الآمن والتيسيرات بالقدر الذى قد لايوفره لهم النظام الحاكم الحالى .

ثانياً : التحييد

ويعد هذا المبدأ -وفقاً لأدبيات الوثيقة- إمتداداً للمبدأ الأول أو بالأحرى نتيجة مترتبة عليه فبعد تعايش الأقباط مع الوضع السياسى والإجتماعى الذى يطمح إليه

الإخوان ، وعقب أن يستقر فى خلدهم أن الإخوان لايشكلون جبهة عـــداء لهـــم ، ولايمثلون خطراً على وجــودهم أو مصالحهم وسيتم فى مرحلة لاحقـــة تحييدهـــم تماماً وهو الأمر الذى أطلقت عليه الوثيقة "تأمين الجانب القبطى" بمعنـــى تـــأمين المحتملة من هذه الشريحة والإطمئنان إلى سلامة تحركها داخلياً وخارجيا .

ثالثاً : الحــد من الفاعلية

وهى النتيجة النهائية ومحصلة الجهود السابقة التى كانت قد بــدأت بالتعــايش ونجحت فى تحييد الأقباط وصولاً إلى ما أســـمته الوثيقــة بمحــاصرة خطرهــم وإضعاف تأثيرهم الإقتصادى والإجتماعى ومن ثـــم السياســـى وحددتـــه الخطــة الإخوانية فى إحداث "التفتيت" والتهميش لهذه الشريحة التى ينظر إليهـــا منظـــرو الإخوان على أنها نقطة بالغة الحساسية وبالتالى تتطلب معالجة حساسة ومتدرجـــة على مراحل تنتهى بتفتيت صفوفهم على النحو الذى عبر عنه إعلاميـــاً مصطفـــى مشهور المرشد العام الحالى وأحد الصقور الإخوانية وصاحب الباع الطويـــل فـــى العمل السرى منذ نشأة النظام الخاص والتنظيم السرى للجماعة حينما أدلى بتصريح صحفى لجريدة الأهرام ويكلى الصادرة باللغة الإنجليزية (للمحـــرر خـــالد داوود) وطالب فيه بعدم إلحاق الأقباط بالقوات المسلحة وإلزامهم بدفع الجزية فـــى حالـــة تمكن جماعة الإخوان من السلطة ، وقد أثار هذا التصريح موجـــة عارمـــة مـــن الإستنكار والهجوم حاول على أثرها مشهور أن ينكر إدلائه بهذا التصريح وحاول الإلتفاف حوله بتفسيرات مطمئنة أو محايدة تستهدف تدارك تلك الزلة أو الســـقطة الإعلامية التى أثارت ضده الكثير من الإنتقادات سواء من داخل صفوف الجماعـــة وخاصة من جانب مجموعة الهضيبى الذى إعتبر هذا التصريح إعتداء غير مـــبرر على إختصاصاته بوصفه المتحدث الرسمى للجماعة .

الموقف من المؤسسات (المشبوهة) :

ظل يطارد فريق كبير من نشطاء الحركة الإخوانية شعور جارف بخطـــورة الجمعيات والكيانات ذات الطابع الخيرى أو الإجتماعى وخاصة مؤسسات وأنديـــة الروتارى والليونز متناولين تأثيرها الكبير على مراكز اتخاذ القـــرار مـــن خـــلال

عضوية بعض الشخصيات الهامة فى صفوفها ، هذا فضلاً عن تصور تأثيرها فى إتجاهات الرأى العام بضمها لقيادات الإعلام والفن ، وهو الأمر الذى يترتب عليه – وفقاً لأدبياتهم – إلى قدرة هذه الجمعيات على إستصدار قرارات وقوانين تخدم مصالحهم ، كما أنه يصبح من العسير إختراق هذه المؤسسات لأن المعلومات تنحصر داخلها فى نظم متصاعدة ومتدرجة المستوى ، وتمثل عدم القدرة على إثبات مخاطرهم بصورة عملية نقطة ضعف واضحة لدى التنظيم الإخوانى ، وهوما ينبغى تداركه بشكل عملى من خلال التعامل مع هذا القطاع وفقاً لآلية تقليل الفاعلية على النحو الموضح سلفاً .

الموقف من جماعات الضغط :

أما بالنسبة لجماعات الضغط فإن الخطة تعرف هذا القطاع بأنه يشمل النقابات المهنية والتجمعات العائلية والقبلية " العائلات ذات النفوذ " والمنظمات الدولية والإقليمية "منظمات حقوق الإنسان" والتجمعات الإقتصادية مثل "جمعيات رجال الأعمال .. " والأحزاب السياسية القائمة ، وتحدد أساليب التعامل مع هذه الشريحة بعدد من الأسس والإعتبارات التى تتدرج كما يلى :

أولاً : السيطرة والتوغل

ويتحقق ذلك من خلال دعم الوجود الأفقى بمعنى الإنتشار المكثف داخل هذه الدوائر ، والإنتشار الرأسى الذى يقوم على التواجد الفعال والمؤثر على مراكز إتخاذ القرار وصناعة السياسات العامة لهذه المؤسسات ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجماعة كانت قد بدأت بالفعل فى المضى قدماً فى هذا الأسلوب بالنسبة للنقابات المهنية التى استطاعت السيطرة على عدد من مجالسها فضلاً عن التنسيق والتحالف مع بعض الأحزاب ولعل تجربتهم مع حزب العمل لم تزل ماثلة وقائمة ودليلاً عملياً على مدى قدرتهم فيما يتعلق بتغيير التوجهات الأساسية للحزب وصبغه بالصفة الإخوانية حتى يمكن القول بأنه حزب إخوانى إلا قليلاً .

ثانياً : التنسيق والتعاون

وتؤكد الوثيقة أن اللجوء لهذه الآلية يأتى فى حالة تعذر السيطرة على المؤسسات المستهدفة من خلال الأغلبية الإخوانية ، وفى هذه الحالة لامناص من

التنسيق مع تلك الأغلبية فى الموضوعات والمساحات المشتركة ليس هذا فحسب بل ينبغى التوصل إلى مصالح مشتركة معهم باعتبار أن رابطة المصلحة هى الرابطة الأبقى والأقوى من غيرها من الروابط العاطفية أو الفكرية .

ثالثاً : الأسلوب المختلط

وهى الورقة الأخيرة التى يتم إبرازها فى حالة فشل الآليات السابقة ويقصد بالأسلوب المختلط التوصل إلى صيغة مبتكرة تجمع بين أساليب الإحتواء والتحييد وتقليل الفاعلية معاً وفى وقت واحد ، وينصح بذلك إذا لم تنجح جهود السيطرة والتوغل أو التنسيق والتعاون ، وتشير الوثيقة إلى أن التعامل مع الأحزاب والنقابات وغيرها من المؤسسات ذات الطبيعة السياسية هو نشاط سياسى بالضرورة ، ومن هنا يقتضى الأمر اللجوء إلى كافة الطرق والأنماط والمواقف الملائمة لطبيعتها والمتسقة مع تنوع وتعدد التوجهات التى تعج بها هذه المؤسسات الحزبية والمهنية فى إشارة صريحة إلى ما سبق الإشارة إليه فيما يعرف بفقه الحركة أو فقه الواقع .

الموقف من الجماعات الإسلامية الأخرى :

وهذا هو المحور الأكثر غموضاً وخطورة حيث تتناول الوثيقة للمرة الأولى موقفها من تلك الجماعات بصراحة تتناقض مع تلك التصريحات الإعلامية التى دأب على إصدارها كبار رجال ومنظرى جماعة الإخوان فقد إستندت خطتهم التنظيمية على أفكار مصطفى مشهور المرشد العام الحالى التى تعول على ما يسمى بـ "وحدة العمل الإسلامى " بمعنى بذل كافة الجهود لدمج واحتواء جماعات الإرهاب داخل التنظيم الإخوانى تأسيساً على مبررات فقهية مؤداها أن "وحدة العمل الإسلامى واجب شرعى وضرورة حركية فرضتها التحديات التى تواجه المسلمين وهو ما يتطلب تضافر الجهود وتوحيد الصف .. فالوحدة رمز القوة والطريق إلى النصر .. والتفرق رمز الضعف " وتمضى الوثيقة إلى ما هو أبعد من مجرد التأصيل الفقهى والتناول النظرى لتصل إلى ما يمكن أن يطلق عليه نظرية (العمل الحركى المشترك) وهى إحدى أمنيات الإخوان كما يؤكد

مرشدهم الحالى بقوله : " كثيراً ما يخطئ بعض الشباب ويظنون أن من سبقوهم على طريق الدعوة وتقدم بهم العمر قد أصابهم الضعف وأسقطوا الجهاد من وسائلهم بسبب ما لاقوه من محن كثيرة .. إلى غير ذلك من تصورات خاطئة لا أصل لها ، وأكاد لا أكون مغالياً إذا قلت أننى ألمس الكثيرين من جيلنا يتدفقون حماساً وحباً للشهادة بما لا يتوافر فى بعض الشباب ، ولكن حماسنا هذا تضبطه الحكمة والتجربة التى إكتسبناها على طريق الدعوة ... فنحن لا نريد كبت هذا الحماس أو إماتته فى نفوس الشباب بقدر ما نريده حماساً مبصراً منضبطاً يمكن التحكم فيه وليس حماساً أهوج مندفعاً يورط فى أعمال متهورة غير مسئولة تضر ولا تنفع" ولعل فى هذه العبارة ما يتناقض مع التصريحات الإعلامية التى تؤكد نبذهم للعنف ويشير إلى نقطة الخلاف الرئيسية وربما كانت الوحيدة بينهم وبين جماعات الإرهاب الأخرى وهى توقيت العنف أو الجهاد المؤجل إلى حين ، ونعود مرة أخرى إلى وثيقة التمكين التى تصنف هذه الجماعات وفقاً لدرجة الإلتقاء والتفاهم كما يلى :

أولاً : الجماعات والعناصر المستقلة

وتشير إليها الوثيقة بوصفها تلك الجماعات ووهؤلاء المفكرين الإسلاميين غير المنخرطين فى التنظيم الإخوانى من جهة ، ومن جهة أخرى لا يشغلون وظائف رسمية فى المؤسسة الدينية الرسمية كالأزهر أو الإفتاء أو غيرها ، ويرى الإخوان أن هؤلاء يتفقون معهم فى الرسالة والأهداف إلى حد ما بصورة جزئية وربما كان الإختلاف فى التفاصيل والوسائل والتوقيت وغيرها من الأمور التى يمكن التفاهم فيها ، وتشير الخطة الإخوانية إلى المنهج الواجب إتباعه معهم والذى يقوم على ضرورة التنسيق والتعاون والتكامل والتحالف فضلا عن أساليب الإحتواء والتحييد والتعايش هذا إذا لم تفلح جهود الإحتواء والسيطرة كآليات للتعامل السياسى مع هذه الجماعات والعناصر النشطة على الساحة وذلك وفقاً لتناولنا السابق شرحه بقدر من التفصيل فى مواضع أخرى .

---

* لمزيد من التفصيلات أنظر كتاب " وحدة العمل الإسلامى داخل القطر الواحد " لمصطفى مشهور.

ثانياً : الجماعات والعناصر التابعة

وتحددهم الوثيقة بأنهم تلك الجماعات والشخصيات التابعة لجهات معينة كالمؤسسة الدينية الرسمية والدوائر الخارجية وأجهزة الإعلام ويرى فيهم الإخوان أنهم يستغلون عن قصد أو دون قصد لضرب وتعويق جهود التمكين ، وتشير الوثيقة إلى أن لهؤلاء يجب أن يكون التعامل معهم بأساليب تبدأ بالتوجيه والإحتواء والتوغل وفى حالة عدم إمكانية تحقيق ذلك يتم تطبيق آليات التحييد والحد من فاعليتهم ، هذا بالإضافة إلى العمل على التصدى لهذه الدوائر الرسمية بالقدر الذى ينتقص من مصداقيتهم لدى الجماهير .

الموقف من أمريكا والغرب :

يتمتع الغرب وأمريكا بمنزلة خاصة فى الخطاب الفكرى والحركى والسياسى لجماعات الإسلام الحركى بصفة عامة ، ولدى منظرى الإخوان على وجه الخصوص وفى وثيقة التمكين وتحت بند (القوى الخارجية المعادية : أمريكا والغرب) تؤكد أن التعامل مع هذه القوى ينبغى أن يبدأ بمحاولة التعايش معهم وذلك بإقناعهم أنه من مصلحتهم التعامل مع القوى الحقيقية المعبرة عن رغبات وتوجهات أبناء المنطقة ، وأن الإخوان كقوة تتميز بالإستقرار والإنضباط لن يشكلوا خطورة على مصالحهم بالقدر الذى يحدث التوازن المنشود بين قدرة الغرب وأمريكا على دعم وتثبيت الأنظمة الحاكمة الحالية وعدم الإصطدام بالجماعة وأنشطتها وذلك بصفة مؤقتة على الأقل .

وتشير الوثيقة إلى طبيعة وشكل التعامل مع الغرب وأمريكا الذى ينبغى أن يمر فى البداية بمرحلة التحييد من خلال إقناعهم بأنه من مصلحتهم عدم الاضرار بالجماعة التى لاتشكل خطرا عليهم ماداموا لايعوقون جهود التمكين وفى الوقت ذاته فإن الإخوان يستطيعون التأثير على مصالحهم إذ ما وقفوا ضد جهود التمكين أو حاولوا دعم الأنظمة الحالية .

* ثم تأتى المرحلة الثانية فى سياسة التعامل مع الغرب وأمريكا وهى مرحلة تقليل الفاعلية بالحد من أخطارهم من خلال التأثير المباشر على مصالحهم وإضعاف دور مؤسساتهم فى التأثير على اتخاذ القرارشريطة أن يتم الإستفادة من

البعد الخارجى كلما كان ذلك ممكناً ومتاحاً مع النظر بعين الإعتبار إلى الدور المتوقع من الجالية الإسلامية فى أمريكا والغرب المتمثل فى ممارسة الضغوط السياسية والإقتصادية من خلال الإنتخابات والمؤسسات الإقتصادية الضخمة التى يملكونها هناك .

التمكين والاستعداد للمهام المستقبلية (إدارة الدولة)

وهذه المرحلة تتناول الخطة بالشرح الأساليب والإحتمالات المتوقعة فى حالة التمكين بما يكفل لهم السيطرة على نظام الحكم ومقاليد السلطة والوصول إلى مرحلة إدارة الدولة أو ما أطلقت عليه الوثيقة (الإستعداد للمهام المستقبلية) فتؤكد بالنص : "إن المحافظة على الحالة من التمكين التى يصل إليها المجتمع يتطلب ضرورة امتلاك القدرة على إدارة الدولة لمواجهة احتمال اضطرارنا لإدارة الدولة بأنفسنا وفى الوقت ذاته ستؤدى حالة التمكين إلى تكالب القوى المعادية الخارجية ، لذا كان لابد من الإستعداد لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية من خلال أن يكون لدى الجماعة رؤية واضحة ومحددة لمواجهة التحديات المحتملة سواء من حيث امتلاك الإمكانات اللازمة لتحقيق هذه الرؤية والقدرة على تطوير تلك الرؤية بشكل مستمر بما يتلائم مع طبيعة الظرف وملابساته وما يحيط به من متغيرات ، وهذا يتطلب إعداد البناء الداخلى الذى يتواكب مع متطلبات المرحلة ويحقق الإستخدام الأمثل للموارد والذى اصطلحت الوثيقة على تسميته بالكفاءة " .

وتمضى الوثيقة فى الشرح وتقول : (إن هذه المرحلة تمثل التحدى العملى فى تحقيق الخطة لأهدافها المختلفة مما يستوجب التعامل مع جزئيات البناء الداخلى لتطويرها كى تتوافق مع طبيعة المرحلة القادمة سواء من حيث الرؤية أو التكوين للأفراد أو البناء الهيكلى) وذلك على النحو التالى :

١- الرؤية :

"وهى أحد أهم أضلاع مثلث مرحلة الكفاءة فهى تتطلب توحيد توجهات الصف فى اتجاه البناء والتغيير لذا فلابد من استيعاب كامل من قبل صفوف "العناصر الإخوانية" لقضية التغيير ووضوح كامل للتوجهات والأسس الحركية حتى

لاتواجه الخطة بالمقاومة السلبية من العناصر والقوى المناوئة للجماعة في الداخل ، ويقتضى الأمر ضرورة البدء بطرح قضية التغيير للحوار على جميع المستويات من أجل تفاعل الجميع وحتى يكون عامل المشاركة دافعا لإثارة كوامن الفكر والمبادرة وتجسيد القضية " .

٢- تكوين الأفراد :

وتؤكد الوثيقة ما يلى :- "إضافة إلى البرنامج التكوينى القائم حاليا فلابد أن يشمل فى المرحلة المقبلة انعكاسات الجزئيات المختلفة للخطة عليها ، فالإنتشار فى طبقات المجتمع وهو صلب خطة التمكين يتطلب رفع قدرة الأفراد على التأثير فى قطاعات عريضة من المجتمع بالقدر الذى يرفع امكانيات الحوار والقدرة على الإقناع والتدريب وذلك عن طريق :

- أحداث التوازن بين الدعوة الفردية من أجل الضم للجماعة والدعوة العامة التى تستهدف تغيير الأنماط السلوكية والمفاهيم الفكرية داخل المجتمع .

- تنمية حلقات القيادة وخاصة الوسيطة منها ، ودعم قدرتها على تحريك المجموعات والشرائح التى تستهدفها خطة التمكين .

أما بالنسبة للإنتشار فى المؤسسات الفاعلة فهذا يتطلب الإلتزام بما يلى :

- رفع قدرات الأفراد المنوط بهم إختراق المؤسسات دون فقدان الهوية بمعنى التعامل مع هذه المؤسسات دون أن يفقد إنتمائه المفترض للتنظيم الإخوانى .

- رفع قدرة الأفراد على التعامل العصرى مع المعلومات ودعم حساسيتهم تجاه تقييمها وترتيبها وتبويبها وهنا تجدر الإشارة إلى أن التنظيم قام من خلال غطاء شركة للكمبيوتر تضم فى صفوفها عناصر مؤهلة بشكل جيد فى هذا المجال .

وبالنسبة للتعامل مع القوى الأخرى فلابد من تربية الأفراد على إقامة جسور فكرية أو حركية معها وامتلاك زمام لغة الحوار التى تروق لهم أو المقبولة لديهم .

وبالنسبة لمهمة إدارة الدولة أو ما أطلقت عليه الوثيقة "مهام المستقبل" فإنها طرحت لتحقيق ذلك عدداً من المتطلبات من أهمها :

١- الإهتمام بمجموعة مختارة تنمى فيهم القــدرة علــى إدارة المؤسســات العامة .

٢- القدرة على إستيعاب المتميزين فى القطاعات المختلفة والإستفادة منهم.

فى جانب البناء الهيكلى فإن المنهج العملى والحركى للإدارة يتطلب :

١- توفير المعلومات اللازمة لأداء المهام المختلفة.

٢- إرساء مبدأ التفويض واللامركزية فى الأعمال قدر الإمكان.

٣- إرساء مبدأ التفرغ لشغل المناصب ذات الأهمية أو الحساسية الخاصة.

٤- مرونة الهيكل بحيث تسمح بإضافة كيانات جديدة استجابة لبنود الخطــة فيما يمكن وصفه بأنه "جهاز معلومات - علاقات سياسية".

٥- استكمال الهياكل التنظيمية وفقاً لأهمية العمل أو المهام المطروحة فــى الخطة وأولويات هذه المهام بصورة تدريجية .

وبعد إستكمال الرؤية وتكوين بناء الأفراد والهياكل للمجموعات يأتى الجــزء الأخطر من الوثيقة فهى ترشح أولويات العمل فى كل القطاعات والأوزان النســبية لأهمية كل قطاع وتحدد مساحات الإختراق التى تمت والمســتهدفة كــل بأرقامــه وبمعدلات قياس تؤكد على علمية الخطة ومنهجيتها الكاملة.

أولاً : بالنسبة لتأمين جهود التمكين فإن أولى طبقــات المجتمــع المطلــوب إختراقها على الترتيب : الطلاب - العمال - المهنيون - رجال الأعمال وأخــيراً تأتى الطبقات الشعبية والمقصود بها (المناطق الفقيرة فى المدن والقرى) .

- وبالنسبة للمؤسسات الفاعلة فيمكن ترشيح المؤسسات ذات التأثير والتى تبدأ بالإعلام ثم المؤسسة الدينية فالقضاء وأخيراً المؤسسة التشريعية "البرلمان".

- وفى هذا السياق تؤكد الوثيقة إن هدف التعامل مع الآخر يشير إلى ضرورة التعامل مع السلطة أولا ، ثم الأقباط فاليهود فالغرب والنوادى المشبوهه وجماعات الضغط والأحزاب ثم الجماعات الإسلامية وفقاً لهذا الترتيب .

ثانياً : الإستعداد لمهام المستقبل أو "إدارة الدولة" فإن الوثيقة ترشح الجماعات فالمهنيين فالمؤسسات العامة ثم المؤسسات ذات الرسالة المحددة ، وأخــيراً تــأتى المؤسسة الإقتصادية "التمويل" .

ثالثاً : الإختراق الإجتماعى بمعنى ترشيح المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية والإعلامية والهيئات الإقتصادية للإختراق والتوغل .

رابعاً : الإرتقاء الداخلى بكوادر التنظيم الإخوانى بصفة مستمرة بهدف تعميق الرؤية الفكرية للجماعة وتكوين الكوادر والإصلاح الهيكلى .

وقد رصدت الوثيقة مدى الإستجابة لتحقيق النتائج على مستوى الأهداف الأربعة كما يلى* :

٤٠ فى المائة من جهود الخطة لإستمرار جهود التمكين ، و ٣٠ فى المائة لإعداد البناء الداخلى ، و ٢٠ فى المائة لإختراق طبقات المجتمع ، على أن تخصص عشرة فى المائة من تقديرات الخطة للإستعداد لمهام المستقبل والمقصود بها فى هذا السياق "إدارة الدولة".

وعقب عملية القياس الدقيقة هذه لكل هدف من أهداف الخطة الأربعة فإن الوثيقة تحدد قدرة كل مسار من مسارات العمل الحركى وفقاً لأهميته ومدى تأثيره فى تحقيق الأهداف المرتبطة بذلك المسار ، فالبنسبة لجهود تأمين استمرار التمكين تم رصد النتائج الآتية بعد® :

فالإنتشار فى طبقات المجتمع الحيوية يفترض أن تحقق نتيجة قدرها ٥٠ فى المائة ، أما عملية الإنتشار داخل المؤسسات الفاعلة فيجب أن تبلغ نسبة نجاحها ٤٠ فى المائة ، وفيما يتصل بعملية التعامل مع الآخر فقد تدنت النتائج إلى نسبة ١٠ فى المائة فقط .

*** كما تم رصد مستوى النجاح فى التوغل داخل الطبقات الحيوية على النحو السابق وكانت شريحة الطلاب فى المقدمة بعد أن حققت ٣٠ فى المائة وكذا حققت شريحة العمال نفس النسبة ، وأتت بعدها الطبقات الشعبية التى حققت ٢٠ فى المائة ، بينما جاءت شرائح المهنيين ورجال الأعمال فى المؤخرة لتحققا النسبة الأدنى وهى ١٠ فى المائة فقط لكل منهما .**

---

* أنظر الرسم البيانى التوضيحى الخاص بذلك فى الملاحق والوثائق .

* أنظر مجموعة الجداول والرسوم البيانية التى توضح هذه القياسات كل على حده فى الملاحق والوثائق .

أما على مسار التحرك بالنسبة للقوى الفاعلة فى المجتمع ومؤسسات الحكم فإن الخطة تمنح المؤسسات السيادية "القوات المسلحة والشرطة " نسبة قدرها ٤٠ فى المائة تصل إلى ٥٠ فى المائة فى دوائر القضاء (القضاء والنيابة العامة والمحاماة) ، ومثلها فى المؤسسة التشريعية (مجلسى الشعب والشورى) ، و ٣٠ فى المائة فى قطاع الإعلام (الإذاعة والتلفزيون والصحافة) ، و ٢٠ فى المائة كوزن نسبى للمؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر والأوقاف والإفتاء) ، ووفقاً لهذه الأوزان حددت الوثيقة أولويات العمل والمعدلات التى ينبغى تحقيقها خلال المضى فى تنفيذ بنود خطة التمكين .

* **وتشير الوثيقة إلى أن النتائج التى تحققت فى مرحلة التكوين قد بلغت ١٤٠٠ نقطة فى مجال التعليم فى مقابل ٨٠٠ نقطة فى الإقتصاد ، و ٧٨٠ نقطة فى مجال الإعلام ، وعادت لتنحصر فى ١٢٠ نقطة فقط داخل جماعات الضغط والأحزاب مقابل أرتفاع نسبى يصل إلى ٤٠٠ نقطة فى المناطق الشعبية ، وذلك من مجموع ٣٥٠٠ نقطة أساسية** ، وهو الأمر الذى يعنى أن التنظيم الإخوانى قد قطع شوطاً لابأس به وفقاً لقياساتهم .. وأن معدلات إختراق المجتمع تتفاوت درجاتها ومراحلها تبعاً للشريحة العاملة فيها ومدى إستجابتها للتوغل .

الآليات التنفيذية للخطة :

تشكل الخطة فى مجملها تصوراً متكاملاً للتحرك خلال مرحلة زمنية معينة فى محاولة للسيطرة على الحكم والإنقلاب على النظام القائم من خلال عدد من الآليات المرحلية المرتبطة ببرنامج زمنى محدد بشكل دقيق لاينقصه سوى التنفيذ العملى ، وفضلاً عن الخطة الرئيسية هناك ستة ملاحق ممثلة فى إستمارات إستبيان وضعت بطريقة علمية تستهدف ما أسمته الوثيقة "رفع الحالة" ، وهو ما يعنى دراسة الواقع الحقيقى فى كل محافظة بدءاً من لجنة الشارع مروراً بلجان الأسر ، وإنتهاء بمكاتب الإرشاد فى مختلف محافظات الجمهورية ، هذا وقد تناولت الوثيقة هذه الآليات المتدرجة والتى تشكل فى مجملها – كما أسلفنا – العمود الفقرى للبرنامج التنفيذى لخطة التمكين (سلسبيل) على النحو التالى تفصيله بعد :

الآلية الأولى : (التوزيع الجغرافى والنوعى)

تقوم هذه الآلية على أساس قيام المكتب الإدارى للجماعة بإختيار لجنة مكونة من ثلاثة أفـراد على أن يكون مقررها على الأقـل عضـوا بـالمكتب الإدارى ويطلق عليها "لجنة التخطيط والمتابعة " كما يقوم المكتب بإختيار فرد على الأقـل للإضطلاع بمهمة مندوب تخطيط ومتابعة بالمحافظة ، وتحدد الوثيقـة المسـئولية الأساسية لهذه اللجنة فى قيادة ومتابعة عملية التخطيط بما فى ذلك التأكد من حسن سير جميع الخطوات التالية والتحقق من حسن أداء كل طرف لدوره المحـدد فـى الخطة ، بالإضافة لعرض المقترحات والأفكار الرئيسية الواردة بها على المكتـب الإدارى تمهيداً لإقرارها ووضعها موضع التنفيذ .

وتشير الوثيقة إلى ضرورة أن تضم اللجنة عضواً يقابل التركيبـة الإداريـة والجغرافية للبلاد على أسـاس أن يمثل من كل مدينة ومركز فرد وبالمثل هنـاك فرد آخر يمثل البنية النوعية للأقسام المتخصصة كـالدعوة أو التمويـل وهكـذا ، شريطة أن تقوم تلك اللجنة بوضع خطة عمل وفقـاً لجدول زمنى محـدد بـالقدر الذى يكفل إنجاز بقية المراحل التالية بنجاح .

الآلية الثانية : (المواءمة العملية)

وتعول هذه الآلية على إجراء الدراسات الميدانية لمـدى إسـتجابة الشـرائح المستهدفة لتوجهات التنظيم الإخوانى فى أطرها العامة ، على أن يقـوم المكتـب الإدارى للمحافظة بمناقشـة تفصيلية لهذه التوجهات فى ضوء الواقع الفعلـى بمـا يكفل أن تسفر هذه المناقشة عن نتيجتين هما :

الأولى : أن تتم ترجمة هذه التوجهات العامة إلى خطط عمل تنفيذية، وآليات تحكم حركة العمل فى كل محافظة خلال الفترة الزمنية المقررة لتنفيذ الخطة .

الثانية : أن تدون الإنتقادات والمقترحات التى يبديها أعضاء المكتب بغـرض رفعها للمستويات الإدارية الأعلى أو لوحدة التخطيط المركزية حتى يمكن تطويـر تلك التوجهات فضلاً عن تلافى أوجـه القصور وتدارك الثغرات التى قد يكشـف عنها التطبيق العملى لبنود الخطة وآلياتها .

الآلية الثالثة : (التقـــييم الدورى)

من المنطقى أن تكون المرحلة التالية فى البرنامج التنفيذى للخطة هى إخضاع هذا البرنامج الموضوع لكل محافظة للتقييم الدورى خلال الفترة المخطط لها ســلفاً حيث يقوم المكتب الإدارى للمحافظة بهذه المهمة التى يتم فيهــا تقـــييم وتقويــم أساليب العمل خلال الفترة السابقة للوقوف على ما يلى :

١- قياس درجة وضوح وشمولية خطط العمل الميدانى .

٢- فحص مدى ما حققته من نتائج فيما يتعلـــق بإنجــاز أهــداف خطــة التمكين .

٣- استخلاص الدروس المستفادة والسلبيات وفقاً للمعايير التالية :

أ - معيار درجة جودة عملية التخطيط وكفاءة الأجهزة القائمة بالتنفيذ .

ب - معيار مدى مواءمة الخطط الفرعية للواقع الميدانى .

ج - معيار حجم وطبيعة السلبيات التى كشف عنها التطبيق العملـــى للخطــة الرئيسية والخطط المتفرعة عنها .

الآلية الرابعة : (جمع المعلومات)

وتعد هذه الخطوة واحدة من أخطر مراحل خطة التمكين لإرتباطها بآلية جمع البيانات والمعلومات عن الواقع الداخلى للجماعة والواقـــع الخـــارجى للشــرائح المستهدفة ، وقد أعتبرت -وفقاً لمصادر أمنية وقضائية- بمثابة المهمة الأساســية لشركة "سلسبيل للكمبيوتر" لاسيما وأن جماعة الإخوان قد وجهت كـــل أنشــطة الشركة لجمع وتبويب وتحليل المعلومات عن الواقع الداخلى والخـــارجى علـــى النحو الذى تناولناه وفى إطار التصنيف التالى :

أولا : جمع بيـــانات ومعلومات عن الواقع الداخلـــى للتنظيـم الإخوانـــى ، وتشتمل تلك المعلومات على العناصر أو البيانات التالية :

بيانات أساسيـــة عن أفراد الجماعةوهى مسئولية المكتب الإدارى الذى يعـــد إستمارة تعـــارف واستقصاء يقوم المسئول بملئها لكل فرد علىحده ، ليـــس هـــذا

فحسب بل ينبغى على هيئة المكتب أيضاً أن تتحقق من صحة البيانات والمعلومات التى قدمها العضو ويتأتى ذلك من خلال وسائل التحرى والإستقصاء الميدانية والتى لا تقتصر على شخصيات الأعضاء وأنشطتهم ، بل يجب أن تتناول أيضا الأوضاع التنظيمية والإدارية داخل التنظيم الفرعى بكل محافظة حيث يقوم بجمعها مسئولو القرى أو الأحياء ثم الأقسام ثم تقوم لجنة التخطيط والمتابعة بالمحافظة بمراجعتها وتصنيفها بشكل نهائى .

ثانيـاً : المعلومات عن الواقع الخارجى المستهدف وهى التى تدور :

١- بيانات ومعلومات عن الواقع السياسى والإقتصادى للدولة والمجتمع بصفة عامة حيث تقوم وحدة التخطيط المركزية بتوفير هذه المعلومات وتبويبها وتحليلها .

٢- بيانات ومعلومات عن الواقع الإجتماعى لكل محافظة والأجهزة التنفيذية والشعبية على أن يقوم مندوب التخطيط والمتابعة بالمحافظة بتوفير هذه المعلومات .

٣- بيانات ومعلومات عن الأجهزة والمؤسسات والشركات وجماعات الضغط ودوائر رجال الأعمال والأندية وغيرها .. ألخ التى يحتمل أن يتعامل معها أعضاء الجماعة حتى تتوافر لديهم المعلومات الكافية عن هذه المؤسسات والجماعات ، والتى يقوم بجمعها وتبويبها وتصنيفها مسئولو الشارع أو مسئولو الأقسام الجغرافية والنوعية بكل محافظة .

الآلية الخامسة : (تحليل المعلومات)

وفى هذه المرحلة يتم تحليل ما سبق جمعه من المعلومات بواسطة مجموعة التخطيط والمتابعة التى تقوم بإعداد تقرير مكون من ثلاثة أجزاء هى :

١- **الجزء الأول :** ويتضمن بياناً بنقاط القوة والضعف داخل التنظيم الإخوانى التى تم جمعها من جانب المكاتب الإدارية وفى هذه الحالة ينبغى على مسئولى المناطق حصر أكبر عدد ممكن من نقاط القوة والضعف مع ترتيبها وتصنيفها وتبويبها من ناحية أهميتها ومدى تأثيرها على مستوى الأداء الحركى .

٢- **الجزء الثانى** : ويشتمل على تقرير مفصل عن محاور النشاط الميدانى والحركى من جهة ، وبالتحديات والمشكلات التى يثيرها هذا النشاط من جهة أخرى ، وهنا يتحتم على مسئولى التخطيط والمتابعة أن يقوموا بتحليل هذه المعلومات وما تعبر عنه من امكانات للتحرك ، وما يترتب عليها من احتمالات للمخاطر والتهديدات والمشكلات المستقبلية مع ضرورة ترتيبها وتصنيفها وتبويبها من حيث الأهمية والتأثير .

٣- **الجزء الثالث** : وفى هذه الخطوة يقوم مسئولو المكاتب الإدارية الفرعية والمكتب الرئيسى بإجراء عملية موازنة للفرص الإيجابية فى مقابل التحديات السلبية باعتبارها نقاط للقوة والضعف حتى يتسنى إستغلال الفرص التى تشكل محاور للقوة تمهيداً للإستفادة منها على النحو الذى يسهم فى دعم الخطة الرئيسية والخطط الفرعية المنبثقة منها من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتم رصد نقاط الضعف التى يصعب إستغلالها أو التعامل معها ، بالإضافة لإجراء حصر للتهديدات التى تتربص بأنشطة الجماعة بالقياس لمواضع القوة وبالقدر الذى يسمح بمواجهة تلك الأخطار والتحديات المشار إليها بطريقة موضوعية .

الآلية السادسة : (تحديد الأهداف)

وعلى الرغم من أن مقتضيات الترتيب المنطقى كانت تفرض أن تأتى هذه الخطوة فى البداية إلا أن الوثيقة وضعتها فى مرحلة متأخرة نسبياً ربما لاعتبارات لاتتعلق بالأولويات بقدر ما هى مرتبطة بالتناول الموضوعى فيها ، فعملية صياغة الأهداف السابقة للعمل خلال الفترة الزمنية المحددة هى مسألة محسومة منذ بداية خطة التمكين ، وفى هذا السياق تؤكد أوراق الخطة على ضرورة أن يواكب هذه الأهداف تحديد مدروس لما أطلقت عليه الوثيقة معايير إنجاز "قياس نسبى النجاح" والتى يجب أن تعبر عن مؤشرات النجاح فى تحقيق هذه الأهداف المقصود بها التقديرات النسبية التى أشار إليها الملحق الأول من الوثيقة .

الآلية السابعة : (تحديد الوسائل)

وبعد أن تم تحديد الأهداف فمن المنطقى أن يجرى إختيار وسائل التنفيذ حيث تقوم لجنة التخطيط والمتابعة المشار إليها بانتقاء عدد من الوسائل المناسبة لتحقيق

كل هدف من الأهداف التى سبق تحديدها ، ثم تقوم اللجنة بإجراء المشاورات مع قيادات العمل الأساسية بالمحافظات للإستقرار على أكثر الوسائل ملائمة لكل مهمة أو هدف فيما أطلقت عليه الوثيقة بـــ (المفاضلة والمواءمة) .

الآلية الثامنة : (آليات التنفيذ)

وحتى يمكن وضع كل هذه التصورات موضع التنفيذ ينبغى أن تكون هنـــالك آليات محددة فى إطار برامج عملية تترجم تلك الوســـائل التـــى سـبق تحديدهــا ومفاضلتها فى مدة زمنية معينة ووفقــاً لحســابات مالية دقيقـــة وعلـــى أســـس تنظيمية لا تسمح باختراقها أو الإلتفاف عليها ، وفى هـــذا التحــرك تقــوم لجنــة التخطيط والمتابعة بتحويل الرسائل والمقترحات والمعلومات إلى برامج عمل زمنية إلى جانب وضع الميزانية المالية تقديرياً بصفة مبدئية ، هذا فضـــلاً عــن توزيــع المهام والمسئوليات التنظيمية والتنفيذية بشأن كل مهمة من مهام الخطة الرئيســـية والخطط الفرعية مع التنويه هنا إلـــى ضــرورة تحـــديد المسـئول الأول عــن الإضطلاع بهذه الجزئيات أمام الهيئة التأسيسية للجماعة حتى يمكن مساءلته .

الآلية التاسعة : (قنوات الإتصال)

ولم تغفل الخطة بالطبع مهمة وضع قنوات الإتصال الآمنة والفعالة بين دوائر صناعة القرار فى التنظيم الأم واللجان الفرعية المنتشــرة فـــى كافــة محافظـــات الجمهورية وتكون مهمتها الأساسية نقل الخطة المقترحة إلـــى تشـكيلات اللجـــان المحلية لتقديمها وعرضها على القواعد فى الوقت الذى يقوم فيه المكتـــب الإدارى الرئيسى بالإشــراف على توصيل تلك التكليفات أو الخطط الفرعية إلـــى الأقســام الفنية (غير الجغرافية) هذا بالإضافة إلى متابعتها للقواعد والأسس المنظمة للعمــل التنفـــيذى بكل محافظة ، وتتسم مجموعة الإتصال بشروط حددتهـــا الوثيقـــة فـــى القدرة على التحرك تحت غطاء قانونى لا يثير شبهة لدى أجهزة الأمن كمندوبـــى المبيعات الذين يجوبون البلاد طولاً وعرضاً مثلاً، وتحبيذ أن يكونوا من الشــباب القادر على أعباء هذه المهمة الشاقة ، هذا إلى جانب الشرط الأساســـى وهــو أن يكونوا من أهل الثقة المنتمين أسرياً للجماعة (ممن ورثوا هذا الإنتماء) .

ثم تكلف الفروع الجغرافية والنوعية عقب ذلك بطـــرح مقترحاتهـــا لتطويـــر الخطة التى يتم جمعها لدى المكتب الإدارى الرئيسى الذى يحيلها بدوره إلى لجنة التخطيط والمتابعة للنظر فيها والإســتفادة منها فى تعديـــل الخطـــة بالإضافـــة أو الحذف وعقب الإنتهاء من هذه المهمة المعقدة ترفع للهيئة التأسيسية لإقرارها فـــى صورتها النهائية ومنذ هذه اللحظة تصبح الخطة واجبة النفـــاذ وملزمـــــة للجميـــع ويقوم المكتب الإدارى الرئيسى بمتابعة مدى إلتزام الفـــروع الجغرافيـــة والفنيـــة (النوعية) المختلفة بتنفـــيذ المهام التى حددتها الخطة ورسمت لهم طـــرق تنفيذهـــا على نحو لا يقبل اللبس أو الغموض .

ويبقى فى النهاية :

أن وثيقة (دليل خطـــة التمكين) ربما يتطلب تحليلها أو حتى التعقيب عليهـــــا كتاب من الحجم الكبير فنحن أمام عمل تنظيمـــــى وفكـــر حركـــى بـــالغ الدقـــــة والإحتراف ويمكن وصفه بأنه أول نموذج عملى تطبيقى لخطـــة الوثـــوب علـــى السلطة بطريقة متدرجة تحمل فى طياتها كل خبرات العمـــل الســـرى والتنظيمـــى والفكر الإنقلابى بدءاً من لجان الشارع ومروراً بمجلس شورى المحافظة واللجنـــة الرئيسية وإنتهاء بالهيئة التأسيسية ، وعلى قدر خطورة هذه الوثيقة فـــإن الأخطـــر منها هو قدرة هذه الجماعة على إستخدام الأسلوب العلمى الذى يبدأ بجمـــــع كافـــة المعلومات والبيانات عن الواقع السياسى والإجتماعى أو ما يعرف تنظيمياً بـــــــ " **رفـــع المناطق**" – وهو أحد الأساليب الأمنية المتطورة– وتحليل هذه المعلومـــــات بغرض التوصل إلى نتائج وأرقام لها دلالتها العلمية والعملية أيضاً فى تحديد نقـــاط القـــوة والضعف التى تسير على أساسها خطة التنظيم وهو الأسلوب الذى لم تأخذ به الأجهزة الرسمية إلا قبل خراب مالطة بقليل .. مؤكدين بذلك أن هـــذا الفصيـــل (الإخوان) ليس الأخطر والأكثر خبرة وعدة وعتاداً وإنتشاراً فحسب .. بل يكـــــاد يكون هو المستفيد الوحيد من بين كل الأطراف كما تؤكد كل كلمة من كلمات هـــذه الوثيقة أو الخطة .. فهل وصلت الرسالة .. أم ماذا بعد ؟! .

الرصـــد التحليلى الإحصـــائى لخطـــة التمكيـــن وفقاً للتصـــور الذى طرحه قـــادة تنظيـــم سلسبيـــل

رصد وثيقة خطة "التمكين" لتوزيع الجهود على مستوى الأهداف الاربعـــة التى حددتها خطة تنظيم سلسبيل

مسلسل	البيـــــان	النسبة المئوية
١	إستمرار جهود التمكين	٤٠٪
٢	إعداد البناء الداخلى للتنظيم الإخوانى	٣٠٪
٣	الإختراق الإجتماعى	٢٠٪
٤	الإستعداد لمهام المستقبل "إدارة الدولة"	١٠٪

التحرك الإخوانى والمعدلات التى ينبغى تحقيقها داخل المؤسسات الفاعلة بالدولة كما حددته خطة التمكين

مسلسل	البيـــــان	النسبة المئوية
١	المؤسسات السيادية (القوات المسلحة والشرطة)	٤٠ ٪
٢	المؤسسات القضائية (قضاء – نيابة – محاماة)	٥٠ ٪
٣	المؤسسة التشريعية (مجلسى الشعب والشورى)	٥٠ ٪
٤	المؤسسة الإعلامية (إذاعة وتلفزيون وصحافة)	٣٠ ٪
٥	المؤسسة الدينية الرسمية (الازهر – الافتاء – الاوقاف)	٢٠ ٪

قدرة كل مسار من مسارات العم الحركى وفقـــاً لأهميته ومدى تأثيره كما حددته خطة التمكين

مسلسل	البيـــــان	النسبة المئوية
١	الإنتشار فى طبقات المجتمع الحيوية	٥٠ ٪
٢	التوغل فى المؤسسات الفاعلة بالدولة	٤٠ ٪
٣	التعامل مع الآخر	١٠ ٪

الرصد الاخوانى لأولويات التوغل داخل الطبقات الحيوية فى المجتمع كما حددتها خطة التمكين

مسلسل	البيـــــان	النسبة المئوية
١	شريحة الطلاب	٣٠ ٪
٢	شريحة العمال	٣٠ ٪
٣	الطبقات الشعبية (المناطق الشعبية فى المدن والقرى)	٢٠ ٪
٤	دوائر رجال الاعمال	١٠ ٪
٥	المهنيون (أطباء – مهندسون – محاسبون .. إلخ)	١٠ ٪

النتائج التى تحققت فى مرحلة التكوين فى ضوء تطبيق خطة التمكين

مسلسل	البيـــــان	النسبة المئوية
١	التعلـــــيم	١٤٠٠ نقطة
٢	الاقتصــــــاد	٨٠٠ نقطة
٣	الاعـــــــلام	٧٨٠ نقطة
٤	المناطق الشعــبية	٤٠٠ نقطة
٥	جماعات الضغــط	١٢٠ نقطة
الاجمالى		**٣٥٠٠ نقطة**

الفصـــل الخامس

قيادات التنظيم الاخـوانى ودور كل منهم *

عصام الدين محمد حسين العــريان

مواليد ١٩٥٤/٤/٢٨ ناهيا .. الجيزة .

طبيب بشرى .. وأمين عام مساعد النقابة العامة للأطباء .

* عضو اللجنة التى إضطلعت بالإعداد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* قام بعقد عدة اجتماعات مع العناصر التى تم ضمها لصفوف التنظيم تنـــاول خلالها شرح الهدف من إنشائه والمتمثل فى إقامة الدولة الإسلامية بـــالنظر لبعـــد النظام القائم عن الإسلام وعدم تطبيقه للشريعة الإسلامية وقيامه بضـــرب التيـــار الإسلامى مؤكداً على أن المشاركة فى هذا التنظيم تعتبر جهاداً فى سبيل التمكيـــن لدين الله فى الأرض .

* تولى الإشراف على الإنتخابات التنظيمية التى أجريت بمحافظـــة الجـــيزة وشارك فيها وفاز بعضوية مجلس شورى التنظيم بالمحافظـــة وعضويـــة مجلـــس الشورى العام باعتبار ممثلا لجناح التنظيم بالجيزة .

* تم تكليفه بمهمة الإتصال بالعناصر التى تم اختيارهم لدعوتهـــم واقنـــاعهم بالإنضمام لصفوف التنظيم الإخـــوانى فضلا عن توفير الدعم المـــادى لـــه مـــن المقيمين بالبلاد وخارجها .

محمد على على العريشى

مواليد ١٩٣٧/٥/٧ الزقازيق ، محاسب قانونى حر .

---

* القضية رقم ٩٥/٨ جنايات عسكرية (مجلس شورى تنظيم الاخـوان المسلمين التى اتهم فيهـــا ٤٩ من قيادات الاخوان وقضت المحكمة العسكرية العليـــا بجلســـة ١٩٩٥/١١/٢٣ بالســـجن خمس سنوات على ثلاثة متهمين وهم : (عصام العريـــان ، خيرت الشاطر ، محمـــد الســـيد حبيب ، وبالسجن ثلاثة ســـنوات على ٣١ متهماً ، وبراءة ١٥ متهماً وغلـــق المقـــر العـــام لجماعة الاخوان الكائن ١ شارع سوق التوفيقية) .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. وتولى رئاسة اللجنة التى أشرفت على إجراء تلك الإنتخابات ببعض مناطق محافظة القاهرة شارك فى الإنتخابات التنظيمية التى أجريت بمنطقة شرق القاهرة وفاز بعضوية مجلس شورى التنظيم بهذه المنطقة وعضوية مجلس الشورى العام ممثلا عن جناح التنظيم بمنطقة شرق القاهرة .

* تم تكليفه بالإتصال بالعناصر الذين تم اختيارهم لدعوتهم واقناعهم بالإنضمام لصفوف التنظيم ودعمه ماديا ..

* قام بعقد عدة إجتماعات لعناصر التنظيم بمنزله أكد خلالها على ضرورة إقامة الدولة الإسلامية وتمكين شرع الله فى الأرض ومناصرة ودعم المسلمين فى جميع دول العالم وإعلاء راية الجهاد ضد القوى الصليبية واليهودية المعادية للإسلام والمسلمين بالنظر لتقاعس المسئولين بالحكومة عن تطبيق الشريعة الإسلامية ومناصرة الشعوب المسلمة واكتفائهم بالإمتثال لمطالب القوى الأجنبية التى تسعى لضرب الإسلام .

إبراهيم البيومى البيومى غانم على

مواليد ١٩٥٩/١٠/١١ طنطا .. باحث بالمركز القومى للبحوث الإحصائية عضو باللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* تولى الإشراف على إجراء الإنتخابات بمنطقة جنوب القاهرة وشارك فيها وفاز بعضوية مجلس شورى التنظيم بهذه المنطقة ..

* سبق له السفر للخارج عدة مرات لإجراء اتصالات مع العناصر التى وقع الإختيار عليهم لدعوتهم للإنضمام لصفوف التنظيم وتدبير موارد مالية لتمويل حركة لتنظيم وجمع تبرعات من الجهات والمؤسسات الخيرية تحت غطاء دينى أو إجتماعى .. وقد رصدت المتابعة الأمنية سفره إلى كل من ألمانيا وتركيا لهذا الغرض .

حسين اسماعيل عثمان اسماعيل

مواليد ٢٥/٩/ ١٩٥٧ ، مهندس زراعى .

* شــارك فى الإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيميــة بمنطقــة جنــوب القاهرة وفاز بمنصب مسئول التنظيم بمنطقة البساتين وعضوية مجلــس الشــورى الذى تم تشكيله بمنطقة جنوب القاهرة .

* قام بعقد عدة لقــاءات مع بعض العناصر المقيمين بأحياء جنوب القـــاهرة واقناعهم بالإنضمام للتنظيم تحت زعــم أن هذا هو الأسلوب الأمثل للجهـــاد فــى سبيل الله فى الأرض والوقوف فى وجه أعداء الإسلام الذين يسيطرون على نظام الحكم الحالى .

محمد عبده على ابراهيم

مواليد ٢٣/٢/١٩٧٤ بولاق .. القاهرة ، محاسب حــر .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجــراء الإنتخابــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم وتجميع نتائج هــذه الإنتخابــات لعرضها على قياداته .

* قام بإجراء اتصالات مع العناصر التى وقع عليهـــم الإختيــار ودعوتهــم للإنضمام لصفوف التنظيم بمختلف محافظات الجمهوريــة وابلاغهــم بالتكليفــات الخاصة بكيفية اجراء هذه الإنتخابات ودعوتهم لحضور الإجتماعات التى عقدتهــا قيادات هذا التحرك ومواعيدها وأماكنها .

* شارك فى الإنتخابات التنظيمية التى أجريت بمنطقة جنوب القاهرة والتـــى أسفرت عن فوزه بعضوية مجلس شورى المنطقة .

مصطفى عبد الحليم إبراهيم حجازى (وشهرته مصطفى عبده حجازى)

مواليد ١٩/١/١٩٥٩ أوسيم طبيب بمستشفى أوسيم المركزى .

* عضو باللجنة التى اضطلعت بالإعاد والإشراف على إجــراء الإنتخابــات التنظيمية .. وتولى الإشراف على إجراء هذه الإنتخابات ببعض مناطق محافظـــة الجـــيزة .

* شارك فى الإنتخابات التنظيمية التى أجريت بمنطقة شمال الجيزة وقام برئاسة لجنة الفرز التى تولت فرز الأصوات وإعلان نتيجة الإنتخابات .

* قام بدعوة بعض العناصر المقيمين بمنطقة أوسيم وإقناعهم بأهداف التنظيم وضمهم لصفوفه .

محمد سلامة أبو المكارم

مواليد ١٩٥٦/٦/٦ البدرشين جيزة ، طبيب .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* شارك فى الإشراف على إجراء هذه الإنتخابات ببعض مناطق محافظة الجيزة . كما شارك فى الإنتخابات ببعض مناطق محافظة الجيزة . كما شارك فى الإنتخابات التى أجريت بمنطقة البدرشين وفاز بمنصب مسئول التنظيم بالبدرشين وعضوية مجلس شورى المحافظة مندوبا عن المنطقة .

* قام بإقناع بعض العناصر من منطقة البدرشين بأهداف التنظيم وضمهم لصفوفه وعقد عدة لقاءات معهم قام خلالها بالتأكيد على ضرورة التزامهم بمراعاة الحذر والحرص لتلافى كشف أجهزة الأمن لمخططهم .

إبراهيم محمد متولى ياسين

مواليد ١٩٥٩/٥/٧ بهتيم .. حاصل على بكالوريوس علوم ويعمل بصيدلية بمدينة مسطرد بالقليوبية .

* عضو اللجنة التى أشرفت على إجراء الإنتخابات التنظيمية ببعض مناطق محافظة القليوبية وشارك فى الإنتخابات التى أجريت بمنطقة شبرا الخيمة وأسفرت عن فوزه بمنصب مسئول التنظيم بمنطقتى بهتيم ومسطرد .

* إستطاع تجنيد بعض العناصر وإقناعهم بهدف وأسلوب التنظيم وضمهم له من خلال عقده عدة لقاءات معهم تناول خلالها إتهام الحكومة القائمة بالبعد عن الإسلام والعمالة لحكومات أجنبية ، والإسهام فى تنفيذ مخططاتهم المعادية

للإسلام والمسلمين ، والتأكيد على أهمية تشكيل تنظيم يعمل علـــى إقامـــة الدولـــة الإسلامية وتمكين دين الله فى الأرض وتطبيق الشريعة الإسلامية .

صبيح على صبيح منطاوى (وشـــهرته ســماره)

مواليد ١٩٥٧/١٢/١٦ شبرا الخيمة محاسب ومدير مصنع للتريكو .

* عضو اللجنة التى أشرفت على إجراء الإنتخابات التنظيمية ببعض منـــاطق محافظة القليوبية ودعوة العناصر التى تم اختيارهم واقناعهم بالإنضمام للتنظيم . * شارك فى عضوية لجنة فرز الأصوات فى انتخابات بعـــض منـــاطق المحافظـــة والإعلان نتائجها وإخطار قياداته بها .

* إشترك فى الإنتخابات التنظيمية والتى أسفرت عن فوزه بمسئولية منطقتـــى بيجام ومنطاى قام بضم بعض العناصر للتنظيم بعد اقنـــاعهم بهـــدف مشـــروعية أساليبه فبتنفيذ هذا الهدف من الوجهه الشرعية .

إبراهيم خليل عمر الزعفرانى

مواليد ١٩٥٢/١/١٠ كفر الشيخ . طبيب وأمين عام النقابة الفرعية للأطبــــاء بالاسكندرية .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بنـــاء هيكل التنظيم وتجميع نتائج هذه الإنتخابات .

* تولى رئاسة اللجنة التى أشرفت على إجراء الإنتخابات التنظيمية بمحافظـــة الاسكندرية وتجميع نتائجها وإخطار قيادات التنظيم بها .

* قام بضم عدد كبير من العناصر للتنظيم بعد اقنـــاعهم بهدفـــه ومشـــروعية وسائله كما قام باستغلال وضعه النقابى فى ضم عدد كبير مـــن الأطبـــاء للتنظيـــم والسعى نحو توفير الدعم المادى للتنظيم من خلال النقابة ومراكز العـــلاج الطبـــى والمستشفيات الذى يتردد عليها عن طريق جمع التبرعات للأغـــراض الإنســـانية والإجتماعية .

* شارك فى الإنتخابات التنظيمية التى أجريت بمحافظة الاســـكندرية والتـــى أسفرت عن فوزه بعضوية مجلس شورى التنظيم بالمحافظـــة وعضويـــة مجلـــس الشورى العام ممثلا عن عناصره بمحافظة الاسكندرية .

* قام بعقد عدة اجتماعات مع عناصر التنظيم بالاسكندرية أصدر اليهم خلالها تكليفات بالإنتشار فى مختلف الأوساط الجماهيرية والإشارة فى أحاديثهم العامة والخاصة إلى سلبيات الحكومة القائمة ومعاداتها للتيار الإسلامى واختيار من يصلح منهم وجمع المعلومات عنه والعمل على ضمه للتنظيم عقب التأكد من ولائه لهم .

جمال سعد حسن ماضى

من مواليد ١٩٥٦/١٢/١٥ مالك ومدير دار نشر هى دار المدائن للطباعة والنشر والتوزيع بالعجمى الأسكندرية .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية .. وتولى رئاسة لجان الإشراف وفرز الأصوات فى انتخابات مسئولى الأحياء والمناطق بمحافظة الاسكندرية وتجميع نتائجها وعرضها على قيادته . * شارك فى انتخابات مجلس شورى التنظيم بمحافظة الاسكندرية وفاز بعضوية هذا المجلس . قام بالعمل على توفير الدعم المادى للتنظيم من خلال دعوة العناصر الموسرة الموثوق فى ولائهم والعمل على ضمهم للتنظيم ودفعهم لدفع التبرعات وجمعها تحت أى مسمى دينى أو خيرى من الموسرين والمؤسسات والشركات الإقتصادية بالإضافة إلى قيامه بتمويل أنشطة كوادر التنظيم خلال الفترة الماضية .

محمود سعيد حسن الديب

مواليد ١٩٥٩/١١/١ كفر سليمان مدرس

* عضو اللجنة التى قامت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. وتولى الإعداد لها والإشراف على إجرائها بمحافظة دمياط .

* قام بترشيح العناصر التى تم ضمها للتنظيم بمحافظة دمياط ودعوتهم وضمهم له وإقناعهم بهدفه ومشروعية وسائله فى سبيل إقامة الدولة الإسلامية .

محمد أحمد عبد الغنى حسنين

* مواليد ١٩٥٢/٥/٢٥ الزقازيق طبيب بمستشفى الزقازيق الجامعى

* أحد أعضاء اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. وقام بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. كما قام بالإعداد والإشراف على إجراء هذه الإنتخابات لتشكيل جناح التنظيم بمحافظة الشرقية والتى فاز خلالها بعضوية مجلس شورى المحافظة .

* قام بترشيح العناصر التى ضمها للتنظيم بمحافظة الشرقية ودعوتهم وإقناعهم بهدفه بعد عقد عدة لقاءات معهم أكد خلالها على بعد النظام القائم عن الإسلام وتنفيذه لتوجيهات قوى وحكومات أجنبية تعمل على ضرب الإسلام وإيقاف الصحوة الإسلامية التى تجتاح بعض دول العالم حاليا .

رزق عبد الرشيد مصطفى يونس

مواليد ٢٠/١٠/١٩٦٠ شوشاى مهندس

* من أعضاء اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. وتولى الإعداد لإجراء تلك الإنتخابات بمحافظة الغربية والإشراف عليها .

* شارك فى الإنتخابات التى أجريت لتشكيل جناح التنظيم بمحافظة المنوفية والتى أسفرت عن فوزه بعضوية مجلس شورى المحافظة .

* تولى ترشيح العناصر الصالحة للإنضمام للتنظيم بمحافظة المنوفية وقام بدعوتهم وضمهم للنظيم بعد إقناعهم بهدفه وأن انضمامهم له يعد جهادا فى سبيل الله .

محمد عوض عبد العزيز رمضان

مواليد ٧/٤/١٩٦١ طبيب .

* عضو اللجنة التى إضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. وتولى الإعداد والإشراف على الإنتخابات التى أجريت بمحافظة كفر الشيخ .

* شارك فى الإنتخابات والتى أسفرت عن فوزه بمسئولية التنظيم بمركز مطوبس وعضوية مجلس الشورى بالمحافظة .

* قام بترشيح ودعوة العناصر التى تم ضمها للتنظيم من مواطنى محافظة كفر الشيخ بعد اقناعهم بهدفه ومشروعية وسائله فى تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال العمل على تغيير نظام الحكم القائم .

محمد عبد الفتاح رزق شريف (وشهرته عبد الفتاح الشريف)

مواليد ١٩٠٩/٥/١ موظف بالمعاش .

* عضو باللجنة التى اضطلعت بالإعاد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* قام بالعمل على تكوين جناح للتنظيم بمحافظة البحيرة وترشـــيح عنـــاصر وضمها له بعد جمع المعلومات عنهم وإقناعهم بهدف التنظيم .

* تولى الإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية بمحافظة البحيرة والتى أســفرت عن فوزه بمنصب مسئول التنظيم بالمحافظـــة ورئاســـته لمجلــس شورى المحافظة وعضوية مجلس الشورى العام عن المحافظة • عقـــب انتهــاء الإنتخابات التنظيمية على مستوى المحافظة قام بعقد لقاءات مع العنـــاصر الفـــائزة فيها أصدر إليهم خلالها تكليفات بترشيح عناصر جديدة مـــن مختلـــف القطاعـــات الجماهيرية تمهيدا لضمهم للتنظيم مع التركيز على العناصر الموسرة حتى يتســـنى استغلالهم فى تمويل نشاط وحركة التنظيم وبحث إقـــــامة مشـــروعات تجاريـــة صغيرة يستغل عائدها فى دعمه .

جمال عبد الناصر حسين بطيشة

مواليد ١٩٥٨/٢/٢٧ مهندس .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .. وتولى الإعداد والإشراف على إجراء انتخابات مسئولى المناطق والأحياء والمراكز .

* شارك فى الإنتخابات التنظيمية التى أسفرت عن فـــوزه بعضويـــة مجلـــس شورى التنظيم بمحافظة البحيرة قام بتنفيذ التكليفات التى أصدرهـــا إليـــه مســـئول التنظيم بالمحافظة باستقطاب عناصر جديدة وضمهم للتنظيم ودفعهم للإنتشار فـــى الأوســـاط الجماهيرية والإسقاط على الحكومة القائمـــة خـــلال أحـــاديثهم العامـــة والخاصة والتأكيد على بعدهـــا عن الإسلام لتكوين رأى عام معارض لسياســـاتها خلال اللقاءات التى يعقدها معهم بمنزله .

ياسر محمد على قاســم

مواليد ١٩٦٧/٨/٢٥ طبيب بيطرى .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجــراء الإنتخابــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* تولى الإعداد والإشراف على إجراء تلك الإنتخابات ببعض مناطق ومراكز محافظة الدقهلية شــارك فى الإنتخابات التى أجريت بمركز الســنبلاوين والتــى أسفرت عن فوزه بمسئولية التنظيم بمركز السنبلاوين وعضوية مجلــس شــورى المحافظة .

* عقد عدة لقاءات للعناصر التى تم ضمها للتنظيم فى منزلــه قــام خلالهــا بتكليفهم بالعمل على الإنتشار فى الأوساط الجماهيرية واستقطاب عناصر جديــدة تمهيدا لضمهم لصفوف التنظيم لزيادة عدد كوادره مع التركــيز علــى العــاملين بالمؤسسات الحكومية والقطاعات الحيوية المؤثرة فى المجتمع .

محمود مصطفى البندارى الســيد

مواليد ١٩٦٥/١٠/٣ طبيب بالمستشفى الجامعى بالمنصورة .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء تلك الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* تولى الإعداد والإشارف على إجراء تلك الإنتخابــات بمحافظــة الدقهليــة وشارك فيها وفاز بعضوية مجلس شورى التنظيم بالمحافظة .

* تم تكليفه بتولى مسئولية عناصر التنظيم داخل جامعة المنصورة من أعضاء هيئة التدريس والطلبة والعمل من خلال مواقعه الوظيفى باستقطاب وضم عنــاصر جديدة لصفوف التنظيم مع التركيز على ضم العناصر الشبابية والطلابية .

بشير العبد محمود أبو السعيد

مواليد ١٩٦١/٢/١٦ موظف بإدارة العريش التعليمية .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجــراء الإنتخابــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم قام بالإعداد والإشــراف علــى

إجـــراء تلك الإنتخابات بمدن وأحياء محافظة شمال سيناء وشـــارك فيهـــا وفـــاز بعضوية مجلس شورى التنظيم بالمحافظة .

* دأب على التواجد بمسجد على بن أبى طالب بمدينة العريش والتقرب مــــن الشباب الذين يترددون عليه وضم العناصر التى يرى صلاحيتها لصفوف التنظيـــم بعد اقناعهم بأهدافه .

ســعــد عصمت محمد الحسينى

مواليد ١٨/٢/١٩٥٩ المحلة الكبرى مهندس .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجــــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* تولى مهمة الإعداد ومتابعة إجراء تلك الإنتخابات بمحافظة الغربية وشارك فيها وقد أسفرت عن فوزه بعضوية مجلس شورى المحافظة .

* وهو من العناصر الموسرة التى تتولى دعم وتمويل حركة التنظيم والعمـــل على توفير هذا الدعم من خلال قيامه بضم عناصر جديدة من الموســـرين وجمـــع تبرعات ممن ليسوا أعضاء بالتنظيم تحت شعار الأعمـــال الإجتماعيـــة والدينيـــة والخيرية .

محمد بسيونى حسين القصبى

مواليد ٢١/٣/١٩٥٤ مدرس .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم .

* قام بالإعداد والإشراف على انتخابات مسئولى المناطق والمـــدن والأحيـــاء بمحافظة الغربية وضم عناصر جديدة لصفوف التنظيم واقناعهم بشـــرعية هدفـــه الرامى إلى التمكين لدين الله فى الأرض وإقامة الدولة الإسلامية بالنظر لتقـــاعس الحكومة القائمة عن تطبيق الشريعة الإسلامية وتطبيق حدودها .

* أســفرت الإنتخابات التنظيمية عن فوزه بمنصب مسئول التنظيـــم بمنطقـــة سيجر ، دأب على انتقاد المسئولين بالحكومة وسياساتها من خلال الـــدروس التـــى يلقيها بالمساجد والإدعاء ببعدها عن الإسلام ومنع تطبيـــق الشـــريعة الإســـلامية

وتطبيق القوانين الوضعية .. وذلك فى إطار سعيه لكسب تعاطف المترددين على تلك المساجد تمهيدا لضم من يصلح منهم لعضوية لتنظيم .

أحمد محمود محمد إبراهيم

مواليد ١٩٥٧/٤/١٩ مهندس – ويمتلك المركز الافريقى للغات بالسويس .

* عضو اللجنة التى إضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم شارك فى الإعداد وإجراء تلك الإنتخابات بمحافظة السويس والتى أسفرت عن فوزه بعضوية مجلس شورى التنظيم بالمحافظة .

إضطلع بمسئولية التحرك التنظيمى فى الأوساط الشبابية والطلابية بدائرة المحافظة والعمل على ضم عناصر شبابية للتنظيم وإقناعهم بهدفه .. وقد إتخذ من عضويته بالمجلس المحلى لحى الأربعين ستارا شرعيا لحركته نحو تنفيذ هذه التكليفات .

محمد طه أحمد محمد وهدان

مواليد ١٩٦٧/١/٢٧ أستاذ بكلية الزراعة جامعة قناة السويس .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم وأجنحته بالمحافظات ..

* قام بالإشراف على تشكيل جناح التنظيم بالإسماعيلية من خلال إجراء انتخابات أسفرت عن فوزه بمسئولية التنظيم بمنطقة أبو صوير وعضوية مجلس شورى المحافظة .

* تم تكليفه من قبل قيادة التنظيم باستغلال موقعه فى العمل على ضم عناصر جديدة من أعضاء هيئة التدريس والطلاب لصفوف التنظيم واقناعهم بهدفه والتركيز على استقطاب العناصر الطلابية لإمكانية الإستعانة بهم مستقبلا لصالح حركة التنظيم من خلال مواقع عملهم .

محمد حسن إبراهيم فرج

مواليد ١٩٥٥/٧/٥ بورسعيد مهندس زراعى .

* عضو اللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء الهيكل التنظيمى .. واضطلع بالإشراف علـــى اجراء تلك الإنتخابات بمحافظة بورسعيد .

* شارك فى هذه الإنتخابات والتى أسفرت عن فوزه بعضوية مجلس شـــورى التنظيم بالمحافظة وتكليفه بتولى مسئولية التحرك التنظيمى فى الأوساط الشـــبابية والطلابية .

* تم تكليفه بالعمل على توفير الدعم المالى للتنظيم من خلال العمل على ضم بعض العناصر الموسرة من التجار ورجال الأعمـــال لصفـــوف التنظيـــم وجمـــع التبرعات ممن لايصلحون للإنضمام له تحـــت زعـــم المشـــاركة فـــى الأنشـــطة الإجتماعية والخيرية .

أحمد محمد فرج عثمان الدفـــرى

مواليد ١٩٦٢/١١/٤ الفيوم موظف بمدرسة هوارة المقطع بالفيوم .

* عضو باللجنة التى اضطلعت بالإعداد والإشراف على إجـــراء الإنتخابـــات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيـــم .. وأشـــرف علـــى إجرائهـــا بمحافظة الفيوم .

* شارك فى تلك الإنتخابات التى أسفرت عن فوزه بمسئولية التنظيـــم ببنـــدر الفيوم وعضوية مجلس الشورى بالمحافظة .

* عقد عدة لقاءات مع العناصر التى ضمها للتنظيم بمنزله قام خلالها بإيضاح أن الهدف من إنشاء هذا التنظيم هو الحكم بما أنزل الله فى ظل امتنـــاع الحكومـــة القائمة عن تطبيق الشريعة الإسلامية وحدودهـــا وموالاتهـــا للحكومـــات الغربيـــة المعادية للإسلام ومشاركتها فى ضرب التيارات الإسلامية أصدر تكليفات مؤخـــرا إلى عناصر التنظيم التابعين له بضرورة استقطاب عناصر شبابية وطلابية وضمهم لصفوفه باعتبارهم وقود التنظيم وعموده الفقرى .

عبد الخالق حســـن عبد الوهاب عبد الله

مواليد ١٩٤٦/٨/٢٥ مركز ناصر ببنى سويف ويعمل رئيساً لقسم الحســـابات بمديرية ضرائب بنى سويف .

* أحد أعضاء اللجنة التى اضطلعـت بـالإعداد والإشـراف علـى إجـراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بناء هيكل التنظيم وقام بالإشراف علـى إجرائها بمحافظة بنى سويف .

* شارك فى تلك الإنتخابات التى أسفرت عن فوزه بمسئولية التنظيم بمركـز ناصر وعضوية مجلس شورى التنظيم اتخذ من مقر جمعيـة الدعـوة الإسـلامية بمركز ناصر مقرا لعقد لقـاءاته بعناصر التنظيم وستارا لنشاطه لصالحه فى مجال استقطاب عناصر جديدة وجمع التبرعات لتمويل أنشطته التنظيمية تحـت غطـاء الأعمال الخيرية .

على عز الدين ثابت على

مواليد ١٩٥٧/٤/٢٨ مدرس بكلية الطب جامعة أسيوط .

* أحد أعضاء اللجنة التى اضطلعـت بـالإعداد والإشـراف علـى إجـراء الإنتخابات التنظيمية ووضع أسس وقواعد بنـاء هيكل التنظيم .. وأشـرف علـى إجرائها بمحافظة أسيوط شارك فى تلك الإنتخابات والتـى أسـفرت عـن فـوزه بعضوية مجلس الشورى ونائب مسئول التنظيم بالمحافظة .

* عقب انتهاء الإنتخابات قام بعقد عدة لقاءات مع عناصر التنظيم بالمحافظـة تم خلالها تدارس كيفية اختراق القواعـد الجماهيريـة فـى مختلـف المواقـع والسيطرة عليها وزيادة عدة عناصر التنظيم بجميع مراكز المحافظة وتوفير الدعم المادى له .

* أصدر تكليفات إلى كوادر التنظيم بضرورة العمل على استقطاب عنـاصر الجماعات الإسلامية المتحركة وضمهم لصفوف التنظيم باعتبارهم عناصر مدربـة يمكن الإسـتعانة بهم فى مرحلة الصدام مع السلطة عقب اكتمـال قـوة التنظيـم وتهيئته للإستيلاء على الحكم .. وقد قام لتحقيق ذلك بإيفـاد بعـض العنـاصر التابعين له لزيارة أسر عناصر الجماعة الإسلامية المحكـوم عليهـم والمعتقليـن ومنحهم معونات مالية .

الفصل الســـادس

أســـها أبنـاء عبد القـادر عـودة
مؤسســة الإخـوان الإقتصـادية .. فى أسـيوط

من المستفيد الحقيقى مما جرى فى أسيوط وغيرها ؟

من الذى جنى .. وحصد ثمار شجرة الإرهاب الملعونة ؟

يطرح هذا السؤال نفسه بقوة على كل المراقبين .. ويلح على عقول الجميـــع وبإستقراء ما انتهى إليه كل طرف من أطراف هذه القضية الشائكة يتـــأكد لنـــا أن أحدًا لم يحقق شيئا ذا قيمة.. فالجميع خاسرون ، السلطة .. وجماعات الإرهـــاب.. والمواطن البسيط ، فمن المؤكد أن السلطة خسرت الكثير من الرجال .. والأمـــوال فضلا عن الاستهداف الإعلامى الدولى وما ترتب عليـــه مـــن نتـــائج ســـياسية واقتصادية يعرفها الجميع ، أما جماعات الإرهـــاب فلم تحقق سوى المزيـــد مـــن القتلى والمطاردة والسجون ورصيد هائل من الإستهجان الشعبى والرفض العام .

ويبقى المواطن العـــادى خارج دوائر السلطة والتطرف وقد وجد نفسه فجـــأة بين شقى رحى .. فهو مطارد من عصابـــات التطـــرف وممارســـاتها الإرهابيـــة ورصاص بنادقها العشوائى من جهة ، وبين حجم الإجراءات الأمنية المكثفة التـــى اتخذت لمواجهة عناصر الجماعات وما ترتب على ذلك من مناخ متوتر من جهـــة أخرى .. ويبقى الآن سؤال عن أطراف أخرى أبرزها جماعة "الإخوان المسلمين" المحظورة وموقفها من هذا الصراع .. وماذا حققت فى هذه الحقبة .. ؟ وهل حقـــا ركب أعضاؤها موجة الغضب والعنف ؟ أو هل حاولوا العبث فى أحشـــاء جســـد الوطن وهو ينزف ؟ .. هل قدموا أنفسهم بديلا لجماعات الإرهاب كمـــا يـــرددون خلال وسائل اعلامهم كوجه للإسلام المعتدل ؟ أو أنهم حاولوا استثمار كـــل هـــذه الجراح بالمتاجرة بأوصال الأزمة ؟

عموما لن نصادر على المطلوب بإصدار النتائج قبل الخوض فى قدر كـــاف من المعلومات عما جرى .. وعما يجرى .. وعما سيجرى ..

وأمامنا تجربة "نموذجية" جرت وقائعها على يد إخوان أبناء إخوان هم د. خالد وأحمد وزياد أبناء عبد القادر عودة وعلاقتهم – وهم أبناء الدقهلية – بأسيوط والإخوان بها .. والجماعات والأجهزة الرسمية والشعبية فيها .. وما شهدته هذه المدينة ومراكزها وقراها من حوادث وأزمات وانتخابات وأموال وخسائر وأرباح .. لعلنا نجد بين السطور ما يحرضنا على الفهم .. وإتخاذ مواقف مبنية على أسس سليمة .

والحكاية – كما يعرف الكثيرون – قديمة بدأت حينما أنشئت جامعة أسيوط عام ١٩٥٨ ولعبت دورا هائلا فى تطوير مجتمع الصعيد وتحريك الركود فيه بتخريج الكوادر المتعلمة لمواقع العمل المختلفة حتى حدث التوجه المعروف فى منتصف السبعينات وخرجت الأفاعى من جحورها فحدث فى الجامعة ما يشبه الإنقلاب وتحولت إلى مصنع لتخريج عناصر التطرف بفضل الإعداد المنظم والمحسوب بدقة لفصائل السلفيين الكامنين بالجامعة ثم إعادة هذه العناصر مرة أخرى لمواقع ميدانية مؤثرة بقرى ومدن الصعيد وقد لعب هذا التحول دورا هائلا فى ترسيخ الدوائر السلفية الجديدة حينما التقت مفاهيمه مع قواعد التخلف الإجتماعى والثقافى ليصنعان معا منظومة من التقاليد الجديدة التى نضجت على نار هادئة فتوحشت .

وقد إضطلع بهذا الدور عدد من أساتذة الجامعة ذوى الميول الإخوانية والذين تركزوا – ولا يزال هذا الأمر لغزاً كبيراً – فى عدد من الكليات العملية كالطب والهندسة والعلوم وقد قاموا بتنفيذ أكبر مؤامرة فى تاريخ أسيوط – إن لم يكن فى تاريخ مصر – وذلك بعملهم الدءووب والذى تراوح بين العلانية والسرية لإنشاء وتكوين ما عرف فيما بعد بتنظيم الجماعة الإسلامية .. والذى ما لبث أن قفز خارج أسوار الجامعة ليطارد المواطنين جميعاً فى أفراحهم وأحزانهم وأعيادهم وملبسهم وصلواتهم ومدارسهم وباختصار فى كافة أنشطة حياتهم على النحو الذى يعرف الجميع تفاصيله ..

وفى هذه الأثناء هبط إلى المدينة قادم يحمل على ظهره تاريخاً من الأوجاع والأحقاد والحسابات المعقدة .. هو الدكتور خالد عودة نجل عبد القادر عودة الذى

أعـدم فى قضية الإخـوان الكبرى فى عهد عبد الناصـر - إبـن أسـيوط - جـاء د. خالد بعد فترة من العمل باحدى دول الخليج ليعمل ضمن أعضاء هيئـة التدريس بكلية التجـارة باسيوط واستقدم معه شقيقيه أحمد وزياد ولعـل اختيـار أسيوط لتكون نقطة البداية كان أمراً تبرره ظروف عملية أهمها المنـاخ المهيـئ واعتبارات نفسـية يمكننا أن نشعر بها فى الإطار التاريخى لهذه المرحلة ؛ وقـد كانت حينئذ أسيوط بؤرة للنشـاط المتطرف بفضل الأعداد الكبـيرة مـن أسـاتذة وطلاب الجامعة المتطرفين وتوجهات المحافظ وقتئذ محمد عثمان اسماعيل ، ولـم يكن ينقص هذه المنظومة سـوى تكوين مؤسسة إقتصادية توطد أواصر أعضـاء هـذه الجماعـات وتربطها بمصالح أصحـاب الثروات النفطية القـادمة مـن الداخل والخارج وتم تنفيذ هذه الخطة فى إطار مخطط أكبر جرى تدشينه خـارج البلاد بين أعضاء التنظيم العالمى للإخـوان وعرض أمر أسيوط التـى كـانوا - وربما لايزالوا - يرونها منطقة نفـوذ هامة لتيار التطرف الدينى وخاصـة بعـد تنامى أعداد ما وصفوهم بالشباب المتحمس لدينه فى إشارة مبهمة لتنظيم الجماعـة الإسلامية الإرهابى والذى لم يكن قد تبلور تنظيمياً بعد بمعزل عن الجماعـة الأم "الإخوان" وأثيرت وقتذاك عدة نقاط هى :

١ - أن الساحة فى أسيوط فى أشد الحاجة لإقامة بنية اقتصادية توازى حجـم التواجد الكمى للعناصر الموالية والمتعاطفة مع الإخوان وهو أمر ضرورى لدعـم إرهاصات المستقبل وتمهيد الطريق للوثوب على السلطة.

٢ - أن حجم رؤوس الأموال التى تمتلكها الأقلية القبطيـة - وفقـا لمزاعـم الإخوان - يهدد الطريق ويحيطه بمخاطر ومصـاعب علـى المسـتوى الشـعبى والسياسى ، وهو الأمر الذى تمسك به كهنة الإخوان وفقهاؤهم ، وهو ما يتطلـب إستقطاب الشباب وتوفير فرص العمل لدى المؤسسة الإقتصادية الإخوانيـة حتـى لاينخرطوا فى العمل الحكومى أو لدى الأقباط وكلاهما شر يجب إجتنابه .

٣ - ضرورة الإستفادة من مناخ الإنفتاح السائد حينئذ وهو ما يؤهلهم لإحتكار سلع بعينها أو خدمات هامة هى جوهر الحياة فى أسيوط وصعيد مصر كله فضـلا عن ضرورة استغلال أموال العاملين بالخارج من أعضاء الإخوان حتـى تحسـب للجماعة ولا تحسب ضدها فى مصارف الدولة ومؤسساتها .

ومن هنا أنشأ خالد عودة واشقاؤه وعدد من أقطاب الإخوان شركة لتوظيف الأموال ستكون - كما سنرى فيما بعد - بمثابة المؤسسة الإقتصادية للجماعة وبدأت الأموال تنهمر على الشركة من منابع محددة تقتصر على أعضاء هيئة التدريس العاملين بالخارج والمتعاطفين مع منهج الإخوان ثم أموال الجماعات السلفية بدول الخليج والتى كانت تأتى تحت مسميات خيرية كزكاه المال ورعاية الطفل وكفالة اليتيم وغيرها وفقا لإرتباطات شخصية وتنظيمية أقامها عناصر الإخوان العاملون بهذه الدول وقد واكب هذا الأمر إقامة أول فرع للبنك "المعروف بالإسلامى" بأسيوط فى أول فرع له خارج القاهرة ليقوم بدور التغطية المصرفية القانونية لمسائل تحويلات النقود واستبدال العملات الأجنبية وهو المسمى الأنيق لعمليات تجارة العملة وتهريبها التى كانت مؤثمة قانونيا حينئذ وهكذا تكونت "مجموعة شركات السلام" التى تفرع منها عدد من الشركات التى تمارس نشاطها فى شتى مناحى الحياة الإقتصادية الحيوية فى أسيوط والتى سنوردها كما يلى :

١ - شركة (طلائع الإيمان) للتجارة والصناعة :

وهى بالفعل طليعة نشاط هذه الشركات ويرأس مجلسى إدارتها زياد عودة وقد اتخذت مقرا لها عمارة الأوقاف بشارع ٢٣ يوليو بأسيوط ويشمل نشاطها إقامة الأبراج السكنية الضخمة وبيع الوحدات بنظام التمليك فى سابقة جديدة تشهدها أسيوط لأول مرة فلم يكن نظام التمليك قد عرف طريقه بعد لأسيوط وبهذه الكثافة والتضخم وهو أمر له مؤثراته على سوق العقارات بالمدينة فقد تراجعت النظم الأخرى كالإيجار والمقدم وحتى "خلو الرجل" ؛ وكانت هذه الشركة تسلك طرقاً ملتوية وغير قانونية أحياناً لشراء القصور والفيللات القديمة والتى كان يمتلكها أثرياء أسيوط من عهد ما قبل الثورة ثم تستصدر تصاريح بهدمها تحايلاً على القانون ، وأخرى بالبناء والتعلية عن طريق رشوة موظفى الحى والمحافظة وبأساليب ووسائل شائعة يعرفها الجميع ، ولعل من أبرز العقارات التى أقامتها هذه الشركة "برج بنزايون" الذى يقع بشارع ٢٣ يوليو وآخر يعرف بين الأهالى " ببرج الإخوان" ويقع بشارع الجمهورية وهو أهم الشوارع بمدينة

أسيوط وقد بيعت الشقق بهذه الأبراج بمبالغ خيالية فى ذلك الوقف وكانت حديث أسيوط كلها تراوحت بين خمسين ومائة ألف جنيه ، بينما بيعت المحلات كفروع لشركات كبرى وقد إستلزم تشغيل هذه الشركة ضرورة إقامة عدد من الشركات والمصانع لتزويدها بالمؤن والخامات اللازمة للبناء والتشييد تحقيقاً للإكتفاء الذاتى وحتى لايضيع عليهم هامش الربح فى شراء هذه الخامات من الغير .

٢ – شركة (الفتح) للأخشاب المجهزة :

ويقع مقرها ببنى غالب بطريق أسيوط – الوادى الجديد ، ويديرها أحد أقارب آل عودة وهو ضابط سابق بالقوات المسلحة إستقدمه خالد عودة من الدقهلية بعد إنهاء خدمته بالقوات المسلحة ، وتقوم هذه الشركة بصناعة المنتجات الخشبية من الأبواب والنوافذ والأثاث والموبيليا وغيرها بواسطة مصنع ضخم تتجاوز قيمة المعدات به الملايين ويستوعب أعدادا كبيرة من العمال ويعتمد على شركة المقاولات وشركة أخرى للموبيليا سنتحدث عنها فيما بعد فى بيع منتجاته بشكل رئيسى .

٣ – مصنع (البنيان المرصوص) للطوب الأسمنتى :

ويقع بدير (ريفا) غرب مدينة أسيوط بالقرب من قرية درنكة وينتج الطوب الأسمنتى والبودرة وغيرها من لوازم البناء ويحصل على حصة كبيرة من "الأسمنت" من خلال المحافظة شأنه فى ذلك شأن أى مصنع للطوب ويستوعب عدداً كبيراً من العمال فضلا عن الخدمات الأخرى التى تترتب على عملية البيع كالنقل بواسطة أسطول السيارات الذى تمتلكه الشركة الأم ويدير هذا المصنع المحاسب أحمد عودة شقيق خالد .

٤ – شركة (دار السلام) للأثاث والموبيليا :

وتضم سلسلة من معارض بيع الأثاث وتتخذ من عقار بشارع يسرى راغب مقراً لها حيث تقوم بتصريف منتجات شركة الفتح لتصنيع الأخشاب ، والمثير أن هذه الشركة قد أوكل إليها مهمة تجهيز قاعة الإجتماعات الكبرى بالمبنى الجديد لمحافظة أسيوط أثناء تولى عبد الحليم موسى لمنصب المحافظ بها ، وهى قصة

كان يرددها موسىشخصياً بشئ من الإعتزاز وفى كثير من المحافل الرسمية التى كان يحضرها فى اسيوط وكان دائماً يؤكد أن السجن جمع بينه وبين عبد القادر عودة وأن له فى عنقه أفضال لاينكر أبناء عودة أنفسهم أنه حاول جاهدا ردها إليهم أثناء تولية مناصبة الرسمية فقد شملهم بعطفه - كما يؤكد خالد وأشقاؤه علنا - فى تسهيلات استصدار تصاريح هدم الفيللات وتصاريح بناء الأبراج وحصص الأسمنت وترخيص أسطول السيارات التابع لشركتهم ومن المؤكد أن هذه العلاقة لم تكن سراً ولم تكن تتم عبر وسطاء بل كانت علاقة شخصية مباشرة لامجال للخوض فى تفصيلاتها هنا ، وذلك على الرغم من كل تحفظات الأجهزة الرقابية حينئذ على هذا الأمر .

٥ - شركة (دار السلام) للسوبر ماركت والبقالة :

ولم يدع أبناء عودة هذا المجال أيضا فبعد أن كان يمارس فيما مضى فى إطار فردى بسيط من جانب بعض المواطنين أصبح سلسلة من محلات السوبر ماركت يتبع فى إدارته أسلوب دعائى جذاب على غرار الشركات الشهيرة بالقاهرة والاسكندرية وعلى سبيل المثال فان هذه السلسلة تضم الفروع التالية :

- فرع " القدس " ويقع داخل الجامعة للبيع لأعضاء هيئة التدريس بجامعة أسيوط وهى شريحة تمتلك قدرة شرائية عالية فى هذه المدينة فضلا عن الطلاب والعاملين بالجامعة وتوطيدا لمنهج الإختراق على كافة المستويات وحتى لايتسرب قرش واحد خارج المؤسسة الإخوانية .

- فرع " النيل " بشارع النميس بأسيوط وهو حى راق يسكنه عليه القوم من ضباط وأطباء ومهندسين ومحامين وغيرهم .

- فرع " السلام " : ويقع بشارع علوبة وهى منطقة تجارية شهيرة .

- فرع " السادات " ويقع بحى السادات وهى منطقة شعبية مكتظة بالسكان من طوائف الصناع والعمال وصغار الموظفين .

وهكذا بدأت هذه المحلات فى طرح مئات الأصناف من السلع والمواد الغذائية والاستهلاكية فضلا عن تجارة الجملة التى تمارسها الشركة الرئيسية فى توريد السلع لصغار التجار والبقالين المنتشرين بمدن وقرى أسيوط من عناصر

الجماعات الموالية كأعضاء الجمعية الشرعية وغيرها تحت مسمى "المنتجات الاسلامية " وبعد تهيئة السوق باطلاق الشائعات الخبيثة على منافسيهم الآخرين من غير الموالين لهم ، وخاصة من الأقباط .

٦ - شركة ومصنع (الرباط) للملابس الجاهزة :

ومن المساكن والبناء والمقاولات مروراً بالمأكولات والمشروبات حتى الملابس يمضى آل عودة فى إختراق البنية الإقتصادية لمجتمع أسيوط الراكد بإقامة مصنع للملابس الجاهزة بتقسيم "ألكسان" وإفتتاح عدد من منافذ البيع والمحلات التجارية بوسط المدينة لتوزيع منتجات هذا المصنع من الملابس الرجالى والحريمى والأطفال وقاموا بمحاولات مستميتة لتسويق هذه المنتجات بنظام البيع الآجل بعد أن أطلقوا عليه وصفا خداعيا هو "المرابحة الشرعية" وهو فى حقيقة الأمر لايزيد على كونه بيعا بالتقسيط وبفائدة مركبة وبعد الحصول على ضمان شخصى بالتزكية من أحد رجال الإخوان ضمانا للسداد والموالاة الشخصية أو الإستقطاب الخبيث . وهو فى واقع الأمر مجرد مسمى ملتوى لفوائد البنوك التى يتشدق كهنة الإخوان .

شركة ومصنع (الرشاد) للبلاستيك :

ويقع بدير درنكة بالقرب من مدينة أسيوط وبين الإخوان وصناعة البلاستيك علاقة غامضة نشأت فكرتها داخل سجن القناطر وعلى يد أحد الأجانب المتهمين بالتجسس حينما التقى بعبد اللطيف الشريف وقد كان سجينا حينئذ واستطاع تجنيد عدد من السجناء لجمع كافة المعلومات ودراستها عن هذه الصناعة فيما يمكن وصفه بدراسة جدوى وحينما أفرج عنه حول هذه الفكرة إلى واقع يتمثل فى مصانع الشريف للبلاستيك الشهيرة ولما كان الإخوان عودة فى أسيوط يتمثلون التجارب الأم التى قام بها الآخرون فقد استطاع خالد وأشقاؤه محاكاة الشريف بإنشاء مصنع للبلاستيك لتغطية إحتياجات أسيوط وضواحيها من منتجات البلاستيك دون أن يخشى منافسة قوية من الشريف الذى أضاء له الطريق وتوقف عن توريد منتجاته قبل أن يبدأ مصنع الرشاد إنتاجه حتى يهيئ السوق لإلتهام كل المنتجات وبالطبع لم تتوقف المساعدات عند هذا الدور السلبى فحسب بل تعداه ..

إلى دور إيجابى يتمثل فى الإشراف الفنى على الإنتاج وتزويد المصنع بالخامات الأولية والخبرات الفنية وهى العمود الفقرى لهذه الصناعة المضمونة الأرباح وهو ما مكن المصنع من الإستمرار والتوسع بالإضافة لضمان منافذ التوزيع وعدم المنافسة فيما يشبه الإحتكار .

٨ – مجموعة مدارس (دار حراء) الابتدائية والإعدادية والثانوية :

وكل الأنشطة السابقة فى كفة وهذا النشاط فى كفة أخرى فنشاط التعليم الإستثمارى أمر حيوى له دلالته البديهية ومردوده الخطير ، فهويحقق عدة أهداف فى آن واحد فإلى جانب أرباحه الوفيرة وضالة حجم المخاطر فيه فهوأيضا يحقق أهدافا استراتيجية لخطط الإخوان وقد بدأت دعايتهم قبل افتتاح هذه المدارس بإطلاق الشائعات فى أسيوط وكتابة المقالات التى تحرض على كراهية الإلتحاق بالمدارس القبطية ومدارس الراهبات وهى مقولات خبيثة من شأنها إيقاظ نعرات طائفية قد تجد مناخًا مواتيا فى مجتمع تحكمه العصبية والتخلف ،فعلى الرغم من التاريخ المشرف لمدارس الراهبات والتى يشهد لها به آلاف الرجال والنساء ممن تخرجوا فى هذه المدارس وهم مسلمون أكثر من الأقباط فإن كهنة الإخوان بدأوا دعايتهم بمقوله ضرورة إنشاء مدارس "إسلامية" على غرار المدارس المسيحية وعلى الفور وتحت مظلة جمعية تنمية المجتمع التى أمكنهم السيطرة عليها بتولى أحد أقطابهم وهو د. منير شهوان رئاسة مجلس إدارتها – وهو بالمناسبة أستاذ للمسالك البولية بكلية الطب وصاحب مستشفى خاص أما الأمر المثير حقا فإن إبنته هى زوجة لإبن عم الرئيس جمال عبد الناصر وهو ذروة الدراما فى هذه الحكاية – وقد تم إنشاء عدد من دور الحضانة والمدارس توزعت على هذا النحو :

– **دور الحضانة** : وهى ثلاثة دور ..دار الأرقم والفردوس والأندلس وبها خمسة عشر فصل دراسى تستوعب أكثر من ثلاثمائة طفل دون سن الدراسة القانونية ومدة الدراسة بها عامان .

– **المدارس الإبتدائية** : وهى ثلاث مدارس بنفس الأسماء (الأرقم والفردوس والأندلس) وبنفس عدد الفصول وتستوعب ذات العدد من التلاميذ من بداية العام السادس من أعمارهم .

– **المدارس الإعدادية** : وهما مدرستان تضمان إثنا عشر فصلا دراسيا يمكنها إستيعاب قرابة مائتى تلميذ وتلميذة موزعين على فصول منفصلة بعضها للذكـــور والآخر للإناث .

– **المرحلة الثانوية** : وحتى الآن فهى مدرسة واحدة تضم ستة فصول يمكــن أن تستوعب ما يزيد على مائة وعشرين طالب وطالبة فى فصول منفصلة بالطبع .

ويحكى أحد أولياء الأمور حكاية لها مغزاها حينما احتد عليـــه إبنـــه التلميـذ بالمرحلة الإبتدائية وهو يطلب إليه الذهـــاب للحمام ذات صبـــاح ويقــول الأب : فوجئت بالولد ينهرنى بشـــدة على طريقة " قل ولاتقل " راح يشرح لـــى بلهجـة الناصح العارف ببواطن الأمور وخبايا الدين أنه يجب أن أقول " أنا ذاهب لقضـــاء الحاجة " مؤكدا لى أن هذا هو الأدب " الإسلامى " كما يؤكد له شـــيوخ المدرســة ويضيف الأب : الحقيقة أنه اسقط فى يدى وانعقد لسانى واستشعرت الخطر وعلى الفور قررت نقله لإحدى المدارس الأخرى .. وفعلت .

وعلى الرغم من بساطة هذه الحكاية إلا أن الخطر الذى شعر به الأب كان فى محله فهذا السلوك ينطوى على حقيقة هامة وهى مدى اختراق الإخـــوان بفكرهــم البدوى المسطح لعقول جيل بأكمله وهذه الحكاية أيضا مجرد مثـــال بسـيط تمثــل حـــلقة فى منهج كامل يجـــرى تنفيذه وفقا لقواعد صارمة وغير مكتوبة بـــالطبع ، فمثلا لايقبل بهذه المدارس أبناء شخصيات بعينها كالعاملين فى أجهـــزة الأمـــن أو القوات المسلحة أو الإعلام أو الإدارة الحكومية إلا فـــى أضيـــق الحـــدود ووفقـــا لإعتبارات يقدرهـــا القائمون على إدارة هذه المؤسسة التعليمية كحالات اســـتثنائية فى ظروف أشبه بالمســـاومة غالبا وعموما فالقبول بهذه المدارس مرهون بتزكيـــة أحد قيادات الإخـــوان ولعل استعراض يوم دراسى ينبئ عن الكثير .. فمثلا يبـــدأ اليوم بإنشاد ما يسمى – بالأهازيج والأناشيد الإسلامية – بدلا من تحية العلم الذى لا يرفع أصلا على هذه المدارس ليس اهمالا بالقطع فهو أمر مقصود فى إطار عام يجرى وفقا للقواعد التالية :

– فصل البنين عن البنات من بداية الصف الأول الإبتدائى .. وأؤكد الإبتدائى فلا يسمح مطلقاً بأية حال من الأحوال الإختلاط ولو حـــدث مصادفـــة فـــى فنـــاء

المدرسة بين طفلة وجارها أو حتى شقيقها فإنه يقابل بمنتهى الصرامة والشدة حتى لو حدث بحسن النية المفترضة أصلا فى سلوكيات أطفال فى هذه السن ، وعلى الفور يتم إستدعاء ولى الأمر وانذاره بفصل التلميذ أو التلميذة فى حالة تكرار هذه "الخطيئة " .

- فرض الحجاب على تلميذات المرحلة الإبتدائية فى تحد صارخ لقرارات وزارة التعليم واعتبار شرط إرتداء ما يسمونه "بالخمار الشرعى" أمرا جوهريا للقبول والإستمرار بالدراسة ولاتوجد تلميذة واحدة لاترتدى هذا الزى بالمدارس وهناك أكثر من طريقة للتحايل على قرارات وزارة التعليم كأن يتم استكتاب أولياء الأمور طلبات برغبتهم فى ارتداء ملابسهم هذه مثلا كشرط غير مكتوب وإن كان جوهريا من وجهة نظرهم .

- حظر الأنشطة الثقافية والفنية نهائيا كالموسيقى والحفلات والرحلات الترفيهية .. حتى المقررات الفنية "الرسمية" كحصص الرسم والتربية الفنية يتم تجريدها من مضمونها وتحويلها لمجرد صيغة ورقية فحسب وذلك لعدم إمكانية إلغائها بشكل صريح حتى لاتصطدم إدارة المدارس مع الإدارة التعليمية والمؤسف أن هذه الحصص تستغل فى حشو عقول التلاميذ بأفكار الإخوان وأدبياتهم "وبطولاتهم" المزعومة وتستخدم فى ذلك شتى الطرق كاستقدام خطباء متخصصين من خارج المدرسة معروفين بالميول الإخوانية أوتشغيل شرائط الكاسيت وشرحها والتعليق عليها .

وبعد أن يتم الطفل مرحلة الحضانة يقبل بالمدرسة الإبتدائية فالإعدادية ثم الثانوية ويجرى ذلك وفقاً لتقارير تكتب عن كل تلميذ فى ملف سرى لايسمح حتى لأولياء الأمور بالإطلاع عليه ويتم تقييم كل حالة على حدة فى نهاية كل عام وكل مرحلة يتخذ بعدها قرار بالحاقه للمدرسة الأعلى أو الصف الأعلى ، وغنى عن القول أن تنشئة كهذه فى مثل هذا المناخ لن تفرز سوى عناصر متطرفة وبتعبير أدق كوادر رضعت أصول وقواعد العمل الحركى ، وقد تذهب ببعضهم فورة الشباب فى هذه السن الحرجة بعيدا إلى حد الإنخراط فى العمل السرى والإرهاب

وغنى عن القول أيضاًأن معظم العناصر النشطة حاليـًا من جماعات التطرف هم فى سن المراهقة والتعليم العام حتى أن رموز الإخوان أنفسهم من الجيل الثانى

وهم الأكثر نشاطاً وانتشـاراً فى كافة المؤسسات النقابية والعمل العام قـد بـدأوا حياتهم منخرطين فى صفوف الجماعات المتطرفة كالجهاد أو الجماعة الإسلامية أو التكفير ثم جرى إستقطابهم بعد المرور بمرحلة الإصطدام بالأمن والسجن يكونـوا قد إكتسبوا خلالها خبرات كافية فى العمل التنظيمى والسرى تؤهلهم للقيـام بـدور قنوات التوصيل بين الجماعات الراديكالية التى شهدت نشـأتهم الأولـى والتنظيـم الذى إستقر بهم المقام فيه "الإخوان" بعد أن تكون قد ترسخت فى نفوسـهم قناعـة مؤداها أن العمل بهدوء وبمنطق التسلل هو دورهم الآنى ، ولاغضاضة أن تسـير الأمور هكذا جنباً إلى جنب مع الأساليب الإرهـابية الأخـرى التـى تمارسـها جماعات التطرف .

ما علينا .. نعود مرة أخرى لحكاية "الإخوان عودة" فى أسيوط والمؤكد أن ما سقناه من أمثلة ليس كل شئ فهى مجرد عينة من زخم كثيـف .. ونمـاذج شـتى منتشرة ليست فى قرى ومدن اسيوط فحسب بل فى الصعيد كله ، فهنـاك أنشـطة أخرى كتجـارة الغلال وتربية وتسمين المواشى وخدمات هامـة كالمسـتوصفات الطبية ووسائل النقل مستغلين فى ذلك حاجة المجتمـع الماسـة لهـذه الأنشـطة والخدمات وإذا إستثنينا جهود أجهزة الأمن فى هذا السياق فإنه يمكننا القـول بـأن المؤسسات المنوط بها مواجهة هذا الزحف الإخوانى بجهد حقيقى وتنميـة جـادة لايزال القـائمون عليها يتصرفون باحدى طريقتيـن .. فإمـا منطـق الموظـف الحكومى الذى يعمل بطريقة (على قد فلوسهم) ، وإما المتاجرة بالأزمة – ولهـذه الطريقة شواهدها وفرسانها من محترفى النشاط الشـعبى المزمـن – ويمكننـا أن نخلص من تجربة كهذه إلى عدد من النتائج ذات الدلالة وهى :

١– أن التجربة الإقتصادية للإخوان فى أسيوط – كحالة نموذجية – قد وجدت مناخاً فى أمس الحاجة إلى إستثمار حقيقى ، لهذا حققت الأرباح المادية والمعنويـة حينما راهنت على حاجـات البسطاء بدءاً من توفير فرصة عمل .. إلى تحريـك حالة الركود الإقتصادى .. أما الأمر المخيف هنا أن تلـك الآلاف مـن الشـباب العاملين لدى مؤسسات الإخـوان سوف يستغلون فى الدعاية لصالح هذه الجماعـة فقد كانت هذه الأنشطة بمثابة شباك لإصطيادهم وتجنيدهـم وحشـد المزيـد مـن الأنصار والمؤيدين ؛ وعلى أقل تقدير تحييدهم وإلغاء دورهم الإيجابى المتوقع منهم فى معركة المواجهة الحقيقية .

٢ – أن هذه المشروعات أتاحت للإخوان فرصة ذهبية لغسل الأموال المريبة التى تسللت لمصر من جهات مشبوهة كالدعم القادم من المنظمات والهيئات الأجنبية وغيرها ، وفضلاًعن ذلك فقد استخدمت لتوجيه العقل الجمعى فى الإتجاه المضاد بتقديم هذه الخدمات التى هى من صميم نشاط مؤسسات رسمية والجميع يعرفون كيف إستثمر الإخوان هذا الأمر فى الإنتخابات البرلمانية والنقابية وحتى الطلابية وهو الأمر الذى مكن رجلا مثل د. محمد السيد حبيب – وهو إبن دمياط – من الفوز على أبناء أسيوط فى عقر دارهم وبين عائلاتهم وعلى الرغم من نفوذهم القبلى ومساندة ذويهم مادياً ومعنوياً .

٣ – أن هذه التجربة الإستثمارية للإخوان كانت بمثابة النموذج الذى إحتذى به أمراء الجماعات الإرهاب الأخرى والإستفادة منها سعياً لمحاولة الإعتماد على الذات إقتصادياً إذا ما توقف نهر المساعدات الخارجية وهو ما حدث بالفعل بعد أن حوصرت منابع التمويل بفضل الجهود الأمنية والدبلوماسية ؛ والقياس مع الفارق فى حجم راس المال الضخم الذى يمتلكه الإخوان والمحدود الذى يمتلكه عناصر جماعات الإرهاب .

٤ – أن العلاقة – الفكرية والتنظيمية – بين الإخوان والجماعات لم تعد محل تكهنات أو حتى تحتمل الجدل .. فهى تاريخية بحكم النشأة ، وهى استراتيجية بفضل وحدة الهدف ، وأن الخلاف الذى يطفو على السطح بين الحين والآخر لايعدو أن يكون خلافاً فى الوسيلة ، وهو الأمر الذى يراه كهنة الإخوان ظاهرة صحية ومفيدة لتعدد وسائل الضغط على النظام ، وهناك مئات الوقائع والشواهد التى تؤكد تورط الإخوان فى دعم الجماعات كتنازلهم عن بعض المساجد التى كانوا يسيطرون عليها لعناصر هذه الجماعات ، وتوفيرهم فرص العمل لهم فى مؤسساتهم الإقتصادية داخل البلاد وخارجها ، والإشراف على مشروعاتهم الصغيرة وتقديمهم العون المالى والمعنوى فى هذه المشروعات ، ووسائل الإعلام التى يغازلون خلالها أمراء الإرهاب .

ماذا تبقى من الكلام ... ؟ لاشئ .. لاجديد .. فإذا كان سوء الظن من حسن الفطن .. فيجب أن نعلم أن حسن الظن – فى مثل هذه المحنة – من سوء التقدير .. والتذير .

الفصل الســـابع

كلهـم ذلك الرجــل
أسـرار التحالف الثـانى بين جماعات الإرهـــاب

بعد ثلاثة شهور فقط من التحالف الجديد بيـــن تنظيمـــى الجهـــاد والجماعـــة الإسلامية ، نشبت المتفجرات والعبوات الناسفة فى جسد الشعب المصرى .

كان الخلاف – منذ مقتل السادات – واضحاً وعنيفاً بين عبود الزمر وعمـــر عبد الرحمن .. وكان التحالف الأول قد إنفض بينهما بمجرد تلوث أرض المنصـــة بالدم فى ٦ اكتوبر سنة ١٩٨١ .

وفى هذه الأيام عاد التحالف – مرحلياً– مرة أخرى وتلونت أرصفة وطرقات بعض الشوارع المصرية بدماء الأبرياء .

وقد أضيف للزمر وعبد الرحمن تنظيم جديد هو الفصيل المتشدد من شـــباب جماعة الإخوان المسلمين المحظورة رسمياً ، وجرت وقائع هذا التحـــالف خلـف قضبان السجون حيث إجتمع زعماء التطرف حســبما ورد فى الإعترافــات التـى أدلى بها المتهمون فى القضية المعروفة بــ "إعادة تشكيل تنظيم الجهاد" .

وضم هـــذا الإجتماع فى زنازين السجن قادة الجماعات مـــن الرعيــل الأول وهم عبود الزمر وطارق الزمر وناجح إبراهيم وكرم زهدى وعاصم عبد المـــاجد وممدوح يوسف وصفوت عبد الغنى وعلى الشريف الذين إتفقوا علـــى ضـــرورة التخلى عن سياسات الجماعة الأولى التى كشفها الأمن وتمكن من إجهاض بعضها وإنتهوا إلى إعتماد ما أطلقوا عليه مبدأ "تثوير المدن" وذلك من خلال سيناريو يعول على العصيان الشعبى أو الثورة الشعبية على النحو الذى قامت به الثورة الإيرانية وتمضى الإعترافات لشرح أبعاد المواجهه مع المؤسسة الرسمية فى هذه المرحلـــة بتحريض أتباعهم خارج السجن على مهادنة التيارات الدينية الأخـــرى كـــالإخوان المسلمين أو السلفيين والتى كانوا قد دأبوا على مهاجمتهم بالقول والفعل وضـــرورة الكف عن هذا المسلك للإستفادة من أموالهم ونفوذهـــم ومنـــابرهم وأيضـــا يدعـــو

للإلتصاق بالسلفيين لإنتقاء العناصر التى يمكن تجنيدها منهم ضماناً لتوسيع قاعدة العناصر الفعالة بعد توريطهم فى عمليات إرهابية حتى يقطعوا الشعرة التى مازالت تربطهم بامكانية العودة إلى حظيرة المجتمع فيتحولون بذلك إلى أدوات طيعة – وربما عمياء – فى يد قادة وأمراء التحالف .

وعلى صعيد آخر أقر أمراء التحالف الجديد هيكلاً تنظيمياً جديداً بخلاف ذلك الذى إرتبط بالجماعة فى بداياتها والذى كان يتألف من مجلس للشورى تتفرع منه ثلاث لجان هى : لجنة الدعوة ، ولجنة العدة (الجناح العسكرى) واللجنة الإقتصادية (بيت المال) ، وقد صار هذا التقسيم فيما بعد جزءاً من تاريخ التنظيم وأفرز التحالف الثانى بنية تنظيمية مختلفة تمثل هيكلاً هرمياً يبدأ بالإمامة أو الإمارة التى لازالت أكثر المناطق وعورة وموضع خلاف مزمن آثروا أن يتركوها لما قد تسفر عنه الأحداث التالية لتحسمها ، ثم يعقب ذلك حلقات ثلاث رئيسية هى : **الإفتاء والقضاء والحسبة .**

وينفرد عمر عبد الرحمن بساحة الإفتاء بما يمثله من مصداقية ومرجعية فقهية لكافة الفصائل المتشددة والسلفية وإن كان حبسه مؤخراً فى أمريكا قد أطلق العنان لغيره لإقتحام هذا المضمار حتى إزدحم بهم المجال ولكن تبقى المرجعية لعدد محدود من فقهاء التنظيمات .

أما الحسبة فهى أداة التحالف ويده الطولى التى تضرب خارج جدران السجن وخارج حدود الوطن أيضا إنهم المنفذون للفتاوى والخطط ، وقد استقر رأى مجلس شورى التحالف الثانى على ضورة توخى شرطين جوهريين فيمن يتولى أمر الحسبة وهما :

الشرط الأول : ألا يكون أسيراً وهذا إعتبار بديهى فرضه الواقع والإعتبارات العملية فليس من المتصور إمكانية قيام سجين بعملية إغتيال أو تفجير ولعل معركة الأسير والضرير التى أثيرت بين عبود الزمر وعمر عبد الرحمن هى التى حسمت هذا الشرط وحددته بشكل لم يعد موضعاً للجدل بين هذه الفصائل .

الشرط الثانى : هو ألا يكون معلوماً لأجهزة الأمن وهو إعتبار حركى أملته تجربة طويلة فى الإصطدام بالسلطات والتعامل مع الأجهزة الأمنية لذلك يعولون على عناصر "الأفغان المصريين" الذين غادروا البلاد إلى بعض الدول العربية ومنها إتجهوا لبيشاور حيث أمضوا هناك فترات طويلة وعادوا عبر محطات عربية

ومن وراء ظهر الأمن الذى لايملك معلومات مسجلة عنهم لشرعية مغادرتهم وعودتهم ، واستخدامهم وثائق غير مصرية فى السفر والعودة من بيشاور أو غيرها من محطات تصدير الإرهاب ، وهذا ما يفسر صعوبة التعامل الأمنى مع الجناة فى الحوادث الإرهابية التى وقعت ومازالت تحدث مؤخراً .

لجنة القضاء :

ونأتى للقضاء الذى يمثل دوراً حيوياً وفقاً لمفاهيم العمل الحركى للتحالف الثلاثى بين جماعات الإرهاب ، وقد حرص على الإضطلاع به المسجونون بعد سحب البساط من تحت أقدام الإخوة الأفغان فى بيشاور بعد أن تفرقت بهم السبل واحتدمت بينهم الخلافات والصراعات ، ولم تعد تجمعهم عوامل مكانية وزمانية مشتركة ، وقد حدث خلاف بين فصائل هذه التنظيمات حول شرعية إسناد أعمال ما يسمى "بالمحكمة الشرعية" لأسرى النظام على حد تعبير أدبيات الطرح المتطرف ، وهو الأمر الذى إستلزم عرضه على عمر عبد الرحمن للفتوى فى مدى شرعية إعتبار الأسرى من أهل القضاء ، وهل يجوز ذلك فأفتى "بالإباحة المشروطة بعدم الإنفراد بالفصل فى كل الأحوال" وكما ورد حرفيا فى الإعترافات فإن هذا يعنى وفقا لسؤال عن توضيح مقاصد الفتوى الشرعية أجاب المتهم مجدى سالم فى قضية إعادة تشكيل تنظيم الجهاد فرع (طلائع الفتح) فى الجزء الأول من القضية قائلا :

– هذا الأمر يعنى تشكيل هيئة من أهل القضاء الثقات لنظر أمر من الأمور وفى حالة طرح أمر آخر لابد من تشكيل هيئة جديدة فيأخذ القرار صورته الشرعية النهائية على النحو التالى :

يستفتى الشيخ عمر فى مسألة ما وله أن يبادر بإصدار الفتوى دون طلب ذلك منه أى من تلقاء نفسه ، وتنتقل هذه الفتوى إلى أهل القضاء لفحصها حركيا ومطابقتها على شئون الحياة اليومية ، وتفصيلاتها تمهيدا لتحويلها من مجرد فتوى شرعية إلى خطة عملية حركية لها بنودها التى تلزم أهل الحسبة "المنفذون" باتباعها حرفياً وعدم تجاوزها إلا فى حالات الضرورة القصوى .

إذن فقد كان هناك فى نيو جرسى عمر عبد الرحمن – قبل سجنه مدى الحياة – يتفضل بالفتوى التى تتسرب إلى السجناء من أهل القضاء ليعقدوا ما يسمى بالمحكمة الشرعية فيصدرون قرارهم ومن مجموع هذه القرارات تكون ما

يعرف بقوائم الإغتيال التى تمثل وفقاً لأدبياتهم خلاصة "جهد شرعى لأهل القضاء" كما وصفها مجدى سالم فى إعترافاته أمام نيابة أمن الدولة العليا فى قضية إعادة تشكيل تنظيم الجهاد أو ما يطلق عليه "التحالف الثانى بين الفصائل الإسلامية " – التحالف الأول كان إبان قضية الجهاد عام١٩٨١-إلا أن المشكلة الحقيقية التى واجهت أمراء التحالف هى توسيع قاعدة "أهل الحسبة" بعد أن سقط منهم الكثيرون فى قبضة الأمن لذلك إعتمدوا سياسة جديدة للمواجهه تعتمد ما أسموه بمبدأ "الإنهاك الأمنى" الذى يعنى توجيه عدة ضربات متلاحقة فى كل صوب بقصد تفتيت جهود جهاز الأمن وإشعال فتيل الحرب الأهلية التى يراهنون عليها فى سياستهم الجديدة بعد أن ثبت لهم ضآلة أهمية وقائع الإغتيال فى تحقيق أهدافها العليا ، وهذه السياسة هى الترجمة العملية والحركية لفتوى عمر عبد الرحمن فى شريطة الأخير الذى يحمل عنوان "كلمتى إلى شباب مصر المسلم" والذى يقول فيه بالحرف الواحد :

" إشعلوها ناراً لاتخمد فى كل حدب وصوب .. فقبل أن يفيق الطغاة من حادث فى أسيوط أضرموا النيران فى القاهرة ثم أتبعوها بالجيزة .. وبنى سويف والاسكندرية ، وأنتم أعلم بما يجرى وما يجب أن تكون عليه وقائع جهادكم .. إحملوا عليهم حملة رجل واحد .. قاوموهم فى كل زاوية وقاتلوهم فى كل منعطف ، وأجرؤوا عليهم ولا تهربوا منهم فإنهم جبناء، ولستم ممن يتولون يوم الزحف فهذا الكفر بعينه ، وأعيذكم بالله أن تقعوا فى براثنه" ويمضى منهم آخر هو هشام سليمان ليستعرض آليات المنهج الحركى الجديد الذى إعتمده التحالف الثانى بين فصائل الجهاد والجماعة وشباب الإخوان المتشددين فيقول :

"ودارت بين الإخوة مناقشات طويلة إنتهت لإعتماد خمسة مبادئ رئيسية للمواجهه هى :

١ – إقرار المنهج الحركى الذى إنتهى إليه التونسى "على كورانى" والذى يحذو خطى حزب الله فى النشاط الحركى وهو يوظف كل آليات وتحركات الجماعات اليسارية السرية بعد تطعيمها وتوظيفها بما يتسق ويتفق معها من الموروث الإسلامى وآراء الفقهاء عبر العصور مؤكدين أن الإسلام لن يستفيد من الوعظ والتربية والإرشاد فحسب بل إن الفائدة العظمى تكمن فى إلحاق الضرر بأعداء الله فى كل مقتل وأطلق على هذا المنطق (فقه الواقع) .

٢ – ضرورة التقريب بين أعضاء الفصائل الإسلامية المختلفة كالجماعة الإسلامية والجهاد وحتى الإخوان والسلفيين إعمالاً لمبدأ مؤداه : "أن تعدد منابع النهر لايجب أن تنتقص من شدة إندفاع المياه" على حد تعبير أيمن الظواهرى ، بل العكس فإنها يجب أن تضاعف من تدفقه لتصب فى الهدف المنشود وهو "إعادة الخلافة" الإسلامية للأرض التى أخرجت منها ، وهو ما يقتضى تجاوز الخلافات بين الفصائل بوصفها صغائر لايجب أن تحول دون التحالف المشترك .

٣ – التأكيد على سياسة القصاص من المؤسسة الرسمية وأجهزة الأمن بمنطق حسابى وتكتيكى مدروس ، مؤكدين على تصعيد العمليات الإرهابية فى مواجهة الوسائل والأساليب التى ينتهجها الأمن بما يحسم الأمر فى النهاية لصالح النشاط الحركى لهذه الجماعة .

٤ – إعداد جناح قتالى يطلق عليه " أهل الحسبة " وفقا لمفاهيم حركية جديدة تلزم أن يكون أعضاؤها ممن لم يسبق إكتشاف إنتمائهم أمنياً ، ومن خلال مجموعات صغيرة لايزيد عدد أفرادها على سبعة ، ومن الممكن فى حالات إستثنائية أن يصل العدد إلى عشرة يلتزمون بمبادئ التقية حرفيا مع ضرورة توخى إختيارهم من بين الذين خاضوا الحرب الأفغانية قدر الإمكان لدرايتهم بالقتال .

٥ – إعتماد سياسة "تفريخ الجماعات العنقودية" بمعنى التوسع فى قاعدة الحركيين الذين تدفعهم عقيدة الرغبة فى الإستشهاد فى سبيل الله ، فإذا كتب عليهم البلاء فى سبيل الله أعانهم الله عليه ، وإذا كتبت الشهادة جعلها الله مباركة مقبولة فى مسيرة الخلافة وإقامة شرع الله " .

وهكذا تمضى أخطر إعترافات عناصر التحالف الثانى الذين يعولون على إمكانية تهاوى المجتمع بمجرد سقوط رموز هامة من نخبته وإثارة الذعر بين أفراده تأكيدا على رهانهم الجديد الذى تعدى مجرد عمليات الإغتيال إلى محاولة إشعال فتيل حرب أهلية ، وهذا كفيل بتدمير الجميع حتى هؤلاء الذين يفضلون الوقوف فى منتصف المسافة .

"الحصاد المر " كتاب محظور ألفه أيمن الظواهرى وطبعه فى بيشاور ، ويناقش فيه موقف الفصائل الأخرى وخاصة الإخوان المسلمين .

البـــاب الثـانـى

محـطات الإرهـــاب !

سأقول فى التحقيق :

إن اللص أصبح يرتدى ثوب القاتل

هذا هو التاريخ . . .

كيف يفرق الإنسان . . مابين الحدائق والمزابل

نزار

الفصل الأول

المحطة الأفغانية

لم يعد الحديث عن إرتباط الإخوان المسلمين بجماعات الإرهاب الراديكالية الأخرى لغواً أو تكهناً أو تخرصاً من دون دليل ، بل يكاد يكون العكس هو الصحيح تماماً ، ولعل الخلاف الإعلامى المعلن بين رموز هذين التيارين ليس إلا إحدى صور المناورة المرحلية أو "التقية" أو تعدد الأصوات وفقا لأدبياتهم .

وما حدث ويحدث فى مدينة "بيشاور" الباكستانية المتاخمة للحدود الأفغانية من مساندة علنية من جانب التنظيم العالمى للإخوان المسلمين ، للعناصر الإرهابية الفارة من كل بقاع الأرض وإعداد ما يعرف ببيوت الضيافة لإستقبالهم وإيوائهم بها وإلحاقهم بمعسكرات تدريبية يتلقون داخلها تدريبات عسكرية ويتعرفون على الأسلحة وكيفية التعامل معها وتمويل هذه المعسكرات على النحو الذى حدث مع ابن لادن وآخرين من قادة التنظيم العالمى للإخوان المسلمين .. لعل فى السطور التالية محاولة لإقتحام عصب هذه الصلة من أحد مداخلها المتعددة .

بيوت الضيافة التى تخرج منها أمراء الإرهاب

وتبدأ المحطة الأفغانية من "بيشاور" تلك المدينة الباكستانية القابعة على الحدود الأفغانية وصاحبة التاريخ العريق فى إنجاب "المجاهدين" الدمويين وكهنة الإرهاب مثل أبى الأعلى المودودى منذ أن كانت تابعة للهند وقبل انفصال الباكستان عن الهند وربما يجهل الكثيرون اسم أحمد بن عرفان الذى تزعم عدة آلاف من اتباعه الخارجين من عباءة المودودى الفقهية ودفعهم تحت رايته لصراع تضافرت فيه المشاعر القومية بالمشاعر الدينية ضد الهندوس والبوذيين ، وكاد أن يحقق حلمه بتأسيس كيان سياسى مستقل آنذاك لولا إشتعال الصراع بين رجال القبائل الأمر الذى أودى بما حققه من إنتصارات ، وأقحمه دائرة الحرب الطائفية والقبلية وإنتهز الإنجليز الفرصة فأججوا نيران الفتنة بينهم حتى تحطم الجميع ..

وها هو التاريخ يعيد نفسه ويعاود الصراع على مقاعد السلطة بين المجاهدين الأفغان عقب تمكنهم من السيطرة على زمام البلاد وإزاحة الكيان الشيوعى بعد حرب جاوزت عشر سنوات وانصرف حلفاء الأمس من المجاهدين لجمع الغنائم وتحولوا إلى فرق متناحرة .

والبداية كانت عام ١٩٧٩ ميلادية حينما إنبرى الجميع يناشد المسلمين فى كافة بقاع الأرض للمشاركة مع إخوانهم الأفغان فى الجهاد المقدس ضد الكفار الروس وتوافدت أعداد غفيرة من الشباب العربى بعضهم حسن النية وأغلبهم من الضالعين فى الإرهاب ، ولسبب أو آخر سمحت لهم السلطات الباكستانية بإنشاء معسكرات على أرضها ، وبالقرب من حدود أفغانستان وقدمت لهم كل التسهيلات من الأسلحة والمؤن والتدريب ووفرت لهم الحماية القانونية والسياسية أيضاً ، ولأن الطريق إلى الجحيم محفوف بالنوايا الطيبة فقد اندفع الشباب إلى هناك حيث كان يتم استقبالهم فيما يسمى "بيوت الضيافة" وهى بيوت أعدت خصيصا لإستقبال القادمين الجدد إلى ساحة الجهاد وهى فكرة تحقق عدة أهداف فى آن واحد منها التحقق من ولاء القادمين الجدد وتحديد قدرة كل منهم على حدة ، وضمان عدم اقتحامهم غمار العمليات العسكرية حتى تتم تهيئته فلا يصطدم بالحقائق المفزعة بشكل مفاجئ فلا يكتشف ما يدور بداخل المعسكرات ثم يقرر العدول أو التراجع ..

وأبرز بيوت الضيافة التى أعدت لإستقبال الشباب القادمين من الأقطار العربية عامة فى بيشاور هما بيتان إثنان الأول يعرف "بيت الأنصار" والثانى يعرف "بيت القاعدة" وقد أنشأهما شخصان أحدهما من قيادات التنظيم العالمى للإخوان المسلمين وهو الفلسطينى عبد الله عزام والثانى هو السعودى أسامة بن لادن واللذان يشكلان حلقة الوصل بين جماعة الإخوان والجماعات الراديكالية الأخرى فى الجبهه الأفغانية ، وسنأتى لدورهما بالتفصيل فيما بعد .

وبيت الأنصار عبارة عن بناية مكونة من طوابق ثلاثة يحيطها سور مرتفع له باب حديدى ويتكون الطابق الأرضى من عدة غرف أعدت لتكون مكاتب للمسئولين عن إدارة البيت أو الإتصال بالفصائل الأخرى فى المعسكرات أو الجبهه الأفغانية ، أما الطابقان الثانى والثالث فاشبه بالنزل أو "البنسيون" الذى يضم غرفا كثيرة متراصة وبها حمام جماعى ملحق بها ، وبداخلها عدة أسرة وشرفة وهناك مطبخ

كبير مشترك ، وبيت القاعدة يشـبه إلى حد كبير بيت الأنصار ويختلف عنه بـأن عدد الغـرف به أقل من الآخر ، ويستقبل بيت الأنصار الشـباب القـادمين فـى الشهور الثلاثة الأولى من وصولهم حيث يجرى تدريبهم رياضيا فى الصباح وفـى المساء يتلقون المحاضرات ويحضرون الندوات التى تؤصل داخلهم مفاهيم التطرف والإذعان ومنطق السمع والطاعة .

وبعد أن ينهى الفرد هذه المدة فى بيت الأنصار ينظر فى أمر كل منهم علـى حدة وعادة يذهب إلى بيت القاعدة وهى مرحلة إنتقالية بيـن حيـاة المعسـكرات والجبهه الحقيقية وتستغرق عـادة فترة زمنية لاتتجاوز شهرا حيث يتـم تدريـب الفرد على الأسـلحة بأنواعها .. الخفيفة والدفاعية والهجوميـة وفـك وتركيـب أجزائها والتعامل مع المفرقعات والقنابل اليدوية وقواعد الحـرب الخاطفـة مـن شـارع لآخر ومن موقع لغيره، وبعد ذلك يتم ترحيل الشاب إلى المعسكرات كـل "حسب جنسيته " ، وسنكتفى هنا بالحديث عن معسكر المصريين الذى قام بإنشـائه والإشراف عليه حينئذ محمد شوقى الاسلامبولى ومصطفـى حمـزة ويعـرف بمعسكر "صدى" ويقع على قمة جبل داخـل الأراضى الأفغانية وتبلـغ مسـاحته حوالى أربعة كيلو مترات مربعة تقريبا وبداخله قرابة خمسـين مخيمـا ومخـزن للأسلحة والذخائر والمفرقعات بأنواعها ، ومخزن آخر للأغذية وثـالث للمهمـات ورابع يستخدم كخزان للوقـود وحينما يصل الفرد للمعسكر يتم صـرف ملابـس القتال له وهى عبارة عن جاكيت طويل وبنطلون قصير وحزام جلـدى عريـض وعمامة للرأس وجراب للسلاح والذخيرة ، ومن الجدير بالذكر هنا أن عمر عبـد الرحمن لم تفته هذه الفرصة بدون فتوى فقد شرع بضرورة أن يتدرب الشباب على استعمال السلاح وحرب المدن وطرق القتال والدفاع ما دام قـد قـرر الإلتحـاق بالجهاد فى أفغانستان وأن رفض هذا التدريب أو التوانى فيه يحرم الفرد إذا أصابته المنية من شرف الشهادة ويعتبر قد مات قتيلا لايرتفع لدرجة الشهداء (فالإستشـهاد مرهون بالإستعداد)على حد تعبير فتوى إمام الإرهاب وهى إحدى فتاواه الخاصـة بالجهاد وما ينبغى عمله فى الجبهه الأفغانية .

وهنالك عدة تدابير أمنية تتصل بمفهوم السرية والعمل الحركى وفقا لمفـاهيم الجهاد التى يعتنقها أمراء الجماعة الإسلامية هناك فبعد أن يجتاز الفـرد مرحلـة بيوت الضيافة والمعسكرات يتم إلحاقه على قوة إحدى المجموعات المقاتلـة علـى

الجبهه فيما يعرف بفيالق المجاهدين والتى يتولى قيادتها أفغـــان لعلمهـــم بطبيعـــة مسرح العمليات من ناحية وكأحد مظاهر السيادة من ناحية أخرى ويشرف على هذ الفيالق فى مجموعها عبد الرسول سياف والذى يعتبر بمثابة رئيس هيئة الأركـــان لفيالق المجـاهدين والمنسق العام ، وفى حالة الإعداد للمهام القتاليـــة ســـواء فـــى الجبهه الأفغانية أو إحدى العمليات الإرهابية داخل مصر يتم ترشيح أسماء بعينهـــا بمعرفة مصطفى حمزة وهو أمير الجناح العسكرى للجماعة المصرية فى بيشـــاور ومكنى بلقب " أبو حازم " حيث يقوم بتزويد الفرد بتفاصيل دوره المحدد فى المهمة ومصدر حصوله على الأسلحة والمتفجرات داخل مصر من خلال جيوب التواطـــؤ معهم فى البلاد ويتم ذلك على أن يقتصر على معرفـــة دوره فقط دون الإلمام ببقية الأدوار أو رصد المهمة برمتها ويكون ذلك قبل تنفيذهـــا بوقـــت قصـــير حتـــى لاتتعرض المهمة المنوطة إليه لإمكانية الكشف عنها حتى لو تم القبض على هـــذا

الشخص وتعاملت معه أجهزة الأمن فتكون معلوماته الشخصية محصورة فى دور بسيط أو محدود لايخل بإمكانية تنفيذها أو الكشف عن تفصيلات أدوار وأشـــخاص الأفراد المشاركين له الذين قد لاتربطهم ببعضهم البعض ثمة علاقة سابقة وربمـــا لاتوجد معرفة شخصية فيما بينهم وتقتصر المعلومات على معرفـــة اســـم الكنيـــة لهؤلاء المشاركين وهذا يتم بالطبع عقب سلسلة أولية من إجراءات الأمن الخاصـــة بطبيعة العمل السرى فى هذه الجماعات والتى تبدأ بقياس درجة استجابة الفرد لمـــا هو صادر إليه من أوامر وتعليمات دون أن يشرع حتى فى مناقشـــتها أو مجـــرد الإستفسار عن أسبابها فقد بايع على السمع والطاعة وتحول لأداة عمياء مهيئة للقيام بأى عمل إنتحارىحينما يطلب منه .

ونصل المسألة التنظيمية والحركية إلى ذروتها حينما يتولى الإشراف على هذه المجموعات عدد من الأفراد بشكل محدد وعلى النحو التالى :

محمد شوقى الإسلامبولى : ويشغل موقع الأمير الإقليمى للجماعة الإســـلامية المصرية فى بيشاور ، ومسئوليته الفتوى ورئاسة مجموعة أهـــل الحـــل والعقـــد والتنسيق العـــام بين الأمراء المختلفين وفض أى خلاف قد ينشب بينهم ، ويبـــايع على السمع والطاعة من كافة الأمراء الفرعيين .

مصطفى حمزة والمكنى "بأبى حازم" : وهو أمير الجناح العسكرى ومسئوليته التسليح والإشراف العام على المعسكرات والإعداد للعمليات الإرهابية داخل مصر وإختيار العناصر المسئولة عن التنفيذ ومتابعتها وإتخاذ كافة إجراءات الأمن وتدابير العمل السرى والتدريب والإنفاق العسكرى .

طلعت فؤاد قاسم : وهو مسئول التنسيق مع معسكرات السودان وإستقدام العناصر التى يتراءى له صلاحيتها للجهاد فى الجبهه الأفغانية وتزويدهم بجوازات السفر والوثائق الرسمية المزورة التى تكفل إنتقالهم وتدبير نفقات سفرهم وإقامتهم حتى الوصول إلى بيشاور وإقامتهم ببيوت الضيافة ، هذا بالإضافة لإشرافه المالى على هذه البيوت .

أيمن الظواهرى : وهو مسئول الإتصال بين مجموعة تنظيم الجهاد فى كل من الولايات المتحدة وأوربا من ناحية ومجموعات الأفغان المصريين من ناحية ثانية ومجموعة جماعات السودان من ناحية ثالثة ، ونقل صورة عن طبيعة هذه المجموعات وحالتها ومدى إستعدادها وحجم إحتياجاتها إلى مسئولى التنظيم الدولى للإخوان المسلمين وهوبذلك بمثابة ضابط الإتصال بين الجماعات والإخوان ، ويقوم بكافة المهام ذات الطبيعة الخارجية وبإختصار هو وزير خارجية الجماعة الإسلامية مع التنويه بأنه احد أبرز المتهمين فى قضية إغتيال السادات وأحداث عام ١٩٨١ فى مصر ، وهارب من عدة أحكام قضائية فى مصر آخرها حكم بالإعدام صدر من المحكمة العسكرية العليا فى قضية العائدين من أفغانستان .

أما محمد مكاوى (العقيد) وكنيته أبو عوف المصرى .. فهو مسئول الإشراف على معسكر جاجي ويتولى أمور التدريب الرياضى والعسكرى داخل المعسكر وكان يتبع أيمن الظواهرى مباشرة حتى إنشق عليه وكون جماعتة التى عرفت إعلامياً بـ "طلائع الفتح" .

جمال أبو بكر : وهو مسئول الإشراف على معسكر كوثر ويتولى ذات المهام ويتبع مصطفى حمزة .

عبد الرحمن الصاوى وكنيته "صهيب المصرى" : فهو المسئول عن تنظيم وترتيب العلاقات الإجتماعية كالزواج واستقدام الزوجات وتدبير وسيلة المعيشة

لهن فضلا عن دوره الأهم فى توزيع السبايا من النساء الروسيات الأسيرات على المجاهدين ، ويتمتع بمكانة رفيعة لإشرافه المباشر على رعاية محمد وعبد الله ولدى عمر عبد الرحمن وله صلاحيات واسعة فى الإنفاق العلنى والسرى ومسئول المال الذى يتسلمه من قادة المجاهدين الأفغان (وردت معلومات بمصرعه فى أفغانستان) .

ثم نأتى لدور تمويل التنظيم العالمى للإخوان المسلمين والذى أشرف عليه حينئذ عبد الله عزام الفسطينى الجنسية الذى كان يتولى الإنفاق على بيوت الضيافة والمعسكرات وشراء الأسلحة والمهمات والذخيرة والملابس والأغطية ودفع نفقات السفر والعودة ومعيشة الأسر والزواج وكافة النفقات السرية الأخرى بالتنسيق مع أسامة بن لادن .

وبالإضافة لهذه الأسماء فهناك أسماء أخرى تعمل لدى منظمات الإغاثة بمسمياتها المتعددة كأبى القاسم عضو منظمةالغوث ، وأبى حفص عضو منظمة العون الإسلامى واللذان يشكلان مع آخرين حلقة الوصل بين الإخوان والعناصر القيادية للجماعات ويقومان بدور الرقابة على سبل إنفاق الأموال المتدفقة من تنظيم الإخوان للجماعات خاصة بعد ما تردد من إتهامات متبادلة بين قادة الجماعات بإختلاس الأموال ، هذا فضلاًعن الوقوف على مستوى التدريب وصلاحية التسليح بالتنسيق مع سياف رئيس حزب الإتحاد الأفغانى .

ونأتى لنشاط آخر للأفغان المصريين فى بيشاور ويتمثل فى إصدارنشرة دورية بإسم "المرابطون" ويشرف على إصدارها محمد شوقى الإسلامبولى وآخرون وتضطلع بالترويج لأفكار الجماعة من ناحية ، والإعلام عن أنشطتهم من ناحية أخرى توطئه لإمكانية جمع التبرعات لصالحهم وتأكيدا على شرعية وعلانية وجودهم فىأفغانستان ، وتستكتب أسماء معروفة مثل راشد الغنوشى زعيم ما يسمى بحركة النهضة فى تونس وفقيه الإرهاب الأشهر عمر عبد الرحمن بالطبع وآخرين يتم تهريب كتابات بعضهم من السجون مثل كرم زهدى وعبود الزمر وناجح إبراهيم أو تنسب لهم بالإضافة لبعض الإفتتاحيات التى يخطها عادل حسين وآخرون من صحيفة الشعب الناطقة بلسان حزب العمل فى مصر .

وقد تضمنت إعترافات مجموعة الأفغان المصريين التى ألقى القبض على عناصرها بالاسكندرية وحوكموا أمام القضاء العسكرى عن علاقات وثيقة بين قلب الدين حكمتيار ووكالة المخابرات الأمريكية التى أضحت فى غيرحاجة إلى إقامة أدلة عليها فضلا عن أن هذه المجموعة هى الحلقة الثانية التى تم تصديرها لمصر بعد نجاح المجموعة الأولى من ضرب أهداف ومنشآت سياحية ، الذين إعترفوا تفصيليا أمام النيابة العسكرية بدور التنظيم العالمى للإخوان المسلمين فى تمويلهم ودور الخرطوم فى تأمين هروبهم وتزويدهم بوثائق السفر وتمكينهم من دخول بيشاور والتحايل على دخول مصر والإتفاق مع بعض جيوب التآمر داخل مصر فى شراء المتفجرات من أصحاب المحاجر ليتمكنوا من تنفيذ عملياتهم ، وتعول قيادات الجماعة الإسلامية داخل مصر كثيرا على دور هؤلاء العائدين من بيشاور لكونهم تلقوا جرعة كبيرة من التدريب وخاضوا غمار حرب حقيقية واعتادوا على مواجهة الظروف الصعبة وخبروا وسائل حرب العصابات والمدن

وربما لايعلم البعض أن أبرز نجوم الإرهاب التى قامت بأحداث عام ١٩٨١ فى مصر قد سافروا لأفغانستان وخاضوا جانبا من التجربة ومنهم على سبيل المثال لاالحصر صفوت عبد الغنى الذى أمضى قرابة عامين فى أفغانستان ، وشريف أحمد الشريف الذى اغتال المقدم عصام شمس فى حى عين شمس ، وشعبان رجب على وشريف حسن أحمد المتهمان فى أحداث السياحة ومازالت فى جعبة بيشاور المزيد من الحمم التى تقذف بها فى كل إتجاه ولايزال القطار يعدو من محطة لأخرى .

الفصل الثانى

أسـامـة بن لادن
مـؤسسة لتمويل وتصدير الإرهاب العابر للحدود

على الرغم من إنتساب أسامة بن لادن لواحدة من أشـهر وأكـثر العـائلات السعودية ثراءً .. إلا أنه لم ينل شهرة أشقائه عبد العزيز وخالد وطارق فى أوساط رجال المال والأعمال ، فقد فضل الرجل طريقاً آخر ذاع صيته فيه باعتباره أبرز ممولى جمـاعات الإرهاب الدينى الموجودة على السـاحة الإقليميـة والدوليـة ، وخاصة بعد أن توطدت وتشعبت علاقاته برموز التيارات المتطرفة فى عدة بلـدان عربية وأوربية، وكانت بدايته الحقيقية مع التنظيم العالمى للإخوان المسلمين مـن خلال شخص الفلسطينى عبد الله عـزام الذى لعب دوراً بالغ الخطورة فى حياتـه كما سيأتى فيما بعد ، ولا سيما أثناء الحرب الأفغانية حينما عهد إليه بأمر إسـتقدام قوافل المتطرفين من كل صنف ولون إلى أفغانستان ولو كلفه الأمر إنفاق ملايين الدولارات من جيبه الخاص لتمويل عملية التسـفير من وإلى بيشـاور ليجـاهدوا الكفار والمشركين ليس فى أفغانستان وحدها بل فى كل بقـاع المعمـورة .. مـن السودان إلى الشيشان .. ومن الجزائر إلى البحرين ،

وفى البداية فإن أسامه سليل الأسرة الثرية الذى لم يكن يعـرف سـوى لغـة الأرقام والحسابات المصرفية وعمليات البناء والمقاولات شأنه فى ذلك شأن بقيـة أفراد أسرته الذين كانوا قد أسسوا معاً فرعا لمؤسسة "بن لادن" فى فيلا بالقـاهرة تحمل رقم ١٩ شارع جامعة الدول العربية بحى المهندسين الراقـى بالقـاهرة ، ولكن مع بداية الغزو السوفيتى لأفغانستان والحملـة الدعائيـة الضخمـة لدعـم

شاركت فى هذه الحملة جمعيات أهلية ومؤسسات رسمية فى معظم البلدان العـربية ، ولقيت دعماً مادياً ومعنوياً من أجهزة الإستخبارات الغربية وخاصـة الأمريكية التى لعبت مع أجهـزة باكستانية دوراً رئيسياً فى تصعيد فصائل (المجـاهدين) رفاق الأمس الذين إنقلبوا على بعضهـم البعض وصاروا خصوم اليوم على النحو الذى أصبح يشكل ظاهرة غير مسبوقة فـى التـاريخ الحديث .

المجاهدين بزغ نجمه فى أعقاب إفتتاحه بيت ضيافة فى جدة أطلق عليه اسم "بيت الأنصار" وأطلق على القادمين إليه "المهاجرين".

وعن الوصول إلى بيت الأنصار - وحسب ما رصدته أجهزة الأمن - فقد كان يتم من خلال عدة طرق كلها تبدأ بأسامة بن لادن الذى تفرغ لرعاية آلاف القادمين من كل البلدان العربية والإشراف على عملية تسفيرهم إلى بيشاور .

الطريق الأول الذى كان يمر بفرع مؤسسة بن لادن فى القاهرة ، والتى كانت تقوم بتسفير أعداد كبيرة من العمال المصريين للعمل فى شركات المقاولات التابعة للمؤسسة ، ويندس وسط هذه الأفواج من العمال عناصر من المتطرفين الهاربين من متابعة أجهزة الأمن التى كانت ترى فى رحيلهم حينئذ فرصة للتخلص منهم وكما تشير المعلومات فإن إحدى تأشيرات الدخول كانت جماعية وتم من خلالها تسفير ٢٠٠ عامل معظمهم من العناصر المتطرفة المنتمين لتنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية .

أما الطريق الثانى فقد كان من خلال مكتب الإغاثة فىالقاهرة - وغيرها من البلاد العربية - والذى لم يكن معترفاً به رسمياً من جانب السلطات المصرية لإعتراض أجهزة الأمن على نشاطه داخل البلاد وقتئذ ، وقيامه بتسفير أعداد من المتطرفين إلى الخارج للعمل فى مكاتب الإغاثة فى بيشاور ، والتى وصل عددها على مستوى العالم ١١٢ مؤسسة بين مستشفيات ومراكز طبية ، كما أن مؤسسة بن لادن - وعبر مكاتب الإغاثة -كانت تدعم ١٥ مؤسسة صحية عالمية كلها تعمل فى بيشاور وتقبل المتطرفين القادمين للجهاد للإنخراط فى صفوفها ، وقد بلغ عددهم حينذاك أكثر من ٧٠٠ عربى و ٢٠٠ مصرى على رأسهم محمد شوقى الإسلامبولى الذى صدر بحقه فيما بعد حكم قضائى بالإعدام فى القاهرة ، والذى كان يعيش فى جلال أباد داخل أفغانستان وقد بلغت ميزانية مكاتب هيئة الإغاثة حينئذ ٤٥ مليون ريال سعودى وفقا لإعترافات أحد المتهمين عقب عودته من بيشاورعام١٩٩٤ .

ويبقى الطريق الثالث الذى يمر من خلال بيت الأنصار فى جدة ، وقبل الإنتقال منه إلى بيت الأنصار فى بيشاور - والذى أسسه اسامة بن لادن والشيخ

الفلسطينى عبد الله عزام - يمر بمكتب رابطة العالم الإسلامى فى مصر ، والتى كان يرأسها حينئذ الدكتور عبد الله عمر نصيف ، والذى ظل يحاول الحصول على ترخيص لمباشرة نشاط رسمى داخل مصر وقد رفضت أجهزة الأمن المصرية منحه الترخيص رغم إلحاح الشيخ وائل جليدان مسئول الرابطة فى بيشاور على فتح مكتب القاهرة للمساهمة فى تسفير المزيد من الشباب - ولهذا الأخير باع طويل فى رعاية الإرهاب كما سيتضح فيما بعد - وكان قد ترك دراسته الجامعية فى الولايات المتحدة الأمريكية ليتفرغ لإقامة مكاتب الرابطة وغيرها فى شتى أنحاء العالم العربى والإسلامى .

ووفقاً لما رصدته أجهزة الأمن المعنية وقتئذ فإن فلم يكن ما تنفقه مؤسسة "بن لادن" لرعاية المتطرف الواحد أثناء سفره إلى بيشاور يزيد على ٣٠٠ دولارفقط .. يحصل منها المتطرف على ١٨٠ دولارا قبل سفره من فرع المؤسسة فى القاهرة ، والباقى يحصل عليه عندالمغادرة وقبل أن تقله الباخرة إلى جدة ، حيث يتسلمهم مندوبو "**بيت الأنصار**" ، وفى إعترافات شريف حسن أحمد مسئول التسليح والمتهم الثامن فى قضية "العائدين من أفغانستان" يؤكد : "أن المندوبين كانوا يسحبون منا جوازات السفر المصرية ويعطوننا بدلا منها وثيقة سفر عليها شعار مؤسسة بن لادن بعد عشرة أيام نقضيها فى بيت الأنصار الذى يعج بالوافدين من كل الجنسيات ، ولم يكن يسمح لنا بمغادرة المكان إلا على المطار الدولى مباشرة وبوثيقة سفر تحمل إسم كنية مثل "أبو حازم" مثلاً وهى كنية مصطفى حمزة أو "أبو خالد" وهى كنية محمد شوقى الإسلامبولى وهكذا " .

لكن يبقى السؤال الأهم وهو : ماذا كان يفعل بن لادن بهؤلاء المتطرفين فى بيشاور ؟ .. هذا ما سنحاول الإجابة عليه فى السطور القادمة .

والحقيقة المريرة أن الإحساس بالخطر القادم من أفغانستان كان - كالعادة - متأخراً ، وبالتحديد عقب إلقاء القبض على صفوت عبد الغنى متهماً فى حادث إغتيال رفعت المحجوب وحينذاك إستشعرت الأجهزة خطورة هؤلاء العائدين من بيشاور لما أحاط بتنفيذهم لعملية الإغتيال من ملابسات تنم عن حنكة فى التخطيط ، ومهارة فى الأداء ، وإحتراف غير مألوف أو متوقع من جانب الجناة .

فحينما سأل المحقق صفوت عبد الغنى عن دور - المدعو - أسامة بن لادن فى الجبهه الأفغانية إبتسم صفوت للمرة الأولى ومضى يحكى عن ذلك الشاب السعودى الذى يمتلك مع أشقائه مؤسسة ضخمة ولم تكن إهتماماته تتجاوز متابعة سباق الهجن وشراء الخيول العربية حتى حدث الغزو السوفيتى لأفغانستان فسافر إلى "لاهور" بعد ١٧ يوما فقط من الغزو وقابل أمير الجماعة الإسلامية بباكستان وسلمه مائة ألف دولار أمريكى وبعدئذ توالى حضوره متبرعاً حتى عرف أماكن تواجد قادة المجاهدين الأفغان فتقابل معهم .

وكان فى هذه الأثناء الشباب العربى يتوافدون من معظم البلاد العربية إلى بيشاور فرادى حتى إستأذن "بن لادن" حكمتيار الذى توطدت صلته به فى تنظيم التواجد العربى هناك وذلك بإنشاء مكتب لإستقبال هؤلاء العرب ووقع الإختيار على الإخوانى الفلسطينى عبد الله عزام لإدارة هذا المكتب ، ورغم تخبط سيره فى بداية الأمر إلا أنه كان نقطة البداية لذلك الدور الفعال الذى أداه المتطرفون العرب الذين عرفوا فيما بعد " بالأفغان العرب " .

نعود للإعترافات التى أدلى بها المتهمون فى قضية "العائدين من أفغانستان" والذين رسموا من خلال إعترافاتهم الملامح الحقيقة لدور بن لادن الغامض فيقول أحدهم وهو المتهم شريف حسن (أعدم بعد إدانته قضائياً) أمام النيابة العامة :

(إستأجر أبو عبد الله -كنيةبن لادن- منزلا كبيراً مكوناً من عدة طوابق فى إحدى ضواحى بيشاور ، وقام بتجهيزه بالمفروشات والأثاث ثم أنشأ مكتبة ضخمة فقد كان يهتم بتثقيف هؤلاء القادمين للجهاد ، وكان ينفق على الكتب وحدها نصف مليون روبية أى ما يساوى حينئذ خمسة وعشرين ألف دولار أمريكى وأوكل إدارة وتنظيم أمور المكتب إلى أخيه المجاهد الشيخ عبد الله عزام الذى شكل عدة لجان وهى اللجنة العسكرية والتى تختص بالتدريب العسكرى وتعليم فك وتركيب واستعمال الأسلحة ودراسة طوبوغرافيا الأراضى الأفغانية وكان يشرف على هذه اللجنة عدد من الإخوة الأفغان التابعين لحزب حكمتيار

ملف وتحقيقات النيابة وإعترافات المتهمين فى قضية إغتيال رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصرى السابق .

إنقلب على حكمتيار فيما بعد وانضم لخصومه (حركة طالبيان) ويعيش هنالك الأن فى حمايتهم بمنطقة جبال الهندكوش .

الذين يعرفون جغرافية البلاد وطبيعة القتال فيها ، ثم اللجنة الإدارية التي تتولى إدارة شئون الشباب العربى من ملبس ومأكل وإقامة وندوات وقد تعاقب على رئاسة هذه اللجنة عدد من الشخصيات التى لم يعرف الشباب إلا أسماء الكنية لهم مثل أبو هاجر العراقى، وأبو أسامة الفلسطينى وأبو داود الأردنى وأبو محمد السودانى ، وحينما تكررت الشكوى من سوء إدارتهم جميعا حسم الشيخ أسامة الأمر بقدومه شخصياً للإقامة بشكل دائم فى بيشاور بدلا من التردد جيئة وذهاباً إلى الجبهة الأفغانية ، ولم يكن من المقبول أن يظل مكتفياً بدور الممول فحسب، بل رأى أن يتجاوز ذلك إلى حد القيام بمشروعات ميدانية من شأنها أن تحول الوجود العربى من حالة الشتات والعمل الفردى إلى إقامة جبهة عربية كاملة وبدأ بإنشاء معسكر بمنطقة متآخمة للحدود الأفغانية هو معسكر(صدى) الذى خصص للتدريب الأولى السابق على الإلتحاق بالجبهة ، ثم أنشأ معسكرا آخر داخل الأراضى الأفغانية هو معسكر (جاجى) الذى إختار موقعه بشكل جيد بين سلسلة من الجبال والكهوف تفاديا للقصف الجوى فى الوقت الذى لم يكن لديه أسلحة مضادة للطائرات حينئذ، أما الذى حدث فى أكتوبر عام ١٩٨٦فقد توجه بن لادن وعبد الله عزام والقائد الأفغانى حكمتيار إلى لاهور وهناك تقابلوا مع شخص أمريكى – عرفنا فيما بعد أنه موفد من قبل المخابرات الأمريكية لدعم المجاهدين الأفغان ضد السوفيت ، ولم يكن فى ذلك بأس حسبما أفتى لنا العلماء – والذى عرض عليهم أن يزودهم بالأسلحة الدفاعية والهجومية والذخيرة مقابل نفقات الشحن فقط التى أبدى (أبو عبد الله) إستعداده التام لتحملها وهكذا تدفقت شاحنات مؤسسة بن لادن تحمل أطناناً من الأسلحة والذخائر بالإضافة لمعدات الحفر والبلدوزرات اللازمة لإنشاء الطرق فى الجبال وحفر الأنفاق والخنادق وأيضا مولدات الكهرباء الضخمة لتزويد المعسكرات بالطاقة الكهربائية ورأت "**مأسدة الأنصار**" النور كأول كيان عربى عسكرى متكامل ، وفى الوقت نفسه تدفقت أعداد غفيرة من الشباب العربى إلى بيشاور بفضل الله تعالى وجهود إخوة مخلصين فى كل الأقطار العربية من ناحية ، والدور الذى لعبه أخ سعودى آخر هو وائل جليدان والمكنى "بابى الحسن المدنى" من ناحية أخرى والذى قام بعدة جولات مكوكية لمعظم العواصم العربية لدفع نفقات سفر الشباب إلى المأسدة وكانت

® عرف فى البداية ببيت القاعدة ، وهو أول بيت ضيافة أقيم فى هذه المنطقة .

السلطات الأمنية حينئذ لاترى غضاضة فى رحيل هؤلاء الشباب إلى بيشاور ، بل ربما رأت أن هذه هى الوسيلة المثلى للتخلص منهم .

وفى هذا التوقيت كانت بذور الخلافات بين الفصائل الأفغانية قد بدأت تظهر على الساحة وتتشكل على النحو الذى وصل لحد الإقتتال ، فحينما كان رأى قلب الدين حكمتيار وأنصاره أن هؤلاء العرب بما لديهم من أموال وأسلحة وبعض الخبرات العسكرية السابقة - كالشباب السورى والمصرى - أنهم جواد رابح يستحق الرهان عليه ؛ بينما كان حزب برهان الدين ربانى وقائد قواته حينئذ "**سازنور**" يبديان تحفظاً شديداً تجاه مشاركة العرب ودور أسامة بن لادن بل ويرفضان تماما مشاركتهم مؤكدين أن هؤلاء العرب غير منظمين ولايريدون سوى الإستشهاد .. وأن أهداف بن لادن محاطة بغموض ما .. ولذلك لجأ الرجل إلى صديقه حكمتيار الذى أفهمه بأن حسم هذا اللغط يقتضى أداء مهمة جهادية محددة يثبت فيها رجاله العرب قدرتهم على القتال وكانت المجموعة الأولى قد أنهت تدريباتها فى معسكر صدى وتم ترحيلهم إلى معسكر جاجى المعروف بـ - المأسدة - لدخول أول مواجهة عسكرية وقد حضر خصيصاً لهذا الغرض القائد الأفغانى عبد رب الرسول سياف موفداً من قبل برهان الدين ربانى للوقوف على مدى كفاءة وأداء العرب القتالى وقد كونوا كتيبة أولى أسموها "**الخرساء**" لإلتزمهم الصارم بمبدأ السمع والطاعة وتولى قيادتها أبو عبد الله شخصيا وكانت تضم مائة وعشرين شخصا قسموا إلى مجموعتين واحدة متقدمة يقودها محمد شوقى الاسلامبولى- المكنى بأبى خالد - وأوكل لها عملية الإقتحام والثانية مساندة ويقودها السورى أحمد الزهرانى- المكنى بأبى برهان- وتتولى حماية الماسدة وقصف القوات الحكومية بالصواريخ أرض - أرض .. للتغطية على هجوم الأولى) .

وتتوالى الإعترافات المثيرة فيضيف المتهم الثانى فى ذات القضية قائلا :

كنت ضمن مجموعة أبى خالد وكانت العملية الأولى ولحظات الوداع بين الإخوة مؤثرة وكلنا شوق للإستشهاد وفى السادسة مساء كان مقررا أن نقوم بإقتحام موقع أطلقنا عليه "**أم الخنادق**" وقبل وصولنا هناك فوجئنا بالألغام التى وضعها العدو تنفجر فى الشباب بينما انهمرت علينا النيران من رشاش "جرينوف" فى الوقت الذى كان تسليحنا يقتصر على البندقية الكلاشينكوف والقناصة والمدافع

الصغيرة والقنابل اليدوية وقد إستمرت عملية الإلتحـام حتى الصباح ومع بـزوغ الشمس أصدر لنا أبو عبد الله "بن لادن" أوامره عبر الجهـاز اللاسـلكى بـالعودة والإنسحاب وحينما عدنا وقد فقدنا بعض الإخوة امتعض الشيخ سياف وقـرر لنـا صراحة أننا لانصلح إلا لحرب المدن -أى الكر والفر- وانصرف ولكن أبو عبـد الله رفع من معنوياتنا وطلب أن نعـاود الكرة تحت إشراف شـخصى لحكمتيـار الذى إشـترط أن يجتاز الإخـوة العرب دورات تدريبية على يد عدد من الأفغـان التابعين له ، وانتهز بن لادن هـذه الفرصة لتطوير المأسدة فـأصبحت - حتـى إنتهينا من التدريب - تتكون من غرفة للقيادة أطلق عليها " مركز بدر " ثم غرفـة الزيكوياك - وهى مدافع مضادة للطائرات كان قد نجح الشيخ أسـامه فى الحصول عليها من الأمريكان - ثم " غرفـة الطائف" التـى تضـم مستودعـاً للأغذيـة والملابس ويشرف عليها أبو الحسن المدنى وأخيراً "غرفة سـراقة" وهـى كنيـة السعودى "**صالح الغـامدى**" الذى يشرف عليها وتضم مستودعاً للأسلحة والذخيرة ثم سـافر بن لادن إلى السعودية وعاد بعد أسبوعين وهـو يحمـل لنـا البشـرى بحصوله على أسلحة متقدمة مثل مدافع الهـاون ٨٢ والمدفع ١٢ B.M والرشـاش "بيكا " وقواذف صاروخية أر بى جى وكاسحات الغام صغيرة وكميات هائلة مـن الذخائر والقنابل الهجومية والدفـاعية .

المهم بدأت الجولة الثانية والتى ستقرر مدى قدرة العرب وقيادة أبى عبد اللـه على القتال المنظم .. وكانت معركة جلال أباد التى تعتبر المعركة الأولـى التـى سيخوضها بقواته بعد إعادة التدريب والتسليح وفى مواجهة شبه نظاميـة لاتعتمـد على طريقة الكر والفر بل تدور حول إحدى أهم المدن الأفغانيـة والقريبـة مـن العاصمة "كابول" وتمثل أهمية قصوى للجانب الحكومى والسوفيتى آنئذ ؛ وقد قـام بن لادن بتوزيع ١٨ مركزاً حول المدينة وتفوق على المجاهدين الأفغـان أنفسـهم بفضل إمكانياته الأفضل فى وسـائل النقل والأسلحة والذخيرة التى بلغـت حينئـذ ثلاثين شاحنة كبيرة محملة بالذخيرة مما مكنه من القيام بعمليات قصـف مدفعـى منظم ومكثف ضد تجمعات الجـيش الحكومى والقوات السوفيتية وقد تعلـم هـذه المرة أن يبدأ بالإستطلاع فكون مجموعة إستطلاعية برئاسة سوريين ومصرييـن لدراسة مواقع تجمع العدو وتسليحه ونقاط هجومه تمهيداً لبدء العمليـات القتاليـة

وكان بن لادن قد أحضر معه عدداً من الهنود والباكستانيين للقيام بعمليات معاونة كالطبخ وتضميد الجرحى وحشو الأسلحة بالذخيرة حتى يتفرغ الإخوة للقتال .. وبدأت معركة "جلال أباد " .

ومازلنا مع الإعترافات ...والحكايات

(بعد عملية الإستطلاع قرر أبو عبد الله "بن لادن" أن يتخذ من جبل "ثمر خيل" مركزاً للقيادة وقام بتوزيع الفصائل فى مواقع مأمونة بين شعاب الجبال وداخل كهوف المنطقة الوعرة المحيطة بجلال أباد وتم تحصين المواقع تفادياً للقصف الجوى وبدأت مع الفجر عمليات الهجوم على قرية "أداه" التى تعتبر المدخل الغربى لجلال أباد ووضعت خطة لتوزيع الشباب على مجموعة للمسيرة ويقودها السورى نضال أبو دجانة وكنيته (أبو الدرداء) ومجموعة للميمنة ويقودها اليمنى طارق فضلى وهو نجل آخر سلاطين الفضلية فى اليمن ، وأخيرا مجموعة المقدمة التى يقودها "أبو طلال القاسمى" وهو كنية لطلعت فؤاد قاسم بينما رافق أيمن الظواهرى بن لادن للوقوف على سير العمليات والإشراف على علاج الجرحى باعتباره طبيباً ، وبدأت مجموعة الميسرة بالإصطدام بسرب مكون من ست دبابات تعاملوا معها بالمدافع أر بى جى ، بينما قامت مجموعة الميمنة بدك الموقع براجمات الصواريخ وقامت مجموعة طلعت قاسم بإقتحام مركز القيادة الرئيسى وأسروا الدبابات الست من طراز ت ٦٢ والتى استطاع بعض السوريين والمصريين إستعمالها بعد فترة وجيزة من تدريب الأفغان لهم عليها ولكن القوات الحكومية والسوفيتية عاودت الهجوم عليهم بالنيران الكثيفة من الطائرات وأطلقوا على مواقعهم صواريخ سكود الروسية وهى صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن - قبل التعديل العراقى عليها لجعلها بعيدة المدى - واشتبكت معهم قوات بن لادن براجمات الصواريخ لكنهم لم يصمدوا أمام طائرات وصواريخ الروس فأمرهم بن لادن بالإنسحاب إلى منطقة خلفية هى "طورخيم" ثم إجتمع بالشباب العربى وخطب فيهم قائلا "من المحتمل أن يكون نجاح العدو فى هجومه علينا بسبب معاص إرتكبناها ولابد من الإستفادة من الأخطاء التى وقعنا فيها" ، ثم

يشير أحمد راشد إلى ممارسات الشباب العربى هناك كالإقتتال على السبايا من المجندات الروسيات والغنائم وسرقة بعضهم البعض .

وضع تخطيطا جيدا للقتال يأخذ باساليب الإخفاء والتمويه وتأمين الأسلحة والمعدات وكان الأخوة قد اكتسبوا خبرة قتالية شدت إليهم أنظار قادة الأفغان من ناحية أخرى بوصفهم قد أصبحوا قوة لايستهان بها) .

إنتهت الإعترافات حتى هنا لكن دور أسامه بن لادن لم ينته حتى الآن بل إنتقل إلى مواقع أخرى وتحالف مع آخرين ولم يزل مقيماً فى جبال الهندكوش داخل الأراضى الأفغانية حيث أعلن عن إقامة ما أسماه "**بالإمارة العربية** " لأعوانه من الأفغان العرب مستغلا فى ذلك صلاته بحركة طالبيان التى تمكنت من الإستيلاء على السلطة مؤخراً فى أفغانستان، ويتردد على السودان قبل أن يبعده حكامها إستجابة للضغوط السعودية ، وعلى إثر إبعاده يتهم حلفاء الأمس فى جبهة الإنقاذ السودانية بتدبير محاولتين فاشلتين لإغتياله مما أضطره للعودة إلى أفغانستان مرة أخرى ، وها هو يدخل لندن ويغادرها سالماً غانماً بطريقة غامضة ليقيم المؤتمرات ويعقد الصفقات الأكثر غموضا .

أما الآن فهو على حد تقارير غربية من بينها تقرير صحفى لمراسل "الأندبندنت" البريطانية (**روبرت فيسك**) الذى إلتقى به فى إمارته المزعومة الواقعة فى المناطق الجبلية الوعرة المتآخمة لمدينة جلال أباد حيث يتمتع بحماية حركة طالبيان ويعاونهم بهؤلاء المغامرين من أتباعه الذين جعل منهم قوة عسكرية يعول عليها الأطراف المتصارعون بعد أن إنفض موسم العنف "الشرعى" فى أفغانستان وحمل الإخوة السلاح فى وجوه بعضهم البعض لم يعد لهؤلاء الأنصار العرب سوى دور المرتزقة لصالح بن لادن الذى يقول عنه الصحفى البريطانى أنه يدير شئونه باستخدام الكمبيوتر وأجهزة إتصالات حديثة مؤكداً أنه يتلقى خدمات اخبارية سواء عن طريق الصحف التى ترد إليه بشكل منتظم من لندن وبعض البلدان العربية أو عن طريق شبكة الإنترنت .

ويبقى أتباعه ومريدوه الذين لا زالوا ينادون بعضهم البعض بأسماء الكنية التى ذكرها المصدر نفسه فهذا أبو عبيدة وذاك أبو دجانة وثالث أبو صهيب ورابع أبو ذر وخامس يدعى أبو الدرداء وهكذا .. لم يبق أمامهم فى القريب سوى محاولة

العودة إلى بلادهم بعد أن خبروا فنون القتال وخاضوا أشرس حروب العصابات.. وعاشـــوا لحظات الخطر وذاقوا بعضا من لحظات النصر .. فلمـــاذا لايعـــاودون الجهاد ضد مواطنيهم - وهم الكفار فى فقههم وفكرهم - بعـــد أن أتمـــوا دورات تدريبية مجانية مقــدمة كمنحة من رجل الأعمال صاحب المؤسسات الـــذى هبــط عليه الوحى فجـــأة يأمره بالرحيل إلى أفغانستان لينفـــق الملاييـــن .. ويخـــوض المعارك .. ويتحالف بعض الوقت مع السودان .. وبعضه الآخرمـــع الطالبـــان .. ومعظم الوقت مع الشيطان .. ويدلى بأحديث لصحف لندن ومحطـــات التلفزيـــون العالمية (كان آخرها لقاء أجراه مراسل الـــ سى إن إن) ليعلن فيه عن قيام إمـــارة وهمية لا وجود لها إلا فى خياله المريض .

الفصـــل الثـــالث

رجــل .. لكل الجـماعات
الظواهـرى .. مـن بيشاور .. إلى القـناطر

الحديث عن العملية الإنتقامية التى نفذتها عناصر الإرهاب فى صاحب معرض سيارات "أبو يحيى" بشبين القناطر – سنتناولها تفصيلياً فى موضع آخر من هذا الكتاب – لابد أن يسوقنا للنبش فى جذور قضية محاولة اغتيال عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق بوصفها القضية الأم التى تفرعت منها هذه الواقعة .

وتناول محاولة اغتيال عاطف صدقى لايمكن أن يمر دون التنقيب فى كهوف ودهاليز أوكار صناعة وتصدير الإرهاب خارج مصر أو ما يعرف فى أوساط المراقبين لهذه الظاهرة بالإرهاب العابرللحدود .

ومن هنا ينبغى أن تكون البداية :

ففى عام ١٩٨٧ افتتح الظواهرىمركزاًخاصاً بتنظيم الجهاد لصناعة وتصدير الإرهاب فى بيشاور تحت مسمى "**مكتب الجهاد الإسلامى**" وأصدر مجلة شهرية تحمل إسم "الفتح" وذلك إثر إنشقاقه عن الجماعة الإسلامية فى أعقاب إتهامات متبادلة مع قادتها بإختلاس أموال قدرت بملايين الدولارات ، ولم تكن هذه هى البداية فقد كانت قبل ذلك بكثير وبالتحديد فى أواخر عام ١٩٦٧ ، وبالتحديد فى أعقاب النكسة حينما أفتى شخص يدعى رفاعى سرور بإستباحة محلات الذهب المملوكة للأقباط فيما عرف لاحقاً **بفتوى الإستحلال** ، ليضع بذلك أيدى عناصر الإرهاب على أهم مصادر تمويلها تحت غطاء الشرعية المزعومة .

ورفاعى سرور هو أيضاً أول من نادى بضرورة اتباع مبدأ "التقية" وأباح عدم ضرورة الإلتزام بالمظهر السلفى الذى يتمسك به أعضاء الجماعات المتطرفة كإطلاق اللحى .. وارتداء الجلباب وخلافه .

ورغم كل هذا ظل سرور كائنا سريا يعرف برجل المهام السرية حتى ألقى القبض عليه فى قضية الإنتماء لتنظيم الجهاد فى أعقاب اغتيال السادات وسجن حتى أفرج عنه فى بداية عام ١٩٨٤ ومعه أيمن الظواهرى الذى قرر السفر إلى أفغانستان قرارا من أجهزة الأمن .

بينما فضل رفاعى الإقامة بمصر واتخذ من منزله بحى المطرية مقرا لإستقبال الآلاف من المتطرفين القادمين من شتى بقاع مصر ليصبح رفاعى بمثابة المرجع الفكرى والحركى لكل من تساوره نفسه فى الانضواء تحت لواء أية جماعة متطرفة ، ثم أعلن عن بداية إقامته لمشروع ضخم – على حد تعبيره– يتمثل فى إنشاء مجمع اسلامى كبير بمنطقة الخصوص بالقليوبية بزعم تخصيصه لإيواء المطاردين والمنشقين على الجماعات ، واستطاع عام ١٩٨٥ جمع مائة ألف جنيه من أعضاء الجماعات واستولى لنفسه عليها ليؤسس بها منزلا له بالحضرة بالاسكندرية ، ثم قطع صلاته –استراتيجيا – بعناصر التطرف واتخذ من أحد المساجد بالاسكندرية مقرا له يدعى علاج المرضى فيه بالقرآن ليكون أيضا أول من ينشر هذه المهنة التى تثير حولها العديد من علامات الاستفهام وتتطلب وقفة معها .. وهذا ما انتهى إليه أمر رفاعى سرور الذى تحول إلى مشعوذ مطارد من الأمن والمتطرفين فى آن واحد .

أما الظواهرى الذى إلتقط الفكرة من رفاعى سرور فقد سافر للسعودية وهناك تعرف على أسامة بن لادن وأعوانه واستطاع إقناعهم بشخصه ومنهجه ورؤيته فى توظيف ساحة الجهاد الأفغانى لتدريب كوادر عربية تمهيدا لإعادة تصديرهم لبلادهم مرة أخرى لتحريرها من الطواغيت .

وما حدث فيما بعد حينما تحولت بيشاور إلى أكبر سوق حرة لصناعة وتصدير الإرهابيين فقد تولى بن لادن ورجاله أمر تقديم الظواهرى للقادة الأفغان مثل قلب الدين حكمتيار وسياف وأحمد شاه مسعود وأخيراً حركة طالبيان بوصفه مجاهداً مصرياً قادماً لمعاونتهم ضد الروس ، وسمح له بإنشاء دار ضيافة للقادمين العرب سمى "بيت القاعدة " راح يستقبل مئات الشباب القادمين من مصر

والعراق والجزائر وتونس وفلسطين والسودان والسعودية والكويت وغيرها ، بعضهم هارب من متابعة أجهزة الأمن ، والبعض الآخر فار من أحكام قضائية صدرت بحقه .

فى هذه الأثناء كان هناك شخص فلسطينى هو عبد الله عزام الذى قتل مع اثنين من أبنائه فى عملية اغتيال لايزال يكتنفها الغموض حتى الآن ، وقد لعب عبد الله عزام دورا قويا فى تعزيز وجود الظواهرى ودعمه ماليا وتوطيد أواصر التعاون وتقديم التسهيلات من قبل القادة الأفغان ، وحتى استقر الأمر للظواهرى فى بيشاور مضىيمارس دوره كطبيب يعالج جرحى قوات سياف التى تخوض المعارك داخل الأراضى الأفغانية حول مدن جلال أباد وخوست وجاجى، وقد مهد له الطريق المهندس أحمد شاه مسعود "وزير داخلية حكمتيار فيما بعد" للقاء شاب مصرى يدعى عدلى يوسف ويكنى "بصهيب المصرى" والذى لم يكن عمره يتجاوز العشرين عاماً حينما وصل بيشاور قادماً من إحدى قرى مركز بنى مزار بالمنيا ، وإنضم للمجاهدين الأفغان ، وأصبح فيما بعد ضابط الإتصال بين القادة الأفغان والقادمين العرب إلى بيشاور ثم مدرباً لقن آلاف العناصردروساً فى إستعمال الأسلحة والتعامل مع المتفجرات وقواعد الطبوغرافيا العسكرية وحرب المدن ، ثم عاد عام ١٩٨٥ إلى مصر ليدعو شباب الصعيد بجامعتى المنيا وأسيوط للسفر إلى أفغانستان للجهاد فى أفغانستان ، وقد إستجاب له الكثيرون على رأسهم طلعت فؤاد قاسم الذى كان حينذاك يبلغ من العمر ٣٤ عاما ، وقد تخرج فى هندسة المنيا ، وشملته قائمة الإتهامات فى قضية اغتيال السادات بوصفه المتهم الحادى عشر ، وصدر ضده حكم بالسجن سبعة أعوام تمكن خلالها من الهرب عام ١٩٨٨ إلى السودان ، ومنها إلى صنعاء ثم كراتشى مروراً بدبى ، حتى إستقر به المقام أخيراً فى بيشاور .. وهناك تمكن من سحب بساط النفط من تحت أقدام الظواهرى واستحوذ على معونات مالية ضخمة كانت تقدمها منظمات الإغاثة ذات المسميات المتعددة ، فضلا عن أشخاص عرب مثل أبى الحسن "وائل جليدان" - سعودى - وأبى حفص "زاهد الشيخ" - كويتى - .. وغيرهما ، واستطاع فى شهور قلائل أن ينشئ دار ضيافة أفضل من تلك التى أنشأها الظواهرى ، وسماها "بيت الأنصار" وأصبح فى خندق المنافسة مع جماعة الظواهرى .

ثم ما لبثت هذا المنافسة أن تحولت إلى صراع مكتوم أخذ يفصح عن نفسه شيئاً فشيئاً مع تواقد المزيد من القادمين الجدد من مصر والبلاد العربية ، وانضمام أغلبهم تحت لواء طلعت قاسم مثل محمد شوقى الإسلامبولى الذى سبقته سمعته كأخ لخالد الإسلامبولى قاتل السادات ، ثم مصطفى حمزة وطلعت يس همام وآخرين لبيت الأنصار .

وفى الوقت الذى إنضوى فيه نزيه نصحى راشد ومحمد مكاوى تحت راية الظواهرى وهو الأمر الذى أشعل الصراع بينهما (الجماعة والجهاد) ليتخذ مظهراً دعائياً وإعلامياً عقب إصدار مؤسسى بيت الأنصار "الجماعة الإسلامية" مجلة "المرابطون" بينما أصدر الظواهرى وجماعة الجهاد مجلة "الفتح"، ومقابل الدعم النفطى لأعضاء ما يسمى بالجماعة الإسلامية إرتمى تنظيم الجهاد فى أحضان إيران ورجالها فى بيشاور ، مما أثار عليه حفيظة أصحاب رؤوس الأموال النفطية وقرروا معاقبته بالمزيد من المعونات لبيت الأنصار والجماعة الإسلامية فضلا عن الدور القوى فى دعم القوى الأفغانية وتأثيرها فى مجريات الأمور فى بيشاور ، وهو ما ترتب عليه بمجرد إنتهاء الحرب الأفغانية أن أصبح الظواهرى وأتباعه أشخاصا غير مرغوب بوجودهم هناك وتصاعد الخلاف بين الجماعة والجهاد لحد التكفير المتبادل ومحاولات الإغتيالات وهو الأمر الذى دفع الظواهرى ومكاوى للبحث عن محاور جديدة ومحطات بديلة ومن هنا كانت المحطة السوادنية التى أعقبتها المحطات الأوربية فى لندن وكوبنهاجن على النحو الذى سنفصله فيما بعد ، وقد كانت البداية فى السودان بمعسكراتها المدعومة من طهران ، وهو ما كشفت عنه العديد من العمليات الإرهابية التى وقعت فى الصعيد وإعترافات المتهمين فيها بتهريب الأسلحة فضلاً عما كشفته عملية أديس أبابا من أدلة إدانة قضائية بحق النظام السودانى .

نعود مرة أخرى إلى تحالف الظواهرى مع عناصر الجبهة الذىلم يستمر طويلا وبالأحرى لم يرق للظواهرى الذى شعر أن قادة الجبهه السودانية يسعون لسحب البساط من تحت قدميه ، فأوعز لنائبه محمد مكاوى بالتحالف مع "الأفغان اليمنيين" الذين أبرموا معه إتفاقاً يقضى بإستضافة أعداد من جماعته على دفعات

حتى لايثير الأمر شبهه السلطات الرسمية هناك وأطلق الظواهري على المجموعات التى أخذت تتدفق على صنعاء "طلائع الفتح" نسبة لمجلة "الفتح" التى كان يصدرها التنظيم فى بيشاور، وتأتى إعترافات المتهم الأول فى قضية محاولة إغتيال عاطف صدقى وهو السيد صلاح سليمان والذى تولى عملية إعداد تشغيل الدائرة الإلكترونية لجهاز الريموت كنترول لتفجير العبوة الناسفة التى وضعت داخل السيارة الأوبل التى إعترضت موكب عاطف صدقى مؤكداً أن مجموعته من طلائع الفتح كانت تسمى بطليعة "**جند الله**" والتى كان يتولى إمارتها نزيه نصحى راشد الذى لقى مصرعه إثر قيامه بتفجير نفسه فى عملية إنتحارية إستهدفت محاولة إغتيال حسن الألفى وزير الداخلية ، ويضيف السيد سليمان أن هذه المجموعة كانت قد تلقت تدريبات مكثفة داخل الأراضى الأفغانية على إستخدام الأسلحة الثقيلة كالدبابات والصواريخ المضادة للطائرات وللدبابات ، وعمليات إزالة الألغام وزرعها ، ثم إنتقلوا إلى صنعاء فأقاموا بعدد من المعسكرات المتاخمة للمناطق الجَبلية كمعسكر بدر والقادسية والمراقشة ، وهناك تلقوا تدريبات من نوع آخر تتمثل فى الأمور الفنية لحرب العصابات كاستخدام الأسلحة الدفاعية والهجومية الخفيفة مثل الكلاشينكوف والمسدسات سريعة الطلقات والتعامل مع المتفجرات وأجهزة التوقيت "التايمر" ، والتحكم من بعد "ريموت كنترول" وقد كان يتولى عمليات التدريب هناك أشخاص تحيطهم هالة من الغموض حول هويتهم أو أسمائهم – وفقا لإعترافات ورواية المتهم – الذى يؤكد أنهم لايستخدمون أسماء حقيقية بل لكل منهم كنية وإسم حركى .

وبعد فترة من التدريب لاتزيد على ثلاثة شهور ، كان المدربون يرشحون أعداداً منهم فى مجموعات لاتتجاوز العشرة لتكليفهم بدراسة شفرة يتم التعامل من خلالها بعد تلقينها لهم ثم يمنحونهم جوازات سفر مزورة لاتشتمل على تاشيرات دخول لليمن أو باكستان حتى لاتضعهم فى دائرة الشكوك لدى أجهزة الأمن فى حالة عودتهم عبر المنفذ البرى الليبى – السلوم أو عبر الحدود الأردنية العقبة – نويبع .

ومازلنا مع إعترافات المتهمين حيث تأتى أقوال المتهم طارق عبد النبى الفحل أمام النيابة العسكرية لتزيح الغموض عن سؤال يلح على أذهان كل المراقبين لهذه

القضية ، وهو كيف حصل هؤلاء على الأسلحة والمتفجرات وأدوات التفجير عن بعد وأجهزة الميقاتى وغيرها ؟ .. فيقول الفحل إن أسلوب التدريب الذى تلقاه هو ومجموعته فى صنعاء يعول على توفير الخامات الأولية واستخدامها من أشياء يمكن توفيرها ببساطة فى أى مكان ولاتثير فى ذاتها شبهه أحد فالمتفجرات يمكن الحصول عليه من أصحاب المحاجر ، والأسلحة لها سوق فى صعيد مصر ولدى الأعراب فىالشرقية والقليوبية ، فضلا عن تعديلات تعلموها تجرى على مسدسات الصوت لتصبح حقيقية بمجرد تغيير الماسورة وخزينة الطلقات ....

أما إعداد الدوائر الكهربائية المستخدمة فى تصنيع أجهزة الريموت كنترول فقد استعاضوا عنها باستخدام أجزاء معينة من أجهزة الراديو كاسيت ولعب الأطفال وتدربوا على طرق فك الدوائر الالكترونية وتركيبها حتى تخصص بعضهم فى هذا المجال مثل السيد صلاح سليمان مثلا الذى يقول فى إعترافاته :

"قبل أن أقرر أنا ومجموعتى مغادرة اليمن فى اتجاهنا لمصر تقابلنا مع الأخ محمد مكاوى الذى كان قادما ومعه تكليفات من الدكتور - يقصد الظواهرى - وأكد لنا أنه سرب للصحافة الأجنبية معلومات خاطئة عن خلاف وهمى بينه وبين الدكتور حتى يضلل الأمن والجماعة الإسلامية التى قامت بالعديد من الأحداث داخل مصر فى الوقت الذى توقف نشاط جماعتينا - الجهاد ، طلائع الفتح - على الرغم من أننا أصحاب السبق فى هذا المضمار، ثم شرح لنا اسلوب العمل الذى يتلخص فى توجيه عدة ضربات مؤثرة لأهداف أكثر أهمية من تلك التى تستهدفها الجماعة الإسلامية فعلى سبيل المثال يقوم أفراد الجماعة بإغتيال ضابط أو مخبر شرطة بهدف إحداث فرقعة إعلامية خالية من التأثير الفعلى - على حد تعبير المتهم - بينما الهدف الذى يجب أن نسعى إليه نحن هو صناع القرار من كبار المسئولين لذلك كانت التكليفات تستهدف مثلاً أحد رؤساء النيابة العسكرية فى واقعة زينهم ، ثم محاولة اغتيال حسن الألفى وزير الداخلية ، ثم عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق ، مؤكدا - والكلام لمكاوى على لسان المتهم - أن هؤلاء هم الذين يجب أن تنالهم رصاصاتنا ، ومازلنا مع اعترافات المتهمين حينما يقول المتهم هانى عبد الرؤوف : " إن وصول مجموعة طلائع "جند الله" جاءت

في وقت مبكر للتوقيت الذى كان من المفروض وصولها فيه وعقب إلقاء القبض على القاعدة العريضة للتنظيم التى كان قد تولى الإعداد لها وتجنيد عناصرها داخل مصر عبد الحميد حب الله ومجدى سالم وشقيقه عبد الله الذين تمكنوا من ضم حوالى ألف شخص للتنظيم ألقى القبض عليهم قبل أن يشرعوا فى ارتكاب عملية واحدة " .

وتجدر هنا الإشارة إلى أهمية عملية ضبط هذا التنظيم المعروف بجماعة طلائع الفتح والذى وقع فى واحدة من أنظف عمليات الضبط التى تم خلالها القاء القبض على أكثر من أربعمائة عنصر من دون إطلاق رصاصة واحدة سواء من جانب المتهمين أو أجهزة الأمن ، وتم تقسيمهم إلى أربع مجموعات حوكمت وأدينت أمام القضاء العسكرى وقضى فيها بإعدام مجدى سالم وعبد الحميد حب الله وغيرهما ، وتم تنفيذ الحكم فيهم .

وتعود لإعترافات هانى عبد الرؤوف الذى يؤكد : إن الدكتور –الظواهرى– والعقيد – مكاوى – لم يكونا يعولان على هذه المجموعة الضخمة فى إرتكاب حوادث كبرى فى هذا التوقيت بل إنصرفت خطتهما إلى القيام بعمل لاحق "للعائدين من اليمن" يتلخص فى إصطلاح واحد هو "تثوير المدن" بمعنى إعداد قاعدة شعبية داخل البلاد لتأييد عمليات الطلائع الأخرى ، ولكن عملية ضبط هذه القاعدة عجلت بأداء العائدين من اليمن وأضفت على عملياتهم سمة التسرع والإرتباك وأجهضت عمليات أخرى لإغتيال عبد الحليم موسى وزير الداخلية السابق ، واللواء سمير فاضل رئيس المحكمة العسكرية التى نظرت قضية اغتيال السادات ، واللواء مصطفى عبد القادر مدير أمن الدولة الأسبق وغيرهم .

نعود مرة أخرى إلى حادث اغتيال السيد يحيى صاحب معرض سيارات "أبو يحيى" الذى كان قد تمكن هو وشقيقه من ضبط "السيد صلاح سليمان" المتهم الرئيسى فى قضية محاولة اغتيال رئيس الوزراء ليكشف بذلك عن الخيط الأول الذى أدى لضبط الجناه فى تلك القضية ، ثم داهمته النجومية – التى كان الرجل

تم إقرار هذا المبدأ من جانب أجهزة إيرانية بهدف التحقق من شعبية أيمن الظواهرى داخل البلاد وفقاً لما إدعاه الأخير .

فى غنى عنها – ووضعته تحت منظار رصد فلــول الهاربين من تنظيــم طلائــع الفتح ، فتربصوا به وإرتكبوا جريمتهم الإنتقامية أثناء قيامـــــه بـــإغلاق معــرض السيارات وكان صحبته حســين إبراهيم حسين مأمور الضرائـــب وأحــد أقاربـــه وحارس المعرض وعامل بالمعرض ، فأمطروهم برصاص بنادقهــم الآلية ممـــــا أدى لمصرعهم جميعا ، بينما أصيب ضابط شرطة هو الرائد مسعد الوكيل الـــذى تصادف وجوده بالمعرض أثناء الهجوم الإرهابى الذى إرتكبه خمسة عناصر مـــن مجموعة طلائع الفتح فى الوقت الذى كان السيد يحيى صاحب المعـــرض يتـــأهب صباح اليوم التالى للإدلاء بشهادته كأول شاهد إثبات فى قضية محاولـــــة إغتيـــال عاطف صدقى أمام المحكمة العسكرية العليا .

وعلى الرغم من بشاعة هذه الجريمة وكونها ضربة قاسية لتكاتف المواطنيـــن مع أجهزة الأمن ضد قوى الإرهـــاب والتطرف ، إلا أن الإتهامات المتبادلة التـــى تقع عـــادة حينما تنزل بنا كارثة بين الإهمال فى حماية الشـــاهد وبيـــن وقوعـــه كضحية لإعلام فج يلهث وراء أمور شخصية عن الرجل من دون الخـــوض فـــى المسائل الجوهرية التى تقف خلف تنظيمات الإرهاب التى تنطوى على مخططـــات بالغة الخطورة تتربص بالوطن وأبنائه ، يبقى السؤال قائمـــاً لـــلآن .. مـــن كـــان المسئول ؟

الفصل الرابـــع

دولــة الفقهــاء والعسكر
المحطة الجنـوبـية للإرهـــاب (الســودان)

ليست هذه أول دولة تتبنى فكرة ولاية الفقيه التى ينبذها الفكر الإسلامى السنى فقد سبقتها فى هذا إيران الشيعية ، وليست أيضاً أول كيان سياسى يجمع بين الفقهاء والعسكر وإن كانت هذه المرة تأتى على أنقاض نظام كان يقر المؤسسات المدنيـــة كالأحزاب والنقابات ، ومهما كانت تلك المؤسسات هشة أو صورية فيكفـــى أنهـــا وجدت وحركة التاريخ كانت كفيلة بتعديل المسار على إمتداد مراحلـــه ، ويخبرنـــا التاريخ أن كل إتفاق بين العسكر والفقهاء كانت الشعوب دائماً هى التى تدفع ثمنـــه غالياً من حاضرهـــا ومستقبلها ، وهو ماحدث وما يحدث فى السودان الذى كـــان وطناً للتسامح والسماحة فتحول على يد العسكر والفقهاء إلـــى بـؤرة للصراعـــات الداخلية والنزاعات الحدودية وبات مهدداً بالتقسيم والإنفصال ، وما يهمنا فى هـــذا السياق هو دور عسكر السودان وفقهائه فى رعاية وإستخدام عنـــاصر الإرهـــاب القيادية التى ساهمت بشكل أو آخر فى دفع عجلة العنـــف الدمـــوى فـــى مصـــر والجزائر وتونس وليبيا وغيرهـــا من دول الجوار ، سواء من خـــلال العمليـــات الإرهابية بمعناها الحرفى المباشر كالإغتيالات والتفجير .. أو من خـــلال النشـــاط الداعم لها كالإستقطاب والإختراق وجمع التبرعات وإصـــدار الفـــتاوى وغيرهـــا من الأنشطة التى تقع فى هذه الدائرة المشتعلة التى باتت تعـــــرف فـــى أوســـاط السياسة الدولية بإرهـــاب الدولة ومؤداه أن تتبنى الدولة بكل مؤسساتها الحركـــات والعمليات الإرهـــابية وتمتد الرعاية لأشخاص الإرهابيين أنفسهم ، ومن بين هؤلاء تأتى أسماء معروفة مثل : محمد شـــوقى الإسلامبولى شقيق خالد قـــاتل الســـادات والذى لعب الدور الرئيسى فى تجـــنيده وتشكيل وجدانه وتهيئته لأداء مهمته فيمـــا

بعد ، ومنهم أيضاً طلعت قاسم ورفاعى طه وأيمن الظواهرى ومصطفى حمزة وعثمان السمان وقائمة تجاوزت المئات كلهم من الأعضاء المؤسسين والجيل الأول الذى ساهم فى إنشاء تنظيم الجماعة الإسلامية الإرهابى ،والذين فروا من مصر بالتحايل على القوانين أو من خلف ظهرها أو حتى بامتطائها .

وتبدأ حكاية هذه المحطة السودانية تحديداً ليلة ٣٠ يونية عام ١٩٨٩ ، حينما تسلم العميد **عمر البشير** تذكرة السفر إلى القاهرة بعد أن رشحته القيادة العليا للقوات المسلحة السودانية لتلقى فرقة تدريبية بكلية القادة والأركان بمصر .

ومن خلف ظهر أجهزة المخابرات العسكرية السودانية كان البشير ينفذ خطة الدكتور حسن الترابى القطب الإخوانى الذى إنشق على الجماعة وأسس ما يسمى بالجبهة الإسلامية فى السودان ، والتى تمكنت من تجنيد البشير وطلبت منه إخفاء حقيقة هذا الإنتماء فى مناورة منها للتآمر على حكومة الصادق المهدى الذى سبق وأن تحالفت معه الجبهة من قبل وشاركت فى صياغة شكل السلطة ورسم ملامحها إلا أن أطماع الترابى فى الإنفراد بالسلطة دفعت به للتواطؤ مع البشير ودعمته فى تنفيذ إنقلابه المسلح وقد تكتموا الإفصاح عن هويته فى بداية الأمر حتى يستطلع طبيعة ردود أفعال قادة الجيش الآخرين تجاه الجبهة الإسلامية وزعيمها الترابى ، ولكن الجميع فى السودان استطاعوا ضبط مؤشر بوصلة البشير وإنتمائه القديم لجماعة الإخوان المسلمين التى تنصل عنها مؤخراً أستاذهوشيخه حسن الترابى إثر خلافات مع قادتها حول منصب المرشد العام .

وعموماً فقد نجح الإنقلاب وتجمعت خيوط السودان فى يده أخيرا وتمت لإرادة البشير السيطرة التامة على زمام الأمور داخل الجيش فأعدم من أعدم .. وجرد من جرد من رتبه العسكرية .. وأطاح بنفر غير قليل خارج البلاد ، وأصبح بقدرة قادر "فريق ركن" ، وعلى الرغم من هذا كله فقد سارعت الحكومات العربية لتأييد الإنقلاب العسكرى والإعتراف بعسكر السودان كحكام شرعيين ، ثم بدأ الفصل الثانى من تلك المهزلة بإعلان الترابى عن حقيقة توجهاته صراحة ولم يشأ أن يبدد الوقت سدى فارتمى على الفور فى أحضان ملات طهران وقدم نفسه لهم باعتباره صاحب التجربة السنية الأولى التى تصل للحكم فى الوطن العربى وأفريقيا ، وبدأت هذه العلاقة تؤتى ثمارها فى صورة مساعدات عينية ثم مالية

وأخيرا عسكرية حينما حضر عدد من ضباط الحرس الثورى الإيرانى للإشـــراف على إعادة تنظيم هيكل القوات المسلحة السودانية وتحديث البنية العسكرية وطــرق التدريب والتسليح ووضع عسكر الســودان الأرض والرجـــال والقوانيــن تحــت تصرف الحرس الثورى الفارسى فأقاموا عدة معسكرات وأشرفوا عليها وأعدوهـــا لإستقبال العناصر الفارة من مصر والقادمة من الجزائر وتونس تمهيدا لنقلهم فيمـــا بعد لخوض تجربة حية للحـــرب فى أفغانستان حيث يتمرس على حرب العصابات وحرب المدن ويتحول من مجرد أخ ملتزم إلى كادر يجيد التعامل مع المفرقعـــات والأسلحة وتحديد الأهداف ورسم خطط الإغتيال وتنفيذها ، وعندئذ يعاد تصديـــره عــبر محطة الســودان إلى بلاده مرة أخــرى لمباشــرة مهــامهم الإرهابيــة أو الجهادية المزعومة .

ونعود لحكاية معسكرات الحرس الثورى فى السودان التـــى إنحصـــرت فـــى البداية فى ثلاثة معسكرات فقط على ســاحل البحر الأحمر ، ثم تضاعف هذا العدد ليتجاوز الأربعين معسكرا فى مناطق متفرقة من البلاد منها كـــادوفلى والجريـــف وشمبات وندى وكردى وبحرى وغيرها ، وكان يشـــرف على إقامتهـــا الـــترابى شخصيا بتمويل إيرانى كامل وتسليح وتدريب إيرانى أيضـــا وبواســطة رجـــال الحرس الثورى الذين يأتون إلى الخرطوم بوصفهم خبراء عسكريين يعملون علـــى تدريب وإعــادة ترتيب هياكل الجـيش السودانى ويواكب ذلك متابعـــة مســـتمرة من جانب عناصر المخابرات الإيرانية للتحقق من سير الأمور وفقا للمنهج الــــذى تنفق من أجله كل هذه الأموال ، وبالطبع فقد كان دخول الســـودان يـــأتى بصفـــة دبلوماســية وهم يخضعون للإشراف المباشر من قبل حسين شيخ الإســـلام وهـــو نائب وزير الخارجية الإيرانى وقتئذ وأحد أهم سبعة أفـــراد يديـــرون مـــا يســـمى بالمكتب الثالث الذى يتولى مهام تصدير الثورة الإيرانية للبلاد المستهدفة وقـــد زار السودان عدة مرات صحبة شيخ غـــلام رضا قائد الحرس الثورى ومجيـــد كمـــال مدير المخابرات الإيرانيـــة .

وقد كشفت إعترافات المتهمين فى قضية مجموعة الأفغان المصريين الأولـــى التى ضبطت بالاسكندرية عن معلومات تفصيلية لهذه المعسكرات وطرق التدريب داخلها ونوع التسليح بها وعناصر الإتصال ومكاتب أجهزة الأمن السودانية التـــى

تستقدم الفارين من السلطات المصرية وتعاونهم على الهرب عبر الحدود بواسطة رجال القبائل الحدودية وقصاصى الأثر ، ثم تقوم بتزويدهم بالوثائق السودانية المزورة أو الصحيحة حتى تتمكن هذه العناصر من السفر لمحطات الإرهاب الأخرى أوالحصول على تأشيرات بلاد أخرى بموجب تلك الوثيقة السودانية وعلى اعتبار أنه مواطن سوداني، وورد إسم محمد عبد المعتمد المكنى "بمصعب" والذى كان أحد أمراء تنظيم الجماعة الإسلامية الإرهابى بأسيوط وفر للسودان وهناك رشحه عمر عبد الرحمن وزكاه لدى الترابى ليكون حلقة الإتصال بين الخرطوم وبيشاور مروراً بصنعاء وذلك تفاديا لمأزق قيام السلطات السعودية بسحب ترخيص أسامة بن لادن الذى كان يقوم بدور التسفير إلى الجبهة الأفغانية ويتولى حلقة الإتصال بين التنظيم العالمى للإخوان المسلمين وجماعات بيشاور والخرطوم وغيرها ،وبنظرة للمعسكرات الإيرانية فى السودان نراها قد أقيمت فى مناطق صحراوية غير مأهولة وزودت بكل الأسلحة الدفاعية والهجومية الخفيفة فقط تمهيدا لإعداد العناصر لحرب المدن وليس للحرب فى جيش نظامى ، حيث يتم إلحاق الفرد بتوصية من قدامى العناصر الإرهابية وبتزكية منهم فيتم تدريبه على الرياضة البدنية وإستخدام الأسلحة وتقدير المسافات والتعامل العسكرى بالذخيرة الحية فيما يعرف بحرب العصابات وبعد أن يجتاز فترة التدريب التى تستغرق زهاء شهرين يتم استخراج جواز سفر سوداني محدد المدة له ويرشح وفقا لتقديرات رجال الحرس الثورى من ناحية واحتياجات المحطات الأخرى التى يمثلها فى بيشاور الإرهابى المعروف مصطفىحمزة المكنى "بأبى حازم" وهو الساعد الأيمن لمحمد شوقى الإسلامبولى أمير الجماعات فى بيشاور والمفوض من قبل عمر عبد الرحمن باتخاذ كافة التدابير المحلية فيما يخص "الإخوة المصريين" فى الجبهه الأفغانية ووفقا للمعلومات الأمنية فإن ارتباط هذه العناصر "بالتنظيم العالمى للإخوان" هو مكمن الخطورة حيث تجتمع لديه عناصر الحنكة السياسية والتوغل الدولى والمساندة الإقتصادية من جانب الإخوان جنبا إلى جنب مع رعونة أعضاء الجماعات واستعدادهم للقيام بأية أعمال انتحارية طلباً للشهادة وتفانياً فى التمسك بمبدأ السمع والطاعة الذى يعد حجر الزاوية فى بناء شخصية الإرهابى داخل هذه المعسكرات حيث يقيم بالقدر الذى ينتهجه من التمسك بهذه القيمة التى يحرص الجميع على إنتهاجها وقد قدر عدد العناصر المصرية الموجودة

فى هذه المعسكرات بما يتجاوز الألف وثلاثمائة فرد تم إدراج تسعمائة منهم على قوائم ترقب الوصول بكافة المنافذ المصرية ، وقد ساهمت اعترافات مجموعتى الأفغان المصريين المضبوطتين مؤخرا فى كشف الغموض عن العديد من المحاور والأسماء والأدوار ، ولعل أهمها دور الإخوان المؤكد فى تدعيم هذه السلسلة المتصلة الحلقات والمتعددة المحطات والتى تبدأ من الخرطوم وتمتد إلى صنعاء وبيشاور وطهران .. ألخ .

وتتبع أجهزة الأمن السودانية بالتنسيق مع ضباط الحرس الثورى الإيرانى ورجال المخابرات الإيرانية عدة طرق مع العناصر التى يتم تدريبها داخل هذه المعسكرات تبدأ باستقبال الفرد وتهيئته عقائدياً والكشف عن هويته بشكل شخصى من خلال آخرين يكفلونه لديهم وتختار له إسماً حركياً فيما يسمى "بالكنية" تحت زعم الفتوى القائلة بأنه لابد للمسلم أن يكنى فهذا مصطفى حمزة يكنى "بأبى حازم" ومحمد عبد المعتمد يكنى "بمصعب" وأيمن الظواهرى يكنى "بأبى خالد المصرى" وهكذا .. ، وحينما يصل الفرد الجديد إلى بيشاور لايعرف الأسماء الحقيقية للقدامى بل يكتفى بمعرفة أسماء الكنية وليس له الحق فى مزيد من الإستفسارات وإلا يعد مخالفاً لمبدأ السمع والطاعة ومخلاً بمقتضيات البيعة ويتهم فى عقيدته مباشرة ، فعلى حد فتوى عمر عبد الرحمن الذى لم يدع هذه الفرصة أيضاً تفوته من دون أن يفتى بأن من حسن إسلام المرء ترك ما لايعنيه إلى ما يعنيه ، وهو يقابل المبدأ الذى يعرف فى أجهزة الأمن الرسمية بمبدأ العلم بقدر الحاجة ، وهنالك أيضا التوقيت المناسب للإفصاح من معلومات أخرى كوجهة الشخص أو المهمة المكلف بها بعد أن يجتاز المرحلة التدريبية الأولية ، فليس له أن يختار الرحيل إلى كابول أو بيشاور أو حتى العودة لمصر فهذه مسألة لم تعد له يد له فيها ، فقد بايع على السمع والطاعة وانتهى الأمر وتوقفت حدود إرادته عند لحظة البيعة وتحول لمجرد أداة .. لاتملك من أمرها شيئا ولاتوجد مشكلة فقهية إلا ويملك زمام التصدى لها فقهياً رجال على شاكلة عمر عبد الرحمن بتبريرات حركية أكثر منها فقهية ، فقد حاول قبل إلقاء القبض عليه وسجنه بالولايات المتحدة أن يقدم نفسه للغرب على إعتبار أنه يسلك خط الخومينى تماماً،

ورغم إختلاف الظروف والمذاهب فالشيعة – كما نعلم –ينظرون للإمامة بوصفها ركناً من أركان الإعتقاد الصحيح ويقدسون الإمام ويعتبرون كلامه وفتاواه أمراً واجب النفاذ لايحتمل المناقشة ولا يجوز معه إعمال العقل أو الإجتهاد ، ولكن عمر عبد الرحمن وحسن الترابى نجحا فى فرض الهيمنة الكهنوتية والسطوة العقائدية على العناصر الموالية لهما مع إباحة كل الأعمال التى من شأنها دعم النشاط الحركى تحت مسمى" **فقه الواقع** " أو " **فقه الحركة** " بدءاً بالتواطؤ مع الخصوم والتآمر على الحلفاء وإستغلال المناخ السياسى والتعامل مع معطياته ٠٠وانتهاء بالإغتيالات وعمليات التفجير وغيرها من صور الإرهاب ، وحتى البشير نفسه ليس بمأمن من تآمر الترابى عليه .. إنها فقط مسألة ترقب التوقيت المناسب لخلعه وربما إعدامه .. من يدرى !

وها هم عسكر الجبهة فى السودان يدفعون بآلاف الشباب الغض لساحات القتال فى الشرق تارة للحرب ضد أثيوبيا وإيرتريا ، وفى الجنوب تارة أخرى للحرب ضد المتمردين وأخيراً دخلوا حلبة الصراع العسكرى ضد أوغندا ، هذا فضلاً عن الأزمة المفتعلة مع مصر حول حلايب ... أزمات وحروب وتضخم وبطالة وحصار دولى .. هذه بعض إنجازات جبهة الترابى والبقية تأتى ...

الفصل الخامس

إعترافات إرهابى متجول
ماذا يحدث فى مزارع السودان ؟

بدأت رحلة محمد على الشرقاوى .. من دمياط إلى السجن مروراً بمحطات السعودية وباكستان وكراتشى وبيشاور ودبى حتى إستقر به المقام أخيراً فى الخرطوم كان قد إلتقى فى أفغانستان بأمير الجناح العسكرى لتنظيم الجماعة الإسلامية الإرهابى مصطفى حمزة المكنى بلقب "أبو حازم" الذى تولى تدريبه على وسائل إعداد الدوائر الإلكترونية المستخدمة فى تصنيع المتفجرات وعلى أساليب "تشفير" المكالمات الهاتفية وفك شفرتها .. وذلك فى معسكرات الإرهاب التى أقامها نظام (**البشير -الترابى**) تحت غطاء المزارع على امتداد السودان ، وقبل عودته عبر الدروب الصحراوية الجنوبية إلى مصر كان قد تلقى تكليفات بتوجيه ضربات إرهابية لنشاط السياحة .. وعقب قيامه بتنفيذ عدة عمليات داخل البلاد ألقى القبض عليه فى القضية المعروفة إعلامياً باسم "**العائدون من السودان**" التى نظرت أمام المحكمة العسكرية العليا حيث جاء ترتيبه الـ ١٩ فى قائمة المتهمين .. والقصة كاملة يرويها محمد على الشرقاوى فى إعترافاته التفصيلية أمام النيابة ننقلها دون تعليق :

س : ما قولك فيما هو منسوب إليك من اتهام ؟

ج : أنا طوال فترة دراستى فى ابتدائى واعدادى كنت ماشى كويس وبانجح على طول لغاية ما وصلت لسنة ثانية إعدادى وجالى فيها ملحق وأقصد أن الملحق كان فى سنة أولى اعدادى فأنا اتعقدت من الدراسة وماكنتش عايز أكمل لأن كمان كانت ظروفنا المادية مش كويسة والمصاريف كانت كثيرة على والدى اللى كان شغال مبلط فحبيت أن أشتغل وأسيب الدراسة وفعلا اشتغلت فى ورشة

تقطيع خشب وموبيليا فى دمياط وابتديت الشغل فيها بمرتب أربعين جنيها فى الاسبوع .

وكان والدى دائماً بيدعونى للصلاة لأنه كان مواظب عليها إنما أنا كنت أوقات بأصلى وأوقات لأ وكان فيه واحد جارنا فى الوقت ده اسمه عاصم على السيد وكان ساكن جنبنا وعزل وبالمصادفة أنا قابلته جنب الورشة اللى كنت شغال فيها وسألته عن أخباره فقاللى أنه كويس ودعانى أروح أصلى معاه فى مسجد العمرى فى سوق الحسبة وهو تابع "**لجمعية أنصار السنة المحمدية**" وعرفنى هناك على ناس ملتحين وبدأت أحضر معاهم دروس فى الفقه وكان كل نشاط الناس دول انهم بيصلوا وبيعملوا دروس فى الفقه والجامع ده كان بيتردد عليه ناس من الجماعة الإسلامية منهم شخص اسمه محمد المحلاوى بدأ يدعونى لفكر الجماعة الإسلامية وكان من الحاجات اللى بيقولها ضرورة تغيير المنكر والجهاد وبدأت أحضر مع أعضاء الجماعة الإسلامية الدروس بتاعتها فى بعض المساجد والكلام ده كان فى أواخر سنة ١٩٨٩ ، وكنت باحضر دروس الجماعة الإسلامية فى زاوية اسمها الخليل بتاعة واحد اسمه ابراهيم نشور فى شارع الجلاء بدمياط وفى زاوية اسمها الزهراء بعيدة شوية عننا على طريق دمياط بورسعيد والدروس كانت بتبقى فى التوحيد والعقيدة وفى فكر الجماعة الإسلامية وكان بيتولى القاء الدروس دى واحد من الجماعة اسمه أحمد الاسكندرانى وخلال الفترة دى الأمن عرف أن أنا ماشى مع بتوع الجماعة الإسلامية فجالى البيت وأخدونى مرتين وكل ده كنت باقعد يومين فى المباحث وأخرج تانى وكانوا بيسألونى أنا ليه ماشى مع الناس دول ولما والدى لقى ان الأمن بيتردد على البيت وحط عينه على حسب أنه يسفرنى للخارج وجاب عنوان ناس قرايبى بيشتغلوا فى المدينة المنورة فى السعودية وأنا كنت أعرف واحد من أعضاء الجماعة اللى بيترددوا علينا فى دمياط اسمه محمد سعد الشربينى وكنت عرفت انه سافر قبلى باسبوعين للسعودية وسألت على عنوان بيته فى دمياط ورحت علشان أجيب عنوانه فى السعودية وأهله إدونى عنوانه ووالدى طلع لى باسبور وجاب لى تأشيرة عمرة على أساس أنى أروح عند قرايبى فى المدينة وهم هناك بيدوروا لى على شغل وفعلا سافرت يوم

٦ ديسمبر ١٩٩١ إلى السعودية عن طريق المركب من السويس ونزلت فى جـــدة وأخذت من هناك مواصلة لمكة وعملت عمرة وكان من المفـــروض انـــى بعدمـــا أخلص العمرة أسافر المدينة عند قرايبى وفعلا حاولت أســافر المدينة انما لقيـــت المشوار مكلف جدا فرحت سألت على عنوان محمد الشربينى فى مكة وفعلا لقيتـــه وقلتله أنا جاى السعودية علشان أشتغل وطلبت منه يشوف لى مكان أبات فيه فهـــو خد منى الشنط بتاعتى وراح وداها فى مكان معرفوش ورجع ومعاه واحـــد ليبيـــى عرفنى عليه محمد وقاللى ان اسمه عبد الرحمن وأخدنا على الحرم وقعدت هنـــاك حوالى اســبوعين كنت بابات فيهم فى الحرم وكان الليبى ده أوقات ييجـــى يبـــات معايا ومحمد كان بيتردد علينا فى الحرم وفى مرة لقــيت محمد بيقوللـــى ان هـــو ناوى يسافر أفغانستان للجهاد وما كنتش فاكره واخد العملية جد لحد ما شفته فــــى احدى زياراته ليه فى الحرم جه ومعاه اتنين مصريين واحـــــد اســمه مصطفـــى والتانى اسمه وليد اكشفت بعد كده ان دى أسماء حركيـــة وقـــاللى ان دول كمـــان مسافرين معاه إلى أفغانستان وأنا كمان لازم أسافر إلى أفغانستان .

وفى مرة جه برضه ومعاه واحد اسمه أحمد من الجماعة الإسلامية وقاللى انه هيسافر كمان أفغانستان وأنا فى الفترة دى مكنتش لقيت شغل فقلت أنا ممكن أنزل معاهم أفغانستان للجهاد وقلت لمحمد على الكلام ده فقاللى ان أنا ممكن أسافر مـــع أعضاء الجماعة الإسلامية لأفغانســـتان وأخدنى من الحرم على بيت فـــى شـــارع اسمه ربيع زاخر فى مكة وجاب الشنطة بتاعتى ولقيت هنـــاك ســـبع مصرييـــن وعرفت أن ليهم أسماء حركية هى على أبو همام ، أحمد .. وهو نفـــس الشـــخص اللى جالى مع محمد الحرم ، طه ومش متذكر باقى الأسماء ومحمد الشربينى أخـــد منى الباسبور بتاعى وأعطاه لأحمد اللى سلمه لواحد اسمه أبـــو بكـــر عقيـــدة وده مصرى وعرفت انه من أعضاء الجماعة الإسلامية وأن هو المسئول عن تســـفير أعضاء الجماعة المصريين لأفغانستان وقعدت فى البيت ده حوالى شهر وفى مـــرة أبو بكر عقـــيدة قاللى ان أنا وطه هنسافر على المدينة هنقعد هناك فترة وقالنـــا ان فيه ناس هتستنانا على محطة الأتوبيس اللى جـــاى من مكة وأعطانى فلوس مـــش متذكر أد ايه وفعلا أخـــدت أنا وطه الأتوبيس للمدينـــة ولما وصلنا المحطة لقيـــت

أبو همام اللى كان قاد معانا فى الشقة اللى فى مكة مستنينا على المحطـــة وأخدنـــا تاكسى ورحنا معاه على بيت فى المدينة معرفش عنوانه وقعدنا فيه احنا التلاتة لمدة شهر لغاية ما أبو همام قاللى ان أنا لازم أرجع مكة فرجعت مكه لوحدى ورجعــت على البيت اللى كنت قــاعد فيه وقعدت مستنى السفــر لمدة شهر ونصف وكـــان موجود فى نفس البيت الأشخاص اللى كانوا قــاعدين فيه قبل كدة وبعد فترة جـــه طه وأبو همام ومعاهم أحمد والتلاتة دول سافروا أفغانستان قبلى وبعد فـــترة جـــه البيت واحد مصرى اسمه ناصر وتولى هو المسئولية بعد أبو بكر وعرفـــت انـــه قــدر يجيب تأشــيرة دخول باكستان وسلمنى جواز السفر بتـــاعى وكـــان عليـــه تأشيرة دخول باكستان فى شهر ابريل سنة ١٩٩٢ أخدت الطيارة من مطار جـــدة لباكستان فى اسلام اباد وناصر كان ادانى مع جواز الســفر تذكرة الطيارة ومائـــة ريال سعودى وقبل ما أسافر كان قاللى ان أنا عندى مشكلة فى الباســبور بتـــاعى وهو ان مدة صلاحيته سنة واحــدة وقاللى ان فيه صعوبة فـــى الحصـــول علـــى تأشيرة باكستان وقاللى ان أنا ممكن أرجع مصر فأنا قلتله مقدرش أرجـــع مصـــر دلوقتى لأنه كان فيه أحداث فى دمياط فى الوقت ده وهو الإعتداء علـــى الضـــابط مطاوع أبو النجا فقاللى انه هيحاول يجيب تأشيرة ولما جابها وإدانى جواز الســفر والتذكرة قاللى ان فيه عرب هيستنونى فـــى اســلام ابــاد وهيتولـــوا تســـفيرى لأفغانستان وفعلا وأنا راكب الطيارة اتعرفت على اتنين ســعوديين وعرفت منهـــم انهم رايحين للجهاد فى أفغانستان ولما نزلنا من الطيارة فى المكان مشـــيت مـــع الإثنين السعوديين وخرجنا من المطار لقيت عربية مينى بـــاص واقفـــة ولقيـــت الإثنين السعوديين راحوا سلموا على الموجودين فى الأتوبيس ده وأخدونى معـــاهم واكتشفت ان الناس اللى فى المينى باص ده من بيت اسمه **بيـــت الأنصـــار** وهـــم بيستضيفوا العرب اللى جايين للجهاد فى أفغانستان وأخدونى على البيـــت ده فـــى منطقة اسمها بيشـــاور وهى عبارة عن مدينة حدودية مع أفغانســـتان ، ووصلنـــا البيت ده آخر النهـــار ونمت الليلة دى والصبح قلت للمسئولين عن البيـــت ده أنـــا عايز أروح بيت الجماعة الإسلامية فقالوا لى ان فيه واحـــد اســمه أبـــو عنـــتر هيوديك وفعلا بعد شوية جه واحد مصرى عرفت ان اسمه أبو عنتر أخدنى علـــى

بيت فى منطقة اسمها حياة أباد وهناك قابلت المسئولين عن الجماعة الإسلامية سلموا على وحطيت شنطتى هناك وواحد فيهم اسمه هيثم سألنى أنا جيت ازاى فحكيت له على اللى حصل وأن ناصر هو اللى بعتنى وأنا كنت سلمت جواز سفرى فى بيت الأنصار وفى آخر النهار جانى واحد اسمه عمر المصرى وقعد يسألنى زى ما يكون ظابط مباحث أنا جيت إزاى ومع مين وحاجات كده فقلت له ومشى وسابنى وجه الصبح وقاللى أن أنا هروح فى بيت تانى وان من الوقت ده هيكون اسمى (**مقداد**) وقاللى انى مقولش لحد على اسمى الحقيقى وأخدنى على بيت تانى فى نفس المنطقة اللى هى حياة أباد وقعدت هناك اسبوعين فى أوضه لواحدى لأنى عرفت ان فيه مجموعة قديمة فى البيت ومكانوش عايزين ان أنا أشوفهم ولا همه يشوفونى .

وبعد الأسبوعين دول جاءت مجموعة جديدة عرفت انهم أتوا من معسكر اسمه الفاروق وكان عددهم حوالى خمسة من ضمنهم أحمد اللى كان معايا فى البيت فى السعودية وطه وواحد اسمه عبد السلام وواحد اسمه سامى ووليد ومصطفى اللى شفتهم فى الحرم فى السعودية مع محمد الشربينى وفى الفترة دى قسموا البيت نصفين النصف الأول بتاع المجموعة القديمة والنصف التانى كنت قاعد فيه والمجموعة الجديدة وقعدنا فى البيت ده حوالى اسبوعين كمان وكنا فى انتظار نروح على معسكر الجماعة الإسلامية فى منطقة اسمها فوست فى أفغانستان وكل اللى كنا بنعمله فى الفترة دى اننا ناخد دروس فى الفقه والعقيدة وفكر الجهاد ، وبعد الفترة دى عمر حضر وقال ان احنا هنروح على المعسكر وأخدنى والمجموعة الجديدة اللى معايا وركبنا ميكروباص ورحنا على منطقة حدودية اسمها التل ومن هناك أخدنا اتوبيس تانى لمنطقة مش متذكرها داخل أفغانستان ومن هناك ركبنا عربية ربع نقل مشيت فوق تلال وجبال لحد ما وصلنا للمنطقة اللى فيها المعسكر وكانت المنطقة دى عبارة عن منطقة جبلية والمعسكر كان عبارة عن منطقة جبلية والمعسكر كان عبارة عن أوض جنب بعض وفيه أوضة فى أول المعسكر وأوضة على تبة عالية وكان فيه برج حراس على جبل جنب المعسكر ونقطة حراسة على بوابة المعسكر ونقطة حراسة وراء المعسكر وكان مكتوب جوه

المعسكر ده معسكر الشهيد صهيب المصرى ، وأول مادخلنا قابلنا واحد اسمه البحيرى وكان عمر بعد ما وصلنا قال لنا ان احنا هنقعد فى المعسكر ده فترة لغاية ما المجموعة تكمل ونبدأ التدريب وبعد ما وصلنا عمر سابنا ومشى وقعد معانا البحيرى وقال ان احنا المجموعة بتاعتنا لسه ما كملتش وان فيه مجموعة قديمة موجودة هى اللى بتتولى حراسة المعسكر من الخلف وان المفروض محدش من المجموعتين يشوفوا بعض وقال ان احنا هنتولى حراسة المعسكر من الأمام وان احنا هنقعد فى أوضة بعيدة عنهم وتولت المجموعة بتاعتى الحراسة وكانوا مقسمينها على بعض كل واحد ساعة وكان بيبقى مع الواحد فيهم كلاشينكوف وأنا كنت الوحيد اللى ما بطلعش حراسة لأنى مرحتش معسكرات قبل كده وبعد كده مصطفى ابتدى يعلمنى كيفية استعمال الكلاشينكوف وده كان بأمر من البحيرى وقعدت يومين أتدرب عليه وابتديت اضرب بيه واتعلم ازاى أفكه وأركبه وكيفية النشان آلى وفردى وكل ده تمهيد علشان أمسك الحراسة معاهم بعد حوالى اسبوعين ابتدت ناس جديدة تيجى المعسكر وفى الأول جه تلاتة واحد اسمه عبد المنعم ومش متذكر اسم الإثنين التانيين وبعد فترة جت مجموعة تانية مكونة من تلات أو أربع أشخاص منهم واحد اسمه عبد الرحمن وصخر وعلى وواحد اسمه اسماعيل وجه معاهم أبو عنتر وبعد كده جه واحد المفروض كان هيدربنا اسمه عاصم ودى كانت أول مرة أشوفه فى المعسكر وبدأ يدرب المجموعة بتاعتنا كلها اللى أنا قلت على أساميها وكنا بنصحى الفجر نصلى الفجر ونقول الأذكار اللى بعد الفجر ونقرأ القرآن لمدة ساعة .

وبعد كده يبدأ تدريب رياضى عبارة عن جرى وتمارين سويدى وبعد كده بيتحط الفطار وبعدين نجتمع فى مسجد المعسكر ونبدأ ناخد دروس نظرى فى الأسلحة وبدأنا بالمسدس وبعدين الكلاشينكوف وبعدين سلاح تانى اسمه ستاكا وهو عبارة عن سلاح آلى روسى سريع الطلقات جدا وبيضرب حوالى ٣٥٠ طلقة فى الدقيقة وبعيد المدى وبعده سلاح أر بى جى وده شبيه بالكلاشينكوف انما بيختلف عنه انه بيشيل ٧٥ طلقة ومداه أطول منه وبعدين الـ أر بى جى وده عبارة عن مدفع مضاد للدبابات وبعدين مدفع اسمه دشكا وده عبارة عن مدفع

بيتحط على تلات أرجل طويلة وبيقذف طلقات كبـــيرة بعيـدة المـدى ومضــادة للمدرعات وبعدين مدفع اســمه روكوباك وده مضاد للطـــيران وكـــان التدريــب النظرى على الأسلحة دى بيبقى عبارة عن شرح للسلاح نفســـه ووزنـــه وعــدد الطلقات اللى بيشيلها والمدى بتاعه الفعال المؤثر والمدى القاتل بتاعه وفكه وتركيبه وكيفية استعماله بعد الدرس النظرى بناخد راحـــة حوالى نصف ســاعة بنشــرب شاى ونأكل بسكويت وقبل صلاة الظهر يبدأ الدرس العملى فى ساحة الجرى فـــى المعسكر وكان السلاح اللى بناخـــد عليه درس نظرى بيتم التدريب على الضـــرب بيه فى نفس اليوم وبعد كده بنصلى الظهر وبناخد راحة لغاية صلاة العصر وبعـــد صلاة العصر بنكمل الدرس العملى وبعد كده بناخـــد راحـــة لغايــة تـــانى يــوم واستمرت فترة التدريب النظرية والعملية على الأسلحة اللى قلت عليها لمدة شـــهر ونصف واللى كان بيتولى التدريب ده عاصم وفى نهاية فترة التدريب عاصم قالنـــا ان فيه مجموعة مننا هتقعد تحرس المعسكر والمجموعة التانية هتروح مكان تـــانى مقالش عليه وأنا كنت فى المجموعة اللى سابت المعسكر وكان معايا أبو همام وعبد المنعم واسماعيل وواحد اسمه عبد التواب وناس تانيين مش متذكر اسمائهم وكـــان عددنا حوالى ٣٠ واحد ورحنا علىمدينة تانية اسمها جلال أباد داخـــل أفغانســتان وقعدنا فى منطقة اسمها فارم دو فى معسكر ملوش اسم وكـــانوا بيســـموه مركـــز "براصل جلال أباد" وكانت جبهة فى الحرب الأفغانية وكان المركز ده تمهيدى لخط النار الأول وعرفنا ان احنا هنتدرب فى المركز ده على حرب المـــدن أو حـــرب العصابات ، وأول ما وصلنا قابلنا المسئول عـــن المعســكر ده اســـمه محفــوظ وعرفت بعد كده ان ده اسمه الحركى وعرفت ان اسمه الحقيقى "عصام عبد الجواد" ولأن فى الأيام الأخيرة قريت فى الجرايد انه اتقتل فى مصـــر وشــفت صورتـــه فعرفته على طول وهو اللى قال لنا أول ما وصلنا ان احنا هناخد دورة فى حـــرب المدن واحنا كنا المجموعة الوحيدة اللى كانت موجـــودة فى المعسكر ده وقال لنـــا انه هيتولى بنفسه تدريبنا وتانى يوم من وصولنا للمعسكر ابتدى يدربنـــا تدريـــب نظرى على كيفية الخلاص من الكمين فكان بيقول مثلا لو احنا وقعنا فـــى كميـــن عامله الشيوعيين فى الحرب الأفغـــانية وان ممكن الكمين ده يكون علـــى شـــكل حرف "إل" أو تطويق على شكل حرف "يو" وابتدى يدربنا عملى على كيفية تســـلق

المبانى وكنا بنطلع على مبانى ارتفاعها حوالى تلات أدوار عن طريـــق الحبــال وادربنا عملى على كيفية تسلق الأسلاك الشائكة والقفز من أماكن عالية والتدريـــب على الإقتحامات .

وكان فيه تدريب عملى على النشــــان باســتعمال الكلاشــينكوف والمســدس واستمرت الدورة دى لمدة عشـــرة أيام وبعد ما خلصنا فضلنـــا قـــاعدين مكنـــاش بنعمل حاجة لمدة شهر كامل وبعد كده جت المجموعة اللى ســبناها فـــى معســكر صهيب وأخدوا نفس الدورة اللى احنا أخدناها وقعدنا المجموعتين فـــترة فـــاضيين وبعد كده المجموعة بتاعتى رجعت على معسكر الخلافة اللى هو اســـمه معســكر الشهيد صهيب وأخدنا دورة متفجرات واللى تولاها أبو بكر عقيدة وكنا فى الـــدورة دى بنصحى الفجـــر ونفس الحكاية بالنسبة للأذكار والقرآن والتدريـــب الريـــاضى وبعد كده يبدأ أبو بكر فى الشرح النظرى للمواد المتفجرة وهى الـــ : تى ان تى ، والـــ : أر دى اكس ، والـــ : سى فور وسى ترى ومادة تانية اسمها بتيان وهـــى عبارة عن أحـــبال صاعقة وأحبال تانية اسمها كروتكس وكان التدريب النظـــرى يبقى عن بيان قوة تفجير المواد دى وازاى استخدامها ووضـــع الصواعـــق فـــى الأماكن المحددة بتاعتها وبعد كده نبتدى التدريـــب علـــى كيفيـــة التفجـــير وإزاى الواحـــد يستعمل صواعق بإشعالها بالكبريت أو عن طريق الكهرباء وكنا بنجيـــب شوية تى ان تى أو ال سى فور أو سى ثرى ودى عبارة عن مادة عجينة بتتشـــكل على حسب الوضع اللى الواحد عايزه ونحط فيها الصاعق وده عبارة عن أنبوبـــة المنيوم ولو كان الصاعق ده كهربائى يبقى طالع فيه طرفين سلك ولو كان عـــادى بنركب احنا فيه الفتيل ونشعله بالكبريت وبنحط الصاعق ده فى العجينة إذا كـــانت المادة سى فور أو سى ثرى أو بنحطة فى قوالب ال تـــى ان تـــى فـــى المكـــان المخصص له ولو كان الفتيل طرفى بنشعله بالكبريت أو لـــو صـــاعق كهربـــائى بنجيب له بطارية ٩ فولت والفتيل اللى طوله ١ سم بياخد تانية عقبال مـــا ينفجـــر وبنحط الفتيل اللى طوله ١٠ سنتيمرات وبقعد حوالى ١٠ ثوانى وأولع فيه أضمـــن انه اشتعل وأسيبها وأخد ساتر كان موجود فى المعسكر لغـــاية ما تتفجر ولو كـــان الصاعق كهربائى يبقى فيه سلك طويل بنوديه وراء صخرة كبيرة بعيدة عن مكان العبوة ونوصل السلك ده بالبطارية والشحنة تتفجر مباشرة أول ما الســـلك يلمــس

البطارية وكنا بندرب على كيفية التدريب على التفجير باستعمال **الريموت الخاص بلعب الأطفال** ، واستمرت الدورة دى لمدة اسبوعين واحد معايا الدورة دى نفس المجموعة اللى راحت معايا فى الأول وبعد الدورة وقعدنا فاضيين حوالى شهر فى نفس المعسكر وجالنا اتنين فلبينيين لتدريبنا على الكاراتية ، والكونغ فو ، وجه مجموعة مكونة من خمسة أشخاص ليبيين وكان المفروض احنا وهمه حناخد الدورة دى وكان اسمها دورة القتال المتلاحم وبدأناها وكنا بنصحى الصبح نصلى الفجر ونقرأ الأذكار والقرآن ونبدأ تمارين الجرى والسويدى وبعد كده ابتدى الإثنين الفلبينيين يعلمونا الكاراتيه وكان واحد منهم بيدربنا لغاية الظهر والتانى فى الفترة اللى تبدأ بعد العصر وكنا فى الفترة دى بنشيل حديد واستمرت الدورة دى لمدة شهر وكان المفروض تستمر لمدة أربع شهور ولكن حصل ان كان فيه مركز جنبنا عبارة عن مخزن أسلحة وذخائر ومدافع بتاع عبد الرسول سياف زعيم حزب الإتحاد الأفغانى استولى عليه البدو اللى موجودين فى المنطقة وأخدوا الحراس اللى على المخزن وقيدوهم .

وبعد كده جت مجموعة من قوات سياف علشان تضرب البدو وحصل اشتباكات وكان المعسكر إللى احنا فيه فى النصف وكان فيه قذائف بتنزل جنبنا فى المعسكر وكان فيه طلقات بتعدى فوقنا باستمرار فاحنا استعدينا لأى هجوم يحصل علينا من البدو والدورة طبعا باظت وقعدنا نحرس المعسكر ومعانا مدافع كلاشينكوف وال آر بى جى وبيكا ومعظم الأسلحة اللى إدربنا عليها وكترنا نقط الحراسة على الجبل المحيط بنا وبعد كده عرفنا ان البدو كانوا عايزين يهجموا على المعسكر بتاعنا وياخدوا السلاح اللى فيه لأن كان فيه معسكر جنبنا اسمه خلدن تابع للعرب سمعنا إن البدو كانوا عايزين يهجموا عليه وياخدوا السلاح اللى فيه لأن دى حياة البدو هناك وعاملين زى قطاع الطرق والسلاح هناك غالى وكنا فى الوقت ده مشددين الحراسة على المعسكر بتاعنا وكل واحد شايل سلاح وذخيرة كتيرة فى الفترة دى كان عمر قاعد معانا وقال لنا احنا هنسيب المعسكر ده وبدأنا نبيع مخزون الأكل اللى موجود فى المعسكر للأفغان المحيطين بينا ، والليبيين والفلسطينيين اللى كانوا معانا تولوا الحراسة معانا لفترة وبعدين مشيوا والليبيين كانت اسمائهم حركية واحد منهم كان اسمه عبد الرازق وواحد اسمه عبد

الجواد وأبو ربيعة والإثنين التانيين مش متذكر اسـمائهم والإثنين الفلبينيين واحـد كان اسمه أبي والتانى كان اسمه زكوان وعاصم جه وقدر يجيب شاحنة اسـتعارها من الحزب الإسلامى التابع لحكمتيار وحملنا علينا الأسلحة والذخائر اللـى كـانت موجودة فى المعسكر وضعنا فوقها مفروشات على أساس ان اللى فوقها ميقولـش انها أسـلحة وركبت على العربية دى أنا وأربعة معايا وعاصم وكان فيـه اتنيـن أفغان بيسوقوا العربية علشان هما عارفين الطرق كويـس والبـاقى قعـدوا فـى المعسكر واحنا ركبنا العربية على أساس نحرسها وكـان مـع كـل واحـد فينـا كلاشينكوف وقنبلتين يدويتين وتلات خزن مليانين ذخيرة غير الخـزينة اللى فـى الآلى وكان معانا مدفعين أر بى جى جاهزين للرماية وخرجنـا بالعربيـة علـى الطريق العمومى ولكن البدو استوقفونا ومرضوش يعدونا وواحد منهـم قـال لنـا استنوا هنا بالعربية لغاية ما أجيب تصريح من مسئول من البدو للمرور وعـاصم وواحد فينا راح للراجل ده يقابل المسئول وأنا واللى كانوا معانـا وقفنـا نحـرس العربية وبعد كده جه عاصم واللى معاه من عند محمد الإبن وهو بيعتبر المسـئول عن البدو فى المنطقة دى ورفض ان احنا نخـرج بالعربيـة ورفضـوا نرجـع بالعربية على المعسكر بتاعنا فواحد مننا راح المعسكر يبلغهم بالموضوع ده فجـم أربعة من المعسكر مسلحين وجابوا معاهم عربية من معسكر خلدن ونزلوا وشهروا السلاح على البـدو اللى كانوا واقفـين وقدرنا نرجع العربية للمعسكر مـن غـير مشاكل وقعدنا فى المعسكر يوم وجم ناس من عند سياف واتفقنا معاهم على انهـم يخرجـوا العربية من طريق خلفى وهتمر على البدو انما لما يشـوفوهم ومعانـا أفغـان كتير ومش هيشوفوا فيها عرب فبيقدروا يفهموهم ان فيهـا أدوات عربيـة مش سلاح وانها بتاعتهم مش بتاعة العرب وبالطريقة دى نقدر نعدى من منطقـة البدو وفعلا الطريقة دى نجحت وخرجنا السلاح كله برة ووديناه فى قلـب مدينـة خوسـت فى احدى مراكز الحزب الإسلامى التابع لحكمتيـار وبعـد كـده سـبنا المعسكر فى يوم بالليل وكنا ساعتها خمسة وكان معانا عمر ومشينا على رجلينا فى طريق خلفى وكان فيه مركز تانى فى المنطقة دى تابع لسياف وأخدنا منـه اتنيـن أفغان كدليل ومشينا على رجلينا فى بداية الليل لغاية الفجر ووصلنا مدينة خوسـت ورحنا على المكان اللى فيه الأسلحة ولقينا الإخوة كلهم هنـاك ومعـاهم عـاصم والأسلحة كلها بسلام وبعد كده أخدنا عربية من عربيات الحزب الإسلامى وحملنـا

عليها الأسلحة ومشينا بيها لحد ما وصلنا كابول وقعدنا هناك يــوم إرتحنــا فيــه وبعدين كملنا السفر على جلال أباد والرحلة دى استغرقت تلات أيام وقعدنــا فــى جلال أباد فى استراحة حكمتيار ونزلنا الأسلحة هناك وكان عاصم ومعاه واحد مننا بيلف على قوات الحزب الإسلامى علشــان يشوفوا لنا مكان نعسكر فيــه وفعــلاً جابوا لنا مكان تبع الحزب الإسلامى وعملنا فيه معسكر وقعدنا فيه حوالــى سـنة كاملة من غير ما نعمل حاجة بس نتدرب وناكل ونشرب وخــلاص وأخدنــا دورة تدريب كاملة على الدبابات لغاية ما الأفغان قالوا لنا مفيش بنزين للدبابــات إللــى بنتدرب عليها فاكتفينا بالتدريب على الرماية بالسلاح الآلى علشان ما ننساش ومن فترة لأخــرى خلال المدة وكنا بننزل زيارات ترفيهية فــى بيشــاور ونرجــع المعسكر تانى .

وفى إحدى المرات عمر قال لنا أنا وصخر لازم نــنزل السـودان علشــان السلطات الباكستانية بدأت تضيق على العرب وعمر إدانى جواز السفر بتاعى بعد ما زور مدة الصلاحية وخلاها سبع سنين بعد ما كانت سنة واحدة وقاللى إن فيــه واحد هيسافر معانا هتعرفه لما تشوفه فى مطار بيشاور وأدى لكل واحد منا ألــف دولار وقال لنا إننا هنركب الطيارة من بيشاور لكراتشى ومن كراتشى للدوحة ومن الدوحة للسودان وهناك فيه واحد هنلاقيه منتظرنا فى مطار الخرطوم واحنا هنعرفه وهو هيعرفنا وبعد كده عمر وصلنا لمطار بيشاور وســلم علينــا وعرفنــا علــى الشخص اللى هيسافر معانا وقالنا إن إسمه سامح وعرفت بعد كده إن إسمه زكريا بشير وقرأت فى الصحف المصرية إن فيه ناس إنقبض عليها من فترة فى مصــر وضمنهم زكريا ده واعترف إنه نزل السودان وواحد إسمه صخر وواحــد إســمه مقــداد فعرفت إنه لازم يكون زكريا هو ده اللى نزل معانا مــن بيشــاور علــى كراتشى ومنها على الدوحــة وتانى يوم ركبنا منها على الخرطــوم ومجــرد مــا خرجنا من المطار لقيت واحد كنت أعرفه فى أفغانستان واســمه هيثــم منتظرنــا واخدنا على شارع الغابة فى الخرطوم وقعدنا فى الشــقة دى وكــان فيهــا نــاس مصريين كتير كنت أول مرة أشوفهم وتقريبا عــددهم خمســة وعشــرين واحــد وفضلنا هناك لحد ما وصل أبو حازم وأنا كنت أعرفه من أفغانستان وقابلتــه كــذا مرة فى المعسكرات وكان واضح من معاملة الناس معاه انه شخص مهم وله مركز كبير عن عمر وعاصم لأنه كان بيديهم تعليمات بنقل المجموعــات مــن معســكر

لمعسكر تانى وبيحدد نوع التدريب وهو نفسه كان بيدينا محاضرات في الأمن والعمل الحركى يعنى زى ما كان بيقول الواحد لما يمشى فى الشارع ما يمشيش بطريقة مريبة أو مرتبكة أو يلتفت حواليه، المهم إنه لما وصل شقة الخرطوم سلم علينا ومشى على طول وقبل ما يمشى قالنا إننا هنروح مكان اسمه المزرعة وبعد خمس أيام من قعدتنا فى شقة الخرطوم واحنا كنا وصلنا هناك فى شهر أغسطس ١٩٩٤جات لنا عربية نصف نقل كان سايقها واحد مصرى اسمه إيهاب وأخدنا ومشينا بالعربية حوالى ساعتين لحد ما وصلنا مكان فيه شوية مبانى وحواليه زراعات كتيرة ذرة وخضار وقعدنا فى المزرعة دى حوالى شهرين وكنا تلاتين واحد مصريين كلنا وبناخد دروس فى الفقه والتوحيد والسيرة وبعد شهرين وصل واحد اسمه عبد الماجد علشان يدينا دروس فى الدوائر الإليكترونية وكان بيجيب معاه حاجات زى الترانزستور إسمها سيروستر وعلمنا إزاى نوصل السالب بالموجب مع بطارية ٩ فولت وممكن الواحد يظبط الساعة الرقمية بالدائرة على الميعاد إللى عايزه زى الأستوب ووتش ولما تنور اللمبة المتوصلة على الدايرة يبقى معناها إن الهدف انضرب خلاص وكان الغرض من كده إننا نتعلم التفجير باستعمال التايمر ، المهم بعد حوالى ستة شهور رجعنا شقة الخرطوم علشان نغير جو وقعدنا هناك حوالى أسبوع نتفسح ورجعنا تانى المزرعة وفى الوقت ده كان أبو حازم بيعدى علينا ومعاه واحد سودانى إسمه ميرغنى وهما مسلحين دايماً بالكلاشينكوف ومعاهم عربية لاندكروزر مجهزة ويقعدوا معانا فى محاضرات فى القواعد الحركية والأمن ويحضروا لنا هدايا أكل وشرب وحلويات وملابس ، وفى مرة انفرد بيه أبو حازم وقالى ايه رأيك ترجع مصر فقلت له ماشى مفيش مانع وتانى يوم جه المزرعة قعد معايا أنا وجمال وطارق وحذيفة وأنس وحسان لوحدينا وقال إن أحنا الستة هننزل مصر ونعيش بطريقة عادية واللى عايز يتجوز فينا يتجوز واتكلم معانا عن الأوضاع فى مصر وقال إن هدفنا فى المرحلة الجاية إضعاف النظام وده يتحقق بضرب السياحة هناك وتوجيه عمليات قوية بحيث إن السياح ما تجيش مصر تانى وقال إن كل واحد فيكم يشترى شقة فى مصر وما يعرفش حد من أهله أو أصدقائه طريقها وبعدين إنفرد بكل واحد مننا شوية وما اعرفش قال أيه للإخوة التانيين لكنه قاللى إن أنا كل يوم خميس أروح مسجد السيدة زينب أصلى العصر هناك وأقعد فى الصف الأول على

الشمال وأحط قدامى علبة معجون أسنان سيجنال وأنه بعد الصلاة هيجى واحد يقابلنى ويعرفنى من خلال الطريقة دى وهو ده مندوب الإتصال بتاع أبو حازم وبعدين قال لنا إن التكليفات ستصل لنا من خلال هذا الشخص بتنفيذ العمليات المطلوبة فى توقيتها الصحيح .

المهم إن أنا كلمته عن ظروفى وقلت لازمنى شوية وقت لحد ما أجيب شقة فى القاهرة لأنى من دمياط وما اعرفش حاجة فى القاهرة وإنى مضطر أقعد شوية عند أهلى فى دمياط وبكده هبقى محتاج الباسبور بتاعى والبطاقة فهو جاب لى الباسبور ومسح منه تأشيرات الدخول والخروج من باكستان وحط ختم الخروج من السعودية مزور بس بدقة شديدة وحط كمان ختم دخول مصر بتاريخ أكتوبر ١٩٩٤ وأدانى شنطة سفر كبيرة وقال لى إن الشنطة دى هى إللى هنسافر بيها لمصر وحط فيها تلات بطاقات فاضية والجواز الحقيقى والبطاقة الحقيقية بتاعتى ، وفى بداية رحلة السفر لمصر أخد منى الشنطة بتاعى وحط فيها شهادات تأدية خدمة عسكرية فاضيين على بياض و ٨٠٠ دولار وورقة فيها شرح للدوائر الإلكترونية وختم ضاغط للأحوال المدنية وحطهم فى كرتونة فى قاعدة الشنطة وحط فوقها كرتونة بعرض الشنطة بحيث اللى يشوف الكرتونة الفوقانية يفتكر انها قاعدة الشنطة وقاللى ان مفيش أى حد فينا يستخدم أى حاجة من الحاجات دى إلا بإذن المسئول وجمعنا احنا الستة وقال ان كل واحد فينا هيحط فى شنطته نفس الحاجات اللى حطها فى شنطتى وقاللى لوحدى ان فى الكرتونة اللى فى الشنطة هيبقى فيها ٨٠٠ دولار وفى أجندة موجودة فيها ألف دولار وادانى ٢٥٠ دولار وقاللى انها مصاريف جيب وادانى فلوس مصرى حوالى ١٢٠ جنيه وقاللى ان دول مصاريف لغاية ما أوصل مصر وأبدل دولارات بفلوس مصرى وقاللى ان الفلوس دى استعملها فى تأجير شقة فى القاهرة وادانى بطاقة شخصية وكارنيه لشركة المقاولون العرب باسم حسن على كامل أبو العينين عليهم صورتى وادانى كمان شهادة اعفاء من الجيش بنفس الاسم وقاللى ان الأوراق دى علشان أمشى بيهم فى مصر وفى يوم جالنا أبو حازم المزرعة وأخدنا احنا الستة من هناك وودانا على الشقة وقال ان السفر هيبقى يوم السبت والكلام ده كان يوم جمعة الصبح فى أواخر شهر مارس أو أوائل شهر ابريل على ما أذكر

وتانى يوم الصبح فى أواخــر شهر مارس أو أوائل شهر ابريل على مــــا اذكــر وتانى يوم الصبح فى الفجر عاصم جــه بعربية نصف نقل وأخدنا علــــى مكــان قريب من المنطقة اللى فيها الشقة ونزلنا من العربية لقينا فيه نــــاس ســـــودانيين عددهم اتنين جايين بعربية زى الجيب وبيسموها لاندكروز ومكيفة ومقفولة كلهـــا بصاج من ورا وحطينا شنطنا على سقف العربية وركبنا إحنا الســـتة مــن جــوه ومشينا بالعربية من بعد الفجر لغاية بالليل فى مناطق أسفلت ويعد بها فى منطقـــة مش مسفلتة والطريق كان عادى مش ترابى ووصلنا إلى منطقة فيها بيـــوت انمــا بعدها فيه صحراء ونزلنا من العربية قعدنا فى بيت من البيوت دى ونزلنا الشـــنط بتاعتنا والإتنين السودانيين قالوا ان كده الرحلة بتاعتهم انتهت وان فيه ناس تانيـــة هتيجى تاخدنا وقعدنا فى البيت ده حوالى ساعتين .

وبعد كده جت عربية بيضاء تيوتا نصف نقل وحطينا الشنط بتاعتنا فيها وكان فيها تلات سودانيين وكان فى العربية جركن مية كبير وبرميل بنزين وكام فـــردة كاوتش احتياطى واحنا ركبنا فى الصندوق والتلات سودانيين كانوا بيتناوبوا مــــع بعض سواقة العربية ومشينا فى منطقة صحراوية لغاية ما وصلنـــا لمكــان كلــه صحراء وكان الوقت بالليل وتانى يوم الظهر وقفنا نأكل وكان معانا عيش وجبنـــة وحلاوة وكملنا مشى وفى منطقة فى الصحراء لقينا العربية مرة واحـــــدة وقفــت ونزل واحــد سودانى ومشى من المكان ده والمكان ده كان حواليه كام تبة رمـــل مش عالية قوى وبعد فترة شــفته وهو راجع تانى لينا وكـــان ماســك فـــى ايـــده سلاحين كلاشينكوف وسلاح ام سكستين (١٦) وكيس اكتشفت بعد كده ان فيه خزن وطلقات وحطهم معاهم قــدام فى كابينة العربية وركبنا العربية وفضلنـــا ماشــيين ولما كنا نوصل مكان يلاقوا فيه غزلان كانوا بيقفوا ويصطادوها بالســــلاح اللـــى معاهم وندبحها ونأكلها وكان معاهم حلة صغيرة ودقيق يعملوا بيه عيـــش وبصـــل وطماطم وأدوات طهى وأول يوم اصطادوا فيه غزالة كنا قبــل المغــرب بشـــوية والمنطقة اللى كنا فيها كانت عبارة عن صحراء ومفيهــــاش أى شـــجر وفضلـــوا ماشيين بسرعة على أساس نوصل لمكان فيه حطب بس ملقيوش وكان الليل حــــل فاضطروا انهم ينزلوا يسلخوا الغزالة وينظفوها وتانى يوم الصبح مشينا بالعربيـــة ووصلنا لمكان فيه حطب وقعدنا ولعنا الحطب وطبخوا بعض أعضاء من الغزالـــة

وفضلنا كده لغاية ما وصلنا لطريق أسفلت متجه لادفو فى أسوان وبعد كده دخلــوا بينا فى طريق متعرج زراعى ونزلنا هناك جنب ترعــة وغسلنا وشنا من تـــراب السفر وأخدنا الشنط بتاعتنا من العربية وسبناها ومشينا اتنين اتنين وســـألنا نـــاس هناك عن محطة السكة الحديد فقالوا قدام شوية ووصلنا المحطة أنا وكـــان معايـــا أشرف اللى هو انس وجمال وكان معاه عبد الماجد وحامد كان معاه عبد التـــواب ووصلت أنا وأشرف المحطة وبعد كده افترقنا بقيت أنا لواحدى وسألت واحد عـــن ميعاد القطر بتاع مصر فقال انه هييجى الســاعة ١١ بالليل وكان فـــاضل علـــى ميعاده حوالى نصف ساعة وقعدت على قهوة فى المحطة وأكلت وشـــربت شـــاى ولقيت واحد معاه تذكرة لمصر عايز يبيعها فاشتريتها منه بمبلغ ٣٤ جنيه وركبــت القطر ووصلت مصر الســـاعة ١٠ الصبح وكان موافق يوم أربعاء وكان تقريبـــا يوم ٥ أبريل وبعد ما نزلت سألت على مكان عربيات البيجو التى تروح بورســعيد وأخدت عربية ورحت على بورسعيد وسألت على فـــندق هناك ورحـــــت علـــى فندق اســـمه أبو الهول وتانى يوم كان يوم خميس وكان المفروض أروح الميعــــاد بتاع مسجـــد السيدة زينب فبيت يوم فى اللوكاندة ويوم الخميـــس الصبـــح ركبــت عربية بيجو نزلت على مصر ورحت مسجد السيدة زينب أصلى العصـــــر بعدمـــا اشتريت معجون أسنان سيجنال وقعدت فى نفس المكان اللى أبو حازم قاللى عليـــه انما مجاليش حد ورجعت تانى على بورسعيد وأنا اخترت بورسعيد بـــالذات علـــى أساس انها قريبة من دمياط وقلت ان أنا قبل ما أروح دمياط أشوف الأول الوضـــع ايه هناك بدل ما أروح مرة واحدة .

وكنت كل يوم بانزل مصر أدور على شقة مفروشة فى أى منطقة ولقيت شقة جنب ويمبى الهـــرم بتاعة واحده ست اسمها نعمت ودفعت فيها خمســـــمائة جنيـــه إيجار شهر وستمائة جنيه تأمين وقعدت أتكلم معاها واكتشفت انها عايزة تصـــــور البطاقة وتودى الصورة القســـم وأنا اضطريت أن أقولها انى لقيـــت شـــقة تانيـــة رخيصة هقعد فيها فقالت ليه تعالى بعد كام يوم خد الفلوس بتاعتك وكنت أخـــــدت منها أرقام تليفونات الشقة وكتبتهم فى أجندة التليفونات الصغيرة الى كـــانت معايـــا واضطريت أقعد فى لوكاندة اسمها فيروجيت فى شارع أحمد عرابى بالمهندســـين قدام فندق آمون وقعدت فيها يوم وبعد كده رجعت تانى على بورسعيد وقعدت فـــى

فندق أبو الهول ولما كان بييجى موعـد يوم الخميس كنت باروح مسـجد السـيدة زينب وفضلت أروح هناك تلات مرات انما مكانش حـد بييجى وفى الفـترة دى كنت باتردد على مصر باستمرار وفى المره الرابعة قابلت أنس فى المسـجد قبـل الصلاة وضحكنا لبعض وسألنى مكان الوضـوء فين وخرجنا قبل الصـلاة مـع بعض ومشينا ولقيته بيقوللى ان هو المسئول بتاعى وانه مش هيبقى فيه تعامل بينى وبين أى حد غيره وسألنى إذا كنت لقيت شقة فقلتله أنا لقيت شقة مفروشـة انمـا مقلتلوش على مكانها وإيجـارها ٣٧٥ جنيه فى الشهر وبدفع مائة جنيـه تـأمين فقاللى انها غالية حدا لكن ممكن أخدها لغاية ما ألاقى شقة أرخص منها واتفقنا مع بعض على ان احنا هنتقابل وحددنا ميعادين ميعاد أول وميعاد ثانى يعنى لو حد فينا مجاش فى الميعاد الأول يبقى الميعاد التانى ده هو الأخير ومش فاكر المكان اللـى اتفقنا عليه .

أنا رحت قعدت فى شقة الملك فيصل وأعطيته رقم تليفونها على أسـاس انـه يبلغه لمصطفى حمزة فى السودان والرقم ده طبعا كان شفرة بمعنى ان لـو أنـس حب يتصل بالرقـم اللى أنا ادتهوله مش هيعرف لأن أنا كنت متفق مع مصطفـى حمزة على شـفرة خاصة بأرقـام التليفونات ودى عبارة على ان أنا أكتـب مـن اليمين للشمال من صفر إلى رقم تسعة وبعدين أكتب تحتهم من الشمال لليمين مـن صفر لرقم تسعة وأشوف نمرة التليفون اللى أنا عايز أبعتها وأطابق الأرقام بتاعـة التليفون على الأرقام اللى أنا كاتبها من صفر إلى تسعة من اليمين وأشرط تحتهـا الأرقام اللى أنا بدأت بيها من الشمال لليمين وآجى فى الآخر النمر المشفرة وفعـلا جبت نمرة التليفون وأديتها لأنس اللى غير اسمه الحركى من مقداد لعمـاد وأخـد الرقم على أساس يوصله لمصطفى حمزة وبعد اسبوع تقريبا لقيت مصطفى حمزة بيكلمنى فى التليفون وبعد ما اطمئن عليه قاللى ان أنا هكلمك بعد اسـبوع علشـان أطمئن عليك ومفيش تكليفات منه ليه مباشرة وانما اللى هيبلغنـى بالتكيفـات دى أشرف وهو المسئول بتاعى وبعد كده أنا كنت باتقابل مع أشرف باسـتمرار فـى أماكن مختلفة كنا بنجدها مع بعض قبل نهاية اللقاء اللى بيننا وأنا الوقت ده كنـت بادور على شقة إيجار فاضية ولقيت شقة فى بولاق الدكرور وكان صاحبها عـايز فيها سبعة آلاف جنيه فمكانش معايا المبلغ ده فقلت لأشرف على الفلوس فقاللى احنا

مستنيين أى فلوس تيجى وفى مرة أشرف قاللى أروح كافيتريا رضوان فى الدقى وآخد معايا جرنال الأهرام ومجلة روزاليوسف وأخش الكافيتريا آكل من الساعة ١٢ إلى الساعة ١ الظهر فى أثناء الفترة دى هييجى واحد هيشوف الحاجات اللى معايا وأنا معرفوش وهو هيعرفنى من الجرنال والمجلة وهيقوللى انت عزيز أرد عليه أنت مصطفى وهيقعد معايا ويدينى حاجات اسلمها لأشرف ورحت فى الميعاد زى ما قال وكنت متفق معاه انى هقابله بعد لقائى بالشخص ده بساعة فى مكان فى رمسيس على أساس انى أوصل لأشرف الحاجة على طول انما أنا محدش جالى فى الميعاد فى الكافيتريا وبلغت أشرف بالكلام ده وقاللى معلهش فيه ميعاد تانى بعد أربع أيام فى نفس المكان وبنفس الإشارات فرحت فى نفس المكان وكنت مدى لأشرف ميعاد بعد اللقاء ده بساعة على أساس لو استلمت حاجة اسلمها لأشرف على طول وإنما الشخص ده مجاش برضه فقلت لأشرف فقاللى خلاص أنا هاشوف ايه اللى حصل وقابلته بعد كده أكتر من مرة .

لغاية مرة قاللى انى هروح فى نفس المكان وكان فيه تغيير بسيط فى الإشارات وهو انى هاخد معايا جرنال الأهرام وأجندة مكتب وهييجى الشخص ده ويتعرف عليه من الحاجات اللى معايا وهيقوللى حضرتك أمين أرد وأقول حضرتك عزت وهى دى العلامة اللى هنتعرف على بعض بيها .

وفى المره دى جه شخص ولكن حصل بعض اللخبطة لأنه فى اليوم ده دخل شخص الكافيتريا وبص على الحاجات اللى معايا ومن نظراته توقعت انه هو انما مقربش منى فأنا قلت أكيد فيه غلط فى الإشارات ولقيته قعد على الترابيزة اللى ورايا وكل شوية يبص عليه ولقيته طلع من جيبه لفة ورق جرايد حطها قدامه على الترابيزة ولقيته بيقوللى ممكن جرنال النهاردة أبص فيه فأنا قلتله أنا باشبه عليك حضرتك عزت قاللى أيوة حضرتك أمين قلتله آه وسلمنا على بعض وقعدت معاه على الترابيزة وأخد الجرنال وقاللى أن المفروض أنى أجيب معايا جرنال الوفد مش الأهرام وطلب أكل وبعد ما خلص قاللى تحت تاخد الحاجات معاك دلوقتى ونمشى ولانمشى مع بعض فأنا قلتله نخرج مع بعض من الكافيتريا وبعد كده كل واحد يروح فى سكة وخرجنا من الكافيتريا وادانى اللفة اللى كانت معاه ورحت لأشرف فى الميعاد اللى متفقين عليه واديته اللفة فأخدها ودخل جامع

لواحده وخرج وادانى بطاقات فاضية عبارة عن عشرين بطاقة شخصية وعشرة بطاقات عائلية وقاللى شيلهم معاك وادانى ألف وسبعمائة دولار علشان الشقة ومشينا ورحت أنا للراجل صاحب الشقة لقيته باعها فأنا قلتله أنا هرجع تانى علشان آخد العربون اللى دفعته ليه وكان ألف وخمسمائة جنيه وحسيت من كلامه أنه مش ناوى يدينى حاجة وأنا كان معايا وصل بالمبلغ منه واتفقت معاه فى الآخر انى هاخد منه طقم انتريه بالمبلغ ده وأخدت الطقم ده ورجعت أدور على شقة ولقيت شقة فى نهاية أرض اللواء ببولاق الدكرور ودفعت فيها سبعة آلاف جنيه وهى دى الشقة اللى أنا قعدت فيها لغاية ما اتقبض عليه وبعد كده فى مقابلة مع أشرف بلغته بانى أخدت شقة جديدة وقاللى فى المقابلة دى ان أنا هتقابل مع جمال اللى هو من ضمن اللى جم معانا من السودان وقابلت جمال أول مرة فى ميدان رمسيس وكان الهدف من المقابلات معاه هو ان احنا نطمئن على بعض .

وبعد فترة أشرف قاللى ان أنا هتقابل مع حسان اللى جه معانا من السودان وعرفت منه ان حسان كان بيقابل عبد التواب وعرفت من حسان ان عبد التواب عنده مشكلة وهو انه أجر شقة فى المقطم وان السمسار اللى أجر الشقة منه أخد صورة بطاقته ووداها القسم والبوليس جاء لعبد التواب وأخدوه بالليل وسألوه هو جه سكن ليه هنا وبيشتغل ايه وأخدوا صورة البطاقة بتاعته علشان يتحروا عنها وطبعا لو تم كده هيعرفوا انها ملهاش أصل وكان المفروض انه يحاول بيع الشقة دى لأى حد قبل ما يتحروا عن البطاقة ويعرفوا حقيقتها وبعد كده أنا بدأت أتقابل مع عبد التواب وعرفت منه انه اتعرف فى الشقة وقلنا كلنا فى الوقت ده ممعناش فلوس لأننا كل واحد مننا أجر بالفلوس اللى معاه شقة واضطرينا ناخد الفلوس اللى مع عبد التواب نصرف منها لغاية ما تيجى فلوس وهو كان باع الشقة بخمسة آلاف وخمسمائة جنيه ووزعنا على بعض ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه والألفين الباقيين أخدهم عبد التواب وأنا كنت فى الفترة دى بأقابل جمال وحسان وعبد التواب بتكليف من أشرف وهو اعتبرنى ان أنا النائب بتاعه لغاية ما فى يوم أشرف قاللى انه هيدينى بعض أوراق خاصة بالدوائر الإليكترونية علشان أنفذها فهو جاب لى الورق وشرح فيه كيفية تركيب القطع الالكترونية وكانت عبارة عن حوالى دائرة ميقاتية (تايمر) لمدة أربعة وعشرين ساعة ودائرة ميقاتية تانية

لمدة تسعة أيام ورسم الثلاث دوائر كان ناقلهم من كتاب وقاللى انى اشترى الحاجات اللازمة وأنفذ الرسومات دى وأبلغه باللى حصل فأنا اشتريت فى الأول القطع الخاصة بدائرة الأربع وعشرين ساعة من بتوع الاليكترونيات من العتبة .

وفعلا نفذت الدائرة وجربتها على طرفين المنبه اللى موجود فى البيت انما مشتغلتش وقبل كده أنا كنت قابلت أشرف فى الأزهر واداني ورق خاص بنفس الدوائر وطلب منى أسلمها لحسان علشان ينفذها وشرحتها لحسان وفى يوم كان فيه مقابلة مع حسان وكنت قبلها بيوم مقابل أشرف واتفقت معاه انى هجيب حسان علشان يسلم عليه وفعلا قابلتهم ببعض وسبتهم ومشيت وكنت أديت ميعاد لحسان علشان أقابله فيه ودخلت المكتبة وقلت للناس الموجودة ممكن آخد نمرة التليفون بتاعة المكتبة علشان أخويا يتصل بيه لأنى لسه ساكن جديد فى المنطقة دى ، فهم ادونى نمرة تليفون المكتبة واتفقت مع أشرف ان هو هيكلمنى يوم الأحد فى النمرة دى من الساعة ٧ وجبت زجاجة حاجة ساقعة وقلت للراجل الموجود فى المكتبة ان أخويا هيتصل عندكم فقاللى مفيش مشاكل وفعلا أشرف اتصل حوالى الساعة ٧,٥ وكان صوته بعيد ومتغير وكلمته شويه وكنت عايز أقول له إن الدايرة ما إشتغلتش وكنت قبلها بساعة مقابل عبد التواب وأعطانى رقم تليفون مشفر خاص به علشان أديه لأشرف ويبلغه لمصطفى حمزة علشان يتصل بيه ضرورى لأن عبد التواب كان عايز يبلغه بمشاكل خاصة به ، والرقم كان معايا فى أجندة تليفونات اللى فى جيبى ولسه هاديه لأشرف ففوجئت بالبوليس بيقبض عليه وفهمت ان أشرف اتمسك وان البوليس عرف النمرة دى ، ودى كانت آخر مكالمة بينى وبين أشرف .

س : ما هو آخر مؤهل دراسى حصلت عليه ؟

ج : أنا خرجت من المدرسة بعد ما جالى ملحق فى سنة أولى اعدادى وسبت التعليم من ساعتها واشتغلت فى دمياط كنجار موبيليا .

س : ما هى ظروفك الإجتماعية ؟

ج : بالنسبة لظروفى الإجتماعية فهى بسيطة شوية وأنا لى أخ صغير مواليد ١٩٨٣ وليه أخوات بنات أكبر منى عددهم تلات بنات وأبويا كان بيشتغل عامل

بلاط فى دمياط وفى آخر أيام ما كنت موجود ففى مصر قبل ماروح السعودية كان شغله ضعيف جدا وكان معظم الأوقات مبيشتغلش ومكانش عنده مورد رزق إلا الشغل بتاعه وفى آخر الأيام كان عندنا صعوبة شوية فى المعيشة ولما ابتديت أشتغل كنت بساعده فى البيت وكنت وقتها باقبض فى آخر أيام الشغل قبل ما أسافر حوالى ٦٥ جنيها فى الأسبوع .

س : منذ متى بدأت علاقتك بعاصم على السيد ؟

ج : عاصم كان ساكن جنبنا من زمان مع أهله وهو ساب الدراسة من ابتدائى واشتغل نجار وهو وأحمد ساب السكن اللى كان فيه قبل ما أقابله فى دمياط بحوالى تلات سنوات .

س : وما الحوار الذى دار بينكما عندما تقابلت معه مصادفة بعد أن بدأت العمل كنجار موبيليا ؟

ج : لقيته مربى دقنه وهو أساسا دقنه ضعيفة انما كان باين فيها شعر طويل شويه وبعدما سلمنا على بعض عرفت منه انه ساكن قريب من المكان اللى أنا باشتغل فيه وبدأنا نتقابل مع بعض على فترات وأخدنى فى مرة علشان أصلى معاه فى مسجد العمرى التابع لجماعة أنصار السنة المحمدية وبدأت أحضر معاهم دروس هناك لحد ما سافرت وحصل إللى أنا حكيت عنه فى أقوالى .

هذه هى إعترافات "نموذجية" لحالة إرهابى " نموذجى " تجول فى كل محطات الإرهاب التقليدية وحتى نلتقى فى محطة أخرى -غير تقليدية - هى "**لندن**" أتمنى أن تكون الصورة قد إتضحت ملامحها وأدركنا أن أذرع الإرهاب قد قويت وطالت وإننا - جميعاً - لم نعد بمنأى أو بمأمن منها فى ظل مؤازرة وتواطؤ الأنظمة والتنظيمات العالمية منها أو المحلية ، وسعيها لتحقيق أحلامها الأممية منها أيضاً او المحلية أو الإقليمية التى تراود هؤلاء الأمراء الطغاة ... وأذنابهم من العسكر والفرقاء والأركان الذين لا يقلون طغياناً عن سادتهم الأمراء والمرشدين .

الفصل السادس

المحطة اليمنية

بعد العائدين من أفغانستان ... العائدون من اليمن

هذا زمن الأحلام المجهضة.. والآمال المكسورة .. ، فمن كان يصدق أن اليمن ذلك البلد الذى شهد أول ثورة تحرر ضد الجهل والطغيان والخرافة فى شبه جزيرة العرب يصبح محطة ترانزيت لعناصر الإرهاب العابر للحدود ؟

من كان يتصور أن يصبح اليمن مرتعاً لخفافيش الإرهاب وفقهاء التطرف الذين يحلمون بإعادة عقارب الساعة إلى الخلف قروناً ، ولو إستدعى فرض ذلك إشهار السلاح فى وجوه الجميع بما فيهم مواطنيهم ؟

ونحن فى هذه السطور لا نلقى باللوم على اليمن أو أهله ، ولا نسعى حتى لمجرد العتاب بقدر ما نحاول فتح باب للحقيقة التى نسجلها لوجه الله والتاريخ وللأجيال القادمة ، ولعله لم يعد أمراً خافياً على أحد أن ما مر به اليمن (السعيد) من صراعات وإنشقاقات ومحاولات إنفصالية وعبث من أياد ليست بعيدة عما يجرى فيه وحوله .. كل هذا – وأشياء أخرى –وقفت وراء محاولة تحويل ذلك البلد الذى يختزن فى جباله وهضابه ووديانه تراثاً حضارياً أشرق على كل العرب من المحيط إلى الخليج .. ولعل ذلك التراث الحضارى الأصيل كان وراء سرعة تماسك اليمن وتدارك ما كان يحيق به من مخاطر لم تكن تتهدده وحده بقدر ما كانت تهدد بلدان أخرى ظل يشكل بالنسبة لها العمق الجغرافى والإستراتيجى والحضارى أيضاً للحلم العربى بأسره .. ، ومن هنا كان من الضرورى والأهمية بمكان أن نؤرخ بتسجيل جانباً من تلك التجربة المريرة – وليست الظاهرة – التى نؤكد أنها حوصرت بأيدى أبناء اليمن أنفسهم ذلك لأن الحكمة لم تزل يمانية ومن ثم لزم التنويه حتى لا يكون هناك مجال للمزايدة أو الصيد فى الماء العكر .

ففى الوقت الذى إستأثر فيه محمد شوقى الإسلامبولى برعاية تنظيم "الجماعة الإسلامية" وأميرها عمر عبد الرحمن ، ومؤازرة من جانب قلب الدين حكمتيار وحزبه المتطرف ، كان على الجانب الآخر أيمن الظواهرى لايلقى قبولا من القائمين على الأمور سواء فى بيشاور أو داخل الأراضى الأفغانية ، وأصبح أتباعه المنتمون لتنظيم "الجهاد" أشخاصاً غير مرغوب فيهم هناك ، ولم يبق أمامه سوى البحث عن مواقع نفوذ أخرى بدأت بالسودان وبرعاية إيرانية ، والثابت - من واقع ملفات القضايا التى إرتكبتها مجموعات طلائع الفتح- أن السودان قد إستقبل العشرات منهم ، وساعدتهم عبر رجال قبائل الحدود فى التسلل لمصر ليرتكبوا العديد من العمليات الإرهابية ومنها على سبيل المثال تفجير عبوة ناسفة داخل مركز شباب الجزيرة وتفجير سيارة مفخخة بميدان القللى ومحاولات إغتيال عاطف صدقى وصفوت الشريف وحسن الألفى وغيرهم .

وبعد أن شعر الظواهرى أن الإسلامبولى وأتباعه وأنصاره الأفغان ربما يستهدفونه فى عملية إغتيال كتلك التى تعرض لها عبد الله عزام الفلسطينى الذى أسس بيوت الضيافة بتمويل من أسامة بن لادن ، لذا قرر الفرار إلى أوربا ، وهناك يتردد أنه حصل على حق اللجوء السياسى خاصة بعد أن أودع ملايين الدولارات فى مصارف سويسرا ، وترك الساحة لنائبه فى التنظيم محمد مكاوى الشهير بالعقيد ، وقد إتهمه الأخير بالمتاجرة بدماء من أطلق عليهم شهداء الجهاد "الإسلامى" فيما وصف بأنه إنشقاق جديد داخل التنظيم ، وفسره المراقبون بوصفه مجرد مناورة حركية للتغطية على أنشطة التنظيم الجديد الذى تخلى عن مسمى الجهاد ، واتخذ إسم "طلائع الفتح" .

وبعد أن حوصر وجود الأفغان العرب فى بيشاور تمكن مكاوى من نقل ملعبه من بيشاور إلى اليمن ، وأعاد تنظيمهم فى مجموعات عنقودية لايتجاوز عدد الواحدة منها عشرة أفراد يطلق عليها "طليعة .." ، وكان أبرزها طليعة "**جند الله**" التى كان يتزعمها نزيه نصحى راشد الذى لقى مصرعه فى حادث محاولة اغتيال حسن الألفى وزير الداخلية ، والتى كانت تضم ضياء حافظ زكى ، وأحمد فاروق على ، وعادل عوض صيام ، وياسر زكى عبد الفتاح ، وأيمن عودة محمد عودة ، وعصام كرام ، وآخرين قاموا بإرتكاب سلسلة من حوادث الإرهاب

مؤخرا فى سـباق محموم مع منافسيهم من عناصر تنظيم "الجماعة الإسلامية" لكسب الرهان على إثبات التواجد على ساحة الإرهاب ، وما قد يترتب على ذلك من الحصول على المزيد من المعونات النفطية والمؤسسات المريبة التى تدعم فصائل المتطرفين ، وقد إرتكبوا عدة حوادث إرهابية أبرزها:

١- محاولة إغتيال المقدم طه سيد طه مدير نيابة شرق القاهرة العسكرية أمام منزله بمدينة نصر .

٢- حادث الهجوم المسلح على المترددين على دارى عرض سينما المروة وماجدة بحلوان أثناء إنعقاد مهرجان القاهرة السينمائى .

٣- حادث إغتيال ضابط أمن الدولة العقيد أحمد كمال شعلان أمام منزله بحى المطرية بالقاهرة .

٤- إغتيال النقيب علاء البنا الضابط بمباحث القاهرة أثناء إلقاء القبض على الإرهابى أيمن عودة الذى لقى مصرعه هو الآخر مصرعه داخل نفس الوكر الذى كان يختبئ به بضاحية المرج بالمطرية .

٥- وأخيرا حادث إلقاء عبوات ناسفة على أتوبيس سياحى بميدان جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة بالقاهرة وإصابة ١٦ شخص ، منهم ثمانية سياح أجانب .

وبعد أن لقى نزيه نصحى راشد وأيمن عودة وأحمد فاروق مصرعهم فى ظروف مختلفة (أثناء وبعد محاولة إغتيال حسن الألفى) كان لابد أن يرسل محمد مكاوى طليعة جديدة من طلائع الفتح ، وقد كانت مجموعة الإرهابى حجاج عبد الله أمين الشهير "**بثروت حجاج**" والمكنى بأبو أحمد ، والذى استطاع قيادة هذه الخلية الجديدة التى شاركت فى تنفيذ كل الأحداث التى كانت تشهدها القاهرة فى تلك الأثناء ، وضمت هذه المجموعة فى صفوفها فلسطينيين من تنظيم "الجهاد الإسلامى" ومنظمة "حماس" ، واتخذت من عدة أوكار بأحياء عشوائية على أطراف القاهرة أماكن لإقامة عناصرها .

وصباح الأربعاء حوالى الساعة ٧ صباحا كانت قد توافرت معلومات لدى أجهزة الأمن حول تردد ثروت حجاج على منطقة حدائق حلوان والمعصرة .

وأثناء قيام أجهزة الأمن بحملة تمشيطية فى تلك المنطقة ، وحينما اقتربت قوات الشرطة من شارع الرافعى بتقسيم المعلمين بالمعصرة بمنطقة حلوان جنوب القاهرة ، والذى كان ثروت حجاج قد استأجر به شقتين إحداهما بالدور الأرضى والأخرى بالدور الرابع ، وتحت اسم منتحل هو المهندس عزت حمادة ومعه زوجته التى إنتحلت بدورها إسم هناء زينهم وكذا ثلاثة من أبنائه ، واتخذ من الشقة الواقعة بالدور الرابع مكانا لإختفائه طيلة ثلاثة شهور ، بينما أقام أتباعه بشقة الدور الأرضى والذين كانوا قد شاهدوا القوات على مقربة من العقار الذى يقيمون به فقاموا على الفور بإلقاء عبوة ناسفة وقنبلة يدوية على القوات أسفرت عن مصرع الجندى سيد عبد الفتاح حسن ، وذلك لتغطية هروب ثروت حجاج وزوجته وأبنائه ، بينما تسلل ثلاثة من أتباعه وهم يحملون البنادق الآلية واستوقفوا سيارة أجرة ماركة بيجو "استيشن" حمراء وأجبروا سائقها سمير يوسف على تركها لهم واستقلوها هاربين خارج المنطقة إلا أنه كانت هناك سيارة شرطة تقف عند منافذ المنطقة لدى أحد الأكمنة المنتشرة بالمنطقة ، وعلى الفور - وبأسلوب المحترفين - قام الإرهابيون الثلاثة بإطلاق وابل من الرصاص على أفراد كمين الشرطة فأصيب أمين الشرطة خالد عدلى موسى ، وتبادلت معهم القوات إطلاق النيران فلقى أحدهم مصرعه ، وأصيب آخر وضبط الثالث دون إصابات .

وقد إتضح بعد مناقشتهم أن الشخص الذى قتل هو سعد محمد جبر اسماعيل وهو من قرية "مير" التابعة لمركز القوصية بأسيوط ، وكان يحمل بطاقة شخصية مزورة لشخص يدعى ياسر هاشم فرغلى ، وكان قد إرتكب واقعة إغتيال ضابط مباحث القوصية وحوادث أخرى إرهابية بأسيوط .

واتضح أن المصاب هو على محمد فرحان ، وكان يحمل بطاقة مزورة باسم سيد على السيد أحمد وشهرته "الشيخ عمر" ، وهو من مواليد مركز الفتح بأسيوط ، وصدر ضده حكم بالسجن المؤبد فى حادث زينهم والحوادث المشار إليها فى البداية ، وقد ضبطت معه خمسة آلاف دولار أمريكى وبندقية آلية (كلاشينكوف) وكمية كبيرة من الذخيرة .

أما الذى لم يصب فاتضح أنه شخص فلسطينى ينتمى لمنظمة حماس ويدعى سامر إسماعيل صالح ، وأنه مقيم بشارع أنطاكى بالنعام بعين شمس ، وكان

مسئولا عن حراسة وتأمين ثروت حجاج ، والذى أرسل إليه من اليمن عقب تدريبه هناك على إستخدام الأسلحة النارية وقواعد العمل الحركى وحرب المدن وغيرها مما يقتضيه النشاط الإرهابى٠٠ وقد أدلى باعترافات خطيرة عن **ثروت حجاج** ومجموعته وأرشد عن الوكر الذى كان يسكن به ، وقامت الشرطة بتفتيشه فعثرت بداخله على كمية هائلة من المتفجرات والأسلحة ، هذا بالإضافة لمجموعة كبيرة من المستندات الرسمية المزورة من جوازات سفر وبطاقات شخصية ورسوم كروكية لمواقع ومنشآت هامة وقائمة بأسماء بعض ضباط الشرطة العاملين فى مواقع حيوية .

وقد كشفت التحقيقات القضائية مع الإرهابى المصاب على فرحان بأن زميله الهارب ثروت حجاج كان قد إنتحل اسم المهندس عزت وتقدم لإستئجار الشقتين من مالك العمارة ويدعى طلعت عقيل خليل ، وهو مهندس بجامعة عين شمس ، ودفع مقدم إيجار قدره ثمانية آلاف جنيه ، ولم ينتظر حتى ينتهى من تشطيبات المنزل بزعم أنه كان يقيم مع "حماته" ، وتعرض لمشكلات وخلافات إقتضت ضرورة مغادرة منزلها .

ويؤكد مالك المنزل وجميع الجيران أن الإرهابيين لم تظهر عليهم طيلة الشهور الثلاثة الماضية أية مظاهر للتطرف أو حتى الإلتزام الدينى المألوف فلم يكن أحدهم يواظب على الصلاة بالمسجد أو يطلق لحيته أو يرتدى الجلباب .

ملحوظة : سنتناول فى فصل قادم وقائع مصرع ثروت حجاج تفصيلياً .

ونعود مرة أخرى إلى اليمن التى أصبحت إحدى محطات تصدير الإرهاب بعد أن فقدت بيشاور ثقلها أو كادت تفقده وحسبما ورد فى إعترافات القيادى عبد الحميد حب الله المتهم الثانى فى قضية طلائع الفتح بأن أيمن الظواهرى يحمل عدة أسماء حركية هى : (عبد القادر بن عبد العزيز ، وعبد المعز ، وكنيته أبو العز أو أبو فاطمة) ، وأنه يتنقل بين باكستان واليمن والسودان وإيران وأخيراً أوروبا ، وأن له علاقات وطيدة بعدد من الأفغان اليمنيين ، وأن "أمير" محافظة لحج الذى يدعى أحمد صالح عبد الكريم التقى به عدة مرات وأنه هو الذى كان قد عرفه على السعوديين وائل جليدان وأسامة بن لادن

وغيرهم منذ سنوات طويلة ، وكان يتقاضى منهما ٢٠ ألف درهم كراتب شهرى بعد أن إعتمد خطة للتنظيم كانت تبدأ بما أطلقوا عليه مرحلة الدعوة من خلال المساجد والدروس ثم الإعداد النفسى ثم التدريب وجمع الأسلحة .

ويمضى عبد الحميد فى إعترافاته قائلا : "إن لقاء قد عقد فى مقاطعة المراقشة باليمن فى معسكر أقامه أحد أبرز الأفغان اليمنيين هو طارق الفضلى، ويضم هذا المعسكر حوالى أربعمائة شخص تقريباً ، ويؤكد أن أسلوب تنظيم الجهاد هو ضم المنشقين على الجماعات الأخرى كالتوقف والتبين التى إنشق عليها عصام كرام والجماعة الإسلامية التى إنشق عليها ثروت حجاج وأيمن عودة بعد خلافهما فى بيشاور مع محمد شوقى الاسلامبولى ، كما أقر محمد مكاوى أسلوب إباحة استخدام الأوراق المزورة وكافة أساليب الحذر والحيطة فى تنفيذ عمليات الدخول والمغادرة أو القيام بأية حوادث ، فضلا عن عدم ضرورة أن تكون الأهداف محصورة فى رجال الشرطة إلا فى حالات الدفاع عن النفس فقط ، بينما تنحصر أهدافهم فى كبار رجال الدولة أو المنشآت الحيوية على عكس منهج الجماعة المسماه بالإسلامية التى تتخذ من رجال الشرطة أهدافا دورية وسهلة لهم ..

وفى حادث حلوان هذا يتبقى لنا عدة تساؤلات ..

من أين أتى هؤلاء الهاربون بأموال شراء المتفجرات والأسلحة والذخائر واستئجار الشقق ؟!

ومن أين حصل الإرهابى على فرحان على مبلغ خمسة آلاف دولار التى ضبطت بحوزته وعليها غلاف يفيد صرفها من أحد البنوك الوطنية بتحويل من مؤسسة مصرفية سعودية ؟

وما حقيقة ما يحدث فى اليمن بعد أن أصبحت ظروف الصراع السياسى هناك أشبه بما حدث ويحدث فى أفغانستان وهو المناخ الذى تنمو فيه فصائل الإرهاب بمؤازرة أحد الفرقاء ضد خصومة ؟ ..

وما تعرفه أجهزة التحقيق – أو لا تعرفه – عن اليمن وما كان يحدث فى اليمن يدفعنا بعيدا عن دائرة النوايا الطيبة ، ويجعلنا أكثر حذرا فى التعامل مع هؤلاء العائدين من هناك ولنا معهم وقفة أخرى فى موضع قادم من هذا الكتاب .

الفصل الســـابع

المحطـة اليمـنية ... مـرة أخـرى
إعترافـات إرهـابىعائـد من معسكر باليمن

لم يكن "العائدون من أفغانستان" نهاية المطاف فى سباق صناعــــة وتصديــر العنف العابر للحدود .. فهناك عائدون من نوع آخر .. وجهة أخرى ربما لا تقــل خطورة عنهم فى أساليب النشاط الإرهابى وخطط التنفيذ.. وهــم العــائدون مــن اليمن.. وهــؤلاء بدأوا – كما سبق وأشرنا – كرد فعل للصـــراع الداخلــى بيــن فصائل المتطرفين فى بيشاور من جهة ، وبعد تضييق الخناق عليهم مـــن جـانب السلطات الباكستانية من جهة أخرى .

ومن داخل أحد أوكار الإرهاب تأتى هذه الإعترافات الهامة لشـــاب مصـــرى ريفى قـــادته الظروف إلى اليمن .. فالتف حوله زبانية التطرف ورعاته .. حتـــى عاد لمصر مكلفاً بمهمة اغتيال رئيس الوزراء السابق د. عاطف صدقى ..

البـــداية التى تحدث كثيرا :

لم يكن نور الدين سليمان أكثر من مجرد شاب مصرى ريفى متدين ، تخـــرج فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ثم عين مدرسا بصفة مؤقتة بـــإحدى مـــدارس الريف حتى حضر ذات يوم للقاهرة لإستخراج شهادة إعفاء مؤقت مـــن الخدمـــة العسكرية لكونه العائل الوحيد لأمه ، وبعد أن أنهكه التردد على المكـــاتب طـــوال اليوم وقبل عودته للفندق المتواضع الذى ينزل به فى شارع كلـــوت بـــك بوســـط القـــاهرة إتجه إلى مسجد الجمعية الشرعية بشارع الجلاء .

توضأ وجلس فى صفوف المصلين وأدى الصلاة وهم بالخروج من المســـجد وحينئذ التقطه شاب تبدو على ملامحه مظاهر التقوى والـــورع .. تعـــرف عليـــه

وتحدث معه فى أمور الدين ثم دعاه إلى تناول الغداء فى أحد المطـــاعم الشــعبية بميدان رمسيس ، ومضى كل منهما يستعرض ظروف حياته وعمله ، وفى اليـــوم التالى ضرب معه موعداً للقائه فى نفس المطعم وعرض عليه أن يساعده بتوفـــير فرصة عمل فى إحدى دول الخليج عن طريق بعض معارفه .

سافر نور الدين إلى بلدته بعد أن ترك عنوانه لهذا الصديق أو "أخيه فى اللـــه" على حد تعبيره ، وبعد شهر من هذا اللقاء وصلة خطاب يبشره بوصول فيزا إلـــى السعودية وكلفه بسرعة إستخراج جواز سفر وإنهاء تعاقده مع المدرسة التى يعمــل بها ، وعلى الفور قام نور الدين باللازم وكتم الأمر عن الجميع إلا والدتـــه التـــى بشرها بفرصة العمر التى واتته بعد طول صبر وطلب منها أن تدعو له ..

وفى القاهرة إستقبله صديقه وإتجه به إلى الســـفارة وحصـــل بـــالفعل علـــى تأشـــيرة دخول السعودية ، وهناك قـــابل شخصاً مصرياً لم يعرف عنـــه إلا أنـــه يدعى أبو هشام ، وقام بتدبير سكن له بحى الجامعة فى جدة ، وتركه مقيمـــا بـــلا عمل حتى زاره ذات يوم وأفهمه بأن تدبير عمل فى المملكة العـــربية الســعودية أمر صعب لأنه دخل بتأشيرة عمره ، ولكن هناك فرصة عمل متاحة فى اليمـــن ، ولم يكن أمام نور الدين سوى القبول وبالفعل سافر براً إلى اليمن ، وهناك يحكـــى تفاصيل ما حدث له ونكتفى بتسجيلها دون تدخل فى السياق تاركين مهمة فهم مـــا بين السطور لفطنة القارئ .. فيقول نور الدين سليمان فى إعترافاته أمام النيابة :

" ذهبت إلى صنعاء والحقت كمدرس للغة العربية بإحدى مدارس منطقة جبل المراقشـــة التى تسيطر عليها قبائل حاشد وبكيل ، وتحكمهـــا الأعـــراف القبليـــة الصارمة ، وكنت أقيم هناك فى اســتراحة قديمة كـــانت مخصصـــة فيمـــا قبـــل للعسكريين ، وبعد أن عفا عليها الدهر خصصت بعد ذلك للمغتربين من مدرســـين ومهندسين وأطبـــاء ، وكانت الدراسة بالمدرسة تنتهى فى الثانية عشرة ظهـــرا .. ولم تكن هناك من وسيلة تربطنا بالعالم الخارجى سوى الراديو الذى مللناه ، ولـــم يبق لنا سوى محاولة الإندماج فى عالم القبائل ، وكانت مجالسهم تنعقد فيمـــا بيـــن العصر وحتى منتصف الليل،حيث يشارك الجميع فى تخزين القات وتناول الشـــاى الأخضر أو القهوة العربية وفقا للطقوس والعادات السائدة هناك .

وانخرطت مع زميل مصرى وطبيب سورى فى التردد على مجالس القات مراراً حتى كان ذات يوم وعقب صلاة الجمعة فاستمعت لخطيب شاب يتحدث بحماس عن جهاد الإخوة فى أفغانستان ويقارن بين أعداء الأفغان من الروس وحكام اليمن الحاليين مؤكدا أنهم جميعا شيوعيون وأن تجربة الجهاد الأفغانى قد فتحت عيونه وعيون إخوانه على أعداء الأمة من الحكام ..

وحينما شرعت فى مغادرة المسجد بعد إنتهاء الصلاة إستوقفنى أحد الشباب الملتحين طالبا منى حضور درس دينى يلقيه أحد الإخوة الذين وصفهم بأنهم من علماء الدين .. ولم أر مانعاً من البقاء ، ومضى ذلك الأخر "العالم" يتحدث باستفاضة عن ضرورة أن يكون المسلم مجاهدا حقيقيا لايكتفى بالصلوات والنوافل، بل "يجاهد" بكل ما أوتى من قوة فى سبيل ما أطلق عليه "تعبيد الناس لربهم وإقامة شرع الله والقضاء على طواغيت العصر من الحكام الجاهلين" وكان يتحدث بحماس ويعزز كلامه بآيات قرآنية وأحاديث شريفة ، وبعد أن أقمنا صلاة العصر دعانى إلى تناول الغداء مع الإخوة وتوجهت مع جماعة يتجاوز عددها مائة شخص تقريبا إلى قطعة أرض فسيحة مسورة ، تضم منزلا من طابقين ، وقد دهشت حينما رايت هذا المكان الواقع بين منطقتين جبليتين اشبه بحصن عسكرى منيع أقيمت على أركانه حصون للحراسة يقف بها شباب مسلح يرتدى ملابس أفغانية ويحملون أسلحة آلية ومناظير مكبرة .

ولم أشأ أن أسأل عن هذا الوضع الغريب لكن رفيقى لاحظ دهشتى فبادر بلغة فصيحة قائلا :

– هؤلاء الذين تراهم رجال وهبوا أنفسهم للجهاد وعاهدوا الله على النصر أو الشهادة وأن هذا المكان هو دار الضيافة للمجاهدين .

وحينما سألته عن العدو الذى يحملون السلاح ضده أجاب :

– كل الطغاه فى أفغانستان .. وفى اليمن .. وفى الخليج العربى وفى بلدك مصر وفى الجزائر وتونس .. إننا نسعى لإعادة الخلافة على الأرض التى إقتلعت منها وتحت أيدينا الرجال المخلصون .. والسلاح .. والخبرة .. والأموال وما يوم النصر ببعيد .

وفجأة التفت لى الشيخ الذى كان يتحدث فى المسجد قائلا :

– إننا نعرف عنك الكثير ياأخ نور الدين منذ أن غادرت مصر وحتى وصلت هنا ، ونعرف ترددك على مجالس الفسق وتخزين القات ، وكنا فى البداية نلتمس لك العذر ، لكننا نعول كثيراً على دور الإخوة المدرسين فى تنشئة جيل من شباب المجاهدين وسوف نعرفك على إخوان لنا مصريين فروا من بلادهم وتركوا المال والوطن والأهل حتى يعودوا إليها – بإذن الله – فاتحين ، ونثق فى الله تعالى أن يهديك إلى سواء السبيل .

ويمضى نور الدين فى سرد روايته ويؤكد أنه حينما سمع وشاهد ذلك تملك الخوف قلبه وقرر أن تكون هذه الزيارة هى الأولى والأخيرة .. لكن الإخوة لم يتركوه ، فقد تآمرت عليه جغرافية المكان وفراغ أيامه ورغبته فى المغامرة وإصرار الإخوة المريب ، فتكررت زياراته لدار الضيافة ووقف على تفصيلات الإقامة بها وإنشائها والإنفاق عليها ، وما يحدث داخلها " .

يقول نور الدين : " لم يدر بخلدى أن يتم شئ مثل هذا من وراء ظهر المسئولين فى اليمن لولا أننى عرفت أن هذه المناطق خارج حدود السيطرة الحكومية عليها وأن حمل السلاح – أياً كان نوعه – مسموح به فى هذه المناطق الجبلية الوعرة وأنه جزء من تراث أهل اليمن ومبعث فخر واعتزاز لديهم .

فضلا عن حديث سمعته من تلاميذى بالمدرسة يتحدثون عن عودة الشيخ طارق الفضلى نجل ناصر الفضلى سلطان المراقشة قبل ثورة اليمن .. وحيث سألت أحد الإخوة عن طارق تحدث عنه بإعجاب وإنبهار مؤكداً أنه من الشباب الذين جاهدوا فى أفغانستان وإستطاعوا نقل خبراتهم وأتباعهم إلى اليمن ، وأنهم يعولون على ولاء شيوخ القبائل التقليدى له بوصفه نجل آخر سلاطين القبائل هناك وهو الأمر الذى يكسب الإخوة ثقلاً شعبياً ورسمياً ، بالإضافة لإستغلالهم للصراع الدائر بين فرقاء الشمال والجنوب ، وبالأحرى بين أنصار الشيوعية ممن وصفهم بالملاحدة وبين رجال من أسماهم بالصحوة الإسلامية " .

ويعود نور الدين بذاكرته إلى الخلف ليتذكر كيف أقنعوه بالحياه معهم على طريقتهم مؤكداً أن بدايته كانت مجرد إلتزام دينى محض ، يخلو من أية دوافع

سياسية أو رغبات سوى إرضاء الله فكان يواظب على التردد على مسجدهم ومشاركتهم الصلاه والصيام والقيام حتى إنقطع عن مجالس القات ، ولم تعد إقامته بالإستراحة إلا للنوم فقط ، وهناك تعرف على أسماء سمع بها فى الصحف المصرية بوصفهم إرهابيين هاربين من مصر .. هناك شاهد مصطفى حمزة ، والذى يطلق عليه "أبو حازم" وجلس مع طلعت فؤاد قاسم وكان ينادى "بأبى طلال القاسمى" وحضر لقاء مع أيمن الظواهرى الذى زار جبال المراقشة لمدة يومين فقط وقوبل بحفاوة بالغة واجتمع بعشرات الشباب من المصريين وناشدهم العمل على تصدير "الجهاد" إلى مصر حتى تكون لغربتهم هذه جدوى وقيمة مؤكدين أن الجنة ليست للمصلين القائمين فقط ، بل للمجاهدين الذين يعبرون إليها على دماء الطغاه التى يجب أن تروى أرض الكنانة .

ويروى كيف إستطاع حوالى ثلاثين شاباً مصرياً تكوين جبهة داخلية كانت موالية لأيمن الظواهرى ، وأنهم إصطدموا بعدد من الملتحين بعد أن أفتى أحدهم بأن هؤلاء تابعون لما يسمى بالجماعة الإسلامية ووصفهم بالخوارج حتى تمكنوا من قتل إثنين منهم بعد إستئذان الإخوة اليمنيين وتركوا جثتهما فى العراء لتأكلهما الطيور الجارحة بوصفهما جيفتين لاتستحقان مجرد عناء الدفن أو حتى الصلاة عليهما .

ويرجع نور الدين أسباب هذه الخلافات إلى تقسيم أموال كان أثرياء من بعض البلاد العربية يمنحونها لقادة هذا المعسكر فى زيارات ليلية باستخدام سيارات اللاندروفر وفى حراسة مشددة من قبليين يمنيين وصفهم نور الدين بأنهم من أكثر الناس جلافة وغلظة فى الطباع ، وكانوا يتولون حراسة هؤلاء الأثرياء وأمراء الجماعات هناك وأنهم بعد عامين إقترحوا عليه أن يزوجوه من فتاة أفغانية فقدت زوجها أثناء جهاده ضد الروس لكنه اكتشف أنها أسيرة روسية وكانت قد تزوجت من أفغانى لقى مصرعه وإستطاع طارق الفضلى إستقدامها ضمن ثلاثين فتاة إلى الإخوة فى معسكر المراقشة الذى لم يكن أحد من الأهالى ليجرؤ على دخوله إلا بإذن الإخوة .

ويحكى نور الدين عن زيجته هذه فيقول :

"ذات ليلة بعد صلاة العشاء ونحر الذبائح ، ثم قيامنا بإطلاق الرصاص على أهداف صورية داخل معسكر ضمن عمليات التدريب على إستخدام الأسلحة التى كان يتولى أمرها أفغان وعرب كانوا فى بيشاور ، سمعت أن الأخ عبد العزيز يريدنى فى أمر هام ، وقد كان الأخ عبد العزيز هذا أميرا للإخوة اليمنيين والذراع اليمنى لطارق الفضلى ، والحقيقة أننى خفت من مجرد طلبه اللقاء بى فهو عادة لا يلتقى إلا للتكريم أو القصاص الذى ينفذه فى الحال بإطلاق الرصاص على من أصدرت لجنة أهل الحل والعقد القصاص منهم .. ولم أكن قد فعلت ما يستحق التكريم وفقا لما عرفت عن أسلوب الإخوة .

والحقيقة أنه لم يكن بيدى خيار فقد إصطحبنى إثنان من الإخوة الأفغان الذين كانوا يعملون فى خدمة الشيخ عبد العزيز إلى مقره ، وهناك دعانى إلى تناول حلوى ومشروبات كانت أمامه ولم يضع وقتاً طويلاً فى المقدمات ، بل تحدث مبدياً إعجابه بى وبأنى إستطعت خلال فترة وجيزة أن أنخرط فى الجهاد وأربى تلاميذى فى المدرسة على القيم الإسلامية وأحقق تقدما فى التدريب على الأسلحة والمفرقعات .. وأن الإخوة المصريين فى أفغانستان قد أثنوا على شخصى واعتبرونى عضوا فيما يسمى بمجلس شورى الجماعة وأننى أستحق مكافأة يرى الشيخ عبد العزيز أنها إستكمال نصف دينى بالزواج فهم يعلمون أننى أعزب وقد اختاروا لى فتاة مسلمة كانت زوجة لأخ أفغانى إستشهد فى جهاده ضد الشيوعيين ، وإبتسم الأخ عبد العزيز مضيفاً بلهجة مصرية مفتعلة بقوله : " أنت ملكش مزاج ولا أيه " ، ولم يمنحنى فرصة للحوار بل كنت مأخوذا بهذا الكلام ، وعلى الفور نادى أحد حراسه قائلا : "أحضر الأخت رقية" وعاد يوجه حديثه لى قائلا : (الشرع يتطلب أن ترى وجه زوجتك قبل الزواج ، ولذا سوف نقوم بذلك فى حضورنا وبوصفنا أولى الأمر هنا) .

"وحضرت فتاة بارعة الجمال صحبة الحارس ، كانت تتكلم العربية بصعوبة شديدة ، وجلست تتناول الفاكهه معنا وهى تحدق صوبى بفضول ، وتتفرس وجهى وعلى الفور حضر إثنان من الإخوة اليمنيين وقام الأخ عبد العزيز بتلاوة القرآن ثم إجراء عملية عقد القرآن الذى تم شفاهه وبلا أوراق ، وسألها أن تردد خلفه ما يقوله بوصفها أصيلة عن نفسها لكونها ثيبا وليست بكراً ، وقبلت الزواج

بعد أن إستغرقتنى المغامرة وبارك الإخوة الذين كانوا خارج غرفة الشيخ عبد العزيز زواجنا بإطلاق قاذفات "الهاون" والألعاب النارية والأناشيد والأهازيج الإسلامية وكان الأخ عبد العزيز قد أمر بإخلاء غرفة لى فى المنزل الملحق بالمعسكر لنقيم بها أنا وزوجتى رقية الأفغانية ، وإكتشفت أن زهاء ثلاثين غرفة يقيم بها إخوة من اليمن والجزائر وتونس ومصر وفلسطين والعراق وليبيا مع زوجاتهم الروسيات والأفغانيات .

"وما أن إنفردت بزوجتى الجديدة حتى إكتشفت أن الوسيلة الوحيدة للتفاهم معها لاتزيد عن علاقة أى رجل بأى امرأة أو بالأحرى أى ذكر مع أية أنثى ، فهى روسية كانت مجندة فى الجيش السوفيتى وأسرها الأفغان هناك وتزوجها أفغانى قتل فى عملية حربية ثم إصطحبها طارق الفضلى ضمن مجموعة من أرامل الأفغان إلى اليمن بتسهيلات ومعونات من هيئات الإغاثة العاملة داخل الأراضى الأفغانية !! ".

" وقد كانت " ساشا " – وهذا هو إسمها الروسى قبل أن يمنحها الأفغان إسم "رقية " – لا تعرف من العربية سوى بعض الكلمات المتناثرة بلهجة خليجية ، وفى موضوعات تتعلق غالباً بأمور الفراش .. وحتى الصلاة لم تكن تعرفها جيداً بل كانت تؤديها بطريقة آلية مثيرة للسخرية.. " .

"مضت بى الحياة معها بأن أتوجه للمدرسة صباحاً ثم أعود فى الظهيرة لأتناول الغداء مع الإخوة ، وبعد صلاة العصر تبدأ التدريبات داخل المعسكر وبعد العشاء تبدأ حلقات الدرس ، ثم أصعد لغرفة زوجتى الروسية .. وهكذا " .

التدريب على المتفجرات :

" تدربنا على إستخدام الأسلحة النارية وتصنيع المتفجرات والتعامل مع أهداف متحركة وثابتة .. وعمليات الهجوم على نماذج للمنشآت وبعد ذلك واصلنا التدريب على استخدام المتفجرات بواسطة مواد أولية بسيطة ويمكن توفيرها بسهولة وكان يتردد على المعسكر إخوة من جنسيات متعددة منهم الأفغان والسودانيون والإيرانيون وبعض العرب من جنسيات دول خليجية ، بالإضافة

لمصريين هـــاربين من مطاردة أجهـــزة الأمن منهم أسمـــاء لامعـــــــة صـــارت نجوما فى عالم الجماعات المتطرفة .

"حتى كان يوم إســـتدعانى الأخ عبد العـــزيز وبدأ حديثه معى بهـــدوء أمـــر وبقوله : (لقد أوشك العام الدراسى على الإنتهاء وقد أحرزت تقدماً ملحوظـــاً فـــى التدريب وأنت وجه جديد لايعرفه الأمن فى مصر وصار واجبـــاً شـــرعياً عليـــك يلزمك أن تقدم شيئاً هاماً لخدمة دينك وعقيدتك وإخوة لك وقفوا بجانبك ، وحتـــــى لايختلط الأمر عليك فإننى بصفتى ولى الأمر هنا فقد قررت فك عقدة النكاح بينـــك وبين زوجتك بعد أن استقر الرأى على تكليفك بالقيام بمهمة "جهاد شرعى" داخـــل مصر وقد تأكدنا أنها ليست حاملا منك وسوف تقابل أحد الإخوة المصريين لينقـــل إليك التكليفات اللازمة وتفصيلات المطلوب منك) .

ويمضى نور الدين فى إعترافاته بتأكيده أنه لم يكن بوسعه مناقشة الشيخ عبد العزيز بل كان لزاماً عليه السمع والطاعة بموجب البيعة التى بايعها له لهذا شـــرع فى الإستعداد للعودة لمصر حتى حضر إليه موفد من قبل أيمن الظواهرى- يدعى يسرى - وسلمه شيكا مصرفيا مسحوبا على أحد البنوك الأجنبيـــــة عـــن طريـــق مؤسسة عربية للصرافة وبمبلغ خمسة آلاف دولار أمريكى وبطاقة شخصية باســـم إيهاب طه عثمان ، ثم طلب منى أن أحمل كمية من البطاقات و"شـــــهادات إنهـــاء الخدمة العسكرية خالية البيانات" إلى مصر وكلفنى بأن أستأجر شقة بالقـــاهرة ولا أغـــادرها إلا بعد أن تصلنى تعليمات أخرى منه وأن أتصل به فى اليمـــن علـــى تليفون أعطانى رقمه بعد أن استأجر الشقة فى حدود عشرة آلاف جنيـــه مصـــرى بالإسم المدون بالبطاقة المزورة التى قدمها لى .

وبالفعل بمجرد عودتى للقـــاهرة واستئجارى للشقة اتصلت به فى اليمن فـــرد على وكلفنى بشراء سيارة ، وأنه سوف يرسل لى المبالغ المطلوبة على صنــــدوق بريد رقم ٨١٧ بالمعادى ، وفى هذه الأثناء حضر إلى الشـــقة الأخ طـــارق عبـــد النبى الفحل ، وأخبرنى بأنه قادم من طرف الأخر يسرى باليمن ، وأنـــــه يعـــرف تفصيلات كل شئ بيننا وسوف يتعاون معى فى مهمة شرعية هى بمثابـــة "الفـــرح الكبير" .

وقد إستقبلته بشئ من الحذر وإتجهت إلى أحد الفنادق لإجراء اتصال بيســـرى فى اليمن والذى ضحك فى التليفون وطمأننى وطلب أن أتعاون مع طارق ، وفـــى

اليوم التالى حضر طارق ومعه عصام تونى الذى كنت قد شـــاهدته فـى بيـت الضيافة باليمن ومعه شخص يدعى أيمن المصيلحى ، وآخر يدعى السـيد صـلاح سليمان وحدثونى عن العملية المكلفين بها .

كانت العملية هى إغتيال عاطف صدقى رئيس الوزراء قدم لى طـارق عـدة أوراق تتضمن معلومات عن تحركـات رئيس الوزراء وشكل الركاب المصـاحب له وحراسته ومواعيد خروجه وخطوط السير التى يسلكها ومنزله ، ورسماً كروكياً للمنطقة ، وأفضل طريق تتبعه المجموعة فى هجومها وطريق إنسحاب المجموعة المنفذة للحادث ، وطلب منى معاودة الإتصـال بـاليمن لإرسـال مبـالغ لشـراء المتفجرات والأسلحة ، وبالفعل إتصلت بيسرى وحدثته عن المجموعة فثـار فـى وجهى وأغلق الخط وحينما حضر الإخوة إلى الشقة وأطلعونى علـى ورقـة بهـا الرموز الشفرية التى يجب أن أستخدمها فالفـرح الكبير يعنـى عمليـة الإغتيـال والعريس هو رئيس الوزراء وهكذا ، وأفهمونى أنه من المحتمل أن تكون أجهـزة الأمن ترصد الإتصالات بين مصر واليمن وأنه من الضرورى اتخـاذ كافة وسائل الحيطة والحذر من التصرفات والمكالمات الهاتفية .

وعدنى يسرى بإرسال شيكات على صندوق البريد بالمعادى وبالفعل أرسـل الشيك الأول بمبلغ ٥٣٠٠ دولار مسحوب على بنك مصر فـرع طلعـت حـرب صادر من شركة الراجحى المصرفية ، والثانى على البنك العربى المحدود بمبلـغ ٣٠٠٠ دولار صادر من نفس الشركة "الراجحى" والثـالث بمبلـغ ٢٨٠٠ دولار مسحوب على بنك أوف أمريكا .

وكان الأخر طارق الفحـل قد إشترى سيارة ماركة فيات ١٣٢ ثم اسـتأجرنا محلا بشبرا الخيمة حتى نتخـذه كمخزن للمتفجرات والأسلحة الزائدة عن حاجتنـا فى العملية المرتقبة التى جاء تنفيذها على النحو المعلوم بأن وضعنـا المتفجـرات داخل السيارة الأوبل وإنتظرنا على الرصيف المقابل بينما رصـد بـاقى الإخـوة تحركات ركاب رئيس الوزراء وقمت بتشغيل الريموت كنترول فإنفجرت العبـوة الناسفة وعلى الفور وقبل أن نتأكد من مصرع أحد إنسحبنا من الموقع وفقا للرسـم الكروكى الذى اتفقنا عليه من قبل ، والذى رصـده طـارق وآخـرون وقمـت بالإتصال من محـل قريب بأخ كان ينتظرنا فى وسط البلد وأبلغتـه "أن العريـس

دخل خلاص" وقد قام هذا الأخ بإبلاغ يسرى فى اليمن والذى أرسل بدوره بيانا عبر أجهزة الفاكس إلى وكالات الأنباء يعلن مسئولية طلائع الفتح عن العملية التى كنا نشاهد حينئذ آثارها على شاشة التليفزيون حتى تمكنت أجهزة الأمن من ضبطنا فى العملية الأخيرة، ويطرق نور الدين شارداً فى فراغ الغرفة حتى يسأله وكيل النيابة عن تفاصيل تمويل المجموعة التى ينتمى إليها فيجيب :

بالنسبة لى من المستحيل أن أقف على تفاصيل الموضوع كله فقد أكد لى الإخوة فى اليمن أن المعرفة مرهونة بالدور الموكل لى يعنى أنا عارف على قد قدرى والأمير هو الذى يرسل لى النقود ، أما السؤال عن مصدر حصوله عليها فهذا أمر لا شأن لى به ، ولايجوز لى أن أسأل فيه وفقا لفتوى صدرت عن مجلس شورى الجماعة تؤكد أن من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه .

وسأله وكيل النيابة عن التدريبات التى تلقاها فأجاب :

أنا تدربت على تصنيع المتفجرات باليمن ، وإستخدام الريموت كنترول ورصد الشخصيات ، وبإختصار كل أساليب الكر والفر أو ما يعرف بحرب المدن .

س : وهل تلقى أعضاء مجموعة محاولة الإغتيال نفس التدريبات ؟

ج - لا أعرف على وجه اليقين لكنهم كانوا على دراية جيدة بكل العمليات والمهارات التى تدربت عليها وأنا أعرف أن عصام تونى كان معى فى اليمن وتلقى نفس التدريبات .

وأسأله أنا بعيدا عن تحقيقات النيابة - عما إذا كان نادماً على ما إرتكبه فيجيب بسخرية ومرارة معاً :

وماذا يفيد الندم .. إتنى لا أعرف كيف حدث كل ذلك بهذه البساطة .. لقد تركت نفسى للمغامرة دون أن أتوقف معها قليلا .. إن العشرات من أمثالى يخوضون نفس التجربة ويصمون آذانهم عن النصيحة فلا تنصحوا أحداً ولا تحاولوا إثناء أحد .. ولكن قاتلوهم .

الفصل الثـــامن

ليـلة مصـرع أميــر العائـدين من اليـمن
ثـروت حجـاج ٠٠ الأمير الزائف

فى الثامنة من مساء يوم الإثنين ١٤ فبراير ١٩٩٤ كان شارع السـيد بحـى السيدة زينب بالقاهرة يعج بالمارة والزائرين والمتسكعين عقب الإفطار فى إحـدى أمسيات شهر رمضان بينما كان هناك من يترقب وصول ثروت حجـاج واثنيـن من أتباعه هما عاطف عيد ومصطفى محمود .. وهناك كانت نهـايتهم برصـاص رجال الشرطة .. أما البداية فقد كانت قبل ذلك بحوالى خمسة عشر عاما .

كان ثروت فى هذه الأثنـاء لايزال طالباً بالثانوية الصناعية بالمنيا .. يتعـثر فى دراسته حتى تركها وإنضم لتنظيم الجماعة الإسلامية بالمنيـا ، والذى كان قـد تلقى ضربة أمنية أجهضت بنيتـه التنظيمية عقب أحداث أسـيوط الداميـة عـام ١٩٨١ ، وإلقـاء القبض على المئات من بينهم أمير الجماعة فى المنيـا حينـذاك ناجح إبراهـيم عبد الله المتهم الرابع فى القضية رقم ١٦٢ لسـنة ٨٢ المعروفـة باسـم قضية تنظيم الجهاد الأول .

وفى أعقـاب ذلك آثر ثروت حجاج الفرار إلى القـاهرة هربـاً مـن بلدتـه بالصعيد حيث كان يخضع لمراقبـة أمنية .. وفى ضواحى المطرية إسـتقر بـه المقام وإتخذ من مسجد فجر الإسلام مستقراً لنشاطه فى محاولة إعادة تكوين خليـة أخرى .. وبدأ بإطلاق لحيته والإلتزام بالمظهر السلفى التقليدى ، واكتفـى بإلقـاء الدروس الدينية واستقطاب الأتباع فيما سماه بمرحلة الدعوة ..

وتمكن بالفعل من ضم العشرات لحلقات الدرس الذى كان يلقيه عقب صـلاة العشاء يوميا ، كان أبرزهم طارق سيد مرسى وعلى محمد فرحـان وسعد محمـد جبر – الذى لقى مصرعه فى حـادث المعصرة فى نهاية شـهر ينـاير ١٩٩٤، وإتخذ مسكناً له فى عزبة معروف بالمطرية .. وبدأ نشاطه كبقال فى محل يمتلكـه أحد أبناء الصعيد المقيمين بالمنطقة .

وحتى هنا فكل شئ كان يمكن أن يمر دون أن يلفت إليه نظر أجهزة الأمـــن حتى كانت واقعة إصطدامه ببعض أتباع جماعة التكفير (الشوقيون) الذين حـــاولوا الإستيلاء منه على مسجد فجر الإسلام ، ومنعه من إلقاء الدروس فيه أو التحـــرك من خلاله .. وحمل الطرفان الجنازير وشهدت ساحة المسجـــد واحدة من أشـــرس المعـــارك بين جماعة التكفير بزعامة طارق إبراهيـــم .. والجماعـــة الإســـلامية بزعامة ثروت وتحركت قوات الشرطة وألقت القبض على عدد من المتشـــاجرين كان من بينهم ثروت حجاج نفسه .

وداخل سجن طرة إلتقى ثروت بالعشرات من نجوم الإرهاب ، ومن مختلـــف الجماعات .. وشهد العديد من المناقشات ولمع اسمه فى صفوف أعضاء الجماعـــة الإسلامية الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة .. فهو شاب يحترق شوقاً وحماساً لأى عمل إنتحارى .. ومدة بقائه فى السجن أشرفت على الإنتهاء .. فى الوقـــت الـــذى سجن فيه أغلب العناصر الفعالة وفر الباقون ، ولم تعد الساحة خارج السجن كمـــا كانت .. وخصوصا فى القاهرة التى إستأثر على الوجود الفعال بها هؤلاء العائدون من أفغانستان الذين لايجيدون أسلوب التصرف ورصد الأهداف كالمقيمين داخـــل مصر .. وإن كانوا يجيدون فنون القتال واستخـــدام المفجرات. (وهذا علـــى حـــد تعبير المتهم على فرحان الذى ألقى القبض عليه فى وكر المعصرة بحلوان) .

وأفرج عن حجاج عبد الله أمين الشهير بثروت والمكنى "بأبى أحمد" ، وخرج عاقدا العزم على الإتصال بالعائدين من بيشاور ..وبالفعل نجح فى اللقاء ببعضهـــم الذين عرفوا تفصيلات ما جرى معه داخل السجن ولقاءه بالرعيل الأول من نجوم الإرهاب وحملوا إليه تكليفات من طلعت فؤاد قاسم المكنى بأبى طـــلال القاســـمى والهارب حالياً فى الدانمارك ..

وكانت هذه التكليفات تدور فى فلك الصراع بين نشاط جماعة طلائـــع الفتـــح المنشقة عن الجهاد وبين الجماعة الإسلامية ..

وعاد طلعت يس همام حاملا معه خطة حركية جديدة أسماها "بإنقاذ إنجـــازات الجماعة" ، وتتلخص خطته فى القيام بعدد من العمليات الكـــبرى حتـــى لايســـتأثر منافسوهم أعضاء "طلائع الفتح" بالفوز فى ساحة الإرهاب .

وتأتى إعترافات أحد المتهمين فى حادث المعصرة لتؤكد " أن قيادة الجماعـــة الإسلامية بالخارج ترى أن الإخوة فى الصعيد قادرون على تمويل أنفســـهم ذاتيـــاً

وإثبات وجـودهم من خلال عمليات منظمة ضد أجهـزة الأمـن ، بينمـا كـانت مجموعة القاهرة تفتقد للقيادة المركزية ، ورغم وجود العديد من أعضاء الجماعـة إلا أنهم قبل وجود ثروت حجاج كانوا مجرد شرذمة لايجمعها رابط لذلـك كـان وجود ثروت بمثابة إشعال فتيل الإنفجار فى عبوة جاهزة للتفجير" .

ومن هنا إنهمرت الأموال على ثروت حجاج من خلال تحويـلات مصرفيـة كان آخرها مبلغ الخمسة آلاف دولار التى ضبطت مـع علـى فرحـان بوكـر المعصرة ، والتى تحمل إيصال تحـويل من مؤسسـة الراجحـى بالسـعودية .. ومضى ثروت وأتباعه يستأجرون الشقق فى بعض المناطق العشوائية على أطراف القـاهرة مثل المطرية وحلوان .. ثم بدأوا عملياتهم بمحاولة إغتيال المقـدم طـه السيد طه مدير نيابة شرق القاهرة العسكرية الذى حقق وترافع ضـد مجموعـات العائدين من أفغانستان ، وقد قسم ثروت المهام بين أتباعه .. فهناك مجموعة لرصد الأهداف ومتابعة تحركاتها بقـيادة عاطف عيد .. ومجموعـة لشـراء الأسـلحة والمتفجرات وتخزينها فى الشـقق التى إستأجرها سعد محمد جبر ومجموعة للتنفيذ وهذه الأخيرة تتغير كل مرة ، ويشارك ثروت حجاج ، وعلى فرحان فـى تحديـد أسماء المرشحين للقيام بعمليات إرهابية جديدة ، فضلا عن ثلاثة حراس يتنـاوبون فيما بينهم على حراسة ثروت وزوجته وأبنائه الثلاثة ، وقد إعـترف الفلسـطينى سامر إسماعيل صالح أنه كان واحداً من هذه المجموعة التى نالت شرف حراسـة الشيخ "أبو أحمد" ، كما كان يلقب ثروت بين أتباعه .

وجاءت واقعة مهاجمة وكر المعصرة الذى كان يختبئ به ثروت وأسرته فـى شقة منه ، وعدد من أتباعه فى شقة أخرى بنفس العقار لتقلب كل خططـه رأسـاً على عقب ، وتكشف عن أتباعـه ومصادر تمويلـه وأسـلوب تنفيـذه للعمليـات الإرهابية ودوره فيها الذى أكده أتباعه أنه كان يتلخص فى القيام بعمليات التنسـيق بين مجموعة الجماعة الإسلامية فى الصعيد وخاصة فى أسـيوط والمنيـا وبيـن مجموعة القاهرة من جهة، والقيام ضابط الإتصال بين قادة الجماعة فى أفغانسـتان وبعض الدول العربية وبين العناصر الموالية لهم بمصر من جهة أخرى .

وتفصيلاً لهذا الدور فقد كان ثروت حجاج يستقبل الفارين من خلايا الجماعـة بأسيوط إلى القاهرة ، ويشرف على عملية إقامتهم وتدبير سكن لهم وإخفائهم لفترة بعيداً عن عيون الأمن ، ثم الإستعانة بهم فى بعض العمليات التى يقوم بها داخـل

القاهرة ، وأخيراً يتم إستخراج وثائق مزورة لهم كالبطاقات الشخصية وجوازات السفر تمهيداً لهرب بعضهم للخارج فى ضوء ما يتلقاه من تكليفات بمعاونة أى منهم على السفر للخارج ، هذا فضلا عن تلقيه الأموال عبر تحويلات مصرفية باسم أحد من أتباعه والإشراف على كيفية إنفاقها .

وقد كشفت إعترافات أعوانه فى وكر المعصرة بحلوان عن العديد من العمليات الإرهابية التى كان ثروت يعد لها فيما أسماه بالإنتقام "لشهداء الزاوية الأبرار"، بينما تؤكد المصادر الأمنية أن ثروت عقب هروبه من الوكر ومعه زوجته وأحد أتباعه إختبأ بمدخل إحدى العمارات بمنطقة تقسيم المعلمين بالمعصرة وصعد لإحدى الشقق وطرق عليها وحينما فتح له قاطنها أشهر فى وجهه هو وزميله بندقية آلية ومسدساً ، وأجبرا الأسرة على البقاء فى إحدى غرف الشقة وظلا مختبئين بها حتى غادرت قوات الشرطة المنطقة وحل الظلام فدخل ثروت الحمام واغتسل وحلق ذقنه واستبدل ملابسه بأخرى من متعلقات صاحب الشقة وكذلك فعل زميله فى حين كانا يتناوبان تهديد الأسرة التى حبسوها داخل الغرفة ثم أمر زوجته – المنقبة – بخلع النقاب وإرتداء الملابس الأفرنجية من دولاب زوجة صاحب الشقة المحتلة .. وبعد ذلك أغلقوا الشقة على قاطنيها وتسلل ثروت وزوجته فى البداية هاربين ثم أعقبهما زميله الذى يعترف بواقعة شراء الأسلحة فيما بعد بقوله "ثروت إدانى ألفين جنيه علشان أشترى بيهم سلاح بعد إللى مسكوه فى المعصرة وقاللى إطلع على بلبيس هناك فيه واحد اتصل بيه وقوله أنا من طرف الحاج رضوان الصعيدى وهو حيديك السلاح الآلى ومعاه أربع خزن وشوية طلقات... " .

ويعود زميله ومعه السلاح ولايجد ثروت فتأخذه هناك زوجته وتقوم بإخفائه وتنقل إليه رسالة تركها "أبو أحمد" يضرب له فيها موعدا للقائه بزاوية صغيرة فى المطرية وهناك لايجد ثروت فيعود إلى الزوجة هناء زينهم التى تتسلم منه السلاح وتطلب أن ينتظر وصول زوجها أسفل العمارة وبعد ساعتين وصل ثروت حجاج وطلب منه أن يذهب ويرسل فى طلب مصطفى محمود وقت الإفطار مباشرة فيحضر ويسلمه السلاح الآلى وقنبلتين ماركة F1 ويصطحبه حتى ميدان رمسيس للقاء عاطف عيد ثم يتجهون ثلاثتهم لميدان السيدة زينب ومنه إلى شارع

السـد وفى حارة بنى حسين فى انتظار موعد ضربه أحدهم للقاء شـخص رابـع الذى لم يكن سوى رجال المباحث الذى شعر بهم ثروت بما له من باع طويل فـى مطاردة الشرطة ، فأدرك أنه قد وقع فى كمين وعلى الفور أمر أتباعه بإلقاء القنابل إلا أن رجال الشرطة – وقد امتلكوا زمام المبادرة – كانوا أسـرع منـه فـأطلقوا عليهم وابلا من الرصاص أردوهم صرعى وسط ذهول المارة الذيـن لـم يكـن يتصور أحدهم أن هؤلاء الثلاثة هم الإرهابيون الذين يقفـون وراء العديـد مـن الحوادث الإرهابية .

وحينما تهاوت أجسادهم سقط من بين ثنايا ملابس مصطفى سـلاحه الآلـى الكلاشينكوف والعبوات الناسـفة التى تم إبطال مفعولها قبل أن يرتكبـوا جريمـة شنعاء كان من الممكن أن يكون ضحيتها عشرات المواطنين الذين تعج بهم منطقة السيدة زينب المزدحمه خاصة فى أمسيات رمضان .

وتأكيداً لإعترافات بقية أفراد التنظيم فقد عثر بملابس ثـروت علـى كـارت ممغنط للإتصالات الدولية .. واتضح أن ثروت قد استخدمه فى الإتصال بباكستان والدانمارك (محل إقـامة طلعت فؤاد قاسم أمير ما يسمى بالجماعةالإسـلامية) .. ويبقى أن نتحدث عن صراع نشب بين أعضاء هذه الجماعة حول الإمـارة ، فقـد أفتى القيادى الشهير صفوت عبد الغنى بألا ولاية لأسير حتى ينتزع الإمـارة مـن عبود الزمر الذى كان قد إنضم للجماعة تاركاً تنظيم الجهاد أثناء سجنه .. وعقـب ما عرف بالحوار الذى كان مزمعاً إقامته فى ظروف سابقة مع قادة المتطرفيـن ، وحينما أسـدل وزير الداخلية حسن الألفى الستار على هذا السـيناريو بتصريحـه الذى أكد فيه بألا حوار مع هذه الجماعات .. أصدر عمر عبد الرحمن فتواه ضـد طلعت فؤاد قاسم الذى تثور حول ذمته المالية الأقاويل ومنها إستيلاؤه على أمـوال التبرعات النفطية وسفره بها إلى الدانمارك فأفتى عمر عبد الرحمن بـألا ولايـة لشريد حتى تستقر الإمارة المزعومة فى عقل ووجدان ثـروت حجـاج بوصفـه القيادى النشط الوحيد الذى تنطبق عليه شروط إمارة تنظيم الجماعـة الإسـلامية الإرهابى .. وبمصرعه لن تنتهى المواجهه مع خفافيش الإرهاب .. فمازال هنـاك الكثيرون منهم الذين تنتظرهم مواقع أخرى كتلك التى شهدها شارع السـد .

الفصل التاسع

المحطة الشمالية

لموردات الإرهاب ... فى لندن

(لا يوجد لبريطانيا أصدقاء دائمون..ولا يوجد لها أيضاً أعداء دائمون ، بل توجد لها مصالح دائمة) .

بهذه المقولة المتداولة منذ أكثر من نصف قرن حسم رئيس وزراء بريطانيا الأشهر ونستون تشرشل قضية لم تزل موضع خلاف وجدل فى أوساط السياسة العربية ، كما لو كنا قد أصبحنا -كعرب- خارج التاريخ..أو ربما لم نعد نصلح لتعلم شيئ من التجارب السابق.. أو كأننا نبدأ تعاطى السياسة للمرة الأولى فى كل قضايانا وأزماتنا المصيرية ، ويكاد هذا المنطق العاطفى أن ينهار من أساسه بمجرد الإقتراب من ملف إتخاذ قادة الإرهاب من العاصمة البريطانية (لندن) مقراً ومنطلقاً لهم ليمارسوا من خلالها أنشطتهم الداعمة للحركات والتنظيمات الراديكالية فى كثير من البلدان العربية وما يترتب على ذلك من دعم لوجستى ومادى لنشطاء تلك الجماعات وتبرير كل ما يرتكبه عناصرها من جرائم وحشية، وهنا يثور السؤال المزمن فى كافة أوساط المراقبين الأمنيين والسياسيين عن مصلحة بريطانيا فى إيواء تلك العناصر ومنح بعضهم حق اللجوء السياسى وربما الجنسية البريطانية أيضاً رغم كل ما يتوافر لدى أجهزة الإستخبارات الإنجليزية من معلومات تشير بل وتؤكد صلة هؤلاء بالحركات الإرهابية ودعمهم لها ، ليس هذا فحسب ولكن إطلالة واحدة على ما تعانيه بريطانيا نفسها من أنشطة الجيش الأيرلندى وما يقوم به عناصره من حوادث إغتيالات وتفجيرات كان من الأجدى بها أن يجعلها فى خندق التصدى لكافة صور وأشكال الإرهاب مهما كانت دوافعه أو أهدافه ، لكنها على الرغم من هذا كله ما زالت لندن هى العاصمة السياسية

لجماعات التطرف والمحطة المفضلة لأمراء الإرهاب العرب على إختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم ومشاربهم ، وهو الأمر الذى يدفعنا للبحث فى أسرار تلك العلاقة الغامضة بين التطرف والديمقراطية .. بين حرية التعبير وحرية الإغتيال .. بين دولة الأمراء ودولة المواطنين ، وبتعبير آخر ما هى مصلحة بريطانيا فى الإبقاء على هذه العناصر والرموز الإرهابية داخل أراضيها ؟

والحكاية قديمة قدم علاقة بريطانيا بالمنطقة العربية .. فمن الثابت تاريخياً أن أجهزة الأمن والإستخبارات الإنجليزية تربطها صلات قديمة منذ مطلع هذا القرن بتلك الحركات والجماعات حينما كان معظم الوطن العربى يخضع للإحتلال البريطانى وكانت قد نشطت حركات التحرر ومقاومة الوجود الإستعمارى ، وأدرك صناع السياسة الإنجليز أن الرحيل آت لامفر منه وهنا نشأت فكرة تطبيق سياسة إثارة النعرات الطائفية والعرقية والمذهبية بين شتى البلدان العربية ، وبعيداً عن الخوض فى تفصيلات هذا المخطط وتطبيق تلك السياسة التى لم يزل العرب يعانون منها حتى الأن فما يعنينا هنا فى هذا السياق هو كيفية إستخدام بريطانيا لهذه الجماعات والتنظيمات الدينية التى لعبت – ولم تزل – دوراً بالغ الخطورة فى صياغة السلوك السياسى بالمنطقة وكذا فى حسابات التوازنات والمصالح الأجنبية فى الداخل والخارج ، وتعود البداية إلى عام ١٩٢٨ وبالتحديد عقب نشأة أولى هذه الجماعات وهى جماعة الإخوان المسلمين التى أسسها حسن البنا فى مدينة الإسماعيلية بمصر ومنذ ذلك التاريخ وهى تستخدم كورقة ضغط هامة فى دهاليز السياسة وحسابات القوى المتصارعة فى الوصول إلى مقاعد الحكم ، ورغم إدعاء منظرى الإخوان فى كل مناسبة ودون مناسبة أن الجماعة قامت بدور نضالى ضد الوجود الإنجليزى وحاربوه فى منطقة القناة إلا أن هذا الأمر لم يحدث من منطلق وطنى محض بقدر ما كان ورقة أخرجها البنا بعد إصطدامه بالقصر وحزب الوفد وأخيراً قيام أحد أعضاء الجماعة بإغتيال النقراشى باشا ، وهنا وجدها الإخوان فرصة سانحة لتدريب مئات العناصر التابعين للجماعة والمنخرطين فى صفوف النظام الخاص على السلاح وفنون القتال وخوض غمار معركة حقيقية تمهيداً للإلتفات مرة أخرى للداخل والقيام بالإنقلاب المسلح ، وهو

الأمر الذى تكرر مرة أخرى حينما أعاد التاريخ دورته فى الحرب الأفغانية ودفع الإخوان وغيرهم بمئات وربما آلاف الشباب العربى لساحة المعركة التى لم يكن لنا – كعرب – ناقة فيها ولا جمل أللهم إلا لنفس الأسباب التى دخل لأجلها الإخوان معركة فلسطين ومقاومة الوجود الإنجليزى، والدور الأمريكى المعلن فى الزج بآلاف الشباب العربى فى أتون الحرب الأفغانية هو نفسه الدور الإنجليزى التاريخى الذى دفع بعناصر الإخوان إلى أرض فلسطين ، ولعلنا لسنا بحاجة للإشارة إلى أن الدور الأمريكى المعاصر هو الوريث الشرعى للدور الإنجليزى إبان تلك الحقبة التاريخية مع إختلاف الظروف لصالح الولايات المتحدة .

ومع إعتذارنا عن هذه المقدمة الطويلة – نسبياً – لكنها كانت ضرورية لفهم المنطق البريطانى فى التعامل مع تلك القضية الشائكة وأطرافها ، نبدأ برصد التيارات المتطرفة التى تتخذ من لندن ساحة للنشاط الحركى والتنظيمى ، وقد كان الإخوان المسلمون فى طليعة هذه الحركات التى إنتقلت للمحطة الشمالية منذ منتصف الخمسينات من القرن ، وعقب إصطدامهم بالسلطة الناصرية وفر من إستطاع الفرار منهم إلى عدد من البلدان الأوربية أبرزها بريطانيا وألمانيا ، وقد تزامنت الهجرة الأولى للإخوان إلى لندن مع هجرات مماثلة من مسلمى القارة الهندية وبعض العناصر القادمة من سوريا والعراق ، وخلال هذه المرحلة إقتصر نشاط هؤلاء على الأنشطة الإجتماعية كالإحتفال بالأعياد الإسلامية وإتاحة الفرص لأبنائهم للزواج من أسر إسلامية وباختصار ظل نشاطهم محدوداً حتى ظهر أحد أعضاء الجماعة من الرعيل الثانى – الجيل اللاحق على حسن البنا – وهو الدكتور كمال الهلباوى الذى أعلن عن إنشاء مكتب إعلامى للجماعة تحت مسمى **(مركز أبحاث الإخوان المسلمين)** وذلك فى غضون شهر أكتوبر من العام ١٩٩٥ وأعلن نفسه متحدثاً رسمياً وناطقاً باسم الجماعة ، وبدأ هذا المركز نشاطه بعقد مؤتمر صحفى وندوة لازمتها بعض المشكلات مع جمعية الصحفيين الأجانب فى بريطانيا من جهة ومع إخوان تونس وفلسطين والعراق من جهة أخرى ، فبعد أن حجز الهلباوى قاعة بمبنى المراسلين الأجانب –وهو مقر فخم ومرموق يتردد عليه رجال الصحافة والإعلام الإنجليز والأجانب– إلا أنه قبل عقد المؤتمر المذكور بيوم واحد إعتذرت إدارة المبنى عن إمكانية عقد المؤتمر

باعتبار أنه ينطوى على نشاط سياسى يتعارض مع أهداف الجمعية التى تنحصر فى النشاط الإعلامى والصحفى ، ولا شأن لها بالأنشطة السياسية لأية جماعة أو حركة معارضة أخرى ، ثم جاء أيضاً إعتراض الرعيل الأول من إخوان البلاد العربية المهاجرين الأوائل لبريطانيا الذين كان محور رفضهم يتمحور حول فكرة أساسية مؤداها أن المقاصد العليا والأهداف الإستراتيجية لهم تنصب على ما أسموه (**توطين الإسلام**) فى ديار الغرب ، وليس تصديره أو إعادة تصدير الحركة للبلاد التى أخرجوا منها على حد تعبيرهم ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهلباوى كان قد سبق له تأسيس مركز آخر للدراسات فى إسلام أباد إبان الحرب الأفغانية وأصدر حينئذ مجلة (**الدعوة**) الناطقة باسم الجماعة من هنالك بعد سحب ترخيصها فى مصر وظل يمارس نشاطاً واسعاً فى بيشاور حتى إحتدمت الصراعات والخلافات بين الفصائل المتطرفة وعجز الهلباوى والإخوان عن الإصلاح بين الفرقاء الذين تضاربت مصالحهم وإصطدمت طموحاتهم السياسية الأمر الذى أجبر الهلباوى على مغادرة الساحة ونقل نشاطه بصورة نهائية إلى لندن ، وفى هذه الأثناء تسابقت جماعات وتنظيمات أخرى فى تأسيس مراكز للبحوث ومكاتب إعلامية وإصدار الصحف والدوريات والنشرات الدورية وحتى المنشورات والملصقات أيضاً ، فقد أعلن بريطانى آخر من أصل مصرى هو الدكتور أحمد عبد المجيد فهمى عن تأسيس كيان يسمى (**لجنة العمل المصرية**) التى قال مؤسسها أنها تهدف إلى التصدى لما أسماه إنتقاص الحريات والكبت السياسى ، وعلى صعيد آخر أعلن الإرهابى القيادى ياسر توفيق السرى عن إنشاء ما يسمى بـ (**المرصد الإعلامى الإسلامى**) ويجدر التنويه إلى أن السرى أحد أبرز قيادات تنظيم الجهاد الإرهابى وصدر ضده حكم بالإعدام فى قضية محاولة إغتيال الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء المصرى السابق ، كما سبق إتهامه وإدانته قضائياً بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة فى القضية ١٣ / ١٩٩٥جنايات عسكرية والخاصة بمخطط الإتصال بين جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم الجهاد .

فى منشور بعنوان (**مسودة تعريف**) يعرف ياسر السرى المرصد الإعلامى الإسلامى بأنه هيئة إعلامية حقوقية تعليمية إسلامية تهتم بقضايا المسلمين فى أنحاء الأرض قاطبة ومركزه العصمة البريطانية ، وتتفرع عنه ما يسمى بلجنة حقوق الإنسان الدولية ، والمنشور بأكمله مرفق فى"الملاحق والوثائق" فى نهاية الكتاب .

ليس هــؤلاء فقط هم كل فرســان التطرف ولوردات الإرهاب المقيمين فــى لندن .. فهناك وفقاً لدراسة أعدتها جامعة دربى البريطانية وبثتهــا علــى شـبكة الإنترنت حوالى ١٤٠٠منظمة أصولية متطرفة تعمل داخل الأراضى البريطانية ، وتضم بين صفوفها أربعة آلاف شخص من الهند والباكستان وكافة الدول العربيــة وبعض دول شرق آسيا وغرب أفريقيا أيضاً .

ونبقى مع الإخوان فى لندن الذين نظمــوا فــى شــهر أكتوبــر مــن العــام ١٩٩٥وخلال مركزهم الإعلامى ندوة تحت عنوان (**مستقبل الديموقراطيــة فــى مصر**) ودعوا إليها عدداً من رموز الجماعة والمتعاطفين معها فــى مصــر ولــم يحضرها ســوى عادل حسين الأمين العام لحزب العمل المتحالف مــع الإخــوان وكذا بعض المحامين الإنجليز المرتبطين بصلات عمل مع المؤسسات الإقتصاديــة الإخوانية فى لندن ، هذا فضلاً عن حضور القيادى التونســى المعــروف راشــد الغنوشى والدكتور محمد زكى بدوى عميد الكلية الإسلامية فى لندن وهى إحــدى المؤسسات التعليمية الخاصة والتابعة للإخوان ، كما حضر الندوة أيضاً عدد مــن قــادة التنظيم الدولى للإخوان فى ألمانيا الذين أبدوا إســتعدادهم للمســاهمة فــى تحريض منظمات حقوق الإنسان والحكومات الغربيــة للتشــهير بسـمعة الــدول والأنظمة التى تحارب ما أطلقوا عليه الصحوة الإسلامية .

ولعله من السخف أن نتصور أن مثل هذا الملتقى بما تضمنه مــن فعاليــات وأنشطة يمكن أن يجرى بعيداً عن أعين الأجهزة البريطانية العتيدة وهى صاحبــة أكبر أرشيف عن هذه الحركات فى أوروباوربما العــالم كلــه وذلــك منــذ عهــد الإستعمار الإنجليزى لدول الشرق الأوسط والهند٠٠ولكن السؤال الصحيــح فــى موضعه الصحيح هو عن مصلحة بريطانيا فى غض البصر عن تلــك الأنشــطة العلنية والعدائية أيضاً التى تمارسها هذه الجماعــات ، والســماح لهــا بتأســيس الجمعيات ذات الطابع السياسى والمراكــز الإعلاميــة والمؤسســات الإقتصاديــة والتعليمية وغيرها من الكيانات التى تصطدم بسياسات العديد من الــدول العربيــة المفترض أن لبريطانيا مصالح مشتركة معها ، والإجابة عن هذا السؤال "الكبــير" تبدأ من حى "**ريجنت بارك**" الذى تقطنه غالبية من منسوبى هذا التيار الفارين مــن بلدانهم والمطاردين بأحكام قضــائية صدرت بحقهم على مــدار العقــود الثلاثــة

الماضية ، وفى هذا الحى أيضاً يقع الجامع الكبير .. وعلى بعد خطوات منه يقع "جراج" أسفل إحدى البنايات حيث يقوم لوردات الإخوان باستئجاره كل يوم جمعة لأداء الصلاة فيه ، وهذا الوضع المضحك يكشف حجم الخلافات بين الفريقين الكبيرين من تيارات التطرف فى لندن وهما حزب التحرير الإسلامى الذى يسيطر على الجامع الكبير ويطرح معالجات خطابية وقضايا لا تروق للإخوان مما يدفع هؤلاء إلى إستئجار الجراج ، وقد تحول حى ريجنت بارك بفضل ذلك الصراع المحموم .. الذى ينقلب فى أحيان كثيرة إلى صدامات دامية يستخدم فيها الفرقاء أسلحتهم الشهيرة من المطاوى والسكاكين والجنازير وهو الأمر الذى يقتضى تدخل الشرطة ولا سيما أيام الجمع حيث يصبح الحى أشبه بثكنة عسكرية ، هذا بخلاف زائرين آخرين وهم رجال الصحافة ورسامى الكاريكاتير الذين يبحثون عن حكايات طريفة ومسلية يستمتع بها القراء الأنجليز فى عطلات نهاية الأسبوع ، أو مشهد كوميدى ليصورونه أو يرسمونه عن هؤلاء "المسلمين الإرهابيين" الذين يعكسون ما يجرى فى بلدانهم من موضوعات أو ممارسات ، وما يتبعوه من وسائل لحل ما بينهم من خلافات أو إختلافات فى الرأى أو العقيدة ، مؤكدين بذلك على ما تروج له الدوائر الصهيونية بأن هؤلاء العرب والمسلمين شعوب لا تحتمل الخلاف فى الرأى .. ولا تطيق التعددية الفكرية ولا تعرفها أساساً .. ولا تتصور إمكانية التعايش السلمى حتى بين بعضهم البعض ، فهم دمويون بطبعهم ولا تناسبهم أطروحات الديموقراطية .. ولا تجدى معهم الحوارات العقلانية .. ولا تعتبر مائدة المفاوضات هى المكان الأنسب للتفاهم معهم .. بقدر ما تجبرهم البنادق والجرافات والقنابل المسيلة للدموع على الإمتثال والإذعان .. ، وهكذا تنتهى كل أيام الجمع ببعض التحقيقات الصحفية المثيرة والرسوم الكاريكاتورية اللاذعة التى تنشرها الصحف الشعبية فى بريطانيا عن هؤلاء الهمجيين من ذوات الأربع "زوجات" على حد تعبير إحدى الصحف المحلية .

وتعيدنا هذه الصورة القاتمة مرة أخرى إلى السؤال الذى طرحناه فى البداية عن المصالح التى يتصور البريطانيون أنها ستعود عليهم من خلال الإحتفاظ بهذه الدمى المتطرفة .. والتى عبر عنها محرر الإندبندنت **(روبرت فيسك)** المتخصص فى هذه الشئون والذى سبق له إجراء عدة حوارات صحفية مع أسامة بن لادن فى

مخبئه بأفغانستان .. وهو يحدد رؤية السياسة البريطانية للإبقاء على هذه الحركات فى النقاط التالية :

١- أن وجود هذه الكيانات وممثليها على الأراضى البريطانية من شأنه أن يزود الأجهزة المعنية بالمعلومات الصحيحة ، ويدعم تعرفها على المواقف السياسية بصورة دقيقة داخل البلاد التى أتوا منها دون الحاجة إلى الأنشطة الميدانية والإتصال المباشر بتلك الدول ، وما قد يترتب عليه من نفقات باهظة وربما مواقف حرجة مع حكومات وأجهزة هذه البلاد ، وهم بهذا المنطق يعملون بصورة مغايرة لتلك التى تعمل بها أجهزة الأخرى كالمخابرات الأمريكية مثلاً .

٢- أن الإبقاء على قادة هذه الجماعات سينشأ عنه بصورة أو بأخرى قنوات إتصال بينهم وبين الأجهزة البريطانية .. وعلى المدى البعيد سوف تتزايد تلك القنوات وتتبلور فى آليات ثابتة للتفاهم المشترك ، وهو الأمر الذى يكفل ضمان إستمرارية المصالح البريطانية فى حالة تمكن هذه الجماعات من الوثوب على السلطة فى بعض البلاد على غرار ما حدث فى إيران أو السودان مثلاً .

٣- أن المعلومات التى ستتوافر أو تتراكم لدى أجهزة الإستخبارات البريطانية عن هذه الحركات وقادتها هى فى حد ذاتها مكسب لا يستهان به .. حيث يمكن إستخدامها كورقة فى التفاوض أو ممارسة الضغوط على الأنظمة الحاكمة فى الشرق الأوسط ، وعلى أدنى تقدير يمكن مبادلتها فى عمليات مقاصة معلوماتية إذا لزم الأمر إجراء ذلك .

٤- أن هذه التيارات والتنظيمات مدعومة مادياً بشكل أو آخر من جانب مؤسسات أو أفراد أثرياء على شاكلة بن لادن وغيره ، وأن هذا الدعم يتجاوز الملايين التى يرى البريطانيون فى تدفقها وتداولها داخل بلادهم أمر من شأنه تحريك الركود الإقتصادى ومواجهة حالة الكساد المتفشية هناك ، فهذه الجماعات تستأجر الأماكن وتطبع الكتب والمجلات والمنشورات وتنتج أفلام الفيديو والكاسيت وتقيم المؤتمرات وتستخدم الفنادق الفخمة لإستقبال ضيوفهم ولا مانع أيضاً من عقد بعض صفقات الأسلحة المحدودة أو التوسط فيها لصالح أتباعهم وفقاً لقواعد السرية التى يتم الإتفاق عليها والكفيلة بعدم إحراج بريطانيا .

٥- أن رفض السلطات البريطانية السماح بأنشطة تلـــك الجماعـــات ســوف يترتب عليه إنتقالهم لدول أخرى سوف تتيح لهم حرية العمل والحركة ، وبالتـــالى لن يعود ذلك القرار بالمنع بأية فائدة على بريطانيا .. وبالتالى فمن الحماقة إتخـــاذ مثل هذا الموقف بلا ثمن تدفعه الأنظمة والدول المعنية بهذه الحركات .. أو يدفعه من يهمه الإبقاء عليها فى حالة رفض تلك الدول التفاهم حول الأمر .

إنها باختصار لعبة "المصالح الدائمة" التى عبر عنها تشرشل والتى يدافع عنها تلميذه المحامى الإنجليزى جون بلاتسى ميلز الذى كان يعمل فى مكتبه إبان الحرب العالمية الثانية والمعروف فى بريطانيا بـــ "محامى البلاط" ، وقد شبه قضاة مصر فى كلمته التى ألقاها أثناء مؤتمـــر الإخوان بالقاضى الإنجليزى "جيفرز".. الـــذى كان قد أصدر حكما بإعدام ثلاثمائة شخص عـــام ١٦٨٠ إبـــان حكـــم كروموبـــل لبريطانيا .

وقد إلتقت هذه (**المصالح الدائمة**) لبريطانيا مع (**المصالح المعتـــبرة**) لفقهـــاء التطرف ولوردات الإرهاب المقيمين فى لندن ، والذين لـــم تغـــب عـــن فطنتهـــم وحساباتهم حقيقة ما يمثله وجودهم من مصالح لبريطانيا ، وبالتالى تعاملوا معهـــا بنفس المنطق وذات الطريقة ، فقد وجدوا فى بقائهم هناك مناخاً مواتياً لأنشـــطتهم للإعتبارات التالية :

١- أن بريطانيا تتمتع بمناخ سياسى وإجتماعى غير معاد للأجانب والملونين وبالتالى يمكنهم ممارسة التحرك السياسى والنشاط التنظيمى بغـــض النظـــر عـــن جنســـياتهم أو دياناتهم ، على عكس ما يجرى فى ألمانيا مثلاً من عـــداء شـــعبى متنامى للأجانب خاصة الملونين والمسلمين من جانب جماعات النازيين الجدد .

٢- أن الجاليات الإسلامية والعربية فى بريطانيا تعتبر من أكبر الجاليات فى أوروبا (**حوالى مليونى مسلم تقريباً**) وبالتالى يمكنهم حشدها والعمل على التفـــافهم حول أنشطتها الأمر الذى سيترتب عليه تكوين قاعدة شعبية وثقل جماهيرى يمكـــن التعبير عنه فيما بعد سياسياً وإجتماعياً وإقتصاديـــاً فـــى التعـــامل مـــع الأجهـــزة والسلطات البريطانية أو فى إعادة تصدير حركاتهم للبلدان العربية .

٣- أن النظام القضائى الأنجلو سكسونى يتسم بأنه مطاط ومـــرن ، ويمكـــن النفاذ منه وإختراق القواعد القانونية التى تحكمه والإلتفاف عليها بواسطة خـــبراء

قانونيين مهرة خاصة وأنه يعتمد على العرف والإقناع أكثر مما يعتمد على القواعد الثابتة .

٤- وجود آلة إعلامية قوية فى لندن مع إمكانية إصدار عدد لا محدود من الكتب والنشرات والمطبوعات بكافة اللغات دون الخضوع لأية رقابة من أى نوع، وهو الأمر الذى يعول عليه كثيرا نشطاء تلك الحركات والجماعات فيما يتعلق بالترويج لأفكارهم ومعتقداتهم على صعيد تجنيد عناصر جديدة ، أو خوض المعارك ضد الخصوم والمنافسين .

٥- سهولة الإنتقال والإتصال بين لندن وكافة دول العالم ، وهو ما يتيح لهم مد جسور التفاهم مع تيار لايقل قوة متواجد فى ألمانيا حيث توجد القيادة العليا للتنظيم الدولى للإخوان المسلمين ، بالإضافة لإمكانية الإتصال المباشر بدول آسيا والكومنولث المستقلة عن الإتحاد السوفيتى السابق وغيرها ، وهو ما لم يكن متاحاً بنفس القدر فى ظل بقائهم داخل بلدانهم الفارين منها .

٦- أن أغلب قادة هذه الجماعات مطاردين من دولهم وصدرت بحقهم أحكام قضائية ، ولاتوجد إتفاقيات تسليم أو تبادل مجرمين بين بريطانيا وأية دولة عربية وهو ما يجعلهم فى مأمن من تلك الملاحقة القضائية أو الأمنية .

٧- أن وجود هذا الزخم والتنوع بين الجماعات والفرق الإسلامية يرى فيها لوردات الإخوان خاصة ظاهرة صحية لاتدعو للقلق أو الإنزعاج .. فعلى حد تعبير كمال الهلباوى فى إحدى ندواته "**أن تعدد الصوت الإسلامى من شأنه إثراء الحركة الإسلامية ودعم الصحوة .. فكل فصيل من هذه الفصائل يتحدث لغة تعبر عن المناخ والمجتمع القادم منه .. وهى بالضرورة اللغة المفهومة والمقبولة فى ذلك المجتمع .. وأن الخلافات ليست جوهرية بالقدر الذى قد يفسد للود قضية** ".

وهذه المقولة "البليغة" للهلباوى تدفعنا إلى منطقة أخرى من مناطق التطرف على الطريقة "الديموقراطية" .. وتسوقنا إلى لورد آخر من لوردات الإرهاب لايقل خطورة عن الهلباوى وإخوانه .. وربما كان هو المعنى بهذه العبارة

أساسا من باب مد جسور التفاهم معه .. وهو **عمر بكرى محمد** ، السورى الذى يعتبره المراقبون واحدا من أخطر لوردات الإرهاب فى لندن بوصفه أحد قادة حزب التحرير الإسلامى الذى إنشق عليه مؤخراً وأسس جماعة خاصة به هى "**المهاجرون**" وهو شاب فى مطلع العقد الرابع من عمره كان ترتيبه السادس والعشرين بين إخوته وتخرج كلية الشريعة باحدى الدول العربية وأنشأ فى بريطانيا "كلية لندن للشريعة الإسلامية" فى العام ١٩٩٤ وهى عبارة عن مبنى مكون من طابقين فى حى توتنهام شمال لندن ويضم هذا المبنى فى الطابق الأرضى مطبعة وشبكة كمبيوتر صغيرة أما الطابق الثانى فهو منزل بكرى نفسه ؛ وتتسع هذه الكلية لأكثر من خمسين شخصاً بينهم العربى والهندى والباكستانى وتصل نفقات الفرد الواحد إلى ٣٠٠ جنيه إسترلينى فى الدورة الواحدة التى تستغرق خمسة شهور تقريبا ؛ ويستقدم البكرى رموز البتارات المختلفة لإلقاء المحاضرات فى كليته مقابل مكافأة مالية سخية فمن المعروف أنه تلميذ للشيخ **خليل الميس** وهو أحد أبرز الإخوان السوريين ، إلى جانب **على بلحاج** القيادى الجزائرى المعروف و**راشد الغنوشى** التونسى ، وأخيراً **حسن الترابى** زعيم ما يعرف بالجبهة الإسلامية فى السودان .

وكان عمر بكرى قد وصل إلى لندن عام ١٩٨٥ بعد إنشقاقه عن حزب التحرير الإسلامى الذى عبر عن أسباب خلافه معه بأنه يركز نشاطه على الشرق الأوسط فقط .. وبالتحديد فى سوريا والعراق ومصر وتركيا ولبنان والأردن وبعض دول الخليج وهو ما اعتبره بكرى نشاطا إقليميا محدودا وبالتالى فقد امتد نشاط جماعته "المهاجرون" إلى المغرب العربى والبوسنة وكشمير والشيشان وجزر القمر مورشيوس وتنزانيا ونيجيريا وجنوب أفريقيا وماليزيا وأندونيسيا وغيرها .

ورغم قيام بكرى بتأسيس جماعتة "المهاجرون" إلا أن صلاته لم تزل وطيدة بكافة قيادات حزب التحرير الإسلامىوخاصة مع أميره الشيخ "**عبد القديم زلوم**" الذى يرى فى بكرى دماً جديدا يدعم أنشطة الحزب ويتيح مساحات واسعة من النشاط الحركى لم تكن ممكنة من قبل .. وتؤكد مصادر بريطانية أن عملية

الإنشقاق ما هى إلا تحرك تكتيكى وتمثيلية يعرف كل طرف أو كل ممثل منها دوره .. ويؤديه بقناعة من شأنها إخراج عمل متكامل متعدد الرؤى والإتجاهات ، ويضيف المصدر أن بكرى قد استطاع السيطرة على معظم الجماعات الصغيرة فى لندن وأصبح منافساً قوياً للإخوان ففى الوقت الذى كان الإخوان يتمتعون بنفوذ وتواجد مكثف بين أوساط الهنود المسلمين والباكستانيين قام بكرى بإستقطاب عشرات الجماعات العربية الصغيرة المتناثرة على الساحة البريطانية ووفر لهم الدعم المادى والغطاء القانونى وخاصة بين أوساط أبناء المغرب العربى ، وكذا أنشأ علاقة قوية مع شخصيتين هامتين هناك .. الأول هو الشيخ **صاحب حسن** وهو متطرف من أصل باكستانى يعتبر نفسه تلميذا لأبى الأعلى المودودى وبهذا التحالف إستطاع بكرى إختراق إحدى دوائر النفوذ الإخوانى التقليدية .. تاركاً لهم أنصارهم من الرعيل الأول للمهاجرين إلى بريطانيا وهم عادة من كبار السن وإن كانوا يتمتعون بثروات مالية ضخمة .

أما الشخص الثانى فهو المغنى البريطانى "**كات ستيفن**" الذى أشهر إسلامه وأصبح يعرف باسم "**يوسف إسلام**" والذى أنشأ بدوره منظمة تعرف بمؤسسة "**مسلم إيد**" والتى وقعت عقداً مع بكرى على تلقى عشرين شخصا لدورات منتظمة بكلية الشريعة المملوكة له مقابل ستة آلاف جنيه إسترلينى عن الدورة الواحدة .. وقد تم ضم يوسف إسلام أو كات ستيفن إلى مجلس شورى جماعة "المهاجرون" الذى ينعقد سنوياً فى شهر أبريل من كل عام .. ليكون بذلك النشاط منافساً للمؤتمر الذى يعقده الإخوان المسلمون بإشراف كمال الهلباوى .

ويصف بعض المراقبين القادمين من لندن عمر بكرى بأنه يعيش حياة لورد حقيقى فهو يرتدى زياً غربياً أنيقاً للغاية ويستخدم الجاجوار فى تنقلاته .. ويتحدث الإنجليزية بطلاقة وبلاغة .. وله ترزى خاص.. وحلاق خاص وحارس خاص .. وسائق خاص أيضاً .. وفضلاً عن هذا كله فهو متعدد الصلات.. ومتشعب العلاقات مع كافة التيارات الموجودة على الساحة البريطانية .. ففى الصباح يمكنه إستقبال أعضاء جماعته "المهاجرون" ثم يستأذن منهم فى طريقة لإجراء مقابلة مع قيادى من حزب الله بأحد الفنادق ذات النجوم الخمسة بوسط

لندن .. ثم يترك هذا لحضور ندوة للإخوان المسلمين .. وبعد دقائق من المجاملات ينصرف لأنه ضرب موعداً هـاماً مع أحد مشايخ الطرق الصوفية فى منزلـه .. ويستعمل أكثر من هاتف محمول لتلقى مكالمات من شتى بلدان العالم .. وإن كـان عدوه اللدود - وربما الوحيد -.. الذى لايطيق سماع اسمه هو أسامة بـن لادن .. وترجع هذه العداوة إلى خلاف شخصى نشب بينهما حول زعامة الأفغان العرب فى بيشاور التى لاينكر بكرى إهتمامه البالغ بها .. وصلاته مع كافة الفرقاء هنـاك .. وعلى وجه الخصوص مع حركة طالييان التى يتوقع لهـا أن تؤسـس أول كيـان سياسى مجمع شـتات "المهاجرون" من الدول المختلفة مؤكدا على أن مثـل هـذا الأمر لن يكون موضع رجاء أو تفاوض فهو حقهم على الإخوة الأفغـان بعـد أن هبوا لمناصرتهم والوقوف بجانبهم .. وقد آن الأوان لأن يردوا بعض المعـروف الذى أسدوه لهم حتى ينطلقوا من شعاب وجبال أفغانستان محررين لبلاد الإسلام فى كل مكان .

أما كمال الهلباوى وإخوانه فيرون فى بكرى " **شابا طموحا يتقد حماسـا وإن كان لايخلو من بعض النزق والإندفاع** " .. ويحاولون إحتواءه أو الإلتفـاف علـى جماعته التى لم تعد ضئيلة الشأن .. وهو بدوره يبادلهم نفس الأسلوب .. ويقـول عنهم "**أنهم شيوخ أجلاء .. لايجوز لنا أن نطالبهم بأكثر مما يملكون فقد أنهكتهم المعارك والسجون .. وعلينا أن نقدر لهم فضل الريادة**" ولعـل هـذه المنـاورات تذكرنا بموقف الإخـوان من جماعات الإرهاب الأخرى العاملـة علـى السـاحة المحلية والإقليمية وإن كانت اللغـة التى يستخدمونها فى لنـدن أكـثر وضوحـاً وتحديداً .. ولامجال فيها للتقية أو حسابات التوازن مع السلطة فهو إعتبار مستبعد فى عاصمة الضباب ، وتبقى جماعة الإخـوان .. الأم الولـود لكـل تنظيمـات وجماعات الإرهاب سـواء فى مصر أو فى الأردن أو سـوريا أو الجزائـر أو غيرها من البلدان العربية .. وحتى فى ألمانيا وبريطانيا مازالت تفرخ المزيد مـن فئران وخفافيش الإرهاب ، وها هى أخيرا تنصبهم لوردات فى لندن .. يؤسسـون الجماعات ويقيمون المؤتمرات .. ويناورون الحكومات.. ويزايدون على مقـدرات الشعوب .. ويقدمون الخدمات الجليلة لإسرائيل والصهيونيـة العالميـة والأجهـزة

الإستخبارات الغربية التى تساومنا بهم .. وتستخدمهم كورقة ضغط سياسى فى كل القضايا .. بدءاً من قضية فلسطين وانتهاء بلقمة الخبز التى نلهث خلفها حتى لايتضور أبناؤنا جوعاً .. ما يمكن قوله فى النهاية .. أو ما تبقى لنا هو التأكيد على أن العنف المرتبط بجماعة الإخوان المسلمين لم ينته .. ولم يتوقف .. ولم يضعف .. وغاية ما هناك أنه – أى العنف – كالأفعى تبدل جلدها بين الحين والآخر ويغير صفته .. فبعد أن كان إبنا شرعيا لهذه الجماعة إبان النظام الخاص أو التنظيم السرى فقد أصبح اليوم إبنا غير شرعى لها .. أو لقيطاً .. وكما يقول علماء الشريعة : "الولد للفراش" فما سقط فى هذه المرحلة .. ليس العنف .. بل الصفة الرسمية المعلنة لتلك الإبوة .. لا واقعها .. ولا حقيقتها .. لأن العنف والإرهاب صفتان متلازمتان لفكر هذا التيار الدموى .. وريث الخوارج .. وأصحاب "كلمة الحق" التى يراد بها الباطل دائما .. فهل توقف البعض قليلا عن مغازلة تلك الأفعى ؟

أما المضحك حقا فى الختام أن بريطانيا "العظمى" لم تزل تطالب بمحاكمة شخصين ليبيين إتهمتهما بالتورط فى قضية سقوط طائرة لوكيربى الشهيرة .. وتقوم بموازرة دولية .. بفرض حصار على دولة وشعب بأسره من أجل هذين الفردين .. أما آلاف الإرهابيين الذين يرتعون فى ديارهم .. وينعمون بحمايتهم .. فلا وزن لهم .. أو للشعوب التى يهددون أمنها وسلامتها ومستقبل أبنائها .. ألم نذكر من البداية كلمة تشرشل الشهيرة .. أنه لاتوجد صداقات .. أو عداوات دائمة .. بل توجد مصالح دائمة .. فهل فتشنا عنها .. وأظنها ليست قليلة ، وليست خافية على أحد .. بقى أن نحاول إستخدامها ولو مرة واحدة .

البـــاب الثـــالث

تمـــويل الارهــــاب !

والكون ده موجود من غير حدود

وفيــه عقــا رب لـيـه وتعــابيـن

عالم مجرب فات وقال سلامات

ده ياما فيه سؤلات من غير ردود

صلاح جاهين

الفصــل الأول

أموال الإرهــاب من الباهــاما إلى دشــنا

كل وزراء الداخلية المصريين والعرب أيضاً صرحوا بأن جماعات الإرهــاب تتلقى دعما ماليا من الخارج .

وكل المراقبين ورجال الصحافة أكدوا أن بعض الدول تدعم النشاط الإرهابى فى مصروغيرها من البلدان .. ولكن لم يحدثنا أحد عن هذه الدول .. وطبيعة هذا الدعم .. وحجمه ، ورداً على هذه التساؤلات فقدكان من الضـــرورى أن نحــاول البحث عن إجابة أو حتى مجرد إيضاح .. ولنبدأ باعادة قراءة بعض الأخبــار ذات الدلالة الهامة والصلة الوثيقة بالحكاية .

فى أكتوبر ١٩٩٢ ضبطت مباحث أمن الموانى بمنفذ السلوم الــبرى ثلاثيــن كيلو جراما من الذهب فى صورة سبائك كانت مهربة داخل ســيارتى أجــرة فــى تجاويف ســرية بهما ، وقد اعترف قائدا السيارتين بصلتهما بأعضاء نشطين مــن تنظيم الجهاد – "طلائع الفتح" .

فى فبراير ١٩٩١ وضعت أجهزة الأمن يدها على شيكين مسحوبين على فرع بنك (إسلامى) بالقاهرة طرف زوجة عمر عبد الرحمن ويذكر أن قيمتهمــا بلغــت ١٤٠ ألف دولار ، وحينما تتبعت ســلطات النقــد المصرية حســاب الشيخ عمر كان الرصيد صفراً بعد أن تلقى البنك أمر تحويل بالفاكس لفرع البنك بـــالخرطوم وتدخل الدكتور حسن الترابى شخصياً لسرعة إنجاز هذه المهمة .

وفى مارس ١٩٩٣ قام عمر عبد الرحمن – قبل أعتقاله من جانب السلطات الأمريكية والحكم عليه بالسجن مدى الحياة – بجولة فى كندا جمع خلالها تبرعات قدرت بحوالى ١٦٠ ألف دولار ، وكانت قد وقعت قبل ذلك خلافات بيـــن عمــر ومهندس يدعى مصطفى شلبى كان يتولى إدارة ما يسمى بمكتب المجاهدين الأفغان

فى نيويورك ، وقد لقى هذا الأخير مصرعه داخل مسكنه بأربع رصاصات وعدة طعنات وفى ظروف غامضة وإن كانت بعض المصادر والمراقبين يرجعون ذلك إلى الخلافات بينه وبين عمر عبد الرحمن .

وهذا يسوقنا إلى إعترافات بعض المحكوم عليهم فى قضية تنظيم طلائع الفتح الذين اتهموا أيمن الظواهرى بالقيام بجمع تبرعات من هيئات الإغاثة الإسلامية ببعض الدول العربية الصديقة "الشقيقة" وبزعم تدبير نفقات المجاهدين المصريين الموالين له ، ثم أودعها فى حسابه بأحد بنوك سويسرا ولم يكتف بذلك فقد قام ببيع الأسلحة التى اشتراها له ولجماعته أسامة بن لادن وعبد الله عزام وآخرين من أعضاء التنظيم العالمى للإخوان المسلمين ، واستبدلها بسبائك ذهبية وقرر بعدها اللجوء السياسى لإحدى الدول الأوربية (الدانمارك) ، خاصة بعد أن انشق عليه تلميذه السابق فى التطرف المعروف بـ"العقيد" محمد مكاوى ، الذى كان قد أسس بالإشتراك مع ياسر توفيق السرى تنظيماً جديداً هو "طلائع الفتح" الذى يضم مجموعات كل واحدة منها تسمى بطليعة ولعل أخطرها تلك المسماه "بطليعة جند الله" التى كان يتزعمها "أبو أسامة" وهو كنية للإرهابى نزيه نصحى راشد الذى لقى مصرعه أثناء تنفيذ محاولة إغتيال حسن الألفى وزير الداخلية ، وقد كانت هذه المجموعة تضم "أبو النصر" وهو كنية عادل عوض صيام الذى أتهم لاحقاً فى حادث محاولة إغتيال عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق وصفوت الشريف وزير الإعلام وحسن الألفى وزير الداخلية .

وهكذا يتضح أن الخلافات بين الإخوة الإرهابيين لم تكن فقهية بقدر ما كانت لأسباب حركية ، ولم تكن أساسها العقيدة بل النقود والنفوذ ، وهم بهذا يقتفون أثر معلميهم الأوائل فى تنظيم الإخوان المسلمين .. الذين انطلقوا من السجون المصرية فى الخمسينات ليتجهوا إلى بلاد الخليج العربى وأوربا وبدأوا فى تأسيس جمعيات دينية اتخذت فى البداية شكل النشاط الإجتماعى أوالإصلاحى أوالخيرى فحسب ، ثم ما لبثت أن إندفعت إلى العمل السياسى والتنظيمى تحت مسميات الإغاثة الإسلامية تارة .. والجهاد ضد الكفار تارة أخرى ، وحينما واتتهم الفرصة للعودة مع بداية عصر الإنفتاح عادوا لمصر – مع البضائع الفاسدة وأشياء أخرى–

ليدعموا جمعيات والجماعات الموالية لهم كالجمعية الشرعية وشباب محمد والتبليغ والدعوة وغيرها .. هذا بالطبع فضلا عن الجماعة الأم "الإخوان المسلمين" ، والتى تحولت إلى مفرخة للمتطرفين والإرهابيين تحت مسميات تنظيمية أخرى كالجهاد أو الجماعة الإسلامية أو التوقف والتبين أوغيرها من المسميات ، وحتى لايتصور القارئ أن هذا الحديث مجرد كلام مرسل فإننا سنلجأ إلى الإستعانة بما ورد باعترافات المتهم شريف محمد حسن الذى عززته مصادر أمنية رفيعة المستوى :

"إن إجتماعاً قد عقد بإحدى العواصم العربية شهده ٢٧ شخصاً من عدة دول عربية يمثلون ما إصطلحوا على تسميته "**بلجنة الدفاع عن الصحوة الإسلامية**" وذلك لمناقشة تدبير مساندة الحركات (**الإسلامية**) بدول العالم ومؤازرتها بالعتاد والأموال .. " والمثير أن هذه القائمة لاتضم فقط شخصيات تمثل هيئات خاصة أو مؤسسات فردية بل تشتمل على رجال رسميين ببعض الدول (الصديقة) مما يعزز القول بأن هناك من يدفع بهم إلى هذه الدائرة المشتعلة لغرض ما فى نفس يعقوب ، فضلا عن كون تلك المؤسسات الخاصة مملوكة لرجال ذوى نفوذ مما يؤكد أن هذا النشاط الذى تقوم به لايتم من وراء ظهر الأجهزة .

وقد قام بالفعل أحدهم وهو شيخ عربى معروف بمواقفه السلفية المتطرفة وشرائطه المنتشرة فى ربوع الدنيا ويدعى (أ . أ) بالإعداد لحملة ضخمة لجميع التبرعات من كبار التجار والأثرياء والتى وصلت إلى خمسة ملايين دينار كويتى اتجهت بطرق مجهولة إلى جهات لها صلة وثيقة بجماعات الأفغان العرب ومؤسساتهم وهيئاتهم ثم أعقبها حملة أخرى تولتها جمعية الإصلاح الإجتماعى .. والهيئة الإسلامية الخيرية فضلا عن منظمات الإغاثة المتعددة .. واستقر رأى هذه اللجنة على ضرورة إنشاء كيان اقتصادى "إسلامى" وكان أن ساهم فيه هؤلاء الأعضاء بالمشاركة مع قيادات التنظيم الدولى للإخوان المسلمين ليظهرما يسمى بـ (**بنك التقوى**) الذى اتخذ من مدينة (**ناساو**) بجزر البهاما مقراً له وهو إختيار ذكى حيث لايخضع للنظم النقدية والمصرفية المعمول بها والمتبعة فى كافة بلدان العالم ، بالإضافة لإستحالة تتبع وملاحقة أجهزة الرقابة بالدول

المستهدفة لهذا المصرف وأنشطته ، وقد تولى رئاسة مجلس إدارته إخوانـــى مـــن الحرس القديم مهاجر هو المهندس يوسف مصطفى ندا ، وأسندت رئاســة هيئــة الرقابة الشرعية للبنك **للشيخ يوسف القرضاوى** هذا وقد بلغت ميزانيته فى نهايـــة عام ١٩٩١ رقما ضخماً وهو ١٥٢ مليون دولار أمريكى أنفق منها مليونان علـــى النشاط المتطرف تحت مسمى المســاهمات الشرعية والإغاثة والزكـــاه ومـــؤازرة المجاهدين الإسلاميين .. وغيرها من الأنشطة الغامضة والمريبة أيضاً .

ثم يأتى دور بعض المنظمات والجماعات لتقوم بمهمة المنسق العام بين منابع الأموال القادمة من صحارى النفط وبين القائمين على إعادة تصدير هذه الأمـــوال لمصر وغيرها من الدول المستهدفـــة ، مـــروراً بالمحطـــة اليمنيـــة أو المحطـــة السودانية أو لندن أو غيرها وهو مسلك خبيث من جـــانب القـــائمين بدعـــم هـــذه الحركات والجماعات حيث يكفل عـــدم إمكانية الإمساك بأدلة قطعية تثبت تـــورط هذه الأنظمة فى دعم الإرهاب ، ولعل ما ورد فى اعترافات المتهم مجـــدى ســـالم وشقيقه عبد الله سالم فى القضية ٤٠١ حصر أمن دولة عليا المعروفة بـــ **(إعـــادة تشكيل تنظيم الجهاد)** بأنهما تلقيا خمسمائة عقد عمل لدى هيئات عربيـــة لأفـــراد التنظيم شريطة أن تمر هذه العقود عبر القيادى اليمنى طارق الفضلى الـــذى أعـــد العدة لإستقبال مئات العائدين من أفغانستان فى جبال اليمن وبعد أن يمكثـــوا بهـــا قرابة ثلاثة شهور لتلقى محاضرات مكثفة فى الإعداد الحركى والتنظيمى يتجهـــون للعمل داخـــل بعض البلاد العربية على أن يخصم ثلث الراتـــب لصـــالح التنظيـــم ليصب فى حسابات خاصة بالتنظيم تحت مسمى "**ينابيع الخير**" وتتولـــى جماعـــة الإخوان المسلمين تغطيته بزعم تخصيصـــه لعمليات الإغاثة الإنســـانية لمسـلمى أفغانستان أو البوسنة أو أوروبا الشرقية ، وهذا ما يؤكده أحد المنشقين على أيمـــن الظواهرى بعد أن إتهمه الأخير بالشذوذ الجنسى ، وكتب فى مجلة "**الفتح**" يتهمـــه صراحة بهذا مما أثار حفيظة عدد من أتباعه فمضوا يـــردون علـــى الظواهـــرى بطريقتين .. فإما أن ينخرطوا تحت لواء الجماعة الإسلامية وقائدها فـــى بيشـــاور محمد شوقى الإسلامبولى وإما أن يبايعوا محمد مكاوى فى جماعة "**طلائع الفتـــح**"

يوسف القرضاوى أحد أبرز قادة التنظيم الدولى للإخوان المسلمين ، ويعيش الأن فى قطـــر بعد أن حصل على جنسيتها ، ويؤكد بعض المراقبين أن القرضاوى ليس مجـــرد مفتى للبنـــك ولكنه واحد من أبرز المساهمين فى رأسماله .

المنشقة على تنظيم الجهاد ، وهو الأمر الذى وقف حائلا بين المحاولات التى بذلها أقطاب الإخوان المسلمين للتوفيق بين الجماعة والجهاد فقد إتهم محمد شوقى الاسلامبولى أيمن الظواهرى بأنه قام بجمع الملايين من أثرياء الخليج بزعم دعم الجماعة الإسلامية رغم أنه ليس عضواً بها وغير مخول بجمع التبرعات ثم إستحوذ عليها ورفض التحاور مع الإسلامبولى أو مصطفى حمزة بشأنها ، وأخيراً فر إلى أوربا ® خشية قيام أحد أعضاء الجماعة بعمل إنتقامى ضده .

ولعل هذه الدائرة تمثل واحدة من عدة دوائر تشير إلى تورط جماعة "الإخوان المسلمين" فى النشاط الإرهابى ، فمن الثابت أن مؤسساتهم المالية داخل مصر أو خارجها وخاصة فى سويسرا والمانيا الغربية والولايات المتحدة تقوم بتقديم الدعم المالى والسياسى والإعلامى لنشطاء الجماعات الإرهابية بعد أن إستقر رأى مؤتمرهم العالمى وتوصياته – غير المعلنة إعلامياً – إلى الإكتفاء بوجود هذه الجماعات على الساحة بدلاً من إنشاء تنظيم سرى للإخوان على غرار التنظيم الذى أجهض إبان عهد الرئيس الراحل عبد الناصر ، ففى قيام هذه الجماعات ببعض العمليات الإنتقامية والإرهابية فإن أعضاءها سوف يتحملون نتائج المطاردة الأمنية وحدهم ، بينما يجنى الإخوان المسلمون ثمار الضغط على الأنظمة العربية بالمزيد من الوجود الفعلى والمكاسب السياسية لهم وهو ما عبر عنه أيمن الظواهرى فى كتابه الشهير – **الحصاد المر** – بقوله إننا نقدم الضحايا و"الشهداء" بينما يجيد الإخوان جنى الثمار وتوظيف دماء هؤلاء الشباب لتحقيق المكاسب السياسية والمالية لهم ولجماعتهم ، ولم يكتب الظواهرى هذا الكلام إلا بعد تجربة طويلة مع "**ينابيع الخير**" التى إنهمرت على بيشاور عبر عبد الله عزام وأسامة بن لادن وغيرهما .

وفى هذا السياق كان من الضرورى التأكيد على دور العمليات القذرة التى أوصت بها المخابرات الإيرانية لدعم الجماعات الموالية لها **(الجهاد–طلائع الفتح)** ذاتياً مثل تهريب المخدرات من أفغانستان إلى السودان والإتجار بالأسلحة ثم تزوير

® يعيش أيمن الظواهرى الأن فى الدانيمارك وقد حصل على حق اللجؤ السياسى بها .

النقد ويبقى أن ننبه إلى ضرورة متابعة المؤسسات المصرفية المستحدثة فى النظم النقدية والمصرفية ، وهى "شركات الصرافة" التى ثبت من خلال عدة قضايا تورط بعضها فى تمرير النقود من وإلى مصر ، حيث قام بعض العاملين بهذه الشركات بتلقى الأموال من عواصم عربية لإعادة صرفها بمصر لقياديين بارزين بالجماعات المتطرفة للإنفاق على شراء الأسلحة والمتفجرات وتأجير الشقق والسيارات اللازمة لتنفيذ العمليات الإرهابية مؤكدين على أن التمويل الداخلى لم ولن يكون كافيا للإنفاق على كل هذه العمليات التى تتجاوز نفقات الواحدة منها العشرين ألف جنيه مصرى ، بينما لاتتجاوز عمليات التبرعات أقل من ربع هذا المبلغ خلال عام كامل .

الحقيقة الوحيدة التى تؤكدها الحقائق والمعلومات أن الجميع قد وضعهم المتطرفون فى سلة واحدة .. الوزير والضابط والكاتب وحتى الأطفال وهو ما يعنى بالضرورة أنهم – أى المتطرفون ومن يطلق عليهم بالمعتدلين – ينبغى أن نضعهم فى سلة واحدة أيضا .. الإخوان والجهاد .. والجماعة .. وطلائع الفتح .. والجمعية الشرعية .. **دعونا نقترب من الحقائق .. ولو قليلا.**

الفصـــل الثانـى

التـمـويـل القـــذر للإرهـاب

تمـويـل التـطرف بالهـيرويـن

وأخيراً أباح الإخوة المجاهدون فى أفغانستان زراعـــة وتجـارة المخـدرات لتمويل عمليات الجهاد ضد بعضهم البعض ، وتحولت سهول أفغانستان ووديانهـــا الخصبة إلى مزارع للخشخـــاش والقنب الذى يصدر إلى بلاد الكفرة فيكونوا بذلك قد أصابوا عدة عصافير بحجر واحد أو بطربة واحدة .

هل نبالغ ؟

هل ندعى على المتطرفين ؟

هل نتربص بهم و " نلبسهم " تهما وقضايا و " نشـــوه " صورتهم ؟

قد يتهمنا أحد بأى من هذه التهم !

كما يمكن للمتطرفين أن يصرخوا فى وجوهنا بما يحلـــو لهـم مـــن مزاعـــم وأوهـــام فى رؤوسهم ونفوسهم !

لكن ما نستطيع أن نقوله أن هذه وقائع لا لبس فيها ، وأنها مثبتـــة بالتـــاريخ والرقم واليوم والساعة .. وأننا ننشرها على مسئولية الحقيقة !

بدا الأمر فى البداية وكأنه مجرد حادث تلبس فى قضية مخدرات ! لكن فجـــأة إنتقلت الأوراق من مكافحة المخدرات إلى مكافحة الإرهاب .

وبدأ هذا الوجه الملتحى هو نفسه الموجود فى أرشيف صور المطلوب القبض عليهم فى قضايا المخدرات والمتطرفين أيضاً .

ثم ترتفع الحقائق رويداً رويداً إلى ما فوق المفاجآت حيث تظهر فى الصـــورة أفغانستان .

ومجاهدو أفغانستان ..

وزعامات أفغانستان ..

ومخدرات أفغانستان ..

لقد جاءت إعترافات المتهم كمال كامل لتقلب مجريات الأمور رأسا على عقب ، إنه ليس مجرد تاجر مخدرات مألوف وإن كان قد بدأ حياته بالعمل لدى أحدهم وانتهى به الأمر كمهرب للمخدرات ، وبين هاتين المحطتين خاض تجربة التطرف .. وسافر إلى أفغانستان وتغيرت دوافعه فى المرة الأخيرة عنها فى بداياته ومنحته الإقامة لمدة عامين فى أفغانستان خبرة ضخمة فى مجال زراعة وإنتاج وإستخلاص المخدرات ، حيث أوكل له الإشراف على حقول الخشخاش التى كان ولايزال يزرعها قادة الفصائل الأفغانية لتدبير نفقات جهادهم وعاد كمال فى مطلع هذا العام عبر الحدود الغربية مع ليبيا ليلتقى مع قادة الجماعات المتطرفة بمصر ويؤكد أنه يحمل مصادر تمويلهم الجديدة وتبدأ فصول القضية رقم ١٠١ جنايات مخدرات القاهرة .

ومازلنا مع كمال الذى تؤكد سجلات الأمن أنه مسجل خطر مخدرات من الفئة (ب) ويقيم بالقاهرة بحى عين شمس شارع الخليل إبراهيم وأنه نزح من محافظة سوهاج عام ١٩٧٠ ليعمل لدى أحد كبار تجار المخدرات من الأعراب وهو سالم أبو جمعة ، ثم استقطبه الإرهابى الشهير - بمنطقة عين شمس - حمدان ثابت منصور والذى كان قد دأب على استقطاب الخطرين جنائيا بزعم توبتهم ثم يقوم بإسناد مهام تتفق مع خبرتهم الإجرامية القديمة ، وهذا ما حدث بالفعل فما أن تمكن من السيطرة على فكر كمال حتى حصل له على عقد عمل باليمن ومنها تم تسفيره إلى أفغانستان حيث وضعه الأمراء فى موضعه المناسب بحقول الخشخاش وإستطاع العودة متسللاً عبر عدة محطات إنتهت بمنفذ السلوم البرى ، وكان قد أبرم اتفاقا مع شخصين من تجار الإبل بصعيد مصر والذين يتنقلون ذهابا وإيابا من السودان لمصر بأن يتوليا أمر استلام كيلو جرام من الهيروين من شخص مصرى بالسودان ويسلمانها إليه بالقاهرة وقد نفذوا هذه المهمة بكل دقة .. فقد استطاع اغراء كل من محمد الحصاوى أحمد وهو تاجر

جمال من عزبة الحجاج مركز كوم امبو باسوان وآخر هو جمال على مطاوع من بلدة أبو تشت بقنا ، أن يبرما هذه الصفقة مقابل خمسين ألف جنيه مصرى وقد كان عرضاً مغرياً لنقل كيلو جرام واحد .. **ونترك إعترافات محمد الحصاوى تستكمل ملامح الصورة فيقول :**

"أنا ما أعرفش كمال قبل كدة وقابلنى فى مندرة نـاس قرايبـى فـى مصـر وعزمنى كذا مرة وكلمنى على الموضوع دة ولقيته عارف السكة بتاعة السـودان كويس وقاللى أنه كان ممكن يعملها بنفسه لكن حرس الحدود عارفينه " .

لقد تردد الحصاوى كثيرا واستطاع شريكه جمال مطاوع أن يقنعـه بـالقبول وشد الرجلان الرحيل جنوبا وفى منطقة النوبة حيث أتما صفقة الإبل التى اعتـادا إتمامها وقابلهما شاب مصرى يدعى "أبو سهل" وصفاه بأنه قليـل الكـلام .. تنـم نظراته وتصرفاته عن حذر مشوب بالقلق .. يطلق لحية كثيفة وبصحبته رجـلان سودانيان رجح التجار المصريون أنهما من ذوى النفوذ وذلك للمظاهر التى تحيـط بهما من سيارة حكومية واحترام من جانب رجـال الشـرطة المحليين بالنوبـة السودانية لهما ، ولم يتدخـلا فى واقعة تسليم الهيروين لهما إلا بالتحذير مـن أى محاولة غدر وأن أية شكوى سوف تصل من الأخ كمال بمصر سيكون عقابها القتل أو الحرمان من تجارة الإبل ودخـول السودان ، وعقب " **أبوسهل** " مضيفاً "هـذا بخلاف العقاب الذى ينتظركم من الإخوة فى مصر فهم لايتركون حقوقهـم أبـدا" وحمل الرجلان اللفافة الصغيرة وعشر قطع من الأسلحة الآليـة "الكلاشـينكوف" يسلمان ثمانية منها لكمال ويحصلان على قطعتين كهدية لهما وتمكنـا عـبر درب الأربعين من التسلل للبلاد واحتفظا بالأسلحة فى مخبئ بإحدى قرى قنـا وحمـلا الهيروين واتجها إلى القاهرة حيث استأجرا غرفة بأحد فنادق شارع كلـوت بـك واتصلا هاتفيا "بالشيخ كمال" كما كان يطلق عليه والذى كان قد اتفق مع عدد مـن تجار المخدرات من الأعراب على تصريف المخدرات وطلـب أن يلتقـى بهمـا ومعهما ربع كيلوجرام من الهيروين أمام فندق السـلام .. ولم يكن كمال يعرف أن أحد هؤلاء التجار الذين اتفق معهم هو أحد مصادر إدارة مكافحة المخدرات .. التى تلقت منه كافة المعلومات عنهم .. وراقبت هذه التحركـات ورصدتهـا ، وألقـوا القبض على الثلاثة أثناء تسليم الهيروين وإصطحبوا الرجلين إلى فندق شارع كلوت

بـــك ليعثروا على بقية الكمية "٧٥٠" جراما من الهيروين ، وفجاة يتنهـــد المتهـــم محمد الحصاوى قائلا "الحمد لله" وهو ما أثار دهشة ضباط مكافحــــةالمخدرات .. وفتح الأبواب أمام إعترافات مثيرة .. يقول فيها الحصاوى .. إنه يفضل الســـــجن على العودة للتعامل مع هـــؤلاء الأشخاص الغامضين الدمويين الذين تســـلم منهـــم المخدرات وأن كمال ليس مجرد تاجر مخدرات عادى .. بل هو شخص غــــامض ومخيف له نوايـــا ومقاصد تتجاوز تحقيق الربح .. واعترف بإخفائه عشر بنــــادق آلية " كلاشينكوف " فى بلدته وأنها بنادق حديثة لم تستخدم من قبل وأرشد عنها .

ونعود للشيخ كمال الذى راوغ كثيرا وأنكر الواقعـــة جملـــة وتفصيـــلا وإزاء مواجهته بتاجرى الجمال وإعترافاتهما ومحاصرته بالأدلة .. لم يجـــد مفـــراً مـــن الإعتراف ومضى يتحدث عن حقول الخشخاش ومعـــامل إنتـــاج الهـــيروين فـــى أفغانستان وتهريب المخدرات عبر السودان كحل سريع لأزمة التمويل التى يعـــانى منها " الإخـــوة " فى مصر إزاء تضييق الخناق على المنافذ التمويلية الأخـــــرى ، وأن المشرف على هذه القنوات هما مصطفى حمزة وعثمان السمان اللذان أكدا لــــه أن هذه التجارة مباحة شرعا بمنطق الضرورات التى تبيـــح المحظـــورات .. وأن الشريعة ليست مجرد نصوص بل مقاصد وغايات تـــبرر الوســـائل ، وأن الذيـــن سيضارون من هذه التجارة هم كفار يجب ألا نتوقف عندهم بل نتجاوزهم إلى هدف أسمى هو إعادة الخلافة وتعبيد الناس لربهم ، وأنه إشترى هذا الكيلو جـــرام مـــن الهيروين بمبلغ عشرة آلاف جنيه مصرى فقط وإتفق مع تاجرى "الإبل" على دفـــع مبلغ خمسين ألف جنيه ليصبح إجمالى النفقات ستين ألف جنيه بينما إتفق على بيع كيلو الهيروين للأعراب بمبلغ ٣٦٠ ألف جنيه مصرى ليصبـــح إجمـــالى الربـــح ثلاثمائة ألف جنيه فضلا عن السلاح .. وردا على سؤال المحقق عن صلة كمـــال بالجماعات المتطرفة بمصر أجاب أنه تعرف على العديدين منهم بسجن طرة أثناء اعتقاله عقب أحـــداث الشغب بعين شمس وإنهم لايعرفون هـــــذه الوســـيلة فـــى التمويل وقد تلقى تحـــذيرات من الإخوة الموجودين فى أفغانستان بعدم الإفصــــاح عن تفصيلات صفقة الهيروين لأحـــد ، ويجب عليه الإحتفاظ بالمبلغ طرفه وعـــدم وعدم تسليم أحد مبالغ نقدية إلا بتعليمات مؤكدة سوف تصل إليه عـــبر مندوبيـــن قادمين من بعض البلاد العربية أو السودان لدفع مبالغ محددة لأشخاص بعينهم حتى لايتبدد المال ..

ولم يسدل الستار على فصول هذه الرواية حتى انكشفت رواية أخرى مشابهه بل تكاد أن تكون مطابقة لها تماما .

وبدأت بضبط المسجل خطر مخدرات فئة " أ " وتحت رقم ٤٥١ مخدرات القاهرة محمد قاسم إسماعيل الذى سبق اتهامه فى ٣٨ قضية مخدرات ، وكان قد سافر فجأة للسودان وعاد محملا بالتوابل والأعشاب وأشاع أنه اعتزل تجارة المخدرات إلى التجارة فى السلع الإستهلاكية بين مصر والسودان وأطلق لحيته وأصبح يتردد يوميا على مساجد الإخوة الأمراء بمنطقة عين شمس ، وظل على هذه الحال حتى تسلق منبر أحد المساجد يخطب فى الناس ، ويتحدث عن التوبة والحكومة الكافرة واضطهاد المسلمين فى البوسنة والهرسك ووالهند والصومال ومصر .. وبين الحين والآخر يتجه للسودان ويعود بعد أسبوع واحد حتى تمكن ضباط مكافحة المخدرات من ضبطه وفى منزله **٣٥٠** جراما من بودرة الهيروين النقى .. وبندقية أثرية انجليزية الصنع عليها خاتم "سردار السودان" .. ومبلغ نقدى كبير قدره مائة ألف دولار أمريكى .. ومئات المنشورات ومجلات "المرابطون" و " المجاهد " و " البيان " وغيرها مما يصدره الأفغان المصريون فى بيشاور .. ، وقد جاءت إعترافاته مطابقة للمنهج الذى سارت عليه من قبل إعترافات الشيخ كمال كتلقى أوامر بوصول كمية من الهيروين ونقلها ثم بيعها وعدم التصرف فى ثمنها إلا بناء على أوامر صريحة تأتى إليه من جهة ما ، ولكنه أضاف أن اللجوء للهيروين بالذات يعود إلى ضآلة حجمه بالقياس لأنواع المخدرات الأخرى ، وأن إنتاج الأفيون متوافر بمعسكرات أفغانستان ، هذا فضلاً عن وجود معامل لاستخراج الهيروين من الأفيون .

وهكذا يكون الجهاد .. مخدرات وتزوير وتجارة عملة .. وتهريب أسلحة وسرقة آثار .. وإستحلال وعمليات سطو مسلح وفرض أتاوات وجزية .. والبقية تأتى !

والآن .. وهناك فى أفغانستان أصبحت تجارة المخدرات بكافة أنواعها وأشكالها .. وفى السودان تأتى تجارة الرقيق والجوارى .. وهنا فى مصر كان الريان والشريف والسعد والوعد وتوظيف الأموال والمضاربات فى بورصات جزر الباهاما .. هل هذه هى ملامح ما يحلو لهم زوراً تسميته بالإقتصاد الإسلامى ؟

الفصـــل الثالث

القبـض على الخـومـيـنـى فـى باســوس

تـمـويل الإرهاب بالنـقـود الـمـزيـفة

تماماً كما بدأوا بالحصول على الأموال من الخارج تارة ومن الداخـــل تـــارة أخرى ، إتجهوا – مع ذلك – إلى السطو على محلات الذهب "ليغنموا" ما بها إلـــى إختطاف بنادق جنود الشرطة البسطاء .

ثم إلى تهريب المخدرات .. ومنها إلى تجارة الأسلحة عبر الحدود .

وكانت الفتاوى جاهزة والآن .. جاء دور تزوير النقود .. إنها الملفات التـــى نفتحها هنا لوجه الله والوطن والتاريخ لنقدم أخطر قضية تزويـــر ملاييـــن وآلاف الدولارات والجنيهات والريالات فى مطبعة المتطرفين !

ألم نقل أنها أخطر قضية فى أخطر توقيت !

كان محمد عامر سليمان صقر ، متطرفا من الرعيـــل الأول تلقـــى جرعـــة التشكيل الفكرى والوجدانى الأولى على يد أمير التكفير شكرى مصطفى ، وكـــان يجلس جنبا إلى جنب مع جهيمان بن سيف العتيبى ، ورحـــل للسعودية ليشـــترى معه فى الإعداد والترتيب لحادث إقتحام الحرم المكى الشريف ، وقتل جهيمان فـــى الأحداث وألقى القبض على محمد عامر وقضت السلطات السعودية بحبســه تسـع سنوات قضاها بسجون المملكة ، وحينما أخلى ســبيله لم يعد .. ولـــم يفكـــر فـــى العودة لمصر بل إتجـــه وبواسطة مؤسسة بن لادن إلى بيشاور ، وهنـــاك وجـد ضالته حينما التقى بنجوم التطرف وقاده الإرهاب الفارين من مصر وغيرها إلـــى ساحة الجهاد الأفغانى ، وكان قد ترك المنهج الفكرى والتنظيمى لجماعة التكفير ، وإعتنق فكر جماعة الجهاد على يد أيمن الظواهرى وأتباعـــه وأقام ببيت القـــاعدة فى بيشاور حتى أرسل فى طلب زوجته من باسوس بضاحيـــة شـــبرا الخيمـــة بالقليوبية ، والتى لحقت به بمؤازرة رفاق أو تلاميذ لـــه مـــن الطـــابور الخـــامس

للتطرف ، وإستقر به المقام فى بيشاور وأوكل إليه الظواهرى أمر تنظيم وإعداد وثائق القادمين من الشباب الجدد للجبهه الأفغانية ، بالإضافة للشئون المالية فيما عرف "بإمارة بين المال" ، وكان الصراع على أشده بين فصيل الجهاد بزعامة الظواهرى ، وفصيل الجماعة الإسلامية بإمارة محمد شوقى الإسلامبولى ، وكان الأخير يتلقى معونات من بعض المؤسسات العربية النفطية ، ويلقى قبولاً من جانب الأفغان ، بينما إعتمد الظواهرى على مصادر غير مأمونة أو كافية متمثلة فى دعم إيرانى محدود ومعونات أتباعه فى الولايات المتحدة ، وهنا لمعت فكرة شيطانية لمحمد عامر تمثلت فى إنشاء مطبعة لتزوير الوثائق والمستندات الرسمية المصرية بدءاً بشهادات الميلاد ومروراً بالبطاقات الشخصية والعائلية وجوازات السفر وإنتهاء بكارنيهات رجال الشرطة والقوات المسلحة أيضا .. وذلك فى إطار خطة تنظيم الجهاد لإعداد مجموعات إنتحارية يعاد تصديرها لمصر لإرتكاب حوادث إرهابية لإثبات وجودهم على الساحة التى كاد ينفرد بها أمراء الجماعة المتطرفة وأتباعهم ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل مضى عامر بمعونات من دوائر إيرانية فى تزييف أوراق الدولار الأمريكى لتمويل الجماعة فيما قد تسببت هذه المطبعة وما تصدره من وثائق مزورة فى إرباك سلطات الأمن المصرية وقتاً طويلاً ، وما ترتب على إستخدام هذه المستندات الرسمية من إمكانية دخول بعض العناصر الإرهابية عبر منافذ البلاد وبشكل مشروع وعلى مسمع ومرآى من رجال الأمن الذين وجدوا صعوبة فى التعامل مع هؤلاء القادمين المجهولين .. فقد كان يحدث أن يحضر بعض الأشخاص على فترات متباعدة وعبر عدة موانئ ومطارات متعددة وبجوازات سفر تحمل تأشيرات مزيفة لدول صديقة لا تثير آية شبهات ، وما أن يدخل مصر حتى يشرع فى استخراج جواز سفر جديد بموجب بطاقة شخصية مزورة بدقة يكون قد أحضرها معه من مطبعة بيشاور ، وبعد حصوله على الجواز الرسمى الجديد يتمكن من السفر ومغادرة البلاد ليستخدم جوازات سفر أخرى صادرة من السودان أو إيران أو أفغانستان أو اليمن أو غيرها.. وللقارئ أن يتصور حجم النتائج التى يمكن أن تترتب على هذا الأسلوب.

ولكن وقع ما لم يكن فى الحسبان ، فقد حطت حرب أفغانستان أوزارها وبدأ الأفغان أنفسهم صراعا فيما بينهم على مقاعد السلطة ، ولم يكن أمام العرب المقيمين فى بيشاور سوى ثلاثة سبل : .. فإما البحث عن ساحة جديدة للقتال ولتكن كازاخستان أو الشيشان أو البوسنة أو حتى الصومال ، وإما الإنصهار فى

المجتمع الأفغانى وهو الأمر الذى لم يكن على أية حال سهلاً نظراً لطبيعة المجتمع الأفغـانى القبلية ، وإما تصدير العنف إلى البلاد القادمين منها أصلاً بحثـاً عـن ساحة جديدة للجهاد أو السعى وراء العدو (القديم الجديد) متمثلاً فى سلطات البـلاد التى كانوا قد فروا منها إلى أفغانستان ، بينما إستطاع الكبار منهـم الفـرار إلـى عواصم أوربيـة أو إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل بعضهـم علـى الجنسية وبعضهم الآخر على حق اللجوء السياسى وهكذا.. لكن القادة النجوم ظلوا فى بيشاور أو كابول مرغمين ليقينهم بأن أوروبا وأمريكا لن تقبل دخولهم أو لأنهم لن يستطيعوا أن يحققوا فيها ما استطاعوا أن يحققوه فى الجبهة الأفغانيـة وكـان عليهم البدأ فى إرسال المغامرين المجهولين إلى مصر عبر محطات - ترانزيـت- كالسودن أو اليمن أو ليبيا وهو ما حدث مع محمد عامر الذى عاد إلى مصر بعـد زيارة لطهران التقى خلالها بعناصر من المخابرات الإيرانية للوقوف على أساليب جديدة لتمويل التنظيمات الإرهابية فى مصر ودعـم أنشـطتها ، وهنـاك التقـى بمصرى آخر - كان الإيرانيون قد رتبوا له هذا اللقاء - وهو سيد محمد إبراهيـم وشهرته سـيد الخومينى - وقد اشتهر بهذا الإسم فى مصر أصلا - ولـم تكـن مجرد صدفة أن يكون من نفس قرية عامر وهى باسوس فقد كانت صلته وطيـدة بالاستخبارات الإيرانية بفضل تزكية الظواهرى له ، هذا فضلا عن ملفه الإجرامى العتيد لدى سلطات البحث الجنائى بمصر فى نشاط التزوير والتزييف والمخـدرات وغيرها .. ولنعد إلى ما حدث فى طهران حينما إقترح مسئول النشـاط بالشـرق الأوسـط فكرة ضرورة إعتماد التنظيم على مصادر تمويل داخلية وذاتيـة حتـى لايقع أعضاؤه تحت رحمة وصول الدعم أو إمكانية ضبط وسيطرة أجهزة الأمـن على منافذ البلاد مما قد يسبب لإيران أو غيرها أزمـات سياسـية ودبلوماسـية - لايرى - الإيرانيون داعيا لإثارتها فى هذا التوقيت .. وتنفيذاً عمليا لهذا المبدأ فقد تم إعتماد فكرة تزييف النقود بواسطة عامر وسيد الخومينـى شـريطة تزويدهمـا بالأحبار المستعملة فى طباعة النقود وأوراق البنكنوت وأفـلام النيجـاتيف عاليـة الحساسية ، وكلها مواد أسـاسية لازمة لتزييف النقود ويصعب الحصـول عليهـا بهذه الجودة من داخل مصر ، لخضوعها للرقابة الأمنية المشددة مما قد يوقع بهما فى يد أجهزة الأمن المصرية وانتهى اللقاء بعد الإتفـاق علـى كـل التفصيـلات بعودتهما إلى بيشاور ومنها توجه سيد الخومينى إلى السودان والتقى بعناصر مـن المخابرات الإيرانية وقاموا بتزويده بما وعدوه فى طهران ثم تسلل إلى داخل البلاد

بواسطة مجموعة أسوان وما لهم من نفوذ لدى قبائل العبابدة والبشارية على الحدود الجنوبية ، وكان محمد عامر قد غادر إلى ليبيا واستطاع دخول مصر عبر منفذ السلوم البرى بجواز سفر مزور ثم التقيا فى موطنهما – باسوس – وبالمناسبة فهى بلدة ضد القانون كما هو شائع عنها ، فأغلب سكانها إعتادوا الإتجار بالاسلحة والمخدرات ولإدارة مكافحة المخدرات صولات وجولات بها ولعل طبيعتها الجغرافية وتركيبتها السكانية بأزقتها الضيقة ومنازلها التى تشبه السراديب ، ومداخلها المحدودة لم تكن عبئا فقد توارثت الأجيال عداء الدولة والحكومة بفضل امتهان أبناء البلدة أو معظمهم للإتجار بالمخدرات ، وهو الأمر الذى وفر لعامر والخومينى مناخاً جيداً لبدء نشاطهما فى التزوير والتزييف ولم يهدر الخومينى وقته فقد بدأ بتوزيع الأدوار بينه وبين شريكه فأسند لعامر مهام التمويل وتولى هو مهمة ترويج النقود المزيفة ، ولكن كان عليهما البحث عن فنى يتقن عمليات الزنكوغراف واستقر رأيه على البحث عنه فى أوساط عتاة المجرمين حتى يرضخ لشروطهما ولايتجاوز فهمه مسألة الربح دون التنقيب عن دوافعهما الحقيقية فى تمويل النشاط الإرهابى أو صلاتهما التنظيمية والحركية بالجماعات المتطرفة ، وببساطة شديدة إستطاع سيد الخومينى أن يعثر عليه بفضل خبرته العريقة فى أوساط العالم السفلى من أرباب السوابق ورفاق السجون القدامى .. وكان مزوراً يدعى مصطفى دياب وقد إتفق معه على تزييف الأوراق المالية المصرية من فئات العشرين والخمسين والمائة جنيه ، والسعودية من فئات المائة والخمسمائة ريال وأطلعه على الأدوات التى حصل عليها من طهران فأبدى دياب إنبهاره بها مؤكدا لهما أن الأوراق المزيفة لن تتمكن حتى – الحكومة – من اكتشافها ، وكان محقا فقد كانت أفلام النيجاتيف وأوراق البنكنوت والأحبار على مستوى رفيع لايتوافر سوى للدول والحكومات ، هذا فضلا عن تقنيات الحاسب الآلى وإمكانياته الهائلة فى هذا المضمار .. وشرعوا فى إتخاذ كافة العمليات التحضيرية من شراء الأدوات المعاونة ، وتجهيز الخامات حتى إنتهوا من صناعة الأكليشيهات الخاصة بالطباعة ، وقد تم كل هذا فى منزل مهجور فى باسوس يمتلكه محمد عامر ولم يتبق أمامهم سوى عملية الطباعة وهى لاتستغرق سوى بضع ساعات ، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان فقد ألقى القبض على مصطفى دياب وصدر قرار وزير الداخلية باعتقاله لأسباب لا علاقة لها بالتطرف أو مكافحة الإرهاب إطلاقاً – جاء إعتقاله بسبب نشاطه الإجرامى فى

مجال التزوير – ولم يكن رجال المباحث يعرفون شيئاً عما يفعله فـــى مشـــروعه الأخير مع الأخوة المتطرفين الذين علموا بما إنتهى إليه أمره ، فاسرعوا لإخفــــاء الأدوات والمعدات ونقلها إلى مكان آخر وإنقطعت صلتهم به وقررا التخلـــى عـــن الإستعانة به حتى لو أفرج عنه خشية أن يكون قد تم تجنيده من قبل الأمن ، وبـــدأ رحـــلة البحث عن شخص جديد يجيد – فقط – عملية الطباعـــة وهـــى المرحلـــة الأخيرة المتبقية أمامهما والتى لن تستغرق ســـوى ساعات قلائل بعدهـــا ســـيكون تحت أيديهما ملايين الجنيهات والريالات المتقنة التزييف وساقهما التخبط إلى شارع محمد على بالقاهرة حيث يكتظ بعشـــرات الـــورش ومئـــات العـــاملين بالطباعـــة الزنكوغراف ، ولم يجدا ضالتهما حتى ساقت إليهما الصدفة أحد المتطرفين الذيـــن ضبطوا فى تنظيم "طلائع الفتح" والذى أشـــار عليهما باللجوء إلى شخص يدعـــى يوسف حسن وهو مقيم بالشرابية مؤكدا أنه من القلائل الذين يثق بهم الظواهـــرى وعبود الزمر شخصيا فضلا عن تخصصه فى الطباعة وكان بمثابة الصيد الثميـــن الذى طال انتظارهما للإيقـــاع به ، فهو يعتنق أفكارهما مما يجعـــل مـــن مســـألة التعامل معه – على المكشوف – أمراً "ممكناً " و "فرضاً شرعياً" ، ولكنه إشـــترط فى البداية تجربة الماكينة فى طباعة بعض المنشورات والكتب الخاصة بالجماعـــة ليكون قد أصاب عصفورين بحجر واحد .. فهو بهذا يوفر لقادة التنظيـــم وجنـــاح الدعوة به مطبوعات هم فى أشد الحاجة إليها لتأصيل المفاهيم الفكريـــة للأعضـــاء الجدد من جهة ، ومن جهة أخرى يتأكد من قدرات ماكينة الطباعة وكيفية التعـــامل معها وتدارك العيوب والأخطاء المحتملة تمهيداً لطباعة النقـــود التى لاتحتمـــل أى خطأ مهما كان صغيراً .. وفى هذه الأثناء كان مصطفى دياب – فنى الطباعة الذى كان قد أعد الأكليشيهات – يعترف تفصيلياً أمام رجال مبـــاحث الأمـــوال العامـــة بتفصيلات مشروعة مع الخومينى وعامر ولم يكن يدور بذهنه أن لهذا المشـــروع أبعاداً أكثر من جنائية وهو الأمر الذى ســـارت عليه خطة رجال مباحث الأمـــوال العـــامة ، فقد إتجهوا إلى باســـوس بإرشاد مصطفى وألقوا القبض علـــى محمـــد عامر وسيد الخومينى وبحوزتهما زنكات الاكليشيهات الخاصـــة بطباعـــة الأوراق المالية المصرية والسعودية وأفلام النيجاتيف لهذه العملات وعدة صـــور ضوئيـــة تجريبية لعملية الطباعة وجهاز كمبيوتر متطور وبدورهما إعترفا على شـــريكهما الجديد يوسف حسن والذى ضبطت بحوزتـــه الآلاف مـــن المنشـــورات الخاصـــة بالتنظيم بالإضافة لقوائم كاملة تضم أسماء شخصيات رسمية وضبـــاط ومســـئولين

وأعضاء بالنيابة العامة وصحفيين وأقباط ، بالإضافة لكتب "الأدلة الشرعية على جواز تغيير المنكر باليد" و "كلمة حق" وغيرهما .. وهكذا إتخذت القضية أبعاداً جديدة أخطر من مجرد التزوير والتزييف ، ورغم إعترافاتهم الكاملة بوقائع مخططهم ظل الخومينى محتفظا بابتسامة باهتة ومنطق متبجح يبرر ما فعله بالإستناد إلى ما أسماه "بالعمل الشرعى" ، ومؤكداً للضباط الذين قاموا بالقبض عليه أنه وإخوانه لم يفعلوا شيئا أكثر ما تفعله الدولة ذاتها ، وحينما أثارت هذه الإجابة الضابط تفضل الخومينى شارحاً ومفسراً بقوله :

– الدولة يا أخى تطبع النقود بدون غطاء ذهبى كما يجب أن يكون ، ونحن نفعل نفس الشئ .. فيعقب الضابط مستنكرا :

ولكن نظرية الغطاء الذهبى هذه لم يعد معمولاً بها فى ظل الأنظمة الإقتصادية المعاصرة ومقتضيات الظروف الحالية وما تفعله أنت يضر بالدولة حكومة ومواطنين ، هذا بخلاف تمويلكم لجماعات الإرهاب وأنشطتها .

– إسمع ياهذا .. حكاية الإقتصاد الوطنى هذه لاتعنينا فى شئ فلسنا بصدد الحديث عن وطنية وقومية ، نحن نتحدث عن إسلام عالمى ، ومن تصفهم أنت بالمتطرفين فهم فتية آمنوا بربهم وبايعوا على إحدى الحسنيين : الموت أو الشهادة ونشاطهم الذى تصفه بالإرهاب هو جهاد لإقامة شرع الله .

وكما يحدث دائما أن يصل الحديث مع هؤلاء إلى طرق مسدودة .. وعبارات طنانة جوفاء مضى الحوار هكذا .. بينما يظل هناك عشرات ومئات على شاكلة الخومينى وإخوانه يسعون – وبإصرار – لتحقيق غايات لاندعى ولا نزعم أننا لانخشاها .

الفصـــل الرابـــع

تبرعــوا لإغــتيــال وطــن
مؤسسات شرعية لتمويل الإرهـاب

هذه السطور مجرد قراءة – قد يكون لها دلالتهـا – فـي الأوراق الرسـمية والسرية لظاهرة جمع التبرعات التى تقوم بها الجمعيـات والجماعـات المتعـددة وأشهرها :

١- الجمعية الشرعية ، ٢- جمعية أنصار السنة المحمدية ،

٣- جماعة الدعوة والتبليغ ، ٤- جمعية شباب محمد ،

فقد أصبح مشهداً مألوفاً ومتكرراً أن نرى أحد الأشخاص الملتحين أو حتـى غير الملتحين أحياناً وهو يصعد أتوبيس النقل العام أو عربات المترو ممسكاً باحدى يديه بدكتافون وباليد الأخرى دفتر إيصالات جمع التبرعات ، ويبدأ عادة فى إلقـاء خطبة عصماء عن فضل هـؤلاء الذين ينفقون أموالهم فى سبيل اللـه ويبشـرهم بقصور فى الجنة مقابل التبرع لبناء بيت من بيوت الله .

ولا غضاضة فى هذا ، لكن ما يحدث بالفعل يتعدى حدود فعل الخير والوعـد المزعوم بالجنة فالحقيقة تشير إلىذهاب الحصيلة لقنوات أخرى تمامـا فمـا هـى الحكاية بالضبط ؟

وفى البداية لابد من الاستفسار عن عدة أمور .. تبدأ بالجهة التى تمنح هؤلاء الحق فى جمع التبرعات وكيفية حصرها .. ومدى أمانة هؤلاء ، ومن يراقبهم فى إنفاقها .. وأخيرا الضمانات التى تكفل عـدم إندسـاس المحتـالين ومحـترفى الإجـرام أو أبواق الإرهاب فى هذه اللعبة المريحة والمربحة ؟

ولنبدأ الإجابة عن بعض هذه التساؤلات وفقاً لما توافر لدينا مـن معلومـات ومصادر ، فالجهه المنوط بها منح هؤلاء التصاريح بجمع التبرعـات هـى وزارة

الشئون الإجتماعية التى تشرف على نشاط الجمعيات والمؤسسات الخيرية التى إستوفت شروط الإشهار من تحديد لنصاب معين من الأعضاء ومحل لنشاط الجمعية وتحديد أهدافها التى غالبا ما تكون إجتماعية وإنسانية ، وبعد إشهار الجمعية يكون من حقها أن تطبع ما تشاء من إيصالات التبرعات ، ثم تتفضل الشئون الإجتماعية بإسباغ الصفة الرسمية على هذه الإيصالات ببصمها بخاتم شعار الدولة ، وتزويد جامعى التبرعات بخطاب رسمى يؤمن حامله من مضايقات الأمن التى قد تواجههم أحياناً ، ويتوقف دور الشئون الإجتماعية عند هذا الحد ، فلا تتابع كيفية إنفاقها ولا حجم المبالغ التى جمعت ، ولا تهتم حتى بفحص هؤلاء القائمين على جمع التبرعات أو تستطلع رأى أجهزة الأمن عن نشاط هؤلاء أو هويتهم ، أما عن هذه الجمعيات فعلى الرغم من إختلاف مسمياتها وتنوع منابعها إلا أنها جميعا تصب في بوتقة واحدة ، وتعمل من أجل هدف مشترك ، وقد تنامت أعدادها بشكل مخيف حتى وصلت إلى (١٥٠٠) ألف وخمسمائة جميعة وفقا لإحصائية وزارة الشئون لعام ١٩٩١ .. فما بالك بحجمها الآن ؟ ماعلينا .. سنكتفىهنا بتناول أربعة أمثلة من أشهر هذه الجمعيات فى محاولة لدراسة ظروف نشأتها وطريقة إدارتها وأهدافها ونشاطها وهى بالترتيب :

١- الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة .

٢- جماعة أنصار السنة المحمدية .

٣- جماعة التبليغ والدعوة .

٤- جماعة شباب محمد .

وقبل الخوض فى التفصيلات يلزم التنويه للخصائص المشتركة التى تجمع بينها فكلها تقريباً من المفترض أن تدور أنشطتها فى فلك العمل الخيرى والإجتماعى كما هو مدون فى ملفات هذه الجمعيات ، ومن ناحية أخرى فقدتتابع ظهور هذه الجمعيات فى أعقاب حل جماعة الإخوان المسلمين وأسسها أعضاء منها لهم تاريخ معروف فى العمل السياسى والحركى ، وأخيرا فإن هذه الجمعيات تشكل المصفاة الأولى التى يعبر من خلالها شباب محبط أو مغامر أو باحث عن هوية ليتورط فيما بعد فى مسالك وعرة هى الباب الملكى لدخول عالم الإرهاب والعمل السرى بعد أن يثبت ذلك العضو ولاءه لرموز هذه الجماعات ويبالغ فى التشدد والتمسك بشكليات لايناقشها ويبايع على السمع والطاعة ، ويبدأ طريق

اللاعودة ، وقد درجت أجهزة الأمن على تصنيف أعضاء هذه الجمعيات تحت مسمى "السلفيين" وهو تعبير مبهم وغامض لايحدد أنماطاً سلوكية ولا يحوز أدلة كافية للربط بينها وبين أعضاء الجماعة الحركية التى تمارس نشاطاً إرهابياً ، وأما من الناحية الإجتماعية فإن رجل الشارع لايحمل إعتراضاً ضد أعضاء هذه الجمعيات فالظاهر فى مسلكهم أنهم مسالمون لايتجاوز نشاطهم الإلتزام بالمنهج السلفى والفروض والنوافل والبعد عن مواطن الشبهات وربما يدافع عنهم بوصفهم معتدلين معتصمين بحبل الله دون أية مقاصد ، وبالتالى لايمانع فى التبرع بماله عن طيب خاطر ، وهنا مكمن الخطورة الحقيقى ،الذى يدفعنا لفحص هذه الجمعيات بشكل هادئ لا نبغى من ورائه سوى الوصول إلى الحقيقة وصالح هذا الوطن ومستقبل أبنائه .

الجمعية الشرعية :

تعتبر هذه الجمعية واحدة من أقدم الجمعيات التى ظهرت فى مصر ، فقد أسسها الشيخ محمد خطاب السبكى عام ١٩١٢بغرض الوعظ والإرشاد ، ومع صدور القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ المنظم لعمل الجمعيات الأهلية تم إشهارها كجمعية خيرية اجتماعية وذلك على يد أحد رجال الحرس القديم للإخوان المسلمين وهو عبد اللطيف مشتهرى ، وقد إنتشرت فروعها فى طول البلاد وعرضها حتى أصبحت لاتخلو مدينة أو قرية فى مصر من مسجد تابع لها أو أكثر وقد بلغ عدد الفروع التابعة للجمعية وفقاً لإحصائية الشئون الإجتماعية عام ١٩٩٥ما يقرب من ٣٥٠ فرعاً منتشرين على مستوى مدن وقرى الجمهورية ، وقد تسللت إليها عناصر الإرهاب فى البداية كتيار إخوانى متشدد يسمى بالقطبيين ، وهم أتباع سيد قطب وقد إستطاعوا السيطرة على بعض المساجد وأحدثوا إنشقاقات داخلية فى الجمعية ذاتها التى أصبحت تضم ما يقرب من نصف مليون عضو وهو رقم مخيف ، وتيار "القطبيين" هذا هو أحد نقاط الحلقة المفقودة بين الإخوان والجماعات والتنظيمات الإرهابية كالجهاد والتكفير والهجرة وغيرها ،

القطبيون هم أتباع سيد قطب فكرياً وتنظيمياً ، ويعتبرهم بعض المراقبين تنظيماً إنتقالياً بين مجرد التشدد والتطرف الفكرى وبين النشاط الحركى والجنوح للعمل السرى والعنف ، أنظر (الإرهابيون قادمون) لهشام مبارك عن : دار المحروسة .

وقد تمكنت الجمعية الشرعية وفقا لإحصائية رسمية للشئون الإجتماعية من جمع تبرعات بلغت قيمتها عام ١٩٨٩ ثلاثة ملايين ومائة وعشرين ألف جنيه مصرياً .

والحقيقة أن هذا الرقم الرسمى المعلن على ضخامته فهو لا يمثل الحقيقية الكاملة بالطبع .. وهنا يبرز السؤال الأهم عن سبل إنفاق هذه المبالغ الضخمة التى تم جمعها ، ومن يملك القرار فى تحديد وجوه الإنفاق؟ ومن يضمن عدم صيرورتها لأحضان النشاط الإرهابى ؟ أما الإجابة التى يمكن أن نتلقاها من مسئولى الجمعية الشرعية فهى أننا نبنى بهذه النقود بيوتا لله ونقدم خدمات اجتماعية وإنسانية وتعليمية من خلال مساجد الجمعية ، ولا تعليق من جانبنا يحتمل شبهة سوء الظن إلا أننا للأمانة والتاريخ سنذكر بعض الأسماء التى لمعت كنجوم للإرهاب فى الجيل الأول منه مثل كرم زهدى وناجح عبد الله وطلعت قاسم وعبود وطارق الزمروغيرهم ، ممن سنكتشف أنهم جميعاً قد بدأوا نشاطهم الفكرى والحركى من خلال الإنتماء لهذه الجمعية الشرعية وانشقوا عليها وأعلنوا حربا ضارية ضد أعضائها واتهموهم بالتقاعس عن الجهاد ، وإسقاط فرض من فروض الإسلام والجبن والتخاذل بل والتواطؤ أيضاً .. وأطلقوا وصفاً تهكمياً على الجمعية ذاتها وهو "الجمعية الإستهلاكية" .

وعلى الرغم من كل هذا العداء أو الإختلاف المعلن ، فإنه لاينفى أن الجمعية كانت هى البذرة الأولى والمصفاه الأولى التى تزود جماعات الإرهاب بالرجال والمال والمساجد التى إستولى عليها هؤلاء المنشقون ناهيك عن التجربة التى صقلتهم والدور السياسى الذى تلعبه الجمعية فى تأييد صفوفهم فى الإنتخابات النيابية والمحلية والنقابية ، فأعضاء الجمعية الشرعية يمثلون الثقل السياسى والعددى الذى يدين له هذا التيار بكل نجاح حققه أو قد يحققه ، ولايتوقف الأمر عند هذا الحد بل يقوم أعضاء الجمعية الشرعية بمؤازرة هذا التيار بدعاية إنتخابية هائلة تدفع كاملة من مبالغ التبرعات التى لايراقبهم أحد فى إنفاقها بالطبع ، وكذلك بتقديم الخدمات الإجتماعية التى تصنع ناخباً موالياً لهم وهو عمل محسوب لصالح الجماعات أيضا مما حدا برموز هذه الجماعات إلى إعتبار أنفسهم الورثة الفعليين لهذه الجمعية بكل أنشطتها واختيار من يروق لهم من أعضائها والسطو على مبالغ التبرعات المتحصلة لديها والإستيلاء على مساجدها أيضاً ، هذا فضلاً عن توجيه دور النشر الموالية والتابعة لهم لخدمة أهدافهم فى

تكوين قاعدة عريضة من المؤيدين والمتعاطفين معهم ، أو حتى تحييدهم ليصيروا ضمن المجموعات التى لا تشكل تيار مواجهة لأنشطتهم الإرهــابية علـــى أدنـــى تقــدير .

ونتوقف قليلا عند أمثلة لبعض مساجد هذه الجمعية ومنهــا المســجد الكــائن بشارع الجلاء والآخر بشارع رمسيس ، وهمـــا يســتقبلان يوميــاً آلاف الشــباب الملتحين والفتيات المنتقبات وقد إفترشوا المسجد وملحقاته والطرقات المؤدية إليــه والمحيطة به ، حتى بلغ الأمر حد تعطيل السير فى قلب القاهرة، وتنظيم مســيرات مؤيدة لتيار الإسلام السياسى بشتى فصائله وعناصر الإرهاب البارزة فيــه ، هــذا فضلاً عن شرائط الكاسيت التى تحوى كل أفكار الغلو والتطرف .. وتسفه معتقدات الأقباط بفجاجة تهــدد الوحدة الوطنية – ولهذه الشرائط التى لاتخضع لأية رقابـــة من أى جهة حكاية أخرى – بالإضافة إلى كتب عذاب القبر وأهـــوال القيامـــة .. وأحكام الختان .. والوقاية من شر الجان والثعبان الأقرع .. ألخ .

ونعود لتناول الدور المفترض للشئون الإجتماعية فى متابعـــة جمـــع وإنفـــاق التبرعات ، لنجد أنه ينحصر فى قرار يصدره موظف بسيط يهتم بإستيفاء الدمغات أكثر من إهتمامه بالفارق بين الجمعية الشرعية والجمعية الزراعية وعمومـــا فـــإن مسألة تجنيده أو على الأقل تحييده ، أمر بسيط يسهل التعامل معه بمنطـــق ســـيف المعز وذهبه ويوقع الموظف ويختم على الإيصالات بخاتم الدولة فتصبـــح واقعـــاً قانونياً يسبغ على الأوراق الصفة الرسمية وعلى محترفى جمع التبرعات الصفـــة الشرعية .

وهنا مكمن الخطورة فلا مانع من أن يقوم بهذه المهمة – الشرعية – عدد من المسجلين الخطرين على الأمن وأرباب السوابق الجنائية ، ولعل محاضر الشـــرطة بأقسام الأزبكية وعابدين تحمل لنا الكثير من المفارقات المضحكة فى هـــذا الشـــأن حينما تم ضبط بعض المسجلين خطر يحملون دفـــاتر تبرعات تقدر قيمتها بمائـــة ألف جنيه مصرى بعد أن إرتدوا "الجلباب الشرعى" وأطلقوا اللحى وحفوا الشوارب وأحدثوا بجباههم بعض الخدوش وإندسوا فى هذه اللعبة المريحة والمربحة أيضاً ، ودائماً ما تنكر الجمعية الشرعية صلتها بهم .. ثم تعلن الشئون الإجتماعية عن عدم تعاملها معهم وهكذا تتفرق الدماء بين القبائل وتقيد الأوراق برقم جنحة شأنها فـــى ذلك شأن أى مشاجرة تقع فى الطريق العام .

ويبقى سؤال ساذج .. أرجو ألا يغضب أحدا وهو هل توجد فى مصر أزمة مساجد ؟ وألم يجعل الله للمسلمين الأرض كلها مسجدا وطهورا ؟ وهل قامت هذه الجمعية أو غيرها بالتصدى لمشكلات حقيقية وملحة كالإسكان أو التعليم أو المواصلات أو حتى الأعمال الخيرية المتعددة .. كمساعدة اليتامى .. ورعاية القاصرات .. وتقديم الخدمات للمعوقين ؟

جماعة أنصار السنة :

ولايختلف أمر جماعة أو جمعية - لا فرق - أنصار السنة المحمدية كثيراً عن الجمعية الشرعية، بل تكاد تنطبق عليها كل ظروف نشأتها ووسائلها وعناصرها وأهدافها أيضا ، ولا إختلاف بينهما سوى المسميات وربما كان ذلك الإختلاف من باب الإنتشار الأفقى والتنوع ، فقد نشأت هذه الجماعة أيضاً على يد أعضاء الإخوان المسلمين وتخصصت فى بعض الأنشطة الدعائية بالإضافة لجمع التبرعات وإقتصر نشاطها الظاهر على إنشاء مساجد أهلية تتحول تدريجياً إلى بؤر لتفريخ عناصر الإرهاب وجماعاته ، وتخضع لإشراف موظفى الشئون الإجتماعية وبنفس الطريقة يتم جمع التبرعات بواسطة نفس الأشخاص المحترفين ، والمثير أن هنالك أشخاص يقومون بجمع التبرعات لجمعيتين أو عدة جمعيات فى آن واحد وتنفق هذه الأموال بطرق غامضة على أهداف أكثر غموضاً ، والسؤال الذى يوجه عن إنجاز إجتماعى أو إنسانى واحد قامت به هذه الجماعات أو الجمعيات فهل أقامت هذه الجمعية داراً لرعاية الأيتام مثلاً ؟ وهل ساهمت فى مواجهة كارثة كالزلزال أو السيول ؟ هل قدمت خدمات لسكان الأحياء الشعبية التى تعانى من أزمات مزمنة ؟ والإجابة لا .. فقد إقتصر دورهم على جمع التبرعات مع الوعد بقصر فى الجنة تسكنه الحور العين .

جماعة التبليغ والدعوة :

ونشاطها أكثر تسيساً وانزلاقاً إلى دائرة الخطر المحدقة ، فقد إتبع أعضاؤها وسائل مبتكرة مثل ما يطلقون عليه (الخروج فى قوافل الدعوة) فيقسمون أنفسهم إلى مجموعات تجوب أطراف المدن والقرى المحيطة وتتخذ من المساجد الأهلية بها مقراً لإقامتهم بها أياماً وربما أسابيع ، يقومون خلالها بإلقاء الخطب وعقد

ندوات الإستقطاب والتعرف على الإخوة فى هذه المناطق ، وعقد التحالفات معهم ثم جمع التبرعات لمواصلة مسيرة الدعوة فى مسجد آخر ببلدة أخرى وهكذا دون أن يجتهد أحد فى إستيقافهم أو حتى محاولة التحقق من هويتهم إلا أنه قد حدثت واقعة بمسجد العرب بمدينة السلام شرق القاهرة حينما هبط أعضاء جماعة التبليغ فى هذا المسجد وحطوا متاعهم تمهيداً للإستيلاء عليه فتصدى لهم الأهالى بفطرتهم البسيطة ومن دون تدخل أو حتى علم الأجهزة المعنية وأبلغوا عنهم السلطات ففر منهم من تمكن وقبض على الباقين .

ومن أبرز الأعضاء القياديين فى هذه الجماعة (ح. د.) وهو قيادى بحزب معارض ورئيس تحرير إحدى الصحف الصادرة عنه ، والتى تروج لأدبيات هذا التيار .. وتؤصل له وتدافع بشراسة عن منتسبيه ، وكان قد تمكن من دخول البرلمان فى الإنتخابات النيابية عام ١٩٨٧ وذلك بفضل تأييدهم ومسيرات الدعوة التى قاموا بها وإنفاق مبالغ التبرعات على الحملات الإنتخابية، وحينما إختلفوا مع حزبه على الغنائم تحالفوا مع فريق الإخوان القابع فى حزب آخر (العمل) وساهموا فيما يعرف بالنشاط الرياضى "الشرعى" فهم يرون أن هنالك رياضة شرعية وأخرى "كفرية" والحقيقة أنها بداية الطريق المؤدى إلىعمليات التفجير والإغتيال ، حيث يتم التدريب على رياضات العنف والدفاع عن النفس فى أماكن صحراوية علىأطراف المدينة بعيداً عن أعين الأمن فيما يمكن إعتباره إمتدادا لحركة فرق الكشافة التى إبتدعتها جماعة الإخوان المسلمين فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن ، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفرق كانت بمثابة النواة الأولى التى تطورت فيما بعد إلى التنظيم السرى أو النظام الخاص ، ومن المعلوم أنه قد نشأت فى أحضان هذه الجمعية أسماء شهيرة تعد من أخطر عناصر جماعات الإرهاب مثل ممدوح على يوسف ، وعلاء محيى الدين الناطق الرسمى بإسم الجماعة الإسلامية والذى لقى مصرعه .. وغيرهما من رموز وقادة تنظيمات الإرهاب .

جماعة شباب محمد :

وهى تلك الجمعية التى أسسها أحد رجال الحرس القديم لجماعة الإخوان المسلمين المنحلة وهو **محمد عطية خميس** وقد بلغ عدد أعضائها فى غضون

السنوات الأخيرة – وفقاً لتقديرات الشئون الإجتماعية – ما يقرب من مائة وثلاثين ألف فرد ، وتخصصت فى إصدار المطبوعات والكتب من خلال دور النشر التى تملكها عناصر بارزة بها أو موالية لها ، وتتبع إسلوباً أكثر تنظيماً فى مسألة جمع التبرعات ، حيث يسعى قادتها لتوفير عدد من عقود العمل بدول الخليج لأعضائها ، على أن يلتزم العضو بالتبرع بربع دخله المعلوم لقيادة الجمعية سلفا ، وقد إنضوى نشطاء هذه الجماعة فى الإنتخابات البرلمانية عام ١٩٨٧ تحت قائمة الإخوان المسلمين ثم ما لبثت أن تعرضت لإنشقاقات داخلية بين أعضائها الذين تسربوا إلى جماعات الإرهاب على إختلاف مسمياتها وتوجهاتها وأطلقوا العنان لفتاوى التكفير التى يطلقونها فى وجوه بعضهم البعض، وتبقى الآن من هذه الجمعية أطلال وبعض حملة الدكتافون ودفاتر التبرعات .

المثير فى حكاية هذه الجمعيات أن بعضها تلقى دعماً مالياً من الغرب والولايات المتحدة – بالإشتراك مع بعض الجمعيات القبطية – وذلك فى صورة معونات باعتبارها جمعيات خيرية تستهدف خدمة المجتمع وتنميتة ، فقد حصلت مثلاً الجمعية الشرعية على مبالغ وصلت إلى ربع مليون جنيه فى المرة الواحدة بينما حصلت جمعية أخرى إدعت – على خلاف الحقيقة – أن لها نشاطاً يتعلق بحقوق المرأة وهى جمعية السيدات المسلمات فى عابدين ، ولا ندرى بالضبط آية حقوق للمرأة تلك التى يتحدث عنها منسوبى هذا التيار .. الذين يبيحون سبى النساء الأسيرات فى حروب أفغانستان والسودان والشيشان وغيرها .. أو هؤلاء الذين يعتبرون أن كل المرأة عورة ولا يجوز لها الخروج من المنزل إلا لبيت زوجها أوللقبر .. ولكن على ما يبدو أن للنقود معايير أخرى أكثر مرونة وحديث آخر أكثر تسامحاً لدى الأمراء .

وهكذا تسير قافلة جمعيات جمع التبرعات بكل الطرق لتصب فى قناة واحدة هى جماعات الإرهاب الدينى ، فتمدها بالرجال من خلال مصفاة أولية ضرورية لتقبل فكر الجماعات الراديكالية بالتدرج ، وبالأموال من خلال قنوات التبرع التى تضفى عليها الشئون الإجتماعية–بتوقيعات موظفيها وأختامها–صفات المشروعية والقانونية ، وبالمساجد التى لا تخضع لوزارة الأوقاف أو لغيرها وقد تضاعف

عدد هذه الجمعيات حتى بلغت ألفا وخمسمائة جمعية ، كلها تجمع التبرعات دون أن يدرى أحد إلى أين تذهب هذه الأموال ، وكيف تنفق ؟ وهل هناك ضمانات لسلامة إنفاقها أو عدم إنسياقها خلف جماعات الإرهاب التى تنوعت أصواتها وتعددت وجوهها وعرف كل منها دوره فى المؤامرة .

ولم تقتصر الإستفادة من هذه الجمعيات على جمع الأموال فحسب بل إمتد أيضاً إلى إستغلال الصفة القانونية لهذه الجماعات وماتتيحه من إصدار تصريحات وموافقات على جمع التبرعات حتى شاعت هذه الوسيلة وتحولت إلى حرفة يمتهنها بعض العاطلين تحت مسمى مندوب جمع تبرعات على غرار منوب المبيعات وأصبح لهذه المهنة نجومها وأبطالها ومرتزقيها أيضاً الذين يحصلون على عمولات تصل إلى عشرين بالمائة من قيمة ما يتم جمعه من تبرعات .. هذا بافتراض أن الأمر سيسير بصورة رسمية لا يشوبها إنحراف أو لصوصية أو بلطجة .. وهو ما نشك فيه ولا نتوقع حدوثه من الأمراء وأذنابهم ، فهذا يجيد لعبة جمع الأموال والتبرعات تحت سمع وبصر المجتمع والحكومة ، وذلك يطلق عليه العالم الجليل الذى يتصدى لإصدار الفتاوى بالتكفير وإهدار الدماء ، وهؤلاء يجيدون عمليات الإغتيال والتفجير ، والجميع يبشرون بعضهم البعض بقصور فى الجنة .. ترفل فيها الحسان والولدان .. **ولا عزاء للصامتين** .

البــاب الرابــع

تسلــيح الإرهـــاب !

لـن تســتريحوا معـنـا

كل قتيل عـندنا

يمـوت الآفـًا من المـرات

الفصــل الأول

ســوق ســلاح الإرهــاب

قــراءة فى ملـف تسليـــح جماعات الإرهــاب

السـلاح دائمـا هو البطل فى كل قضايا الإرهاب .. هو الوسـيلة والأداة .. المنهج والعقيدة .. الصاحب والأمير .. وباختصار هو العنصر الحاسم فـى كـل التنظيمات والأنشطة الإرهابية .. فلا إرهـاب بدونه .. ولا تنظيمات مسلحة مـن غيره .. وقد يكون هذا السلاح بندقية أو مسدس ، أو يكون مطواة قرن غـزال أو سنجة أو جنزير ، والمراقب لهذه الظاهرة يكتشف أن البحث عـن السـلاح ظـل الهاجس الأول لقيادات هذه الجماعات التى يتناسب حجم أنشطتها تناسباً طردياً مع سهـولة تدبير مصادر الحصول على السلاح ويتفق المراقبون مع خـبراء الأمـن على إنحصار مصادر الأسـلحة فى مجموعتين رئيسيتين هما :

أولاً : المصادر التقليدية :

ويمكن تعريفها بأنها مجموعة القنوات التى تتصل بالنشاط الإجرامى فى شتى صوره المتعددة ، وكانت حتى وقت قريب تنحصر داخل الدائرة الجنائيـة البحتـة لإرتباطها الوثيق به كتهـريب المخدرات مثلا ، والذى يصحبـه دائمـاً عمليـات تهريب للأسلحة لتأمين مرور الشحنات المحظورة من ناحية ، ولدواعى متطلبـات هذا العالم السفلى من ناحية أخرى ، ولعلنا نتذكر قضية المخدرات الكـبرى التـى اتهم فيها "سيد عبد التواب" الذى صدر ضده حكم بالإعدام حينما حاول تمرير شحنة هائلة من المخدرات وصلت إلى الأطنان ، ومعها ترسانة مـن الأسـلحة الحديثـة والذخيرة ، وتمكنت إدارة مكافحة المخدرات من إحباطها وضبطها عنـد الحـدود الجنوبية للبلاد .

هذا بالإضافة إلى وجود عدد من البؤر الإجرامية التقليديـة للتجـارة غـير المشروعة للسلاح ، وتتوزع هذه البؤر على خريطة البـلاد بشـكل عشـوائى ،

وتتلاقى فيها تجارة المخدرات وزراعتها مع تجارة السلاح والمنازعات الثأرية والخصومات المزمنة ، فهناك مثلا مناطق الطور ووادى فيران بسيناء ، حيث تسيطر عليها قبائل البدو - الحويطات وبلى والذيابين والطورة وغيرهم- وتتوارث فيما بينها أنشطة تهريب المخدرات وزراعتها فى مناطق الكثبان الوعرة بالإضافة لتهريب وتجارة الأسلحة التى أمكنهم الحصول عليها أثناء فترات الحروب بين مصر وإسرائيل وتمكنوا من تهريب بعضها الآخر عبر مسالك صحراوية لايعرفها غيرهم بمنطقة الحدود الشرقية ، وهناك مثلث الجريمة الشهير "باسوس والجعافرة وكوم السمن" بالقليوبية ، وقد تخصص عدد كبير من الأهالى هناك فى تصنيع الأسلحة المحلية "الفرد أو المقروطة" فى ورش خراطة صغيرة بغرف تحت الأرض وسط المنازل الريفية المتداخلة .

ثم تأتى مدينة بلبيس وضواحيها الصحراوية "عرب الأحيوات وقرية الجمهورية وحجرة بلبيس" وتقطنها قبائل بدوية هى امتداد طبيعى لقبائل بدو سيناء والأردن وشمال غرب السعودية ، ويمكن إعتبار بلبيس فى هذا السياق بمثابة البوابة الشرقية لمصر ، فلا عمل لهؤلاء البدو الذين يقيمون على أطراف العمران سوى أنشطة تهريب المخدرات والسلاح لتجار الصعيد الذى يشكلون المستهلك الرئيسى لهم ، ونصل للصعيد حيث تتصاعد دراما تجارة الأسلحة إلى أكثر مراحلها إثارة وسخونة ، ويفرض إسم قرى "السمطا - فاو - الوقف" التابعة لمركز دشنا بقنا ، حيث الرغبة الأزلية والأبدية فى إقتناء الأسلحة لأغراض النزاعات الثأرية أو تأمين زراعات الخشخاش أو حتى مجرد الشعور بالتميز الإجتماعى وهناك قرى مركز "البدارى وديروط" بأسيوط ، وعموما فإن محافظات أسيوط وسوهاج وقنا هى السوق الرائجة المثلى لإستهلاك الأسلحة ، ولنقرأ بورصة أسعار الأسلحة هناك من خلال بعض المصادر المطلعة **(غير الرسمية بالطبع)** لنجد الموقف كالتالى[®] :

يصل سعر السلاح الآلى "الكلاشينكوف" فى أسيوط إلى أربعة آلاف جنيه تقريباً خاصة إذا كان صناعة روسية وليست من إنتاج المصانع الحربية المصرية

هذه الأسعار وفقاً لتقديرات عام ١٩٩٥ وقد شهدت الساحة إرتفاعاً مطرداً فى أسعار السلاح غير المرخص فى أعقاب عمليات الضبط المتنامية وتشديد عقوبات هذه الجريمة وسحب آلاف الأسلحة المرخصة .

التى يقل سعر السلاح المنتج بها حوالى ألف جنيه عن مثيله الروسى أو الرومانى مثلاً ، أما فى سوهاج وقنا فيصل سعر البندقية إلى خمسة آلاف جنيه حسب درجة جودة السلاح وحداثته ، بينما لايتجاوز سعره فى بلبيس ثلاثة آلاف جنيه فقط ، وينخفض هذا السعر فى سيناء ليصل إلى ألفى جنيه أو أقل .

وقد تنوعت مصادر تهريب السلاح وهو الأمر الذى ترتب عليه تنوع هذه الأسلحة بالتالى فقد ضبطت فى بعض المناطق بنادق "عوزى" الإسرائيلية الشهيرة كما وكذا بعض البنادق الأمريكية (ك ٦٠) والتى كانت قد أستخدمت فى حرب الخليج ، وبالإضافة لما تقدم فهناك سوق آخر للسلاح نشط مؤخرا فى جنوب البلاد وهو ما يعرف بسوق العبابدة الواقع بمنطقة حلايب حيث تقوم قبائل العبابدة والبشارية بتهريب الأسلحة عبر الحدود السودانية مع البضائع الأخرى التى يتم تهريبها منذ القدم كالأبل والحبوب والذهب وغيرها ، ونظراً لمعرفة رجال هذه القبائل بالطبيعة الجغرافية لهذه المناطق الوعرة فإن مسألة تعقبهم تعتبر أمراً بالغ الصعوبة .

وهناك أيضاً بعض الأسلحة التى يتم تهريبها عبر الحدود كقطع متفرقة يعاد تجميعها بمعرفة فنيين خبراء فى هذا المضمار يطلق عليهم "الطفشجية" وهم من العناصر التى تلقت خبرات عسكرية لبعض الوقت وتركوا الخدمة لأسباب مختلفة ويقومون إلى جانب التجميع بمهمة ترميم وصيانة وإصلاح الأسلحة المعطوبة أو غير الصالحة والتى تنخفض بالطبع أسعارها كثيراً عن الأسلحة الجديدة ، كان هذا عن المصادر التقليدية وهناك مصادر أخرى سنتعرض لها لاحقاً .

ثانياً : المصادر التنظيمية :

وهى تلك المصادر التى يمكن تعريفها بوصفها مجموعة المنابع أو الوسائل المبتكرة التى ينفرد بها النشاط الحركى لجماعات الإرهاب دون غيرها بغرض الحصول على الأسلحة النارية والمتفجرات من خلال بعض عناصر الجماعة والمتعاطفين معها بصورة أو أخرى ، ويمكننا حصر هذه المصادر فى ثلاثة محاور رئيسية هى :

(أ) عمليات السطو على أسلحة قوات الشرطة والحراسات بعد قتلهم .

(ب) الإتصال بالقبائل البدوية التى تقيم على حدود البلاد الجنوبية (السودان) والشرقية (إسرائيل والأردن والضفة الغربية) والغربية(ليبيا) .

(ج) الإمدادات الخارجية الأجنبية .

(أ) عمليات السطو على أسلحة جنود الشرطة :

وهى حوادث انتحارية وفردية تطالعنا بها صفحات الحوادث بالصحف من حين لآخر ، ويخطط لهذه الوقائع مجموعات منبثقة من الجماعات الإرهابية ومما يسمى بـ "لجنة العدة" بها ، وقد كان لـ "عمر عبد الرحمن" فضل الريادة فى إصدار الفتوى بإباحة الإستيلاء على أسلحة الشرطة والقوات المسلحة فيما عرف لدى فقهاء ومنظرى التطرف بـ **"فتوى الغنيمة"** ، ولو استدعى الأمر وقوع جرائم قتل لأبرياء أو أطفال ونساء لم يفته أن يبرر ذلك بسلاحه الشهير ومنطقه الفتوى أيضاً بوصفهم بـ **"شهداء الضرورة"** ، وكان قد حدث ذلك للمرة الأولى إبان قيام التحالف الأول بين تنظيمى الجماعة الإسلامية والجهاد وقيامهم بتنفيذ عمليات الهجوم على مديرية الأمن وأقسام الشرطة فى أسيوط عام ١٩٨١ فى أعقاب اغتيال السادات مباشرة ، وقتل نتيجة لذلك المئات من رجال الشرطة والمواطنين وهو الأمر الذى تكرر فيما بعد كثيراً فى العديد من الحوادث الإرهابية التى وقعت فى القاهرة أو الصعيد .

(ب) قبائل الحدود :

وبالنسبة للإتصال بقبائل الحدود تأتى قبائل البدو فى سيناء وهى كما أسلفنا إمتداد للقبائل المقيمة فى الأردن وشمال غرب السعودية وبالتحديد منطقة تبوك ويطلق على هذه القبائل (عرب المشارقة) تمييزاً لهم عن (عرب المغاربة) المقيمين على حدود مصر الغربية ، وأبرز هذه القبائل التى تقيم على الحدود الشرقية قبائل : (بلى ، الحويطات ، الطورة ، التياها ، المعاذة وغيرها) ، أما على الحدود الجنوبية فهناك قبائل البشارية والعبابدة ، وعلى الحدود الغربية هناك قبائل أولاد على وهى قبائل قوية متماسكة وتفرض نفسها فى هذا المجال بشدة .

وتقوم هذه القبائل الحدودية إن صح هذا التعبير بعمليات تهريب مزدوجة من وإلى البلاد المجاورة تمكنهم من ذلك سهولة حركتهم عبر الحدود رسمياً وسرياً،

فمثلا يقوم العبابدة بتهريب الأدوية المصرية المدعومة للسودان ، وتهريب المخدرات والأسلحة والذهب لمصر خلف ستار الإتجار بالإبل والجمال فى الوقت الذى ينكر فيه فقهاء التطرف ، تأثيم هذه العمليات التهريبية بدعوى أنها تجارة مباحة لم يرد بشأنها تحريم شرعى فى القرآن أو السنة ، وأن مسألة الضرائب والرسوم الجمركية أمور رسمية من المحدثات التى تخدم الحكومة الكافرة ، وتحيا هذه القبائل فى ظل ظروف جغرافية ومعيشية بالغة القسوة وترفض الإندماج الحضارى وتوغل فى المفاهيم القبلية المتردية ، وتتوارث هذه الأنشطة المجرمة بشكل آلى يدفعها للتفنن فى وسائل التهريب وإجادة معرفة دروب الصحارى الوعرة وقص الأثر ومراوغة قوات حرس الحدود والشرطة المحلية هناك ، ولعل نظرة على فرق اسعار السلاح فى السودان مثلا عنها فى جنوب مصر تكون مدخلا لفهم دوافع التهريب المستمرة ، فلا يزيد سعر البندقية الآلية فى السودان على ثلاثمائة دولار أمريكى ، بينما يصل سعرها فى مصر إلى ما يزيد على ألفى دولار أمريكى .

وأخيرا فى مسألة المصادر يأتى أخطرها وهو الإمدادات الخارجية والأيدى الأجنبية التى تعبث بمقدرات الوطن وتمس سيادة الدولة •• وحينما نتناول هذه القضية يتبادر إلى الذهن ذلك النشاط المريب للإخوة المجاهدين الرسميين فى الجبهة السودانية الذين نسوا أمر المجاعات والمشكلات الإقتصادية المزمنة فى بلادهم وتفرغوا لتحويل السودان إلى معسكر كبير لتدريب الإرهابيين من كل ملة وجنس أفغان وإيرانيون ومصريون وصوماليون وجزائريون وليبيون وتوانسة ويمنيون وما خفى كان أعظم ..

أما المؤسف حقا فى سلسلة مصادر تسلح جماعات الإرهاب فهو إستغلالهم لثغرة قانونية بالغة الغرابة كشفتها المستجدات على ساحة الواقع والتى تتلخص فى عدم تجريم القانون المصرى لحيازة قطع غيار الأسلحة وأجزاء السلاح بل تتجاوز الإباحة هذا الأمر إلى درجة عدم جواز إحالة قضايا الأسلحة غير المرخصة لو كان السلاح غير صالح للإستعمال ويكفى مثلا أن تنزع إبرة ضرب النار أو التتك حتى يأتى تقرير الطب الشرعى بعدم صلاحية السلاح للإستعمال

ويترتب على ذلك أن يفلت المتهم من العقاب وتبرأ ساحته تماما .. فعندما يضبط أحد الأشخاص وبحوزته سلاح نارى تقيد القضية بوصفها جناية وتحال للنيابة العامة للتحقيق فيها التى تأمر دائما بعرض السلاح على مصلحة الطب الشرعى لبيان ما إذا كان صالحا للإستعمال من عدمه ، ويكفى أن يكون هناك عطب بسيط بأى من أجزائه حتى يأتى تقرير الطب الشرعى بعدم صلاحيته ، وهنا يضطر وكيل النيابة لحفظ القضية إدارياً وعدم إحالتها للمحكمة وبراءة المتهم طبعا .. هذا ناهيك عن مجرد حيازة أجزاء السلاح الذى لايؤثمه القانون ولم يتدخل المشرع بالتعديل لتدارك هذا المأزق القانونى للقائمين على الضبط فيكتفى عادة وفى أسوأ الفروض بإتخاذ إجراء إستثنائى كالاعتقال لمدة لا تتجاوز ثلاثة شهور كحد أقصى فرضه القانون ، أما أخطر الحيل التى يلجأ لها أمراء الإرهاب مؤخرا فهى تتلخص فى قيامهم بتعديل بعض أجزاء مسدسات الصوت بتغيير الماسورة المسدودة بأخرى مشخشنة من ذات العيار لتتحول بقدرة قادر إلى مسدس حقيقى مطابق للمواصفات القياسية الهندسية وصناعة أجنبية أيضا .. ولما كانت مسدسات الصوت تباع علنا ودون أى رقابة كالخضروات فى الأسواق وكانت قطع غيار الأسلحة غير مجرمة قانوناً فى حيازتها ..

قراءة فى نصوص قانون الأسلحة :

وهذه الحيلة تسوقنا إلى إعادة قراءة نصوص قانون حيازة الأسلحة غير المرخصة والترخيص بها لنكتشف أبعادا مأسوية أخرى فالقانون الذى ينظم هذا الأمر هو رقم ٣٩٤ لعام ١٩٥٤ والذى ينص على إمكانية حصول أى مواطن على ترخيص بحمل سلاح نارى شريطة أن يقدم مبررات حمله دون تحديد هذه المبررات وتركها لتقدير مسئولى الأمن بالإضافة لإغفال تحديد عدد الأسلحة التى يمكن الترخيص بها الأمر الذى يغرقنا فى بحور التقديرات الشخصية وخلافه وما يستتبعه من أمور نعرفها جميعا .. ونتحمل تبعتها جميعا ، ولايعتد القانون المذكور – كما سبق وأوضحنا – بحيازة أجزاء السلاح ، وعلى الرغم من كل هذه الثغرات فإن نظرة واحدة لحجم القضايا التى تحفظ إداريا ولا تحال للمحاكمة قد

طرحت مؤخراً وزارة الداخلية مشروع قانون لتدارك هذه الثغرات القانونية ، ومن المقرر عرضه على مجلس الشعب فى دورة إنعقاده لسنة ١٩٩٧ .

تعنى شيئا .. فقد بلغت نسبة القضايا المحفوظة إلى خمسة وستين بالمائة من إجمالى قضايا الأسلحة غير المرخصة وتعود أسباب الحفظ إلى عدة أسباب أهمها :

١- عدم صلاحية السلاح فنياً للإستعمال وذلك وفقا للمعايير الهندسية والفنية التى تضعها مصلحة الطب الشرعى .

٢- الأخطاء الإجرائية التى يقع فيها مأمورو الضبط القضائى كالتفتيش أو القبض أو أدلة ثبوت الحيازة وملابساتها .

٣- الزيادة المطردة فى حجم ضبط قضايا الأسلحة المحلية الصنع - الفرد المحلى - الذى يفتقد إلى تناسب قدراته مع القصد الجنائى من حيازته أو استعماله .

وعلى الرغم من علانية بيع المطاوى بمحلات الأسلحة فى الوقت الذى يمنع فيه القانون حيازتها بشكل شخصى .. فأيهما نصدق .. تاجر الأسلحة أم القانون الذى يجرم حمل السلاح الأبيض ؟!

قـراءة احصائية :

وأخيرا فقد يكون من المفيد الإستعانة بإحصائية الأسلحة والذخيرة غير المرخصة المضبوطة خلال أعوام ٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-١٩٩٦ كما أوردها تقرير مصلحة الأمن العام® على النحو التالى :

فقد بلغ حجم المضبوط من الأسلحة غير المرخصة عام ١٩٩٢ -وفقاً لإحصائية مصلحة الأمن العام - أربعة عشر ألف وستة(١٤٠٠٦) سلاح غير مرخص منها (١٥٤) مدفع و(١٤٣٣) بندقية آلية و(٨٥٤) بندقية مشخنة و(٨٢٥٧) بندقية غير مشخنة و(٣٣٠٨) مسدس .

وفى عام ١٩٩٣ إزداد حجم المضبوط من الأسلحة غير المرخصة بنسبة ٢٠٪ ليصل الرقم إلى (١٦٧٩٤) ستة عشر ألف وسبعمائة وأربعة وتسعين قطعة

التقرير الإحصائى السنوى لمصلحة الأمن العام أعوام ٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-١٩٩٦ ، وأنظر الجداول والرسوم البيانية فى ملاحق الكتاب وهى من إعداد الكاتب إستناداً للإحصائيات المشار إليها .

سلاح غير مرخصة منها (١٧٩) مدفع و(١٧٣٦) بندقية آلية و(٩١٨) بندقية مششخنة و(١٠٢٨٧) بندقية غير مششخنة و(٣٦١١) مسدس .

أما فى عام ١٩٩٤فقد إنخفض العدد إلى (١٥٣٢٨) خمسة عشر ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين قطعة سلاح غير مرخصة منها (١٨٢) مدفع و(١٣٥٨) بندقية آلية و(٦٩٣) بندقية مششخنة و (١٠٣١٨) بندقية غير مششخنة و (٢٧٧٧) مسدس .

ويستمر الإنخفاض عام ١٩٩٥ليصل العدد إلى (١٣٥٠٤) ثلاثة عشر ألف وخمسمائة وأربعة قطعة سلاح منها : عدد (١٠٩) مدفع وعدد (١٢٠٥) بندقية آلية وعدد (٧٨١) بندقية مششخنة وعدد (٩٨٣٣) بندقية غير مششخنة وعدد (١٥٧٦) مسدس .

أما فى عام ١٩٩٦ فيصل الإنخفاض إلى ذروته القصوى فقد وصل حجم المضبوط من الأسلحة غير المرخصة خلال ١١شهر وحتى بداية شهر ديسمبر من نفس العام (١٢٦٩١) قطعة ، منها عدد (٩٨) مدفع وعدد (١١٠٠) بندقية آلية ، وعدد (٥٦٢) بندقية مششخنة وعدد (٩٥٦٠) بندقية غير مششخنة وأخيراً هناك عدد (١٣١٧) مسدس .

هذا عن الأسلحة أما بالنسبة للمتفجرات والقنابل فقد كان الوضع على النحو التالى تفصيله بعد :

فى عام ١٩٩٣بلغ حجم المضبوطات من القنابل (١٨٤) قنبلة ، بينما بلغ حجم المضبوط من مادة تى. إن. تى. (١١٠٤)كيلوجرام ، ومن البارود الأسود المستخدم فى تصنيع قنابل المولوتوف (١٩٥) كيلوجرام ، بينما بلغ حجم المضبوط من مفجر القنابل (١٨٧) مفجراً .

وفى نفس العام بلغ عدد طلقات الذخيرة الحية المضبوطة (٧٥٢٠٨) طلقة مختلفة العيار .

فى عام ١٩٩٤إزداد حجم المضبوط من مادة تى. إن. تى. ليصل إلى (٢٦٢٠)كيلو جراماً وهو رقم بالغ الخطورة .

بينما تراجع هذا الرقم بشدة عام١٩٩٥ليتوقف عند (٧٤٨,٨)كيلو جرام فقط وهى أقل نسبة من مادة تى٠ إن٠ تى٠تضبط خلال السنوات الأخيرة .

وعلى أية حال فإن الإجراءات التى إتخذتها أجهزة الأمن بشأن إعادة فحص مبررات تراخيص الأسلحة ، واللجنة التى شكلت خصيصاً لهذا لغرض وقد قامت بإلغاء تراخيص حيازة الأسلحة الآلية والنصف آلية بالإضافة لإلغاء تراخيص مسدسات بلغ عددها (١٨٣٢٧) قطعة وهو الأمر الذى إرتبط بالإنخفاض فى نسب ضبط الأسلحة غير المرخصة مما يعنى أن الجهود التى بذلت فى مجال إحكام القبضة على الإتجار غير المشروع للأسلحة كانت سبباً مباشراً فى إنحسار هذه الظاهرة الخطيرة بصورة واضحة * .

ويبقى التنبيه إلى ضرورة إحكام القبضة على تداول المتفجرات لدى أصحاب تصاريح إستغلال المحاجر الذين يشكلون أحد أهم مصادر جماعات الإرهاب فى الحصول على المتفجرات كما تشير إلى ذلك إعترافات العديد من المتهمين فى قضايا الإرهاب ، وليس الإرهابيين فحسب بل هناك مستفيدون أخرون هم صناع بمب الأطفال فى قلب المدن والذى تصنع منه قنابل المولوتوف أيضاً .

وحتى الآن لم يفكر أحد فى ضرورة تعديل التشريع بتجريم حيازة أجزاء السلاح أو تنظيم ، إستيراد وبيع مسدسات الصوت ومطاوى قرن الغزال الألمانية الصنع ، والمأزق هنا - فى هذه الجزئية - قانونى بحت لايتعلق بوسيلة الضبط أو كيفيته بل يتطلب تشريعاً حازماً ينسق مع المستجدات التى ظهرت على الساحة .

* لمزيد من المعلومات أنظر الملاحق هناك تحليل إحصائى مقارن بحجم المضبوطات من الأسلحة غير المرخصة مقارنة بعدد القضايا الإرهابية خلال أربع سنوات من ٩٣-٩٤-٩٥-١٩٩٦ .

الفصل الثانى

مخزن أمريكى لأسلحة المتطرفين فى الفيوم
حكاية ضبط المواطن الأمريكى زكريا التونى

إقتحم رجال الأمن " السرايا " ..

دخلوها حتى وصلوا إلى غرفة النوم ، وحينما إستيقظ الرجل قام صارخاً مهدداً بتدخل أمريكا .. وحدوث أزمة سياسية قد تصل نتائجها إلى حد قطع المعونة الأمريكية ..

وأضاف : أنا مواطن أمريكى وعايز السفير !

فى هذه اللحظة ، كان الجنود قد وصلوا إلى غرفة السلاح ، وعثروا على المسدسات والبنادق .. والذخيرة .

وعثروا أيضا على ملابس نسائية ..

وكانت أول أسئلتهم عن علاقته بالمتطرفين .. لم يجب الرجل الأمريكى زكريا التونى ، بينما نحاول نحن الإجابة ؟!

لأربع ساعات متواصلة ، كان التحقيق مع هذا المصرى الذى يحمل الجنسية الأمريكية والذى تم ضبطه فى الفيللا التى يملكها - ويسميها الفلاحون - السرايا، وقد حضر مسئول من مكتب الملحق العسكرى الأمريكى بالسفارة الأمريكية مجريات التحقيق ، ومن السفارة أيضا جاء طلب رسمى بإيفادها عن ملابسات وظروف والتهامات زكريا التونى .

ولكن هل يمكن الجزم بعلاقة زكريا التونى المواطن الأمريكى بالمتطرفين.. ؟ ومخزن سلاحه (وقد عثروا فيه على مسدس بمقبض من العاج ، ثمنه خمسون ألف جنيه ولا مثيل له فى السوق المصرى) هل كان مخزناً للمتطرفين ؟

الرائد أحمد حسين جلال - رئيس مباحث مركز شرطة طامية حينئذ- والذى كان قد شارك فى عملية القبض عليه لم يجزم بتورط زكريا فى علاقة مع

المتطرفين وقرر أن القــول الفصل فى هذه المسألة ليست من اختصاصه بل مـــن إختصاص جهــات أخرى مسئولة ، وحتى تعلن تلك الجهات الأخـــرى المســئولة حقيقة هذا الأمر برمته .. وتكشف غموضه فإننا لانملك سوى فتح ملف القضيـــة والتفتيش وراء أسرار المتهم .. وهى كثيرة وخطيرة .. وشاذة أيضا .

لم يكن زكريا التونى أحد أبناء الفلاحين أو الصيادين بل كان واحداً من أبنـــاء الإقطاعيين القدامى وحفيداً لباشا سابق .. وأتى للحياة وفى فمه الكثير من ملاعـــق الذهـــب ولم يكن مطلوبا منه أن يفعل شـــيئا إلا أن يـــرث الكثـــير .. الأراضـــى الشاسعة .. والحدائق والقصر المشيد بنفس الأسلوب الذى بنى به الهرم .. أحجـــار متراصة بطريقة تفريغ الهواء .. ولقب العائلة .. والكثير من التدليل : وفـــى هـــذا المناخ نشـــأ زكريا التونى وقد حاول والده أن يصنع له قنوات اتصال بينه وبيـــن أبناء الأعـــيان بالفيوم مثل عائلة "**والى**" التى تربطهم بها صـــلات المصـــاهرة أو عائلة "**الباسل**" التى يعود إليها أصل والدته ، أو عائلة "**أبو طالب**" المقربيـــن مـــن والده ولكنه كان كالنغمة الشاذة لايتسق مع مثل هذه الصلات مفضلا صداقة أبنـــاء الفلاحين وصيادى بحيرة قارون عليها وهو الأمر المزعج لوالـــده ، لذلـــك قـــرر إرساله للاسكندرية ليتم دراسته حتى انتهاء المرحلة الثانويـــة بكليـــة فيكتوريـــا .. مدرسة أبناء الملوك ورؤساء الدول .. وعلى أقل تقدير الوزراء .. وهناك واصـــل زكريا حياته حتى تحين عطلة الصيف فكان يدعو عـــددا مـــن زمـــلاء الدراســـة لقضاء بعض الوقت بعزبة والده بطامية ، والتى تتجاوز مساحتها ٢٥٠ فدانا مـــن أجود الأراض فيمتطون الجياد العربية الأصيلة التى يهـــوى تربيتهـــا الأب وبعـــد ذلك يسبحون فى حوض للسباحة أسسه جده "الباشا" بكتلة مـــن الرخـــام النـــاصع وأحاطه بسور مرتفع يدرأ عنه نظرات المتلصصين والمتطلعين .. ورغم كل هـــذا لايكاد يمر اســـبوع حتى يدرك زكريا ورفاقه الملل فيشدون الرحـــال إلـــى فيلـــلا يمتلكها بحى سابا باشـــا أحد أعرق أحياء الاســـكندرية ليســـتكمل هنـــاك عطلـــة الصيف، وحتى تحين مواعيد بدء الدراسة "بفكتوريا كولدج" والتى أتم دراسته بهـــا ولم يفكر فى استكمال تعليمه الجامعى بمصر واستقر الرأى على التحاقه بجامعـــة هارفارد" بالولايات المتحدة الأمريكية .. ورحل إلى بلاد الغرب التى يبدو أن الحياه بها قد راقت له كثيرا فلم يغادرها إلا حينما وصله خبر وفاة والده الذى طالما ألـــح عليه بالعودة قبل وفاته .. وعاد زكريا وقد وجـــد نفسه ملزماً بالبقاء بعزبة والـــده بطامية حتى يتمكن من إدارة هذه الثروة الطائلة .. وقد حاول البقـــاء تحت إلحـــاح

من أمه التى اصطحبته إلى منزل أحد أعيان عائلة "والى" لتعرض عليه فتاة بارعة الجمال .. ولم يرفض هذه الفكرة .. ربما راقته فقد راح يتردد على منزل أسرة الفتاة ويبادلهم الهدايا .. والسهرات وهنا حدث أمر غامض .. ففجأة ترك أمه المريضة التى إرتبط بها نفسياً .. وترك الفتاه الجميلة التى وعدها بالزواج .. وألقى بالفدادين المائتين خلف ظهره وبلا مقدمات وعلى أثر زيارة من شخص قال عنه أنه كان زميل دراسة بفكتوريا كولدج بالاسكندرية .. وبنفس الغموض والإرتجال حصل على تأشيرة دخول لأمريكا .. وشد الرحال .

ما حدث هناك لايستطيع أحد – غيره – التكهن به وقد إعترف فى تحقيقات النيابة فيما بعد بأقوال متناقضة عن الفترة التى قضاها بأمريكا .. فهو تارة يؤكد أنه ذهب لإستكمال دراسته التى انقطع عنها بعد حضوره ، وتارة أخرى يقول أنه كان يمارس هوايته فى الرسم والفن التشكيلى ، وثالثة يردد أنه كان يعمل مديرا لإحدى الشركات .. وامتدت فترة الغموض ثمانية أعوام لم يتزوج خلالها – كما تؤكد وثائق سفره وعودته – ولكنه حصل على الجنسية الأمريكية وهذه العلامة إستفهام كبرى فالمعلوم أن القانون الأمريكى يشترط إقامة الأجنبى بطريقة مشروعة ولمدة عشر سنوات متصلة بلا انقطاع .. والإقامة المتصلة المشروعة يجب ألا تكون للدراسة بل للعمل أو الإرتباط بزوجة أمريكية وهو ما لم يحدث .. والسؤال الذى يطرح نفسه تلقائيا هو كيف حصل زكريا التونى على الجنسية الأمريكية ؟ ومن وقف وراءه فى تحقيق ذلك .. ولماذا يسعى إليها وهو إبن العائلة الثرية الذى لاحاجة له بهذه الجنسية أو غيرها .

نعود لسيناريو الغموض مرة أخرى فكما غادر التونى الفيوم فجأة عاد إليها فجأة أيضا ولكنه كان مختلفا هذه المرة .. ويحكى أحد خفراء العزبة عن سلوكه وبرنامجه اليومى قائلا : "كان زكريا بك بيصحى من النوم الساعة أربعة العصر ويخرج الساعة خمسة يركب حصانه ويتمشى يشرب شاى مع الطلبة والفلاحين كان راجل متواضع .. حتى السنية كان بيقعد معاهم وهما اللى كانوا عايزين يسرقوا محصول الأرض بتاعه زى ما بيعملوا مع الناس" .. والحقيقة أن زكريا هو الذى سعى لمعرفة هؤلاء "السنية" فسأل عنهم وطلب من خفراء عزبته ترتيب لقاءات معهم حتى تقابل بالفعل مع أحد أفراد جماعة الشوقيين ودعاه إلى السرايا – كما يروق للأهالى تسمية منزله – واستمر لقاؤه به خمس ساعات متصلة تخللها العشاء وإنتهى هذا اللقاء بصلة وطيدة مع أعضاء الجماعات

المتطرفة الذين دأبوا على التردد عليه من حين لآخر .. هذا بخلاف لقـــاءات مـــن نوع آخر استطاع الفلاحون أن يشموا رائحتها ببساطة وهى التى كانت تبدأ بأن تقع عين زكريا على شاب فقيَر لايملك شيئا سوى فحولته فيصطحبه زكريـــا للمـــنزل ويداعبه حتى يمارس معه الشذوذ الجنسى بمقابل يدفعه زكريا راضياً ويتفاوت قدره وفقا لقدرة هذا الشاب أو ذاك الفتى على إرضاء شبقه الذى تزايدت معدلاته واتسم بالفجور والعلانية فقد كان يحدث أن يدخل الضحية مع زكريـــا للمـــنزل وتغلـــق الأبواب ويبتسم الفلاحون بدهاء مؤكدين معرفتهم بحقيقة ما يدور بالداخل ويعـــزز ذلك الأصوات المتبجحة الشبقة التى تنبعث من "السراى" ولا تستمر علاقته بـــأحد أكثر من عدة أسابيع حتى يكون قد عثر على صيد جديد وهكذا ، وبيـــن علاقتـــه بفحول الفلاحين .. وأمراء التطرف هواية جديدة ظهرت بوادرها عليه فجأة وهـــى إقتناء الأسلحة .. وكالعادة تسابق أعوانه فى ترتيب لقاءات بينه وبين تجار الأسلحة من الأشقياء وعتاة المجرمين الذين يعرضون عليه أفضل وأقوى أنواع الأســلحة.. مسدسات .. وبنـــادق آلية .. وبنادق صيد .. وقناصات وغيرها وكلهم ثقـــة أنـــه سيدفع مضاعفا وهو ما يحدث بالفعل فضلا عن منافع أخـــــرى يجنبهـــا هـــؤلاء الأشـــقياء من جراء صلتهم به ، والمثير أن زكريا لم يكن يريـــد هـــذه الأســلحة لغرض واضح رغم أنه خصص لها غـــرفة فى "بدروم" المـــنزل وأسســـها علـــى طريقة "حجرة السلاح" بمراكز وأقسام الشرطة ، وكان يتولى بنفسه تنظيف الأسلحة وصيانتها دورياً ومن حين لآخر يطلق ليلا عدة أعيرة نارية لمجرد التسلية – كما يؤكد خفراء عزبته – ولكنه من حين لآخر كان يطلع عليها أصدقاءه من "الســـنية" فيبدون إعجابهم وانبهارهم بهذه المجموعة القيمة والنادرة من المقتنيات ثم يباريهم فى التصويب على أهداف يصنعها له أحد الخفراء بحديقة منزله حتى يحين موعـــد العشاء فيتناولون معه الطعام ويرحلون ليأتى رفاق الشذوذ لقضاء بقية الســـهرة .. وطيلة هذه الفترة لم يحاول إقامة علاقات مع أحد من أبناء أعيان البلاد المجـــاورة كما يحدث عادة فى مثل هذه الأحوال مما دفعهم لتتبع تصرفاته ونقلهـــا لمســئولى الأمن الذين إستوقفتهم هذه المعلومات ظنا منهم أنه من الجائز أن يكـــون قـــد أوى بمنزله أحداً من العناصر المتطرفة الهاربة من الشرطة ، وخصوصا مسألة الأسلحة التى فاحت رائحتها وأكدتها أصوات الأعيرة النارية كل ليـــلة .. وكـــانت مهمـــة الأمن سهلة .. فزكريا شاذ جنسيا وعلاقاته متعددة .. ومتبسط ممـــا يجعـــل مـــن اختراقه أمرا يسيرا .. وذات يوم اقتحم رجال الشرطة منزله وكان لايزال نائمـــا ،

وعندما أفاق من ذهوله ليجد نفسه محاصراً بالعديد من الضباط والجنود تملكه الغضب والجنون وصاح قائلاً : "**أنا مواطن أمريكى .. لازم أتصل بالسفير .. مفيش واحد يقدر يفتش بيتى إلا بعد إذن السفير الأمريكى .. أمريكا بتديكم كل حاجة .. اللى بتعملوه ده حيتسبب فى أزمة سياسية**" .

لم يتوقف الضابط عن مواصلة مهام تفتيش المنزل وإقتحم غرفة البدروم وعثر على (١٣) قطعة سلاح ما بين مسدسات وبنادق آلية وبنادق صيد وقناصة فضلا عن كميات هائلة من الذخيرة .. ، وملابس نسائية فاضحة كان يرتديها أثناء ممارسته الشذوذ ، هذا بالإضافة لمبالغ نقدية وعملات أجنبية وصور فوتوغرافية له فى أوضاع شاذة ومقززة مع بعض "الإخوة" المتطرفين أو "المجاهدين" ، وأسقط فى يده فلم يكن يتصور تلك النهاية المبتسرة والسريعة لخطته الغامضة .. وأمام النيابة جاءت إعترافاته غاية فى المناورة والمراوغة .. فقد إعترف بحيازة الأسلحة لكنه إدعى عدم علمه بوجوب الحصول على ترخيص سابق معللاً ذلك بأنه عاش بأمريكا فترة طويلة وأن القانون الأمريكى يبيح حيازة الأسلحة .. وأكد أنه يهوى جمع الأسلحة وكان بوسعه الحصول على ترخيص بفضل أمواله وعلاقاته .. وأنكر صلته بالمتطرفين مؤكدا أنه كان يتعامل معهم بوصفهم أبناء خدمه أو معاونيه فى زراعة أرضه ولاشأن له بالتطرف بل أنكر علمه بما يسمى "بالإرهاب" تماما .

ورداً على سؤال حول ما أثير عن إتهامه بالشذوذ إكتفى بقوله أنها مسألة شخصية ليس من حق أحد مساءلته فيها .. وعن تردد بعض أعضاء الجماعات عليه راوغ قائلاً أنه لايعرف أنهم يعملون ضد المصالح الوطنية لمصر .. ولم يتبق للنيابة العامة سوى توجيه تهمة حيازة وإحراز أسلحة نارية (**١٣ قطعة**) وكميات هائلة من الذخيرة بدون ترخيص .. وهى تهمة لاتتجاوز عقوبتها السجن بضع سنوات قلائل على أسوأ تقدير .

ويبقى لنا فى النهاية أن نشير إلى أن هيئة الدفاع الموكلة عنه كان قوامها عشرة من كبار المحامين وهم بالتأكيد لن يعدموا الحيلة فى إختراق ثغرات القانون .. تماماً كما إستطاع زكريا التونى إختراق ثغرات الوطن .. لأهداف مازالت غامضة .

البـــاب الخـــامس

قراءة فى ملف عراب الإرهاب عمر عبد الرحمن

الفصل الأول

مغامرات الشيخ عمر ..

من الفيوم .. إلى بلاد الويسترن

الشيخ عمر عبد الرحمن ليس مجرد رجل دين أو زعيم روحى لتنظيم دينى راديكالى فحسب .. إنه الرجل الظاهرة .. الرجل المؤسسة التى تتلاقى فيها خيوط اللعبة بأسرها بدءاً بالإزهر الذى تعلم فيه حتى حصل على درجة العالمية والدكتوراة منه ، ومروراً بالإخوان الذين تعلم منهم العمل التنظيمي والسياسى حتى إنقلب عليهم ، ثم سفره للمملكة العربية السعودية وعمله بها سنوات أثرت فيه وأثرته أيضاً ، وهناك أفغانستان التى زارها عدة مرات ودعا آلاف الشباب للرحيل إليها للجهاد وهناك ولداه ، ثم السودان التى مر من خلالها إلى محطته الأخيرة فى الولايات المتحدة التى إستقر بها حتى قضت إحدى المحاكم الفيدرالية بسجنه مدى الحياة بتهمة التورط فى تفجير مركز التجارة العالمى .. وهكذا يتضح أن الرجل أكثر من مجرد شخص خطير .. فالحقيقة أنه محور إرتكاز اللعبة بأكملها حيث تتلاقى فى يده خيوطها جميعاً .. والحديث عنه أمر قد يستغرق كتاباً كبيراً وربما كتباً كاملة ، ولكننا هنا سنكتفى بالتوقف عند محطته الأخيرة فى الولايات المتحدة ، فى محاولة لطرح عدة أسئلة تلح على عقولنا جميعا ، سواء من المهتمين بشكل خاص بهذه القضية أو حتى من عامة الناس ، وهى تتعلق جميعها بوجود الشيخ فى بلاد "أنكل سام" وكيف دخلها .. ؟ وكيف يقيم هناك ؟ وماذا عن نشاطه بها ؟ وهل كانت هناك أياد أجنبية تمسك بخيوط هذه اللعبة ؟

ولنبدأ من فروض بسيطة ، فالمفروض أولا أن إسم الشيخ كان مدرجاً على القائمة السوداء "**البلاك ليست**" التى تعدها بشكل مستمر السلطات الأمريكية وسفاراتها فى كافة عواصم الدنيا ، ذلك لكونه أحد أبرز رموز الإرهاب فى الشرق الأوسط وليس فىمصر وحدها وهذا يعنى بالضرورة عدم إمكانية حصوله

على تأشيرة دخول الولايات المتحدة أساسا .. والمفروض أيضا أنه هدف ترصده أجهزة الأمن .

والمفروض أخيراً أنه كان قد طلب مقابلة عبد الحليم موسى وزير الداخلية حينئذ وقد كان ، وخرج من مكتبه متوجهاً إلى السودان وهناك بارك عبر قنواته التنظيمية خطة اغتيال الوزير التى قادها تلميذه وأداته من شباب الجيل الثانى للجماعة صفوت عبد الغنى ، وشاءت الأقدار أن تتحول الضحية لآخر هو رفعت المحجوب .

ولكن بعيداً عما هو مفروض سنتناول حقيقة ما حدث للشيخ منذ أن غادر مصر متجهاً للسودان حيث إلتقى هناك بالدكتور حسن الترابى ، وطلب وساطته لدى إيران لدعمه مالياً وسياسياً ، ولكن آيات الله فى طهران كان لهم رأى يتضمن توجساً وشكوكاً حيال شخص عمر عبد الرحمن وأفصحوا للترابى عن هذه المخاوف مؤكدين أن جهة ما تقف وراء عمامة ذلك الشيخ ، وقد عزز مخاوفهم ما كان يتشدق به فى وقت سابق من إنتقادات صريحة للثورة الإيرانية والمذهب الشيعى ولشخص الخومينى ذاته ، مما أكد رفضهم معاونته وعاد الترابى حاملاً رد إيران للشيخ عمر ونصحه أن يصرف نظره ولو مرحلياً عن أى دور يمكن أن تلعبه إيران لصالحه ، وأن ذلك يمكن من خلال شخص الترابى وعسكره الذين هم محل ثقة آيات الله ، وهنا لجأ الشيخ عمر لجهة أخرى وهى العراق وكان ذلك إبان أزمة الكويت ، وقد أعلنت مصر رأيها صراحة بإدانة موقف العراق والوقوف بجانب الكويت ، وإنتهزها الشيخ فرصة سانحة فسافر إلى بغداد وقد إستقبلوه لكنهم إعتذروا عن إمكانية مؤازرته فى الوقت الراهن ، رغم ذلك وعدوه خيراً وهنا إضطر الشيخ للسفر إلى بيشاور فى باكستان للوقوف على حال المجاهدين أتباعه بمعسكر المصريين هناك ، والتحقق من قدرتهم على تشكيل نواة لحلمه فى تكوين جيش إسلامى عالمى ناقش تفصيلاته مع الترابى وراشد الغنوشى وعلى بالحاج الجزائرى وقد أطلقوا على هذا الحلم " لجنة الإرتباط العليا " والتى ستضم بين صفوفها عناصر من مصر وتونس والجزائر والسودان ومنظمة حماس بالأرض المحتلة والأردن وسوريا وبعض بلاد الخليج .

المهم أن الشيخ قد قوبل بحفاوة بالغة فى بيشاور من قبل ولديه محمد وعبد الله الذين يقيمان منذ سنوات فى أفغانستان ويشملهما برعايته محمد شوقى

الإسلامبولى شقيق خالد قاتل السادات ومعه الدكتور أيمن الظواهرى ، حيث يشرفان على أعداد كبيرة من الفارين من كل الأنظمة وخاضوا تجربة حرب حقيقية مع حكومة أفغانستان السابقة الموالية للإتحاد السوفيتى آنذاك وبعد أن اطمأن الشيخ على ولديه وعلى رجال لجنته الإرتباطية المنشودة سافر إلى سويسرا لحضور اجتماع على مستوى عال تم بينه وبين رموز التطرف وقدامى الإخوان المسلمين الذين هاجروا لأوروبا والخليج وصاروا من كبار رجال الأعمال والأموال حيث اتفقوا على سبل تدعيم الشيخ ماديا ومعنويا وتأمين إقامة هادئة حرة له دون منغصات وقد اقترحوا فى هذا الصدد الولايات المتحدة دون غيرها بناء على نصيحة بعضهم من ذوى الإتصالات الدولية مؤكدا أنه سيتم تدبير مسألة استقدامه بناء على طلب مؤسسة أمريكية وهى مسجد الفتح بنيوجرسى مما سيكفل له شرعية الحصول على الفيزا والإقامة والجرين كارت أيضا ، بوصفه إماما للمسجد وداعية ورجل دين إسلامى، هذا فضلا عما ستوفره له القوانين الأمريكية من حرية فى الحركة وإطراد فى النشاط وغادر الشيخ سويسرا متجها إلى الخرطوم ليجد التأشيرة الأمريكية فى انتظاره هناك بالسفارة وغادر الشيخ إلى نيويورك أولا حيث وجد أنصارا ومؤيدين متحمسين له .

ولكن السلطات الأمريكية أدركت خطورة بقاء الشيخ فى نيويورك معقل اليهود المتعصبين وبؤرة تجمعهم وقدروا عواقب صدام وشيك لايستبعد أن يأخذ شكلاً دولياً بتدخل أطراف أجنبية ومؤازرة بعض الدول الإسلامية أو إسرائيل لكل من طرفى الصراع وهنا فرضوا على الشيخ ضرورة تواجده حيث يقع مسجد الفتح فى نيوجرسى حيث أعد له أنصاره مسكنا ملحقا بالمسجد عبارة عن شقة واسعة فخمة مؤثثة ومعفاة من كل النفقات التى يتحملها مسئولوا المسجد ويرافقه حتى سريره أربعة من المتطرفين هناك ، يتناوبون عليه الحراسة والرعاية بالإضافة لترشيح أمريكية زنجية أشهرت إسلامها للزواج منه بعد أن عرفت حكاية جهاده وأهميته وعلى الرغم من إصرار الشيخ على الإنكار فى مسألة هذه الزيجة ربما لسبب قانونى هو تأثيم القانون الأمريكى لتعدد الزوجات أو لأسباب شخصية لن ترهق الشيخ كثيرا فى تبريرها وإصدار فتاوى تبيح له الإنكار أو ما يطلق عليه الكفار الذين يجاهد ضدهم (**الكذب**) .

عـــودة الشـــيخ عمـــر إلى صبـــاه

وهذه هى المنطقة الملغومة فى سيرة الشيخ كلها ، وما نريد التأكيد عليه هنا أننا لا نسعى لتلويث سيرته أوالخوض فى حياته الشخصية بقدر ما نسعى لفهم جوانب الغموض فى حياته ، وقد أصبح شخصية عامة ولها من التأثير ما يجعلها تخضع للفحص والدراسة شأنه فى ذلك شأن كل المشاهير .. وبداية نتطرق إلى حكاية زيجات الشيخ عمر فقد تزوج للمرة الأولى من السيدة عائشة حسن سعد جودة وهى فتاة فى الثانية والعشرين -آنذاك- وهى خريجة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية وكانت تعمل مدرسة بإحدى المدارس الثانوية وفضلا عن ذلك فهى إبنة أحد أبرز أفراد الحرس القديم للإخوان المسلمين ببنى سويف وله تاريخ سياسى معروف ، وقد أنجب منها الشيخ سبعة أبناء منهم ولداه محمد وعبد الله المقيمان حالياً فى أفغانستان ؛ أما زوجته الثانية فهى شقيقة العضو القيادى بتنظيم الجهاد كرم زهدى وقد عرض عليه أمر رغبة شقيقته فى الزواج منه داخل السجن وأثناء محاكمته فى قضية تنظيم الجهاد وإغتيال السادات ، وهى فتاة فى الخامسة والعشرين وقتئذ ومهندسة لاتمارس المهنة بل وهبت نفسها حباً وكرامة لخدمة الشيخ إيماناً منها – كما تؤكد – بدور الشيخ فى نصرة الإسلام والمسلمين فى كل مكان .

وقد أثارت هذه الزيجة ثائرة زوجته الأولى فتركت المنزل غاضبة وتوجهت لمنزل أبيها الذى هدأ من روعها فى البداية وأفهمها أن ما فعله عمر هو أمر كفله الشرع والدين وأنه لن يخل بواجباته تجاهها وتجاه أولادها ، ولكن الشيخ قام بتطليقها عقابا لها على مسلكها هذا وبعد مقابلة والدها أعادها إلى عصمته مرة أخرى ، وفرض عليها الإقامة فى مسكن مشترك مع زوجته الجديدة بالفيوم ، ولعل هذه الحكاية تسوقنا لمزيد من الإستطراد لحكاية أخرى تؤكدها مصادرمطلعة ومقربة منه بأن الشيخ أثناء حبسه فى سجن إستقبال طرة على ذمة قضايا الشغب التى دبرها بالفيوم كان يستغل نفوذه الفكرى وهيمنته الكهنوتية على

أعضاء الجماعات وخصوصا صغار السن منهـــم فيثـيرون القلاقــل ويفتعلــون المشكلات مع ضباط السجن بشكل دائـم ، حتـــى أدرك مســئولوا الســجن بعــد مفاوضات طويلة مع الشيخ الذى أصر على حسن معاملته أثناء زيارة "أهلـــه" لـــه وتفهم المسئولون حقيقة دوافعه فأصبحوا يسمحون له بزيـارة أهلــه (أى زوجتــه الثانية) والإنفــراد بها داخل ما يسمى (**الخلوة الشرعية**) ، وقد أتت هذه الطريقـــة بنتائج رائعة فقـد أصدر على الفور تعليماته وفتـــاواه ســابقة التجهـيز لأتباعــه الإرهابيين بتهدئة الأجواء مع ضباط السجن وهذه الدوافع هى التى تعيدنـــا مــرة أخرى لحكاية زواجــه من أمريكية زنجية ، وهنا نوجـــه لفضيلتــه أو لتلاميــذه ومريديه إستفساراً ساذجاً .. أليس هو عمر عبد الرحمن الذى أفتى بعـــدم جـواز إبتعاد الرجل عن زوجته أكثر من ثلاثة شهور وبعدها تصبح الزوجة فى حل مـــن عقدة النكاح التى منحها للأمير دون الإعتداد برأى الزوج أو إرادته، وطبــق هــذه الفتوى عـــدة مرات على أتباعه ؟ وما رأى فضيلته إذا طبق عليـــه أحدهــم هــذه الفتوى الأن رحـــمة بالزوجتين اللتين تركهما فى مصر بلا أنيس يعصمهـــن مـــن الفتنة .. أو كفيل يتحمل أعباء الإنفاق عليهن ؟ .

المهم أن السلطات المصرية حينما أكد لها الأصدقاء فى أمريكـــا أنهـم لـــن يطردوا الشيخ من البلاد فقـد دخلها بطريقة مشـــروعة ويقيـم وفقـــا للقوانيـــن المعمول بها هناك ، وهنا تقدمت سلطات الخارجية لمكتب الهجرة الأمريكى بمذكرة تتضمن أن عمر متزوج من إثنتين فى مصر بخلاف الأمريكية التى تزوجها مؤخراً الأمر الذى يحظره القانون الأمريكى ، بمنع تعدد الزوجات ، وقـــد دعمـــت هـــذه المذكرة بمستندات تؤيد ما بها من معلومات ، وهنا اضطر مكتب الهجرة إلى سحب جـــواز سفر الشيخ وتحديد جلسة محاكمة للنظر فى أمـــر بقائـــه أو طـــرده مـــن الولايات المتحـــدة ، وقد تحددت بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٣ م هذا بالإضافـــــة إلــــى تطوع ما يزيد على ســـبعة محـــامين دوليين للدفاع عـــن الشـــيخ أمــــام القضــــاء الأمريكى .. وقذ قام قبل صدور الحكم بسجنه بجولة فى "كندا" حيث ســـافر إليهـــا للإطمئنان على صحة رفيق جهاده حسن الترابى الذى اعتدى عليه بطـــل كاراتيـــه سودانى مقيم هناك ، وانتهزها فرصة سانحة ليجـــوب البـــلاد يجمـــع التبرعـــات ليرسلها لزوجاته فى مصر وأتباعه من عصابات الإرهـــاب ، ومـــازالت الأســـئلة

تتوالى وتزداد حدة وغموضاً .. فكيف سمحت السلطات الأمريكية بدخول الشيخ إلى الولايات المتحدة رغم إدراج اسمه فى "البلاك ليست" بوصفه أحد محركى الإرهاب فى مصر والشرق الأوسط ؟ وكيف حصل على التأشيرة من سفارة أمريكا بالخرطوم بين ليلة وضحاها ؟ وكيف حصل على "الجرين كارت" الذى يكفل له الإقامة القانونية هناك حتى نهاية عام ١٩٩٥م بعدها يمكن الحصول على الجنسية الأمريكية ؟ولماذا إنقلبوا عليه فجأة وأودعوه السجن ؟ هل إنتهى دوره مثلاً ؟ .

وكيف تم تدبير وسائل إنتقاله من أمريكا إلى السودان وأفغانستان ؟ ومن منحه الإذن بالمغادرة وتأشيرات دخول هذه الدول بكل بساطة ؟ ومن أين حصل على نفقات هذه السفريات المتعددة ؟ ومن كان يؤمن وجوده هناك ويكفل إعاشته بأمريكا ؟ وهل يجب أن نصدق تصريح مسئول مكتب الهجرة الأمريكى الذى أكد فيه أن عمر ليس موضع طلب من السلطات المصرية ؟ .

وما الذى حدر بالسلطات الأمريكية إلى تغيير موقفها منه بشكل مفاجئ ومن دون مقدمات ليتهم ويصدر ضده حكم بالسجن مدى الحياة فى أعقاب حادث تفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك ؟ .

سلسلة من الألغاز التى تحيط بالرجل وأصدقائه الأمريكان وتلقى بظلال كثيفة من الشك وعدم الفهم والغموض فهل هناك جواب ؟! .

وأخيراً عندما تمكن المرض من الشيخ ها هى السلطات الأمريكية تعرض على مصر تسليمها له وبصراحة لسنا فى حاجة إليه أو إلى أمثاله فليذهب إلى أفغانستان أو إلى السودان أو حتى إلى الجحيم إذا شاء .. المهم الساحة ليست فى حاجة إلى فضيلته وكفانا ما طالنا وجرى لنا من الشيخ وتلاميذه ومريديه وكما يقول المثل المصرى صادقاً : **المشرحة مش ناقصة جثث** .

الفصل الثـــانى

أشـهر فتاوى عـمر عبد الرحمن خـلال نصـف قـرن

أفتى بعدم جواز الصلاة على جثمان الزعيم الراحـل جمـال عبـد النـاصر ووصفه بفرعون مصر وبشره بالجحيم واتهمه بالكفر الصريح وبأنه مات كافرا .

أفتى بوجوب إغتيال الرئيس الراحل أنور السادات وكال له نفس الأوصـاف والإتهامات التى إتهم بها سلفه .

أصدر فتواه الشهيرة "بالإستحلال" وهى إباحة الإعتداء على ممتلكـات غـير أعضاء الجماعة ونهب ما بها ، واستخدامها فى شراء الأسلحة والعتـاد وتمويـل عمليات الإغتيال والتفجير .

أصدر فتواه المعروفة "**بالغنيمة**" والتى تبيح جواز الإستيلاء بالسـطو علـى أسلحـة رجال الشرطة والقوات المسلحة وأموالها وذلـك لإسـتخدامها بمعرفـة جماعته .

أفتى بإهـدار دم نجيب محفوظ وإتهمه بالردة وسب الأنبياء فى رواية "أولاد حـارتنا " وملحمة "الحرافيش" ورواية "الطريق" وغيرها .

أفتى بوجوب إغتيال فرج فودة عقب صدور كتبه عن الإرهاب وبعـد نـدوة معرض الكتاب التى شهدت مناظرة عن الدولة الدينية والمدنية .

ويبدو أنه لم تعد فتاوى الإغتيال الفردى كافية فأعد قوائم كاملة بأسماء المهدرة دماؤهم والمطلوب تصفيتهم وتضم فنانين وكتابـاً ورجـال شـرطة وسياسـيين وخصوماً فى جماعات أخرى .

أفتى بما أسماه"**حل عقدة النكاح**" التى أباح فيها لأمـير الجماعـة أن يطلـق الزوجة دون إرادة زوجها إذا تركها مدة ثلاثة شهور أو رأى فى ذلـك مصلحـة لجماعة المسلمين .

أفتى بتحريم العمل فى كل أجهزة الدولة وخاصة فى الشرطة والقوات المسلحة ووصف مرتبات الحكومة بالمال الحرام وحصيلة الربا والخمور .

كانت آخر فتاواه هى تحريم السياحة ووجوب قتل السياح الأجانب والإعتـداء على المنشآت السياحية وهدم الآثار التى وصفها بالأصنام .

عمر عبد الرحمن ... بطاقة شخصية

- ولد فى الجمالية مركز المنزلة محافظة الدقهلية بتاريخ ١٩٣٨/٥/٣ ونشأ فى أسرة فقيرة وفقد البصر فى العام الأول لمولده .

- حصل على درجة الدكتوراه من الأزهر فى مضمون وتفسير سورة براءة "**التوبة**" وهى بالمناسبة الوحيدة فى القرآن الكريم التى لاتبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" وتضم آيات السيف التى تعتبر العمود الفقرى لفكر الجهاد وكل أحكام التكفير وإعلان الحرب على الحكام والمجتمعات وفقاً للمفاهيم الأصولية .

- عمل مدرساً بكلية أصول الدين بفرع جامعة الأزهر باسيوط .

- يقيم بمدينة الفيوم وله منزل آخر بمدينة بنى سويف .

- سافر للعمل بالمملكة العربية السعودية فى الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٨ كمدرس لعلوم الحديث وكان ذلك عقب الإفراج عنه .

- متزوج من إثنتين ، الأولى هى إبنة أحد قدامى الإخوان المسلمين وهى خريجة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب وله منها سبعة أبناء منهم ولداه المقيمان فى أفغانستان محمد وعبد الله ، والثانية هى مهندسة شابة وشقيقة عضو تنظيم الجهاد الشهير كرم زهدى .

- إتهم فى عدة قضايا أهمها قضية إغتيال الرئيس السادات وقيادة تنظيم الجهاد وأحداث الشغب بالفيوم ، وقد ترافع عن نفسه فى كل هذه القضايا دون الإستعانة بمحامين ونال البراءة لأسباب إجرائية .

- أشهر مؤلفاته "ميثاق العمل الإسلامى" والذى أشرف على إعداده مع آخرين من قيادات التنظيم (كرم زهدى وناجح ابراهيم) ويعد بمثابة دستور العمل الفكرى والحركى للجماعات كلها وكتاب "أصناف الحكام وأحكامها" والذى تضمن فتاوى صريحة بوجوب قتل السادات وآخرين وكتاب "حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام وحتمية المواجهه" بالإضافة لنص مرافعته عن نفسه أمام محكمة أمن الدولة العليا والتى نشرها فى كتيب بعنوان " كلمة حق .

الفصل الثـالث

هكذا تحدث عمر عبد الرحمن
إعلان حرب الكاسيت .. والتطرف ـ فون

قبل حادث المنصة بعدة شهور أصدر الشيخ " عمر عبد الرحمن " فتواه الشهيرة بإهدار دم السادات ولم تكن هذه هى فتواه الأولى من نوعها ! .

وحتى أكتوبر ١٩٨١ لم يكن أحد يعرف على وجه الدقة حقيقة د. عمر عبد الرحمن وموقعه القيادى من تنظيم الجهاد حتى إعترف "عبود الزمر" بأن عمر عبد الرحمن هو صاحب هذه الفتوى !! .

كما شهدت السنوات الأخيرة تنقلات مريبة وغريبة للرجل من الفيوم إلى السودان وأفغانستان حتى استقربه المقام أخيراً فى سجون الولايات المتحدةعقب إتهامه فى قضية تفجير مركز التجارة العالمى ، وبعد أن إنتهى شهر العسل القصير بينه وبين أصدقائه الأمريكان فى السى آى أيه .. والأف بى آى .

وعبر "شرائط الكاسيت" ظل الشيخ يمارس ويزاول إرهابه الفقهى على الطريقة الخومينية تارة وعلى الطريقة المودودية تارة أخرى وعلى طريقة الخوارج تارة ثالثة ، والسطور القادمة محاولة لفهم واستقراء ما يقوله الرجل عبر شرائط ثلاثة ، أما الخطير فى هذا الأمر أنه تكاد لاتفوته مناسبة دون أن يدلى بدلـه ويمارس هوايته الشهيرة فى إصدار الفتاوى التى بدأت بإباحة دم الرئيس "السادات" ولم تنته حتى الآن ، ويكون ذلك على طريقة الخومينى بإرسال شرائط الكاسيت التى تتداول وتباع فى المساجد الأهلية التى تسيطر عليها عصابات الإرهاب وسوف نكتفى بعينة من ثلاثة شرائط كاسيت هى بعض مما أرسله الشيخ "عمر" وهى على التوالى "كلمتى إلى شباب مصر المسلم" "كلمتى إلى حكام مصر" ، "كلمتى إلى الأزعر" ويقصد "الأزهر" .

هنا سنحاول تقديم ما تسمح به آداب الكتابة من ألفاظ وفتاوى وآراء تتهم الجميع بالكفر وتحرض الشباب على العنف وتسخر من كل الرموز الوطنية

والدينية ، وتهدم كل قيم التسامح ودون تزيد أو تزييف ، فالأمر ليس بحاجة إلى هذا ولنبدأ بالشريط الأول .. كلمته إلى شباب مصر المسلم حيث يستهل الشيخ حديثه لمن يطلق عليهم شباب الصحوة يقول الله تعالى "ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون" ثم يستطرد قائلا : "الثبات .. الثبات ياشباب الإسلام، ياحملة لوائه وأحفاد رسوله وصحابته ، لقد بايعتم الله على الجهاد لنصرة دينه ، فلا نكوص عن البيعة ولا مساومة تقبلونها ، ولاطغيان يرهبكم ويثنيكم ، فالبيعة تعني الجهاد حتى النصر أو الشهادة .. فاضربوا أعداء الله فى كل مقتل وفى كل شبر حتى تحرروه من أحفاد القردة والخنازير والذين تربوا على موائد الصهيونية والشيوعية والإستعمار ويصبح الدين لله كله والأمر حينئذ لله ، وقد يصيبكم ابتلاء فى أموالكم أو أنفسكم أو ذويكم وهنا اختبار الإيمان الحق وصلابة المؤمنين الصابرين على البلاء القائلين حسبنا الله ونعم الوكيل ، الساعين للشهادة سعياً حثيثاً " .

ولا يمكن أن يمر الأمر دون أن يمارس هوايته المفضلة فى إصدار الفتاوى فيقول : " من يقتل بأيدى جنود هامان مصر وفرعونها فهو شهيد الدفاع عن دين الله وعن نفسه وماله وعرضه ضد طغاة الكفر وحراس الدعارة وحملة الخمور ، فمن مات دون أن يغزو ، ولم يحدثه قلبه بالغزو فقد مات وفى قلبه شعبة من شعب النفاق ، فلا مهادنة فى الجهاد ضد أعداء الله والقول بغير هذا هو الردة بعينها ونقض للبيعة " .

ثم ينتقل الشيخ لتحذير الشباب مما أسماه حيل الطواغيت وألاعيبهم فيقول :" كونوا على قلب رجل واحد ، واحذروا فتنة الطواغيت الذين يبغون تفتيت جهودكم وتشتيتكم وإشاعة الفرقة فى صفوفكم فهدفكم واحد ، وهو إعادة الخلافة للأرض التى أخرجت منها وإقامة شرع الله وتطبيق حدوده وعدوكم واحد وهو كل الفراعنة والطغاة .. ألخ" .

ثم يوالى إستدرار عطف الشباب بالحديث عن مشكلات البوسنة والهندوس فيؤكد بلهجة مسرحية مؤثرة قائلا :

"المسلمون مضطهدون فى شتى أنحاء الأرض ، فهاهم الصرب الأرثوذكس يقتلون إخوة لكم فى البوسنة وينتهكون حرماتهم ويحرقون شيوخهم ، والفراعنة عندنا يحابون النصارى وينصرونهم على المسلمين ، وفى الهند يقتل

الهندوس المسلمين ويهدمون بيوت الله والحكومات العربية تستقدم الهندوس للعمل لديهم بأموال هى حق المسلمين" ثم يواصل الشيخ وصلته المأساوية بتهدج قائلا : "واحسرتاه على أمة الإسلام ، فقد صارت قلة مضطهدة فأين نحن الآن من أيام الفتوحات والغزوات .. فلم يعد أمامنا بديل سوى الإسلام ، فقد باءت كل الأنظمة البشرية بالفشل فانهارت الشيوعية فى عقر دارها ، وتفتت ما كان يسمى بالإتحاد السوفيتى ، وها هى أمريكا تتحلل وتنهار وتضربها من داخلها عوامل الكساد والفساد وانتشار الأوبئة والبطالة فلا تبديل لشرع الله ولا غالب إلا الله" .

وكل هذا اللغو يحمل بالطبع معان جميلة لا خلاف لأحد حولها ، ولكن يجب ألا نتوقف عند هذا الحد ولنستكمل رؤية الشيخ لتحقيق هذه المعانى الجميلة حينما يقول : "العين بالعين وقتيل بقتيل ياشباب الإسلام ، أعلنوها حربا ضروسا ، لاتبقى ولاتذر ضد فراعين مصر وكفارها ، فقبل أن تخمد النيران فى أسيوط أشعلوها فى القاهرة وقبل أن يهدأ بالهم فى قنا أججوا اللهيب فى قرى ومدن الدلتا .. شتتوهم بدلا من أن ينجحوا فى تشتيتكم .. ولاتخشوا تهديدهم ، فهم شرذمة من الجبناء ؟ لايدافعون عن حق أو عقيدة .. إنهم يحتضرون ويسقطون تحت ارجلكم كالحشرات القذرة .. لن تفيدهم الأحكام العرفية ولن تطيل أعمارهم قوانين الطوارئ ، ولن ينقذهم التنكيل بالنساء والأطفال ، فأنتم فتية آمنوا بربهم .. وبايعوا على نصرة دينه .. إلخ" ولايتوقف الشيخ عند هذا الحد ، ولكنه يواصل بذاءاته فيسب الجميع وأكرر "الجميع" لايستثنى منهم أحدا .. ثم ينتقل ببراعة ليدافع عن نفسه وما اشيع حوله من مقولات تمسه شخصيا فيؤكد : "لم أتزوج من أمريكية وإن كنت قد فعلت هذا فهل هو حرام ؟ ولاخلاف بينى وبين أحد فلا تصدقوا أكاذيب الخبثاء عما يسمونه بالخلاف بينى وبين إخوة اسرهم النظام – يقصد عبود الزمر – فنحن لانسعى لدنيا نصيبها حتى نختلف حولها ، وقد كان بوسعى قبول المناصب ، وكان بوسعه تبوء مواقع القيادة فى جيش الطاغوت لكننا أبينا مشاركة الطغاة طغيانهم .

الشريط الثانى : الإخوة فى إيران :

أما الشريط الثانى فيحوى كلمته إلى حكام مصر ويفتتحه ساخرا من مجرد جدوى الحديث إليهم ، فعلى حد تعبيره حرفيا ، فهم قوم باعوا دينهم وضمائرهم وشعوبهم للشيطان من أجل متاع الدنيا ، وأن أى كلام معهم هو الحرث فى البحر ،

لكن الشيخ يصر على أداء الأمـــانة وتبليغ الرسالة ، ولهذا يؤكد أنه يشهد عليهـــم الله مرددا لمرات ثلاث ، وبلهجة مسرحية قائلا : ألا هل بلغت ، أللهم فاشهد ثـــم يستنكر متســائلاً أو يتســاءل مستنكراً : "لماذا هجـــوم حكامنــا علـــى الدولــة الإسلامية فى إيران ؟ .. هل هذه الضراوة فى الهجوم لمجرد الخلاف التاريخى بين مذهب الشيعة وأهل السنة ؟ لا أظن ذلك فهذا الخلاف لايحول دون كونهم مسلمين مثلنا ، ولايمنع الإعتراف بنجاحهم فى وضع البذرة الأولى لخلافة إسلامية تســـود العالم وتفتح البلاد وتعيد العباد للإسلام وبدلا من الهجوم على الإخوة فـــي إيـــران واتهامهم بما ليس فيهم ومحاولة وأد الدولة الإسلامية فى مهدها ، فلمـــاذا لانقتـــدى خطاهم ونقتفى آثارهم ونقرب بين الشيعة وأهل السنة ، فكلنــا مســلمون وعدونـــا لايرى فى الإيرانى شيعيا ولا فى العربى سنيا بل يرانا مسلمين فحســـب ، ولمـــاذا هذه الإتهامات التى هى شرف فى حقيقتها كتصدير الثـــورة الإســـلامية .. ؟ فـــإن كانوا يفعلون هذا فأهلا بهـــم وبثورتهم ، وإن كانوا يمدون لإخوة لهم يـــد العـــون فيالها من يد بيضاء أولى بالتقبيل بدلا من السباب والبذاءة .. إلخ" ويوالـــى الشـــيخ تقديم فروض الولاء لآيات الله وملالى إيران قائلا : "أما عـــن تحريـــك النعـــرات العصبية والقبلية فهى حديث باطل يدحضه الإسلام فهذا فارسى وذك عربى وذلـــك تركى هـــذه هى طريقة الطاغية الملعون عبد الناصر ولـــم تســـتمر كثـــيرا هـــذه النعرات ، وسرعان ما خابت وخاب رجاء مطلقيها الذين اتبعوا الوسائل المشبوهه لإثارة الفتن بين المسلمين ، ولهذا أقولها واضحة وصريحة ، المسلم أفضـــل ألـــف مرة من الكافر .

وتتوالى سموم الشيخ حتى يصل إلى السودان وهنا مربـــط الفـــرس فتتحـــول لهجته إلى الناصح المحـــذر فيقول : "أحذركم ياحكام مصر من التورط فى السودان وشئونه .. أحذركم من التمادى فى التلويح والتهديد لرجال قـــالوا لا إلـــه إلا اللـــه واختاراوا الإسلام ديناً والقرآن منهجاً ودستوراً .. وكفوا عن إتهامهم بما تطلقـــون عليه تصدير الإرهـــاب فأنتم صناع الإرهاب ، وقد هدى الله الإخوة فى الســـودان إلى طريقه ودينـــه بعد طول تخبط ومعاناة بين أنظمة الكفر والشيوعية والتبعيـــة للإستعمار ، وقد لاحت لهم فى القريب بشائر الخير فكفوا عن أذاهم وتذكروا أننـــا

نشرب الماء من نهر يشق بلادهم وهم لايريدون بكم شــرا ، ولكنهــم لــن يقفــوا مكتوفى الأيدى إذا اعتديتم عليهم ، وحينها لن تنفع الشكوى ولا النـــدم ، فدعوهــم لسبيلهم الصحيح وكفوا عن التشهير بهم والترصد لهم كل مرصد حتى لاتكون فتنة" ولكن الشيخ لم يوضح لنا شيئا من بشائر الخــير التــى لاحــت لأئمــة الســودان وعسكرها ولم تفهم مغزى هذا التهديد الصارخ الذى لايجرو عليه قـــادة الســودان ذاتهم ولكننا سنواصل مع فضيلته كلمته إلى الحكام حيث يتناول أحـــداث الصعيــد فيقول : "إتقوا الله فى شباب المسلمين وكفوا أذاكم عنهم .. كفاكم قتل الأبريــــاء ، محاباة لنصارى واليهود.. والتنكيل بمن رفضوا الإنغماس فى الرذيلة والمخدرات ، ولكنهم لن يقفوا عاجزين ، وقد إنتهكت أعراضهم وأغتصبت أموالهم سيضربونكم فى كل مقتل ، وقتيل بقتيل وهم فى حرب مشروعة وشرعية ضدكم ، فـــإن مـــات أحدهم فقد نال الشهادة وإن كتب له النصر فويل لكم ستصبحون أسرى فـــى يديـــه وتستباح أموالكم غنائم شرعية أقرها الشرع وأكدها تاريخ الفاتحين المسلمين" .

ثم يأتى الشيخ إلى وصلته الشهية المحببة لنفسه وهى مهاجمة الأمن فيقـــول : "أتحدى هامان مصر وزير داخليتها مسيلمة الكذاب المسمى عبد الحليم موشـــيه – يقصد عبد الحليم موسى – أن يكون لديه دليل واحد على مزاعم أذنابه ضدى مـــن إرسال أموال وغيره ، وأتحداه أن يفتح سجونه التى ضجت بشباب المسلمين أمـــام هيئات التفتيش الدولية التى ترسلها – للأسف – بلاد غير مسلمة لمراقبـــة حقـــوق الإنسان ، وهل تراعى فى سجون مصر أشياء كهذه وهــــى التـــى تنتهـــك فيهـــا الأعراض وتزهق فيها الأرواح الطاهرة البريئة ، وأتحداه أن يستمر طويـــلا فـــى عدائه للإسلام رغم إدعاءاته الكاذبة بغير ذلك ، فقد حانت ساعة الحســـم واقـــترب النصر ، وأحذره من التمادى فى لغة الرصاص فقـــد أعلنها الإخوة حرباً للجهـــاد ضده وضد جنوده لاهوادة فيها .. وقتيل بقتيل " .

وبعد أن أعلن فضيلته علينا الحرب تطرق إلى السياحة ليعلنها بوضوح مؤكداً "أما عن هذا التباكى على ما يسمونه بالسياحة فإننى أعلنها صراحة بأنها حـــرام .. حـــرام .. حـــرام ، وكفر بواح لاجدال فيه . فبلاد المسلمين لن تكـــون مواخـــيراً للكفار من كل جنس ولون ، ولن تصبح حانات للسكارى من كل بقاع الكون .. إنها

ديار الإسلام ويريدون بها شراً ، ولن نمكنهم من هذا مادامت الدماء تجـــرى فـــى عروق المسلمين وأنتم يامعشر الحكام تعلمون هذا جيدا لكنكم بلا ضمائر ولادين ".

ويواصل الشيخ حـــديثه وفتاواه مستنكراً ومتهكماً : "أى ســـياحة هـــذه التـــى تجعلنا نقيم على ديارنا فنادق فاخرة لتصبح مواخير وحانـــات ، وتحـــول رجالنـــا لقوادين ونساءنا لعاهرات !! أى سياحة هذه التى تجبرنا على إستقبال كفار العـــالم ليتعبدوا للفـــراعنة الذين لعنهم الله فى محكم آياته ، ولماذا الإبقاء والتبجيل لهـــذه الأصنام التى نهى الله عن إقامتها أو إحترامها .. إنه كفر بواح وردة صريحـــة عن دين الله .. إلخ" ولاتفوت فضيلته الفرصة دون تحريض سافر فيؤكد وقد تبـــوأ مقعد المفتى قائلا :" الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهان لعملة واحدة هـــى الإسلام الصحيح وأحد فروضه التى حـــددها لنا الرسول صلى الله عليه وســـلم ، بأن تكون باليد أو اللسان أو القلب ووصم الأخيرة بأضعف الإيمان وحاشا للـــه أن نكون من ضعاف القلوب .. فالجهاد فى أساسه أمر بالمعروف ونهى عن المنكـــر وهو فرض عين على كل مسلم ، وأما عن تمييع الأمور بوصـــف جهـــاد النفـــس وغيره فهذا نفـــاق لايتفق وصحيح الإيمـــان" .. وبعد هذه الفتـــوى الصاروخيـــة يختتم الشيخ الذى يحيا فى بلاد "الوسترن" حديثه مواسياً الأمراء بقوله : "كلنا فـــى الهم سواء .. بين أسير ومهاجر ، والقابض على دينه فى هذا الزمـــان كالقـــابض على جمرة من النارلكننى أبشـــركم أن الإسلام عـــائد ، والخلافة قادمـــة ، واللـــه أكبر فاصبروا وصابروا وثابروا .. فلا غالب إلا الله" ، ولا أرانـــى فـــى حاجـــة للتعليق على هذه النوايا التى تعلن عن نفسها بوضوح لا يتطلب فطنة ولا يحتمـــل تأويلاً أيضاً ، ولا على التحريض السافر الذى يعاقب عليه القانون القائم دون حاجة لإصدار المزيد من القوانين الجديدة .

الشريط الثالث :

ونأتى للشريط الثالث ولعله الأكثر إثارة ففى الوقت الذى لايرى رجال الأزهر مانعاً من محـــاباة بعض رموز الإرهاب كما ورد بكتاب الأزهرى عبـــد الغفـــار عزيز "من قتل فرج فودة ؟" وإدانته الصريحة للرجل بعد موته وتباكيه على فتيـــة الإسلام المزعومين ، ولامانع لدى الأزهـــر أيضاً من إصدار بعض الفتاوى التـــى تغازل رموز التطرف ، لكن كل هذا لم يشفع لهم عند الشيخ عمرالذى يسبهم فـــى

سخرية مقززة لم يتعرض لها الأزهر من أعداء الدين فى أى حلقة من حلقات تاريخه ودعونا نختتم حديثنا بهذه الوصلةمن الكوميديا السوداء التى وردت على لسان فضيلة الشيخ عمر حينما يقول : "ومن المضحكات المبكيات فى مصر ما كان يطلق عليه قديماً الأزهر ، حينما كان معهداً عريقاً يتخرج فيه كبار علماء الإسلام ، وكان معول الهدم الأول الذى ضربه به الطاغية عبد الناصر فحوله لجامعة مدنية تدرس الطب والهندسة والقانون الفرنسى تحت بند التطوير ، وهى فكرة خبيثة أشار عليه بها جهابذة الشيوعيين الذين تربوا على يد ماركس ولينين وبذلك تحول الأزهر الآن إلى رجال يجوبون البلاد للتكسب والرزق ونحوا الدعوة جانباً وصاروا يلهثون خلف حملة المباخر طالبين المال ورضا الطواغيت ويتلقون الأوامر بإباحة الحرام وتحريم الحلال ويكتفون بالظهور على شاشات التليفزيون كنجوم السينما ويحصدون المناصب والأموال ثم يصفون شباب الصحوة بالمتطرفين تارة والمتعصبين تارة أخرى ، وأخيراً بالإرهابيين .. إتقوا الله ياعلماء الإسلام ولا تحاربوا هؤلاء الفتية ، ولا تتحولوا لأذناب لاعقل لها ولاعقيدة ، وكفوا عن النفاق وحمل المباخر ، ولكننى أسمعت لو ناديت حياً فلا حياة لمن أنادى .. هل أتحدث إلى مسوخ تتلقى نصوص الخطب التى تلقيها على المنابر من المباحث .. إن دعاة (الأزهر) المنافقين لايجيدون حتى القراءة إلا بالكاد ولايحفظون شيئاً من كتاب الله ، فلن يبدل حالهم إلا إذا بدلناهم جميعا " .

ويواصل فضيلته وصلة الردح وفرش الملاية فلايكاد يفلت من لسانه العف أحدحتى علماء الأزهر ينعتهم بأقبح الصفات ويطعنهم فى دينهم،لكنه يخص الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى بأبشع الإتهامات ويلقبه "بالمفسد"وقدكان الرجل حينئذ مفتياً للديار المصرية حينما يسبه قائلاً :

"لقد بعت أنت الدين بالدنيا أمانحن فقد بايعنا على النصر أو الشهادة .. بعت أنت للشيطان ، وبايعنا نحن الله .. ولعلك أيها المفسد تدرك الفرق والمنتهى" .

ولعلنا نحن أدركنا نواياك الخبيثة يا " سى عمر " فلا قيمة لمجرد التعقيب على بذاءاتك ، ولا أمل فى جدوى الحوار الذى يتصايح به بعض الغافلين أو المراوغين .

البـــاب الســـادس

الحلقـة المفقودة
فى تاريخ امراء الجماعات

غمست سنك فى السواد يا قلم
عشان ما تكتب شعر يقطر ألم
مالك ؟ جرالك أيه يا مجنون .. وليه
رسمت وردة وبيت .. وقلب وعلم

صلاح جاهين

الفصل الأول

لصوص ... وأمراء

الملف الجنائى لأمراء الإرهاب

تماماً مثلما إستدعى سيد قطب فتاوى إبن تيمية من ذاكرة العصر المملوكى .. واستورد مصطلحات أبى الأعلى المودودى من المجتمع الباكستانى ليصنع منها توليفة من أشرس مفاهيم التطرف والغلو فى كتابه "معالم فى الطريق" الذى صار فيما بعد دستورا للعنف ومنهجا لتبرير الإرهاب باسم الإسلام السياسى .. ألخ .

يمضى أمراء الجماعات على هذا الدرب الآن مستلهمين مسلك الخوارج بالإستعانة بذوى السوابق الإجرامية من قتلة ولصوص ومغتصبين وتجار مخدرات ليكونوا أدواتهم الخبيرة للجهاد المقدس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد هداهم الله إلى هذا الطريق ! .

وكان ذلك بالطبع عرضا مغريا لهذه الطائفة من الخطرين جنائياً بإضفاء صبغة دينية على جرائمهم والتحلى بأقنعة السنة مما يكفل لهم تبديل موقعهم على خارطة المجتمع وإكتساب قدر من الإحترام بمقتضى إنتمائهم الزائف لقضايا الفكر والرأى .. هكذا تحولوا من مجرد "عيال حرامية" إلى "مجاهدين وأمراء" ، ومن "شيوخ مناسر" إلى "شيوخ مساجد" ، وببركة فتاوى عمر عبد الرحمن وصفوت عبد الغنى وغيرهما مضوا يمارسون نشاطا واسعا فى فرض الإتاوات على العباد تحت مسميات الجزية والتبرعات الإجبارية للجماعة الإسلامية ، وامتد نشاطهم لجرائم السطو المسلح على محلات المجوهرات التى يملكها "الكفار" بعد صدور فتاوى تبيح دماءهم وأموالهم .. وأخيرا فرصة الزواج "الشرعى" ممن يروقهم من النساء على طريقة "وهبتك نفسى" :. وهناك صحف الحالة الجنائية لعشرات الأسماء التى سنكتفى هنا بخمس حالات منها ربما تعبر عن ظاهرة

اللصوص الأمراء الذين يحلمون بالسطو على مقدرات البلاد والعباد متلفعين بأردية الدين وبمقولات الحق التى أرادوا بها الباطل .

ونبدأ من ضاحية "عين شمس" بالقاهرة وهى إحدى البؤر الشهيرة لهذه الجماعات .. والناس هنا تعرف العديد من الأسماء مثل "حمدان ثابت" و "عز الميرغنى" ، و "حسين كوتشة" و "أحمد بندركس" ، وجميعهم من أصحاب التاريخ الإجرامى العريق ، وتحولوا – بقدرة قادر . إلى أمراء ومجاهدين .. لكنهم ظلوا على وفائهم لمسلكهم الإجرامى القديم المتجدد .

كوتشة أمير عين شمس :

"حسين كوتشة " فهذا بالطبع ليس إسمه الحقيقى فهو إسم الشهرة فى أوساط المجرمين رفقاء السجون القدامى ، وإن ظل لصيقا به رغم الإمارة والمشيخة ، وتقول بيانات بطاقته الشخصية إن إسمه حسين محمود الخضرى ، من مواليد منطقة عرب الجسر "بعين شمس" عام ١٩٥٩ بالقاهرة ، وقد إستهل حياته بالعمل صبياً بمحل لإصلاح إطارات السيارات ، ومنه إكتسب لقب "كوتشة" ، ثم إعتاد مغافلة زبائن الورشة وسرقة متعلقاتهم التى يتركونها فى السيارات بحسن نية أثناء إصلاح الإطارات ، حتى إكتشف "الأسطى محمود" هذا الأمر الذى طالما كلفه الكثير من الأموال التى كان يدفعها للزبائن تعويضا لهم .. والمشاجرات العديدة مع بعضهم لحد تحرير المحاضر بقسم الشرطة ، فقرر طرده من الورشة بعد تلقينه درسا لاينساه حتى اليوم .

وهكذا بدأت صفحة جديدة فى حياة "كوتشة" ، فيستيقظ فى الخامسة مساء ليبتلع أقراص " أبو صليبة " ، ويشرب زجاجة " التوسيفان " ، ويمارس التشرد والتسكع والشغب لإبتزاز الأغراب بعد أن يحدث بنفسه إصابات ويهددهم بالإبلاغ عن اعتدائهم عليه فيدفعون صاغرين مؤثرين السلامة حتى تلقفه "سالم البدوى" أحد تجار المخدرات المشهورين للعمل معه كناضورجى يقف على قارعة الطريق المؤدى لمنزله لمراقبة مرور إحدى مأموريات الشرطة أو المباحث الذين يستشعر صفتهم بحكم تردده على قسم الشرطة . ويبدو أن هذا الدور قد لاقى قبوله وأشبع

نهمه فى الحصول على النقود بلا مجهود وتجلت مواهبه فى تأديته حتى أصبح أحد الصبية المتميزين "للمعلم سالم" فاختصه بخدمته فى إعداد الشيشة ومستلزماتها ، والقيام بدور المهرج لإدخال السرور على قلب "معلمه" الذى أسعده ما سمعه عن علاقة صبيه بفتاه صغيرة جميلة من قاطنى الحى ، ومواعيده ولقاءاته التى كانت تفسدها رغبته العارمة فى إفتعال المشاجرات مع الآخرين فيشهر فى وجوههم المطواه قرن الغزال بحركة مسرحية ليدخل بؤرة إهتمام الجميع وعلى راسهم فتاته قليلة الحيلة ، والتى تمكن من خداعها واستدراجها ثم الإعتداء الوحشى عليها .. واغتصابها .

ولما كانت الفتاة دون السادسة عشرة من عمرها فإن هذه الواقعة تشكل جناية هتك عرض حتى لو كان اللقاء الجنسى قد تم برضاها - وفقاً للقانون المصرى - وهذا ما حدث بالضبط حينما عرف أهل الفتاه ما تعرضت له فأبلغوا الشرطة ، وحتى حينما طلب منه ضابط المباحث الزواج منها رفض بوقاحة قائلا : "أتحبس وما أتجوزش .. " . مما دفع الضابط لتحرير محضر ضمنه ما حدث من وقائع وشهادة الفتاة وتقرير الطب الشرعى فى القضية رقم ٣٣٥٨ جنايات عين شمس عام ١٩٨٤ "هتك عرض" ، وأحيل للنيابة التى أمرت بحبسه حتى أفرج عنه بعد عامين وعاد للتشرد مرة أخرى أكثر ضراوة وحنكة فى عالم الإجرام وخصوصا بعد استغناء تاجر المخدرات عنه بعد أن صار معروفا للشرطة ، وهنا طرق "كونشة " ميدانا جديدا للكسب يتلخص فى استيقاف المارة فى الشوارع الجانبية المظلمة ليبتز أموالهم بالإكراه تحت تهديد السلاح حتى تم ضبطه عدة مرات متتالية فى القضايا أرقام ٥١٣٠ ، ٢٤٩٩ عام ١٩٨٦ ، ٥٠٠٢ ، ٢٤٩٩ عام ١٩٨٧ بقسم عين شمس ، وصار مسجلا خطرا من الفئة الأولى سرقات بالإكراه ، ثم عاوته الرغبة للفتيات الصغيرات مرة أخرى فاعتدى على طفلة فى العاشرة من عمرها ، واستولى على سلسلة ذهبية كانت تلبسها ، وقبضت عليه المباحث ليتهم فى الجناية رقم ٢٤٩٩ لسنة ١٩٨٧ عين شمس .

هكذا حتى دعاه هاتف الجاد على يد الإخوة بمسجد الأنوار المحمدية بعين شمس فأطلق كونشة لحيته وحف شاربه وارتدى جلبابا قصيرا وتجهمت ملامحه

وصار أميرا للجناح العسكرى بعين شمس ، واعتدى على قوات الشرطة المكلفة بحراسة الكنائس ، وخطف سلاح أحد جنود الشرطة هو وعدد من صبية الجماعة وطلائعها ، وتم ضبطه فى الجناية رقم ٢٣٦٢ عام ١٩٨٨ أمن دولة عليا ، حيث أمرت النيابة بحبسه ليسجن فى استقبال طرة ، حيث سنحت لـه الظروف بلقاء جهابذة الأمراء ، وأفرج عنه ليعود للسرقة مرة أخرى ، حيث استولى على إحدى السيارات ليستخدمها فى أغراض الإرهاب والسطو ، واتهم مرة أخرى فى القضية رقم ٢٤٥ عين شمس عام ١٩٩٠ ، وهذا أبلغ رد عما يمكن أن يقال من إدعاءات التوبة الزائفة أنه ظل هارباً من عدة أحكام قضائية وأوامر ضبط وإحضار من النيابة العامة لإتهامه بارتكاب عدة جرائم سرقة وفرض أتاوات وحريق عمد وغيرها حتى ألقى القبض عليه ولم يزل مسجوناً حتى الأن .

حكاية بندركس :

ومازلنا فى عين شمس مع نموذج لا يقل بشاعة عن السابق ، وهو "الشيخ أحمد بندركس" ، وهذا أيضا إسم الشهرة الجنائية له ، واسمه الحقيقى هو "أحمد ثابت منصور" من مواليد عام ١٩٥٦ بعين شمس بالقاهرة ، ومن باب العلم بالشئ فإن البندركس هو الإسم الشائع لرخص وأسوأ أنواع الحبوب المخدرة التى تخصص فى الإتجار بها الشيخ أحمد وأدمنها أيضا ، وله تاريخ طويل معها يبدأ بمؤسسة الأحداث التى أودع بها حينما ضبطته مباحث الأحداث وهو يبيع الحبوب لصالح أحد تجار المخدرات بعين شمس ..

وحينما هرب من المؤسسة العقابية كان قد تلقى التأهيل الكافى للإعتماد على نفسه فى الإتجار لصالحه شخصيا حتى ضبطته مكافحة المخدرات مرات عديدة فى القضايا أرقام ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٦٢ جنايات مخدرات حتى صار نجما ذائع الصيت فى أوساط تجار الصنف ، بالإضافة لمواهبه الأخرى فى ممارسة الشغب والبلطجة حتى تم تجنيده على يد شقيقه " حمدان ثابت " ، والذى سيأتى الحديث عنه فيما بعد وبفضل هذا الإنتماء ، وإثبات حسن نيته فى تقديم الخدمات اللازمة للجماعة متمثلة فى قيادته لأحداث عين شمس الشهيرة فى منطقة منشية التحرير وسوق إبراهيم عبد الرازق عام ١٩٨٨ ، ومشاركته الفعالة فى الإعتداء على رجال

الشرطة والمواطنين من خارج الجماعة حتى تم اعتقاله وخرج ليجد منصب الإمارة فى انتظاره ليقود فريقا من أشبال الدعوة ويجوب الشوارع حاملا مشاعل النيران والزجاجات الحارقة ويتلف السيارات والمحلات ليتهم فى القضية رقم ٣٧ عام ١٩٨٨ جنايات أمن دولة ، ويفرج عنه بعد عامين ليعاوده الحنين إلى المخدرات فيضبط فى الجناية رقم ١٣٣ عام ١٩٩١ مخدرات عين شمس وهو يبيع الحشيش ، وأخيرا جاء اتهامه بأحداث الشغب والحريق العمد فى نقطة للشرطة فى الجناية رقم ٣٥٣ عام ١٩٩١ ، ولايزال يحلم بالإمارة رغم عشرات الإتهامات .. والتاريخ العريق فى تجارة المخدرات ..

ونعود لشقيقه الشيخ "حمدان ثابت منصور" والذى اكتشف العالم من باب اللصوصية متدرجا بسرقة أحبال الغسيل بحى مصر الجديدة .. نعم والله أحبال الغسيل ، ولعل فى أوراق القضية رقم ٢٠٩٨ جنح النزهه خير دليل على هذا الإتهام الذى تأيد بحكم محكمة جنح النزهة التى قضت بحبسه ٣ شهور .

ثم إنتقل نشاطه لسرقة الأكشاك ثم المازل ، وحينما شاهد النجاح الباهر الذى حققه شقيقه "بندركس" فى الإتجار بالمخدرات سال لعابه وتحول لممارسة هذه التجارة لعل وعسى ، ولكنه ضبط فى الجناية رقم ٣٨ عام ١٩٨٨ مخدرات عين شمس ، وهنا أعاد حساباته بعد أن تعرف على الإخوة فاستغل قدرته على السيطرة والتنظيم ليجمع حوله شرذمة من العاطلين وأصحاب السوابق ليجعل منهم نواة لكتيبة المجاهدين فى سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الحق – على حد تعبيره الشائع – ويمضى بهم يمارس البلطجة وفرض الإتاوات على أثرياء الحى من التجار وغيرهم بحجة التبرع لمساعدة الجماعة الإسلامية وبناء المساجد حتى صارت عين شمس باسرها تخشى بطشه فلم يكن يجرؤ أحد على إقامة حفل عرس دون استئذانه ووفقا للشروط التى يفرضها والتى تختلف من حالة لأخرى تبعا لما سيتبرع به أصحاب العرس من أموال للجماعة ومشاركة الجماعة فى الفرحة معهم على طريقتهم الخاصة المتمثلة فى "العقيقة" وهى اصطلاح مجهول المصدر أو مشبوه الأصل يراد به إقامة وليمة من الذبائح والأرز والفواكه لعصابة الشيخ حمدان وإخوانه .

وإمتدت سطوته لحد فرض "جزية الخفر" وهى إتاوة على التجار الذين يتركون بضائعهم فى الأماكن العامة كأصحاب معارض السيارات ومواد البناء

والفاكهه والخضر ، وعلى الرغم من لقب الإمارة الذى أصبح لصيقاً بالأخ حمدان إلا أنه ظل على عهده بإدمان الحشيش حتى ضبطته إحدى دوريات الشرطة بمحض الصدفة عقب أحداث عين شمس الشهيرة فى الجناية رقم ٣٨ عام ١٩٨٨ مخدرات حتى كان الحادث الذى حاول وجماعته فيه الإعتداء والشروع فى قتل المقدم رفعت الشافعى معاون النظام بقسم شرطة عين شمس بأن قام بإلقاء الزجاجات الحارقة على سيارة الضابط أثناء توجهه لعمله مما تسبب فى أحداث إصابات خطيرة به واحتراق السيارة ، وهكذا عادت النيابة لإتهامه فى القضية رقم ١٣/٢٧٣ عام ١٩٨٩ جنايات عين شمس ويهرب الشيخ حمدان .. ولا يزال البحث عنه مستمرا للآن ، وتشير أصابع الإتهام لدوره فى عدة أحداث أخرى لاحقة بمقتضى تماثل وتطابق الأسلوب الجنائى ..

حكاية عز الميرغنى :

ويبدو أننا لن نترك عين شمس سالمين دون أن نتناول أشهر هذه النماذج وأخطرها وهو "الشيخ عز المرغنى" واسمه الحقيقى "عزت فرغلى حماد" ، وهو صاحب تراث عريق فى السرقة يبدأ من عام ١٩٦٥ بسرقة المساكن بمنطقة مصر الجديدة حيث تعلو قيمة المسروقات .

وتصل قائمة إتهاماته لرقم الأربعين بين سرقات ومخدرات وسطو مسلح وأخيراً قتل أحد ضباط شرطة ومقاومة سلطات ، وبالنظر لبيئته التى نشأ فيها لاتبدو مثل هذه الإتهامات أمراً مستغرباً ، فوالده لص مات داخل السجن ، وجميع أشقائه لصوص خطرون وقوادون معروفون .. ولهم ملفات عامرة لدى أقسام وإدارات البحث الجنائى المختلفة .

وبدأت مسيرة عز المرغنى نحو الإمارة على يد رفيق السلاح "حمدان ثابت" الذى أقنع الإخوة بكفاءة الأخ عز وتوبته النصوح ، ثم إقناعه شخصيا بضرورة مساندة الإخوة فى جهادهم المقدس ، والمنافع التى ستعود عليه من هذا الإرتباط بهم "وأهو اللى تغلب به العب به" ، ولم يكذب الأخر عز خبرا ، فاندفع يقوم بقيادة جماعة القصاص من الكفار والمشركين وتحصيل الجزية منهم والغرامات التى يفتى بها الإخوة الفقهاء ، وأتقن دوره حتى قتل أحد ضباط الشرطة المعينين

لحراسة الكنائس بأن ألقى حجرا على راسه من أعلى عمارة مجاورة ومضى يبتز المواطنين ويسرق السيارات لحاجة الجماعة لها فى تنفيذ جرائم السطو المسلح على محلات المجوهرات ويختطف الفتيات بإعتبار أنهم سبايا ليضمهن لما ملكت يمينه حتى ضبط فى القضية رقم ٣٦ عام ١٩٨٧ جنايات أمن دولة ، وخرج ليعود لنشاطه أشد ضراوة وإقتناعا بهذا الدور المقدس حتى توجهت لمسكنه إحدى مأموريات الشرطة لإلقاء القبض عليه فى أعقاب إعتراف شركائه بقيامه بقتل الضابط ، وتم تضييق الحصار عليه وقاوم السلطات كعادته فتعاملت معه وقتل برصاص الشرطة غير مأسوف عليه .

أمير أمبابة (جابر الطبال سابقاً) :

سيظل أسم جابر ريان عالقاً فى ذاكرة أهالى منطقة أمبابة لفترة طويلة ، وليس ذلك لسبب قدرته فى السيطرة على زمام الأمور ومقدرات العباد فى هذا الحى الشعبى العريق وحسب ، ولكن لأن جابر إستطاع القفز على كل الثوابت الإجتماعية فقد كانت بدايته كمجرد بلطجي يمارس أعمال فرض السطوة والأتاوات فى مواقف سيارات الأجرة نهاراً ويبتز الذين يرغبون فى إقامة الأفراح الشعبية التى تقام عادة فى الشوارع ليلاً ، وما هى إلا سنوات قليلة وتحول إلى شيخ وداعية وأخيراً أمير لمنطقة أمبابة وضواحيها له أتباع وأعوان ومريدين وخطط للإستيلاء على الحكم وإقامة الدولة الإسلامية وتعبيد الناس لربهم ! .

وجابر محمد على ريان له تاريخ عريق فى الإجرام ترصده مباحث مكافحة جرائم النفس بمديرية أمن الجيزة ، وملفه يؤكد أنه من مواليد أمبابة عام ١٩٥٧ ومقيم بالعنوان ١٩٧ شارع إبراهيم خلة المتفرع من شارع البصراوى بالمنيرة الغربية بامبابة – الجيزة ، وهو مسجل شقى خطر جرائم نفس وسبق ضبطه ومحاكمته والحكم عليه (فى جرائم جنائية) فيما يزيد على عشرين قضية منذ أن كان حدثاً عمل فى موقف سيارات بشتيل بأطراف أمبابة كمنادى سيارات وما لبث أن تبلورت مواهبه حيث إستطاع أن يكون عصابة من المجرمين والأشقياء قاموا بالسيطرة على مواقف السيارات وفرضوا الأتاوات على السائقين والركاب وأصحاب السيارات ويكون جزاء من يعترض الضرب المبرح وربما تحطيم

سيارته والإستيلاء على نقوده عنوة ، وظل جابر يمارس هذا الدور حتى إكتشف في نفسه موهبة أخرى هي الغناء والتلحين أى والله الغناء والتلحين وليس هناك ثمة خطأ مطبعي أو إملائي ، ولكن يبدو أنه مارس الغناء والتلحين على طريقة فريد شوقي في رائعة نجيب محفوظ بداية ونهاية فقد كان يفرض نفسه على الأفراح بالإكراه والويل لمن يعترض فجزاؤه المعروف أن يقوم جابر وأعوانه (فرقته) بافتعال مشاجرة عادة ما تنتهي بـ (كرسي في الكلوب) وهو ما يستتبعه إستضافة العروسين وذويهم في قسم الشرطة لقضاء ليلة العمر مع جابر ورفاقه من اللصوص والبلطجية .

عموماً لم يجد جابر في السوق المصرية ما يشبع مواهبه الفنية فعقد العزم على السفر إلى الخارج ، والخارج في عرف جابر لا يتجاوز عبور البحر الأحمر دون غيره من بحار الكرة الأرضية ، المهم أنه سافر قرابة عامين يعلم الله وحده ماذا كان يعمل أو يعيش هناك فقد عاد جابر فجأة وقد أطلق لحيته وبدأ يقدم نفسه للمترددين على مساجد أمبابة باعتباره داعية إسلامي وفقيه يطمح إلى تكوين جماعة يتولى هو زعامتها ويجبر التجار وأصحاب المحلات على دفع الجزية له إذا كانوا من الأقباط ، ودفع الزكاة إذا كانوا من المسلمين ليقوم هو وجماعته بإنفاقها في مصارفها "الشرعية" ، وظل جابر على هذه الحال حتى إلتقى به مراسل وكالة أنباء رويتر في القاهرة فأدلى جابر بتصريح صحفي مفاده أنه يتحدث بوصفه أميراً لإمارة مستقلة أقامها في إمبابة "الإسلامية" التي أصبحت تطبق الشريعة وتعتبر نواة للدولة الإسلامية في مصر وحسب بل في المنطقة العربية بأسرها ، وهنا كان لابد من وقفة حاسمة مع هذا الوضع المتفاقم وفي منتصف ليلة ٨ من شهر ديسمبر سنة ١٩٩٢إنطلقت عشرات السيارات التي تحمل لوحات معدنية تابعة لهيئة النقل العام في القاهرة وتابعة لبعض الشركات وهي تقل المئات من رجال الأمن الذين فرضوا سياجاً على الحي بأسره بينما إنتشرت الأكمنة وكلاب الشرطة على مداخل المنطقة لضبط العناصر التي قد تحاول الفرار ، وتمت عملية مداهمة المكان الذي كان يتخذه جابر وجماعته فوجدت قوات الأمن جابر وهو مرتدياً "تريينج سوت" وقد حلق لحيته ووضع في عنقه سلسلة ذهبية بغرض التمويه ولكنه بمجرد رؤيته لرجال الشرطة المدججين بالأسلحة صرخ بأعلى صوته : (لا تطلقوا النار .. أنا جابر ومستعد للإعتراف

بكل شئ) ، وبهذه البساطة إنتهت دولة إمبابة الإسلامية بعد أن ألقى القبض على رئيسها أو أميرها "الطبال والمطرب السابق" وهبط إلى الشارع مقيداً بالأغلال بينما تسابق الآلاف من أبناء الحى ينشدون رؤية هذا المشهد غير المتوقع الذى إعترف فيما بعد أنه كان يخطط للفرار من مصر واللجوء إلى إيران ليتابع جهاده من هناك لإقامة الخلافة الإسلامية على أرض مصر كلها وليست إمبابة وحدها ، بينما وجهت إليه نيابة أمن الدولة العليا سلسلة من الإتهامات منها اقامة تنظيم سرى يهدف إلى قلب نظام الحكم بالقوة وتهديد الوحدة الوطنية والسلام الإجتماعى وحيازة أسلحة وذخائر دون ترخيص والتحريض على القتل والإعتداء على الممتلكات العامة والخاصة وفرض السطوة والأتاوات على المواطنين وغيرها من الإتهامات.

إستئجار للقتل :

ولايزال فى الجعبة عشرات الأسماء والحكايات والقضايا نذكر منها فى عجالة أسماء : سيد زنجر وأسامة محمد أحمد الذى خطط ودبر وأشرف على تنفيذ حوادث السطو المسلح على محلات الذهب فى الزيتون وعين شمس ، وهناك أيضا كمال دوكو وجمعة الأبيض وهما من قادة المجموعة التى إرتكبت أحداث شبرا ، وعشرى سبرتو الذى ضبطت بحوزته كمية هائلة من الذخيرة والمتفجرات فى القضية رقم ١٣/٢٧٣ جنايات عام ١٩٨٩ بكفر الشرفا بقسم شرطة مدينة السلام بالقاهرة .

وفى أسيوط أسماء أخرى منها "أحمد نوارة" السابق اتهامه فى عدد من أبشع الجرائم ، وهى الإستئجار للقتل حيث كان يقاول مع عدد من أبناء عمومته على سعر رأس الضحية ، والذى انتهى به لقب الإمارة إلى اتهامه فى محاولة اغتيال اللواء زكى بدر وزير الداخلية الأسبق وهو أحد أهم محركى أحداث ديروط فى كودية الإسلام ومنشية ناصر وصنبو .. وغيرها من القرى التابعة لمراكز أسيوط .

الدائرة تتسع .. والقائمة لاتنتهى .. والحديث يطول عن لصوص إرتدوا أقنعة ومسوح الإسلام .. وأشهروا سيوف الإرهاب وتسلحوا بالجنازير والبنادق وأطلقوا لحاهم فى محاولة لخداع البسطاء .. لكن يبقى فى النهاية الرهان الرابح على ذكاء المصريين وقدرتهم على التمييز بين الحق والزيف .

الفصل الثـــانى

إرهـابى وجاسـوس ٠٠٠رغـم أنـفـه

إعترافات شاهد على صراع الجماعات فى سجن طرة

التخطيط للإرهاب والإغتيال والنسف والتمويل وأوامر التنفيذ تأتى دائماً مـــن داخل السجون .. هذه حقيقة وليست دعـــابة أو دعاية .. هكـــذا أكـــدت محـــاضر الشرطة .. وهو ما أشارت إليه تحقيقات النيابة .. وانتهت عنده أحكام القضـــــاء .. نعم أصبحت السجون مراكزاً لقيادة التطرف فى مصر .. خطـــط وأفكـــار وقـــادة وأعوان وأوامر ونواه ومحاكمات وفتاوى وبيانات (!!) . حتى صـــارت الســـجون مقراً "لبرلمان الإرهاب" وصوتاً "لزعماء القتل بالفتاوى" .. الأمر الذى يجعل دخول هذا العالم والكشف عن غموضه وتعرية أســـتاره ضرورياً وهاماً .. وهنا فىهـــذه السطور .. تجربة شاب صغير السن ، دفعته الصدفة إلى السجن مـــع المتطرفيـــن لمدة ثلاثة شهور .. **ومحمد** .. لم يكن متطرفاً ولا إرهـــابياً بـــــالمعنى الـــدارج ، والزج به للسجن كان محض صدفة أو إرتباك .. وربما إهمال . لكن هذه الصدفـــة وحدها كشفت لنا عن أسرار سجون المتطرفين كما يرويها محمد بنفسه .. يقول :

وصلت السجن عصر اليوم التالى لإعتقالى .. وكنت مذهولاً مما يحدث ، فلم أكن أخشى السجن بقدر ما أخشى موقف هـــؤلاء الإخـــوة منـــى خاصـــة وأننـــى إصطدمت بهم كثيراً قبل دخولى السجن وكنت دائم السخرية منهم فى البلد المهم.. بعد أن إنتهت إجراءات تسجيلنا وبدأت إجراءات "التسكين" تقدم منى أحـــد الإخـــوة الكبار والذى بدت عليه علامات الزعامة ليسألنى ومن معى عن أســـمائنا وبلادنـــا ودراستنا وما إذا كان سبق اعتقالنا أو أن هذه هى المرة الأولى وكان خلفه شـــــاب من نفس عمرى يسجل ما نقوله فى دفتر معه كأنه يملـــئ إســـتمارة تعـــارف ثـــم اصطحبنا نحن الذين لم يسبق إعتقالنا من قبل وكانت الأعمار تتراوح بيـــن ١٨ و

٢٥ عاما ومعظمنا كان يطلق لحيته باستثنائى وثلاثة معى وعلى الرغم من أننى كنت حليق الذقن إلا أن هذا لم يغير نظرة الآخرين لى كما توقعت على العكس فقد كانوا يرمقوننى باحترام بالغ ممزوج بالحذر ولم أفهم معنى هذه النظرات إلا بعد شهر كامل من الإعتقال ، فقد كان الإخوة غير الملتحين على درجة من الأهمية والخطورة لقيامهم بتنفيذ العمليات والحوادث وأنهم كانوا يحلقون لحاهم لأسباب حركية تتطلب التخفى أو ما يطلقون عليه "التقية" وقد اعتقد بعض الإخوة أننى واحد من هؤلاء .

ويمضى محمد ليتحدث عن طقوس استقبالهم ممن يطلق عليهم "الإخوة الكبار" الذين اجتمعوا بهم ورحبوا بمقدمهم بعد أن عرفوهم بأنفسهم باسماء الكنية فهذا هو أبو حفص وهذا أبو الدرداء وهذا أبو طلال وذلك ظافر أو عكرمة ، وتولى أبو حفص مسألة (تفقيه الشباب الجدد) فى الدين وفقا لمنهج مبدئى انحصر فى أربعة كتب هى : "الفتاوى" لإبن تيمية ، و"فى ظلال القرآن" لسيد قطب ، ومختارات من كتب أبى الأعلى المودودى ، وأخيرا "ميثاق العمل الإسلامى" الذى اكتشفنا أنه الحلقة الأخيرة فى الدراسة ، وكان أبو حفص يكاد أن يحفظه عن ظهر قلب كأنه القرآن ؛ أما ظافر الذى كان يجرى معنا لقاءات يومية تمتد قرابة ثلاث ساعات يتحدث فيها بلباقة عن كل شئ وأول ما تناوله كيفية التعامل مع حراس السجن وضباط الأمن مؤكدا ومحذرا من اتخاذ موقف ضد أى منهم دون مشورة الإخوة ويفضل أن يستشار هو شخصيا ٠٠ والحقيقة أنه كان شخصاً جذابا بالقياس للأخرين ، وعرفنا أنه يقضى عقوبتين بالسجن المؤبد .. واحدة فى اتهامه بالإنضمام للجماعة التى اغتالت السادات والأخرى فى الإعداد والتخطيط لوقائع تفجير واغتيال فى أسيوط .. واقتربت كثيرا منه بفضل اسئلتى الكثيرة فى الوقت الذى كان الجميع يفضل السماع فقط وكنت على حد وصفه لى - بالأخ المشاغب - وكان زملائى من الشباب ينظرون إلى باعجاب حينما أناقشه فى كل شئ .

ويواصل محمد حديثه عن شخص ثالث كنيته "عكرمة" يقول عنه أنه كان متجهما دائما وقليل الكلام لكنه كان ذكيا لماحا يعبر عما يريد أن يقوله بأقل قدر ممكن من الكلمات فحينما كانت فسحة أحد الأيام شاهد هذا العكرمة محمد وهو

يتجول فى فناء السجن مع شخص من الفيوم ينتمى لإحدى جماعات التكفير وهى "الشوقيين" وما أن عاد محمد للعنبرحتى استدعاه عكرمة على الفور ليسأله بحدة عما دار من حديث بينه وبين هذا الشخص.. وهل يعرفه من قبل .. وأجابه محمد بأن ما دار بينهما هو حديث عادى عن بلده لأنهما من محافظتين متجاورتين

فطلب منه عكرمة أن يسايره ويصادقه وكما يحدث بين أجهزة المخابرات حينما تدفع بأحد عملائها ، طلب أن يحاول التعرف منه على بعض المعلومات عن جماعة الشوقيين ونظامها الداخلى وأهدافها وسايره "محمد" حتى استطاع أن يجمع قدرا من المعلومات يرضى بعض فضول " عكرمة " الذى إصطحبه إلى عنبر يقطنه الإخوة الكبار وهناك شاهد صفوت عبد الغنى وأحمد يوسف وناجح عبد الله وكرم زهدى ومعظم نجوم الإرهاب ورواده الأوئل الذين أفهموه أنه ينتمى من الآن لمجلس شورى الجماعة بمحافظته (بنى سويف) وأنه المسئول عن عدة أمور يأتى فى مقدمتها الإتصال بالإخوة خارج السجن ونقل أخبارهم للمسجونين ، مؤكدين له أن اعتقاله لن يتجاوز ثلاثة شهور ، ثم زودوه باسماء بعض الأشخاص فى قرى ومدن بنى سويف وكيفية الإتصال بهم بشفرة سرية هى "عكرمة يقرؤك السلام" .. ، أما الأمر الثانى فيتمثل فى توطيد علاقته بأعضاء جماعة الشوقيين حتى يوهمهم بأنه أحد أتباعهم وأعدوا له خطة تتمثل فى تزويده بمنهجهم الفكرى الذى يدور حول التكفير بالمعصية سواء للحاكم أوالرعية وهو مايعبر عنه بالبراء والولاء ، واستباحة أموال وأعراض كل من لاينتمى للجماعة فيما يعرف بالإستحلال ، ثم طلبوا منه أن يفتعل مشاجرة مع "ظافر" الذى كان يحضر هذا اللقاء السرى والذى علق قائلا له : "كنت أعرف أن

لك باعاً كبيراً فأنت تتمتع بمرونة يفتقدها معظم أبناء جيلك وهو ما ندعو إليه فتية الإسلام أن يتعلموا "**فقه الواقع** " وكما يؤكد محمد أنه لم يكن مرنا بل كان غير مقتنع بأحد منهم وكان مجرد ممثل لدور فرضته عليه ظروف خارجة عنه إلا أن الدور أصبح حقيقة ، وحينما اجتمع "ظافر" بالشباب الجدد ناقشه محمد كالعادة فنهره ظافر واحتد عليه وكما يقضىسيناريو الدور بادله لفظا بلفظ وحدث لغط وهرج وتصاعدت لهجة الخلاف حتى انتهى الأمر بتدخل حراس السجن وابعدوا

محمد عن ذلك العنبر واستضافه صديقه بعنبر الشوقيين وهناك بدأت حكاية أخرى يرويها محمد بقوله :

كانوا أكثر خوفاً من أعضاء هذه الجماعة .. سألونى عن كل شئ فى حيــاتى أهلى .. وقريتى .. ودراستى واعتقالى وانضمامي للجماعة التى أنكرت انضمامى إليها وفقاً لما أملاه على الإخوة الكبار فأكدت للشوقيين أننى مجرد شاب ملـــتزم ، وأن فكر الجماعة غير مقنع لى فهم ينتقون ما يعجبهم من آراء ويجحـــدون مـا لايروق لهم ، وأنهم مجرد توابع للإخوان المسلمين والذين وصفتهم بالجبناء كمــا طلب منى . . وهنا انفرجت اسارير الأخ رمضان الذى كان يستمع إلــى بانبهــار وطلب أن استخير الله فى الإنضمام إلى جماعته وأمسك عن الخوض فى تفصيلات أخرى حتى يحين موعدهــا ومر قرابة أسبوع أشاركهم فيــه الصــلاة والقيــام والطعام والنوم والأحاديث الطويلة التىكانت تتسم بالحيطة وتسريب بعــض الآراء الفقهية لتبين رد فعلى مما دفعنى إلى حيرة كبرى .. فأعضاء الجماعة الإســلامية يعرفون كل شئ عن الشــوقيين وهؤلاء بدورهم يعرفون كل شئ عــن الجماعــة فلماذا هذا التجسس ؟ ولم أكتشف إجــابة هذا السؤال إلا بعد شهر حينمــا عــاود عكرمة الإتصال بى عبر أحد أقاربه أثناء الزيارة حينما اقتحم على جلســتى مــع شقيقى ليقول لى أن عكرمة يقرؤنى الســلام وأنه يســألنى هــل ينــوى الإخــوة أصحابك القيام بعملية إستحلال قريباً ؟ .. وهنا أدركت أنهــم يتتبعــون بعضهــم البعض لمعرفة خططهم حول تنفيذ بعض الوقائع خــارج الســجن أو أى نشــاط حركى .. ولم أكن حتى ذلك الوقت أعرف شيئا عن هذا الأمــر فــأجبت رســول عكرمة بأننى لاأعرف عن الأمر شيئاً ، ولكنه طلب منى أن اقــترب أكــثر مــن رمضان وأحــدثه عن رغبتى فى القيام بعملية لوجه اللــه وإعــلاء كلمتــه ، ثــم انصرف مؤكداً أنه سيرانى الزيارة القادمة .

وبينما كانت هذه المؤامرات تجرى على قدم وساق ، كــانت هنــاك مظــاهر أخرى للخلاف بين الجماعات وكان محمد قد بدأ يدرك أبعادها ويتفهم ظروفهــا .. فقد كانت الصلوات مثلا تؤدى فى عــدة مجموعات .. فالتكفير مثــلاً لايصلــون جماعة بل فرادى .. والإخوان يرفضون الصلاة مع أعضاء الجهــاد .. وهــؤلاء يمكنهم أن يصلوا مع أعضاء الجماعة الإسلامية لكن أعضاء الجماعــة يرفضــون الصلاة خلف إمــام من الجهاد .. وهكذا ، أما داخل العنابر فقد كان يتــم حبـس

الجهاد مع الجماعة بينما ينفرد أعضاء التكفير بعنابر مستقلة حتى لاتحدث مصادمات بينهم وبين الجماعة أو الجهاد .. ، والإخوان يحاولون إقامة علاقات طيبة مع الجميع لكن الجميع يرفضونهم ويسخرون منهم بل إن أحد أعضاء الشوقيين أبدى رأيه فيهم صراحة ذات مرة أمام الإخوان ساخراً منهم : "لماذا لاتطلبون من إدارة السجن أن تنفذوا المدة مع اللصوص وتجار المخدرات لعلكم تهدوهم إلى الإسلام .. فلا مكان لكم هنا بيننا" ولم يعلق الإخوانى ، وهكذا وجد محمد نفسه بين صراعات تحتيه وضغوط شتى حتى بادر رمضان ذات مرة بأنه يرغب فى تكليفه بعمل يقربه إلى الله وخصوصا أن المدة المتبقية له لن تتجاوز شهرا .. وابتسم رمضان مؤكدا له أنه قد أصبح بهذا الطلب قريبا إلى الله وتركه ثلاثة أيام ثم استدعاه للقاء جرى بينه وبين عدد من أمراء الجماعة الذين سألوه كثيرا مرة أخرى عن كل شئ وأبدى أحدهم رغبته فى الإستفادة من محمد لأنه على حد وصفه – شاب رياضى يعرف الله ولايبغى شيئا سواه – وأبرز رمضان مصحفاً وطلب منه أن يقسم معاهد الله على الولاء للجماعة والبراء من غيرها .. وأن يظل ما دار بينهم سرا حتى لو قبض عليه وألا يتفوه بكلمة واحدة حتى الموت ، ولم يجد محمد بدا من القسم ، وتم تكليفه بالإتصال ببعض شباب الجماعة المقيمين بالمدينة الجامعية ببنى سويف والذين يدرسون بجامعتها وأن كلمة السر التى سيبادرهم بها هى أن ينهى لقاءه بهم بأن يقول لهم" لقاؤناعلى أرض الميعاد" مؤكدين له أنهم سيبلغون هؤلاء الإخوة به وأن المقصود بأرض الميعاد هذه هى الساحة التى استشهد فيها مؤسس الجماعة "شوقى الشيخ" ومن أسماهم بالشهداء الأوائل للجماعة بالفيوم ، ثم طلبوا منه ألا يستمر فى الإقامة معهم فى عنابرهم خلال المدة المتبقية له حتى لايصنفه ضباط المباحث فى قوائم الشوقيين ويتتبعوه بعد الإفراج عنه ، ونصحوه بالإنضمام خلال الشهر الباقى للإقامة مع الإخوان المسلمين .. وهكذا تقاذفته الجماعات فيما بينها حتى إستقر به المقام إلى الإخوان .. ولكن حدث أثناء زيارة أهله أنه حضر إليه شخص آخر وبادره بالسلام ثم أضاف قائلا : "عكرمة يقرؤك السلام" وانفرد به ليسأله عن أصحابه من جماعة الشر – على حد تعبيره عن الشوقيين– فأجابه محمد بأنه كلف بعملية حينما يفرج عنه سينفذها بالإشتراك مع آخرين فى المدينة الجامعية

ببني سويف ، وأنه لايعرف شيئا أكثر من هذا وانصرف ذلك الرسول مؤكـــدا أن الرد سوف يصله فى الزيارة القــادمة .

ومازلنا مع محمد الذى ألحق على عنبر الإخوان وحدث أن استدعاه ضــــابط المباحث وسأله عن تحركاته بين الجماعات فأجابه بأنه لـــم يوفـق معهــم لأنـــه باختصار "مش متطرف" وأنه دائم الإصطدام بهم .. ويبدو أن الضابط لم يصدقــه فنصحه بألا يلعب فى الممنوع مؤكدا له أنه مجرد طفل لاشأن له بخلافـــات هـذه الجماعات لأنهم لايتركون من ينشـــق عليهم حتى لو أفرج عنه ، ومضى يحدثـــه عن حكايات المنشقين وهو يؤكد له أنه لم ينضم لأى جماعة ولكن الضابط أنهـــى لقاءه به بعصبية قائلا : "أنا نصحتك وأنت حر" ، وانصرف محمد لعنبر الإخـــوان الذين يصفهم بأنهم "جماعة عارفة أهدافها كويس وناس مبسوطة ومرتاحة كـــانت الزيارة إللى بتيجى لهم حاجـــة فاخرة ومن أكبر محلات الأكل والحلويـــات فـــى مصر ولكنهم كانوا مكروهين من كل الجماعات" واستقبله الإخوان بـــلا قيـود أو محاذير صارمة كالتى استقبل بها من جـانب أعضـــاء الجماعـــة الإســلامية أو الشوقيين ، ولكن كل الإخوان يركزون على القراءة وحلقات الدرس التى تمتد قرابة ست ساعات يوميا وليست لديهم نفس درجة السرية التـــى يمارســها الآخـــرون ، وحدث أن بادره أحدهم من الشرقية – وهو أحد المتهمين فى قضيـــة سلســبيل – بالنصيحة بعدم التورط بالإنضواء تحت راية هؤلاء المتعصبين ويقصد المتطرفين من أعضاء الجماعات الأخرى ، مؤكداً له أنهم جميعا من الحمقى وأن ما يقومـــون به لم يحن موعده بعد ، ولن يفيد الدعوة أو الإسلام بقدر ما يمكن أن يســبب مـــن أضرار ومتاعب جمة ، وأنهى حديثه بدعوته للإخوان التى وصفها بأنها الحركـــة الأم والأقوى والتى لو قدر للإسلام أن يعود لأرض مصر فإنه لن يخرج إلا مـــن بين صفوفها ووصف الجماعات الأخرى بفقاعات لاتلبث أن تختفى دون أن تـترك أثراً ونصحه بقراءة آثار "الشهيد سيد قطب" -على حد قولـــه- ومتابعـة بعـض الصحف والمطبوعات كالإعتصام والشعب وما ينشر بها من موضوعـــات تهتـم بالأحداث الجارية .

وهكذا انخرط محمد شيئاً فشيئاً فى صفوف الإخوان التى لم ينغص عليه شـــئ خلال إقامته معهم قدر ما وصفه "بتقديس بعض زعمائهم" ، وأنهم ينافقون الجميـــع

فعلى الرغـــم من آرائهم التى أسروا بها إليه عن الجماعـــات الأخـــرى إلا أنهـــم يسعون بدأب إلى اجتذاب عناصرها إليهم بشتى الطرق وأهمها قدرتهم المالية فكل زيارة تأتى إليهم يدعون صغار المعتقلين من الجماعات الأخرى لمشـــاركتهم فـــى المأكل والمشرب ويهدونهم الملابس والكتب الدينية فضلا عن أنهم لايصطدمـــون بحراس السجن ولامانع أن يجلســوا معهم أو يتقربوا إليهـــم وخصوصـــاً ضبـــاط الصف والسجانين وصغار الضباط وعلى سبيل المثال يحدثنا محمد عـــن واقعـــة جرت مع أحد المعتقلين للمرة الأولى على غرار ما حدث معه حينما تعرض هـــذا الشاب للفصل من وظيفته بعد اعتقـــاله فعلم الإخوان بهذا الأمر ولاسيما أن هـــذا المعتقل كان كثير الشكوى والقلق على أسرته التى يعولها وإنعدام فـــرص العمـــل وخاصة بعد إعتقاله وأنه حاصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية فوعـــده أحد الإخوان خيراً ولم يمر أسبوع حتى بشره بأنباء حصوله على فرصــــة عمـــل بدولة عربية مؤكداً له أنه بعد الإفراج عنه عليه أن يستخرج جواز سفر ويذهـــب لمكتب استيراد وتصدير يملكه إخوانى صديق له وهو بدوره ســـوف ينهـــى بقيـــة الإجراءات من الحصول على عقد العمل والتأشـــيرة وتذكرة الســـفر وخلافـــه .. وحدث هـــذا بالفعل فما أن أفرج عن هذا الشاب حتى وجـــد عقـــد العمـــل وكـــل الترتيبات معدة وسافر بعد أن زار هذا الإخوانى بالســـجن وشـــكره ووعـــده أن يشرفه" فى هذا العمل دون أن يزيد فى قوله عن تفصيلات هذا العمل أوذلك الشرف حسب وصفه ولم يطل شهر العسل بين محمد والإخوان فقد حدث أن اعتدى بعض أعضاء جماعة التكفير – الشوقيين – على إخوانى بالضرب المبرح بعد أن قبـــض على عدد من أعضاء الجماعة فى قضية ســـطو مســـلح علـــى أحـــد محـــلات المجوهرات فأصدر الإخوان بياناً داخل السجن يستنكرون فيه الحادث ، وتصـــادف فيما بعد لقاء هذا الإخوانى بعدد من الشوقيين فسخروا من موقف الإخوان كالعـــادة فراح الإخوانى يدافع عن جماعته ويحاول أن يرد عليهم حتى صدرت منه عبـــارة "هذه سرقة وأنتم لصوص" وحينئذ انقض عليه أحد أعضاء الشوقيين وأحـــدث بـــه إصابات بالغة استلزمت نقله لمستشفى السجن وشددت الإدارة قبضتها على الجميع بمنطق "السيئة تعم والحسنة تخص" واشتعل الموقف داخل السجن أكثر حينما خطب إخوانى فى صلاة الجمعة منددا بجماعات التكفير ووصفهم بفساد العقيدة والضلال ، فى الوقت نفسه الذى كانت تقام فيه صلاة جامعة أخرى يخطب فيها أحـــد أمـــراء

الجماعة الإسلامية وهو كرم زهدى مؤكدا أن كل هذه الفرق ضالة وأن الفرقة الصحيحة هى الجماعة الإسلامية ، بينمالم يصل الشوقيون لإعتقادهم "بألا جماعة إلا بتحرير الأرض من الكفر والكفار" وأكتفوا كالعادة بصلاة الظهر ثم هجموا على المصلين من الإخوان وأصابوا الكثيرين منهم ووقعت بينهم معركة دامية لم يصب فيها محمد بسوء وهذا ما دفع بالإخوان أن يتهموه بالتجسس والعمالة **"للمارقين والخوارج** " وقدموا مذكرة كتابية لإدارة السجن يطلبون فيها استبعاده من عنبرهم

واستجابت إدارة السجن وألحقوه على عنبر الجماعة الإسلامية ولم يمكث به سوى ليلة واحدة تعرض فيها لاستجواب استمر قرابة عشر ساعات عما عرفه عن الشوقيين والإخوان وباركوا خطواته وأفهموه بأنهم – بدورهم – سيطلبون إبعاده حتى لاتحوم حوله شبهة الإنتماء لهم وفعلا طلب أمير العنبر من ضابط المباحث إبعاده لأنه وجوده بين الإخوة يشكل خطراًعلى حياته فالإخوة يرون فيه شخصا غير محدد الهوية والإنتماء وأن بقاءه سوف يجلب المتاعب ويثير الأزمات ، واستجاب الضابط للطلب والحق محمد بعنبر الشوقيين ولم يمكث به سوى ليلتين نام الليلة الأولى متعبا من تأثير سهرة أمراء الجماعة الإسلامية وتعرض لما يشبه تحقيقات النيابة من أعضاء جماعة الشوقيين فى الليلة الثانية فقد سألوه عن كل ليلة قضاها مع الإخوان والجماعة وأبدوا مخاوفهم منه وشكوكهم فيه صراحة على الرغم من قسمه وتأكيده أنه توجه للإخوان عملا بنصيحتهم وأن ما حدث أن الإخوان هم الذين شكوا فيه وليتهم اعتدوا عليه مع بقية المعتدى عليهم من الإخوان حتى لاتحوم حوله الشبهات وانتهى الأمر بأنهم بدورهم سوف يطلبون إبعاده حتى لايدرج ضمن جماعتهم وهذا قد يثير المشكلات أثناء قيامه بما كلفوه به من عمليات عقب الإفراج عنه بعد اسبوعين فقط ، وتدخلوا فى صباح اليوم التالى لدى إدارة السجن ليتهموا محمد بالتجسس لصالح الإخوان والجماعة الإسلامية والمباحث وأنه لو ظل معهم فسوف يقتلونه ، ووقع ضابط السجن فى حيرة من أمر هذا الفتى المشاغب والمثير للمتاعب فاستدعاه وسأله عن هويته بالضبط فأجاب "أنا أى حاجة إلا متطرف .. وأرجوك احبسنى إن شالله مع الحرامية أنا تعبت من الجماعات دى كلها" ولمعت للضابط فكرة نفذها فعلا وأستجاب لها محمد وهى أن يجعله "نوبتجى" وهو ما يعنى قيامه بالخدمات الخاصة داخل السجن كنقل الأوراق والجراية .. والمشاركة فى تنظيم الزيارات وغيرها .. ، وفرح محمد بهذه

المهمة التى لم يكن يتوقع أنه ستثير الشبهات حوله من كـــل الفصـــائل فـــأصبحوا بالفعل جميعـــا – وللمرة الأولى – متفقين على كونه جاسوساً للأمن وانتبهوا لمـــا كلفوه به من مهام وحاولوا الإتصال به بطرق شتى لكنه كان دائم الهرب منهم حتى احتجزه أعضاء الجمـــاعة الإسلامية ذات مرة عنوة بعنــــبرهم وخصوصـــا أنـــه تصادف حضوره فيما مضى لإحدى جلسات ما يسمى "بالمحكمة الشرعية " التــــى كانت تبحث أمر ثلاثة ضباط وأحد الوزراء ، واستمع لكل فصـــــول مـــا يســـمى بالإدانة الشرعية وهذا ما اعتبره أعضاء الجماعة الإسلامية أخطر حلقات الحكايـــة باسرها ؛ وهكذا ظل محمد محتجزا حتى صباح اليوم التالى وهم يناقشونه ويهددونه ويتوعـــدونه وهو يصر على صدق ولائه لهم بوصفهم المحطة الأولى لـــــــه وأن كل ما حدث له كان بسبب مشورتهم وحينما حضر ضـــابط المبـــاحث وهـــــددهم بتدخل قوات الأمن للإفراج عنه كانوا قد انتهوا مما يريدونه وأفرجـــوا عنـــه دون الحاجة لتدخل من أحد .

وهكذا لم يتبق لمحمد سوى أسبوع واحد ويحين موعد الإفراج عنه بعد قبـــول طعن تقدم به شقيقه وكانت المتاعب التى ســـببها لإدارة الســـجن كافيـــة لإرســـاله لمديرية أمن "بنى سويف" ليقضى الأسبوع المتبقى له بحجز قسم الشـــــرطة هنـــاك حتى يفرج عنه .. وتم ترحيله فعلا وكانت فصول حكايته لازالت تتصارع داخـــــل عقـــله كأنها كابوس .. فإلى أين يذهب عقب خروجـــه ؟.. هـــل يذهـــب للمدينـــة الجامعية كما أمره قادة الشوقيين للإتصال بأعوانهم هناك ؟ .. أم يذهب للعنـــــاوين التى أعطاها له "عكرمة" ويقـــرؤهم السلام ؟ .. أو ياخذها من قصرهـــا ويتوكـــل على الله ويذهب لصاحب شركة التصدير والإســـتيراد الإخوانى لعله يفوز بعقــــد عمل نفطى ؟ .

الباب السابع

دراما الحقول والجنازير

لا يعرف الإنسـان كيف يعيش فى هذا الوطن

لا يعرف الانسـان كيف يموت فى هـذا الوطن

نزار

الفصـــل الأول

صنبـــو ... والأمـــراء

رحـلة داخل عقـل قـرية مصريـة خاضت التجربة

صنبو ليست سوى مجرد قرية مصرية بالغة الفقر والبساطة تشبه فـــى ذلــك آلاف القرى فى مصر .. لكنها شهدت واحدة من أبشع المذابح التى راح ضحيتهـــا عشـــرات من المواطنين أقباطاً ومسلمين كانت كل جريمتهم أنهم رفضوا وصايـــة أمراء الشر وكهنة التطرف .. لكنهم على الرغم من ذلك لم يصطدموا بهم .. ولـــم يفكروا فى الوقوف ضد أنشطتهم .. ولم يعلنوا حتى مجرد رفضهم أو إعـــتراضهم على ممارساتهم الأجرامية .. كل ما حـــدث أنهم لم يسيروا فى فلكهم .. وجلســـوا فى منازلهم مبتعدين عن الشر وعن الغناء له ، وقررت الذهاب إلى هناك لأسمع .. وأرى .. وأعـــود لأتكلم .. وهـــانذا أخـــيراً فى قرية صنبو .. مركـــز ديـــروط بأسيوط .. كل شئ هنا يبدو هادئا ، ذلك النوع المريب من الهـــدوء الـــذى يعقـــب العاصفة أو يسبقها ، وبإختصارفهى تبدو كأنها بلدة للأشباح .. فى كل شبر يقـــف الضباط والجنود المدججين بالأسلحة وقد بدأ الإعياء يغزو ملامحهـــم ، والـــترقب المشوب بالقلق من مصدر الضربة القادمة أو هدفها أو ضحيتها جعلهم فـــى حالـــة تحفز على قارعة الطرقات ، وعند منافذ القرية .. مجموعات من فـــرق البحـــث الجنائى والعمليات الخاصة تواصل متابعة الهاربين من منزل لآخـــر ومـــن حقـــل لمغارة فى الصحراء ..

وأترك قدمى للتيه وذاكرتى تسترجع صورا قديمة وحكايات عتيقة وأسئلة تلح على عقـــلى ووجدانى .. هل كانت صنبو بحاجة إلى المزيد من الصراع .. ألـــم يكن يكفيها صراعها الأبدى على لقمة العيش وما يستتبعه من ســـفر واغـــتراب ، وصراع مع تقاليد بالية تعشش فى ذاكرة الأجيال ، كالثأر ومتطلباته مـــن رجـــال وأموال .. والصراع ضد الثالوث الأشهر : الفقر والجهل والمرض وما خلفه هـــذا

من مناخ مشبع بالسخط والإحباط، وافتقاد الشعور بإتساق معايير النجاح والفشل.. وقواعد الصعود والهبوط .. وفن الإستمرار والبقاء .. أو ربما كان هذا مناخاً مناسباً لنمو هؤلاء الخوارج وإفرازاً طبيعياً لا ينبغي أن نتوقع ما هو أفضل منه ... !

طاردتني هذه التساؤلات وألحت على ذاكرتي طيلة وجودي في القرية حتى قابلت شخصا تبدو على ملامحه مظاهر الوعي والإختلاف عن السياق العام السائد هنا وهو المهندس / ح. هـ. من أبناء صنبو ويعمل بالقاهرة وقد ألقيت عليه بكل أحمال الحيرة التي أنهكتني فتحدث بإسهاب قائلاً :

– نشأت هنا وتعلمت حتى المرحلة الثانوية ثم انتقلت لإستكمال دراستي بجامعة القاهرة وعملت هناك ، ولكنني أحرص على زيارة القرية في كل المناسبات لرؤية أهلي وأصدقائي ومازلت أتذكر بدايات كل هؤلاء الأمراء الصبية .. أحياناً أشعر بالرثاء نحوهم فقد كانوا جميعا أمل ذويهم في الخلاص وهدفهم في السعي والكد .. أتذكر عرفة درويش الذي كان يعمل في مقاومة دودة القطن طوال شهور الصيف وهو بعد صبي في العاشرة حتى يتمكن من شراء ملابس للمدرسة ، ولازالت ملامح وجهه عالقة في ذهني وهي تنطق بالبهجة حينما يحمل قطعة من القطن اجتهد في جمعها من مخلفات أعواد القطن الجافة ليقدمها للبقال مقابل قطعة من الحلوى أو حبات الفول السوداني .. أتذكر اجتهاده وإستذكاره دروسه على لمبة الجاز ليلتحق بالمدرسة الثانوية وقد تحقق أمله .. أتذكر كيف كان يلعب الكرة ضمن فريق يضم مسلمين ومسيحيين معا إلى أن كان لقائي به بعد سنوات ، وقد تبدلت ملامحه فصارت صارمة متجهمة وقد نبتت في وجهه شعيرات متفرقة وكأنه كان يتوقع قدومي حينما كنت عائدا لتوي من لقاء بعض الزملاء القدامى من المسيحيين والذين فرقت بيننا سبل الحياة وأصبحت لاتجمعنا سوى صدفة اللقاء بالبلدة كل بضع سنوات فبادرني عرفه مستنكرا :

– ماذا كنت تفعل عند هؤلاء النصارى .

أنت عارف أنهم اصدقاء وزملاء دراسة قدامى .

– سبحان الله يا أخي .. ألا تعرف إنهم مشركون ويجب ألا نتخذهم أولياء .

لكنهم ناس طيبون وبلدياتنا وليس بيننا وبينهم عداوة أو خصومة .

- إسمع يا أخى أنت رجل صالح ولاينقصك إلا الإلتزام والبعد عن الشبهات .

أنت تعرف إننى أصلى وأصوم ولا أرتكب الكبائر .

- لكنك تصادق النصارى وتشاهد التليفزيون وتختلط بالنساء المتبرجات .

وهل فى ذلك شئ ؟

- يا أخى والعياذ بالله هذا كفر يخرجك من الملة

إيه اللى انت بتقوله ده .. أرجو أن يكون حوارنا ديمقراطيا .

- حتى هذه الديمقراطية التى تتحدث عنها كفر .

*** كيف تكون الديمقراطية كفراً ؟ .**

- الديمقراطية تسمح للأغلبية أن تصدر التشريعات التى تبيح المنكر وتحل المحرمات وتحرم ما أباحه الله ، والتشريع ذاته حق لله وحده .

يقول المهندس (هـ) :

" ألجمتنى هذه الكلمات وأدركت أننى قد وصلت معه لطريق مسدود وفقدت أساس الحوار ولكننى تمالكت نفسى لسؤال أخير فقلت له :"

وماذا عما يستجد فى الحياه من مسائل وتعقيدات حضارية فى النظم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية .

فقال :

- ما يطلق عليه الحضارة الحالية جاهلية من نوع جديد ، والإلتزام بمنهج السلف الصالح هو الحل وإن كنت تريد الهداية حقا يا أخى تفضل لمسجد الرضوان وواظب على حضور لقاء الإخوة وأدعو لك بالهداية .

وانصرف بعد أن تركنى مذهولاً مما اعتراه وأخذت أتقصى أخباره من الأهل والأصدقاء فقالوا "إنه مشى مع السنية ومع جماعة الشيخ جمال هريدى" وأضافوا أنه لايأكل مع اسرته وقد أهمل دراسته بحجة أنها علوم دنيوية لا أهمية لها ويقاطع معظم أهالى البلد واعتزل مجالسة الناس ، واقتصر وجوده على

جماعته وتطوع البعض برواية حكايات عن تصرفات مريبة يقوم بها كالإختفاء فترات والتدريب مع جماعته على ضرب النار والرياضة العنيفة فى الصحراء ، وتوزيع المنشورات التى تدعو لمقاطعة المسيحيين وقتال رجال الشرطة ، وتحدث الأهالى عن صلاته المريبة بمطاريد الجبل ، وأنكروا علمهم بمصدر نفقاته التى تبدو غير قليلة ، وحينما سألتهم لماذا لم يبلغوا عنه وقد وصل لهذا الحد من الخطورة أطرقوا صامتين وقال أصغرهم :

- احنا مالنا بيهم دا ممكن يجيب الإخوة من البلاد إللى حوالينا ويعملوا أى حاجة .. يحرقوا بيت أو يقتلوا حد أويسمموا المواشى ، وأنت نفسك مالكش دعوة بيهم ، ثم ألمح لعلاقته بالمطاريد وصفقات السلاح والذخيرة معهم ، وهكذا أخذت أتتبع أخباره من باب الفضول كلما حضرت للقرية فتارة أسمع أنه معتقل وأخرى أعرف غيابه أو اعتكافه ، وأحيانا أسمع بوجوده وممارسته نشاطه المألوف وكلما عدت لصنبو أكتشف ضحايا جددا من خيرة الشباب والفتيان الصغار وقد جندهم واستقطبهم عرفه وجماعته لصفوفهم فيهجرون دراستهم وذويهم الذين لايملكون سوى الإعتراض العقيم ، ولا أملك أنا سوى الحسرة والأسى لهذا الجيل الجميل الذى يهدر ذاته ويتحول لأدوات عمياء فى يد قوى الظلام والدمار .

تركنى المهندس حمدى مؤكدا أنه سيصحب أمه معه للقاهرة فقد صار يخشى عليها من البقاء فى هذا الجو الملبد بالرصاص والأمراء الدمويين .

ثم التقيت بفتى لايتجاوز السابعة عشرة من عمره يدعى" محمد أ." طالب بالمدرسة الثانوية بديروط وقد استهل حديثه معى بقوله :

- أنا ناقشت الإخوة اللى معايا فى المدرسة كتير ومفيش فايدة .

وهل هناك إخوة أيضاً فى المدرسة الثانوية.

- يووه طلبةكتير وفيه مدرسين إخوة كمان .

وما المسائل التى ناقشتهم فيها ؟

- حاجات زى التكفير والجهاد وتحريم الموسيقى ومقاطعة المسيحيين والخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة والحدود وغيرها من الموضوعات .

وأين تتم هذه المناقشات ؟

- فى المدرسة يعنى فى الفصول وفى الحوش وعلنى .

وما موقف إدارة المدرسة منهم ؟

– بترفدهم اسبوع ويرجعوا تانى وكأن ما فيش حاجة حصلت ، ومش بس كده ويمشوا كلامهم فى بعض الحاجات .

إزاى بيمشوا كلامهم ؟

– يعنى مثلا مش بيحيوا العلم ومنعوا الموسيقى من الإذاعة المدرسية وفرضوا الحجاب على كل البنات حتى المسيحيات والمدرسات ، ويرفضوا حضور حصص الرسم ويخطبوا فى الإذاعة بكلامهم قدام المدير والمدرسين ويعزموا الإخوة الكبار بتوعهم يعملوا لقاء دينى وحاجات كده .

فيم تدور حوله هذه الخطب واللقاءات ؟

– تدور حول أحكام الجهاد وتكفير غير المسلمين أو غير الملتزمين من المسلمين وتحريم حاجات كثيرة زى الرسم والموسيقى والشعر وغيرها ، والهتاف بشعارات الجهاد زى الجهاد سبيلنا والشهادة أسمى أمانينا والحاكمية لله وكلام من ده .

ألا تشرف إدارة المدرسة على الإذاعة ؟

فابتسم هازئا وأضاف :

– إدارة مين يا عم .. الإخوة مش بيهمهم حد أبداً ، دا مرة واحد منهم شتم مدرسة الإنجليزى علشان كانت سايبة شعرها وقعد يديها محاضرة فى الدين والأخلاق وقال لها إنت رايحة كباريه وقال كلام قلة أدب كتير لحد ما المدرسة جريت من الفصل وهى تبكى .

وماذا فعلت إدارة المدرسة ؟

– فصلوه اسبوعين ورجع تانى ونقلوا المدرسة .

إلى هذا الحد كان حديث محمد قاسيا لدرجة أننى لم أستطع تصديقه أو حتى مواصلة الإستماع لهذه البشاعات فانصرفت من أمامه .. ومضيت حتى إلتقيت بأحد أهالى القرية كان فى طريق عودته لمنزله يدعى "على ر." وهو يعمل كفلاح فى القرية .. وعامل معمارى فى الغربة .. فبادرته بسؤال عن أثر الأحداث على القرية وعليه شخصيا فرد بانفعال محتدا :

– العيال دى مفروض يلموهم ويحرقوهم أو يطردوهم من البلد .

ودا برضه كلام معقول ؟

– يعنى كل يوم يقع حريق وقتيل فى بلد فقيرة زى صنبو علشانهم ومصالح الخلق تقف ويخربوا بيوت الناس يبقى هو المعقول .. ده مش إسلام ولادين .

أليس لك أقارب بينهم ؟

– عايز الحق ولا ابن عمه ؟ .. كل بيت فى البلد ابتلى فى عيل من ولاده وفيه بيوت كلها سنية حتى الحريم كمان .. دى شوطة .

هل اصطدمت بهم من قبل ؟

– مرة واحدة كانوا عايزين يهدوا المقابر علشان يسووها بالأرض على السنة زى كلامهم .. فوقفت لهم عند المقابر بتاعة عيلتنا أنا وأولاد عمى وكانت حتحصل مجزرة لولا المركز عرف والمباحث جات البلد وهربوا السنية .

وماذا تفعل لو انتمى ابنك لهم مثلا ؟

– والله وقتها ما يلزمنيش وما يدخلش بيتى ويحرم عليه قوتى .. ثم تبدلت ملامحه لتأخذ شكلا قلقا مرتبكا وأضاف قائلاً : "محدش بيعرف يكلمهم والعيل زى ما يكون ركبه عفريت ويطلع من طوع أبوه ويقول عليه كافر .. " .

وما هو الحل إذن ؟

– إنت بتسألنى أنا .. عن نفسى بأدور على سفرية أو شغلانة فى مصر أو إسكندرية ، وربنا يتولانا برحمته .. ثم التفت حوله فجأة بقلق واضطراب وإستأذن منصرفا لمنزله .

ومضيت لمستشفى ديروط وعلى أبوابها شاهدت امرأة عجوزا تحمل كيسا ورقيا صغيرا به فاكهه أخذت أتفحصها من بعيد فالفيتها جالسة بمفردها كأنها تنتظر المجهول ، وقد علت ملامحها مشاعر هى مزيج من الحزن والقلق والخوف فاقتربت منها متوددا فعرفت أنها تدعى " نادية ع." من صنبو وقد حضرت لزيارة طفل من جيرانها اصيب فى الأحداث حينما كان يلعب بالقرب من مسجد الرضوان ، وعندما سألتها مندهشا عن حضورها بمفردها فى هذه الظروف وفى تلك القرية قالت بأسى يغلف لهجتها الصعيدية الحازمة :

- دا الواجب يا ولدى وربنا يكفيك شر البلاوى .

مين اللى ضرب الولد ؟

- يعلم ربنا .. أهو لما الطخ اشتغل الولد صابته رصاصة طايشة وأمه غلبانة مالجياش اللقمة وهو حيلتها بعد موت أبوه .

وهل تعريفين أحدا منهم ؟

- الناس كلها عارفاهم .. ومفيش حد يقدر يكلمهم .. دول جبارين يا ابنى .

وهـل تخافين منهم ؟

- حاخاف على إيه دا الرب واحد والعمر واحد .. وهمه يعنـى حيضربـوا حرمه فقيرة زيى ليه .. وربنا يسترها عليك وعلينا .

هل تعرض لك أحدهم من قبل ؟

- من الرجالة لا .. بس بعتوا لنا مرة بنت " مخمـرة " - تقصـد منتقبـة - وجعدت ويانا شـوية حريم كتير وفضلت تقول قال الله وقال الرسول واتخمـروا بس أنا شتمتها وقلت لها انتى أصغر من عيالى واحنا طبيعى حشمة وحريم كبـار مش مطمع فمشيت وهى بتقول لنا حتروحوا النار كلكم يا كفرة .

هل شاهـدت وقائع الإعتداء ؟

- أنا حرمة عجوزة ما باطلعش من بيتى .. وسمعت من الناس بيقولوا السنية بتحرق بيوت الأقباط وعايزين ياخدوا تار الشيخ عرفة من الحكومة ثـم اضـافت فجأة "ماتساعدنى ياولدى أخش العيادة أشوف الولد اليتيم" .. بذلت كل ما أملك مـن جهود دون تردد حتى مكنتها من الدخـول ومضيت أواصل تسكعى فـى أزقـة صنبو .. رائحة الدم .. والخوف وملصقات عديدة هنا وهنـاك تحمـل عبـارات "الرصاص قصاص" و " الخلافة قادمة " و " الحجاب عفة وطهارة " وجندى زائـغ النظرات يحمل صينية شاى بيد وسلاحه بيده الأخرى ..

وأغادر القرية صامتا حائرا .. ولا أعرف حتى ما يمكن كتابته .

الفصل الثـــانى

قانـون الحـلال والحـرام فى ســربو !

حكاية أخرى ... من داخل قرية مصرية أخـرى

"سربو" قرية مصرية صغيرة لم يظهر إسمها أبداً على الخريطة !

"سربو" لم يسمع بها أحـد سوى أهلها البسطاء الذين ينتمـون إداريـا إلـى محافظة "بنى سويف" من أعمال مصر المحروسة ...

أهالى " سربو" فى غاية الحيرة والدهشة ولايعرفون رأسهم من أرجلهم ! .

حتى فترة قصيرة مضت كان أهالى القرية يصلون فـى المسـجد ويعرفـون الحلال والحرام ، وفجأة أقيم مسجد آخر بالقوة والعنف بواسطة جماعات التطـرف فأحلوا الذى كانوا يظنونه حراماً .. وحرموا ما كانوا يعتقدون أنه حلالاً ..

وهذه هى الحكاية بالتفصيل المؤلم تهديها كاملة لوزارات الأوقاف .. والداخلية والخارجية .. والتموين أيضاً !

وأبدأ من حيث يجب أن تكون النهاية ممزقا بالحيرة بين الذى تعلمناه زمنا فى القـرآن الكريم وبين الفتاوى التى يشهرها فى وجوهنا أمراء هذا الزمان ! فعلـى حد علمى أن الله تعالى قد يسر على المسلمين صلواتهم بأن جعـل لهـم الأرض جميعها مسجدا وطهورا ولم يفرق بين مسجد وآخر ولكن جهابذة الإرهاب لهم رأى آخر فى هذا الموضوع ، فهم يقسمون المساجد لطوائف ويحرمـون الصـلاة فـى بعضها ويجيزونها فى البعض الآخر ويفضلونها فى مسـاجدهم فهنـاك – وفقـا لفتواهم – "مساجد الضرار" وهى التى تقيمها الدولة أو الأوقـاف أو حتـى عامـة الناس وحرموا الصلاة فيها بدعوى إقامتها لأغراض دنيوية .

والطائفة الثانية : هى ما أطلقوا عليها "المساجد المجهولة" وهى أغلب المساجد المنتشرة فى آلاف البلاد على امتدادها ويدعون أن هناك شكوكا تشوب كيفية ونية بنائها وهويتها وقد أجازوا الصلاة فيها وأضافوا "لكنها مكروهه" .

أما الطائفة الثالثة : فهى المساجد التى أنشأها الإخوة الأمراء فى غيبة القوانين وبتمويل غامض المصدر وعلى رقاب العباد بسطوة البنادق والجنازير وعلى الأراضى المغتصبة وأطلقوا عليها "مساجد التقوى" ويقصرون عليها الصلاة المقبولة والعبادة المستجابة !

لقد شهدت قريتى هذه المأساة كاملة فى كل فصولها ٠٠ وهنا التمس المعذرة لو جاءت روايتى حزينة ، فقد يجيد المرء الحديث عن أمور شتى ولكن حينما نكون بصدد الكلام عن موطن الميلاد .. ومهد الطفولة ومرتع الصبا ، ويرى المرء هؤلاء الطغاة الصغار يزحفون كالجراد على خضرتها ومآذنها وشبابها لابد أن تأتى الكلمات مزيجا من الآسى والحسرة لهذه القرية الوديعة التى تدعى "سربو" وهى مثل آلاف القرى الممتدة فى أحضان النيل وكانت دائما مغمورة ومستورة وقابعة فى أقصى الغرب من إحدى ضواحى مدينة مجهولة اسمها "سمسطا" تتبع محافظة بنى سويف ..

فى سربو مسجد عتيق إختلف الرواة حول تاريخ بنائه واتفقوا على اشتراك الجدود جميعا فى إنشائه ، وتتابعت عليه الترميمات من جيل لآخر ، وتراكمت داخله المقتنيات بدءا من حصر القش المتهالكة وحتى السجاد الفاخر ، ومن مصابيح الغاز البدائية إلى الثريات المبهرة ؛ وكان يقوم على خدمته رجلان ، أولهما خطيب وإمام ، والثانى خادم ومؤذن .. ولم يتفرغا يوما لهذه المهام بل عاشا كبقية أهل القرية دوما يمارسان الفلاحة بذرا وحرثا وحصادا جنبا إلى جنب مع هذا الدور التطوعى فى المسجد .

وإمام المسجد الشيخ "عبد الحفيظ" فلاح حتى النخاع وإن تعلم بالأزهر قليلا فى مستهل حياته ثم لبى نداء الحقول وشيخوخة أبيه ليقنع بهذا الدور بعد أن أجهض الفقر أحلامه فى مواصلة الطريق نحو الحصول على العالمية " والتى كانت أعلى شهادات الأزهر فى ذلك الزمان .. ولكنه استعان بما أدركه من ثقافة دينية متواضعة وفطرة سليمة واجتهاد مستمر ليخطب فى الناس يوم الجمعة شارحا

وواعظا ومذكرا دون أن يسعى للسيطرة أو التفتيش فى ضمائر الناس، وكان يقوم بدور آخر وهو الطقوس الخاصة بالوفاه منغسل الجثة ولفها بالكفن والصلاة عليهـا ثم يقـرأ القرآن فى المآتم وينهى الليالى الحزينة بخطبة عن الإسـتعانة بـالصبر والتذكير بالموت والأعمار والأقدار ، ويتناول عشاءه الذى يتفاوت وفقـا لأحـوال أهل الميت ، ويعود لمنزله ليستيقظ فى الفجر يصلى بالناس ويتجه مباشرة لحقلـه لايعود منه إلا لصلاة الظهر وبين الظهر والعصر يجلس أمام أحد الدكاكين التـى لاتقدم سوى الشاى الأسود ، ليشارك الناس حديثهم اليومى عـن مواعيـد الـرى واسعار المحاصيل وأخبار العالم والمشكلات اليومية .

وهكذا تدور الحياه دورتها حتى تأتى أيام الحصاد ، فيقدم الأهالى للرجلين ما يتناسب وقـدرتهم من قمح وذرة وغيره ليتقبلها الرجلان بنفوس راضية قانعـة .. ولم يدع "الشيخ عبد الحفظ" يوما كهنوتا أو خلافة أو إمارة ولم يحـدث أن أفتـى بتكفير أحد أو إهدار دم أحد .

ومضت الحياة هكذا حتى عرف أبناء وبنات "سربو" الطريق إلى المـدارس والجامعات ، فكانوا يذهبون جماعات للإقـامة فى الغرف الفقيرة علـى أطـراف المدن التى يدرسون بها فيحملون معهم الجبن والزبد والبيض والبلـح والحكايـات والعادات واللهجة وبإختصار قطعة صغيرة من القرية تؤنسهم حتى تحين العـودة للحقول وحتى هؤلاء الذين اضطرتهم ظروف الدراسة الجامعية للإقامـة بالقـاهرة عادوا فور انتهاء سنوات الدراسة للعمل بالقرية وضواحيها كمدرسين ومهندسـين وأطباء وخلافه إلى جانب زراعة أراضيهم التى ورثوها عن آبائهم ولا يجوز بيعها كجزء من الشرف أو هى الشرف كله .

وفوجئت "سربو" كلها يوما بفاروق الإبن الأكبر للشيخ عبد الحفيظ وقد عـاد للقرية بهيئة غريبة تختلف عما اعتادوه منه قبل التحاقه بكلية الآداب بالقاهرة .. فقد كان حليق الرأس وقد أطلق لحيته وحف شاربه وارتدى زيا غريبـا عبـارة عـن جلباب قصير وسروال طويل وأخذ يتحدث بطريقة أكثر غرابة وفـى أمـور لـم يتطرق لها أحد من قبل كضرورة تطبيق الحدود الشرعية وإقامة المجتمع الإسلامى الصحيح ويأمر بطقوس خاصة فى الصلاة وينهى عن إقامة المآتم وبنـاء المقـابر وينوه لفقهاء التراث كابن تيمية وابن القيم ..

ولكنه بالرغم من كل هذا ظل يصلى خلف أبيه ولايسعى للإصطـــدام بـأحد مكتفيا بتوجيه دعوته بوجه بشوش وابتسامة عريضـــة إخـــترقت أفئـدة البسـطاء وجعلتهم يلتفون حوله فى حلقات الدرس اليومية عقب صلاة العشــــاء ، مؤكـدا منهجه فى الإجتهاد نحو ضم أنصار جدد يوميا إلى صفوفه ، إيمانا منه بالبدء مـن قاعدة الهرم الإجتماعى ، وهكذا حتى أنهى فاروق دراسته وعـاد للقريـة ليعمـل مدرسا بالمعهد الدينى الأزهرى بمدينة سمسطا ويعلن انتماءه للجمعيـــة الشـرعية وتحددت ملامح هويته وسبل الدعوة التى اعتنقها ، وتشـابكت صلاتـــه بالهـالى والتحم بهمومهم وقضاياهم وتزوج إحدى بناتهم واحتوته القية بدلا مـن أن يتمـرد على نواميسها واعرافها ، وكثيرا ما كان يقوم بإمامة المصلين والخطبة فيهم حـال غياب والده لأى سبب من الأسباب ، وهكذا حتى سافر للعمل كمدرس بالسـعودية، وظل هناك طيلة أربعة أعوام متصلة وعاد ليجد شبابا نشأوا فى أحضان نشاطه وقد أطلقوا لحاهم واعتلوا المنبر عنوة وتصدروا صفوف المصلين ، ووجدا أبـاه وقـد داهمته الشيخوخة فأقعدته عن دوره التقليدى .

ولمع نجم أحد هؤلاء الشباب وهو مازال طالباً بكلية دار العلــوم ، ويدعـى "أشرف عاطف " ولكنه يحمل ملامح متجهمة ، ويصدر عنه حديث متصل يتهم فيه القرية وأهلها بالجاهلية والإبتعاد عن روح الإسلام، ويدعو للجهاد ضد الحكام مـن أعلى المستويات حتى الخفراء ويصفهم بالطواغيت ويشبههم بالتتار، ويبشر بإقامة الخلافة الإسلامية ، دون أن يتطرق لتفاصيل هذه الخلافة ومقوماتها وكأنه يتحدث عن مدينة فاضلة ، لم يعرفها الكون من قبل ويسلك فى سبيل ذلك سـلوكا مريبـا يجمع الصبية وذوى التاريخ الإجرامى حوله ويحفزهم للقيام بأعمال عدائيـة ضـد بعض الخفـراء والعمد وأهالى القرية ممن لايسيرون فى فلكـه ويذكـر الأهـالى حوارا دار بين أشرف وأحد الأطباء حول حالة مريض نفسى فسر حالته أشـرف على أنه "مس شيطانى" فعارضه الطبيب قائلا :

– مس شيطانى إيه ياشـيخ أشرف .. دى حالة نفسـية معروفـة للأطبـاء النفسـيين .

وهل تنكر وجود الشيطان يأخى .. سبحان الله!

® هارب الأن فى اليمن حيث إنخرط فى صفوف تنظيم الجماعة الإسلامية هناك .

– المسألة ملهاش دعوة بالشياطين ياشيخ .. دى أمراض نفسية .

تقصد إيه بالكلام ده ؟

– أقصد إن مسألة الشياطين والجن والكلام ده لاصلة لها بالعلم .

استغفر الله العظيم .. أنت بهذا الكلام تفصح عن الكفر صراحة وتنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة وهو أمر يخرج بمن يقوله من ملة الإسلام إلى الكفر ٠

وحينئذ أدرك الطبيب أن حواراً بهذا المنطق لافائدة من إستمراره وعندها آثر الصمت وانصرف مبتسماً بود مصطنع ، بينما مضى أشرف وجماعته يتمادون فى نشاطهم بإطالة الصلوات إلى ساعات دون مراعاة لمريض أو كهل ؛ ويقيمون الندوات طوال اليوم يصدرون خلالها فتاوى التكفير والجهاد وغيرها ويسعون لإستقطاب المزيد من الصبية وبسطاء الفلاحين ، لكنه بسلوكه هذا كان قد أثار ريبتهم وجعلهم ينفرون من التمادى معه بفطرة الفلاح وحذره ، فاقتصرت علاقتهم به بأداء الصلاة وتقلص حماسهم له ولجماعته وقد أدركوا الفوارق بينهم وبين أسلوب فاروق .

وتحول هذا الحماس إلى ما يشبه المقاطعة الفاترة حيال التدخل الصارخ من أشرف وجماعته فى شئون القرية وأعرافها ، كمحاولة منع إقامة الأفراح والهجوم على طقوس المآتم وخروج الفتيات للدراسة فى المدارس ، والفتوى بعدم جواز اللجوء للعمدة فى مشكلاتهم ومحاربة تراث القرية باسره .

أما ما حدث فى المسجد فقد كان شيئاً آخر من محاولات مستميتة فى السيطرة عليه ، فقد كان أشرف يبادر بالصعود للمنبر قبل وصول "الشيخ عبد الحفيظ" مما يجعل من مسألة التصدى لهذا السلوك أمرا لايحتمله جلال الموقف وهيبة المكان فيضطر الرجل للجلوس صاغراً فى صفوف المصلين مكرهاً على إستماع خطبة نارية الألفاظ والتعبيرات عن الدولة الكافرة والمجتمع الجاهلى والفريضة الغائبة ، وتحريم التعامل مع النصارى ومع الجمعية الزراعية ، والصلاة خلف أئمة الأوقاف وبناء المقابر للموتى وطقوس الإحتفال بالمولد النبوى وبقايا العادات الصوفية ، كإقامة الاذكار وقراءة الصحف وحتى أكل الخيار والباذنجان لما توحى به هذه

الخضروات – فى رأيهم – بمعان وإيحاءات جنسية ! ؛ ويتخلل هذا توجيه ألفاظ التأنيب والتوبيخ والسخرية من أهالى القرية وعاداتهم ويمتد إلى التحريض على مقاطعة رموز القرية وإباحة الإعتداء عليهم ، وتستمر خطبة أشرف حتى قبيل صلاة العصر بقليل فيصلى بالناس ، بينما يقف أحد الإخوة على باب المسجد حاملاً بين يديه صندوقاً خشبياً لجمع التبرعات لمؤازرة الجماعة .

وهكذا تصاعدت ممارسات أشرف وجماعته إلى حد الإقامة الدائمة بالمسجد بلا عمل متعللين بالإعتكاف بينما تحمل الأمهات والأخوات اللاتى يعملن بالحقول طوال اليوم لهم الطعام والشراب والملبس .

وهكذا كانت تمضى الأحوال حينما عاد فاروق من السعودية وقد إستطاع بما توافر لديه من معلومات عنهم وما تواتر حولهم من روايات وما اختزنته ذاكرته من تجارب ريادية فى هذا المجال .. استطاع بفضل كل هذا تحديد هوية هؤلاء الأشخاص جيداً .. ولكن على الرغم من هذا فضل أن يبادرهم بالحوار ومحاولة التفاهم ليحقق هدفين فى آن واحد ..

الأول : أن يتأكد من هويتهم تماما وإلى أى مدى توغلوا فى هذا الطريق .

والثانى : أن ينزع عنهم أقنعة التمسح الزائف فى الإسلام أمام الأهالى .

وتوالت اللقاءات وتعددت المناقشات وارتفعت حدتها إلى درجة تبادل الإتهامات وإرتياد مسالك وعرة فى الجدل العقيم .. واتهمهم فاروق بالغلو فى فهم الشريعة وتفسير الأحاديث النبوية وتحميل الناس ما لايطيقونه وضحالة ثقافتهم الفقهية بما لايسمح لهم بالتصدى للفتوى بينما إتهمه أشرف بالتواطؤ مع الحكام الكفار والعمل بالمدارس الحكومية وتقاضى مرتب من أموال الدولة الحرام ، والتقاعس عن الجهاد مع العلم به والتشبث بمتاع الدنيا ، وهكذا إمتدت الإتهامات حتى وصلت لمرحلة السخرية من شخصه .. وهذا يعنى الوصول إلى المواجهه الحتمية والطريق المسدود .

وأثر ذلك عقد فاروق العزم على إقامة فرع للجمعية الشرعية فى بالقرية يضم مسجدا ومكتبة ، وقد كان له ما أراد بوصفه أحد مؤسسى فرع الجمعية الشرعية فى بنى سويف ، وقد إستطاع بحنكته أن يجمع حوله أنصاراً ومؤيدين وإستهل

حملة جمع التبرعات بمبلغ مما أفاض عليه الله خلال عملــه بالســعودية وتوالــت التبرعات من أهالى القرية وأعيانها حتى إستصدر تصريحاً بإقامة المسجد وغــادر المسجد ، القديم تاركاً إياه لأشرف وجماعته مؤثرا السلامة والبعد عن الصـــراع ، بينما إستمرت الجماعة فى إصدار فتـاوى التكفير التى إنهمـــرت علـــى فـــاروق صراحة ؛ وعقد المؤتمرات التى يحضر لها غرباء لهم نفــس الملامــح يســتقلون الدراجات البخــارية ، حتى كان يوماً مشهوداً أعدوا العدة قبله لإستقبال أمير بنـــى سويف "الشيخ مجدى * " الهارب دائما من مطـــاردة أجهــزة الأمــن ، وصـــاحب المبادرات الأولى فى إرتكاب وقائع العنف والصدام المسلح مع السلطات ولخصوم وقائد الجناح العسكرى فى تنظيم الجماعة الإسلامية بعد فرار مصطفى حمزة إلـــى الخارج وبالإضافة لذلك فهو المسئول الأول عن كل الأحــداث الإرهابيــة التـــى شهدتها قرى ومدن محافظة بنى سويف ؛ وقد أخذ هذا الإستعداد مظـــاهر متعـــددة بدأت بالإعلان المكثف عن هذا اللقاء وتبعه إعداد الولائم ونحر الذبـــائح وتمهيـد الطرق وتأمين المسجد ومنافذ القرية بشباب من القرية والقـــرى المجـــاورة ممـــن يحملون الجنازير والأسلحة النارية والبيضاء ، ووضع مكبرات الصـــوت خـــارج المسجد ..

وحضر الأمير وألقى خطبة عصماء اســتخدم فيهـــا براعتـــه الفائقـــة علـــى التحريض والإثارة وتكفير العباد ووصف فاروق "بمســيلمة الكــذاب" ثــم تنـــاول ومرافقوه من المجاهدين "العقيقة" وبارك خطى أشرف وصحبتـــه واعــترف بهـــم كإمارةفرعية واجتمع بهم منفـــردين ونبههم بل وحضهم علـــــى ضـــرورة البـــدء بمواجهة فاروق ونموه المطرد ، وأنهم أولى بهذه الأعداد الغفيرة التى تلتف حولـــه ثم انصرف ومرافقوه المتجهمون على دراجاتهم البخارية فيما يشبه المظاهرة .

شــــرعية الإمـــارة :

وهكذا إكتسب أشرف منصب الإمارة فى القرية وأضفيت على جماعته شرعية الإعتراف من المستوى الأعلى فى بنى سويف ، وفى الأيام التالية دعـــاهم لعقــد

---

* تسلمته السلطات المصرية من السلطات الأردنية وما زال محبوساً على ذمـــة عـــدة قضايـــا إرهابية .

مجلس شورى الجماعة فى القرية للنظر فى أمر فاروق وما يجب عمله .. وهنا ننوه للشكل التنظيمى لمجلس الشورى الذى يراسه الأمير ، وتتبثق منه لجان ثلاث هى "العدة" و "الدعوة" و "بيت المال" ، وأن الفتاوى الصادرة من المجلس لاتخضع لمفاهيم الديمقراطية بالمعنى المتعارف عليه من سيادة رأى الأغلبية بل تسير الأمور وفقا لهى الأمير وقصرا على رأيه ، ومخالفته تعنى الكفر والردة وتنحصر مهمة أعضاء المجلس المزعوم فى مجرد اقتراح الحلول وتزويده بالمعلومات وتنفيذ قراره دون مناقشة فى صلب الموضوع بالإضافة لخلع ثوب الفتوى الشرعية على هذا القرار بما يستوجب نفاذه - وسبق لنا توضيح ذلك بالتفصيل فى معرض حديثنا عن البناء التنظيمى لجماعات الإرهاب من الداخل - ونعود مرة أخرى للأدلة التى ساقها الأمير الجديد ضد فاروق على النحو التالى :

أن فاروق متفقه فى علوم الدين بما ينفى عنه عذر الجهل بالشريعة .

وأنه يعمل بمدارس حكومية ويتقاضى منها أموالا حراما هى حصيلة الربا .

وأنه قيادى فى الجمعية الشرعية المقننة والمشهرة فى أجهزة الحكومية الكافرة كوزارة الشئون الإجتماعية .

وأنه ينكر فريضة الجهاد وهى أحد أركان الإسلام مما يجعله مرتدا .

وأنه يتطاول على الجماعة وفكرها بما يضعه فى دار الحرب معهم ويوجب الجهاد ضده ويبيح إهدار دمه .

وأنه مرتد يحارب جماعة المسلمين بالقول والفعل ويجب القصاص منه حتى يكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه محاربة الصحوة الإسلامية وشبابها .

وهكذا إنعقد العزم على وضع خطة للتخلص منه وتكليف ثلاثة منهم لتنفيذها فعلا وقد تربصوا له فى الحقول المحيطة بالطريق الزراعى المؤدى لإحدى القرى المجاورة وهو يستقل دراجة بخارية خلف أحد أعوانه فى طريقهما للإلقاء درس بأحد مساجد هذه القرية .. وانقضوا عليه وهم ملثمون وأوسعوه ضربا بالعصى والجنازير ، لم ينهم عن قتله إلا مقاومته هو ورفيقه واستغاثتهما ، فترامت اصوات المعركة لنفر من الفلاحين فى الحقول المحيطة وعندئذ فر الجناه خشية اكتشاف أمرهم أو أشخاصهم ، وظل فاروق إثر هذه المعركة مريضا ملازما للفراش ما يزيد على شهر ولم يبلغ السلطات رغبة منه فى كسب ود الأهالى من

ناحية وخوفا من اتهامه بالإستعانة بالشرطة "أعداء الله" وتأكيدا على سلوك راسخ فى نفوس القرويين بعدم تحبيذ اللجوء للشرطة .

وقد اكتسب بهذا التصرف تعاطف الجميع وأشارت أصابع الإتهام لشرف وجماعته ، وترامت أنباء هذا الإعتداء لمسئولى الأمن ، فألقى القبض على أشرف ونفر من جماعته ليعتقلوا فترة وكلفت وزارة الأوقاف صرافا من القرية ، تلقى فى مستهل حياته تعليما أزهريا بإلقاء خطبة الجمعة مقابل مبلغ رمزى ومنعت الجماعة من ارتياد المسجد وهكذا سارت الأمور حتى أفرج عن الأمير وأتباعه فعادوا للقرية أشد ضراوة وأكثر تحفزا مما كانوا عليه قبل اعتقالهم واستهلوا نشاطهم الجديد بالفتوى بعدم جواز الصلاة فى مسجد الجمعية الشرعية خلف فاروق لأنه مسجد ضرار أقيم لأغراض الدنيا ؛ وكراهية الصلاة فى المسجد القديم للشك فى هويته وعدم جواز أن يخطب الصراف فى المسجد وسخروا منه واتهموه بالولاء للأوقاف وأكل أموال الربا ومساندة الطواغيت .

وعقدوا النية على ضرورة إقامة مسجد خاص بهم يديرونه وفقا لمنهجهم ويتصرفون فى شئونه دون منازع ويؤسسونه على التقوى – كما يزعمون – واتجهت أنظارهم – وفقا لتفكير عميق ودراسة لإحتمالات المخاطرة – لإحدى قطع الأراضى البؤر المملوكة لإقطاعى قديم لايقيم بالقرية ، وتناثر ورثته فى البلاد وبدأوا حملة شرسة لجمع الأموال من الإخوة فى القرى المجاورة واشتروا الطوب الأحمر ومواد البناء ووضعوها فى الأرض التى استعدوا لإقامة المسجد عليها ، وكان لابد من البناء من وراء ظهر المسئولين ورغما عن أنف المعارضين من الأهالى وانطلاقا من هذه الفكرة بادروا بالإعتداء على أحد الخفراء النظاميين بالضرب حينما شاهدوه يحوم حول المكان ، بحجة أنه حضر للتجسس عليهم وكانت هذه رسالة موجهه لكل من تسول له نفسه إعتراض طريقهم.

وفى توقيت محسوب بدقة وعقب صلاة المغرب مباشرة حضرت قوافل من الدراجات البخارية وسيارات النقل المحملة بجحافل من الإخوة الملتحين مكبرين مهللين ، وأخذ بعضهم فى أعمال البناء وآخرون فى مدخل القرية مسلحين بالبنادق والجنازير والسيوف تأهبا لأى صدام محتمل مع الشرطة أو الأهالى .

ومضى العمل على قدم وساق تتخلله الأناشيد الدينية والهتافات ، بينما وقفت القرية بأسرها بين مندهش ومتفرج وخائف من هؤلاء الغرباء القادمين من كل

مكان وذوى الوجوه المتجهمة حتى شهدت خيوط الفجر الأولى بناء غريب الملامح رفعت فيه الشعائر والأذان وعلقت عليه لافتة تحمل "مسجد الرحمن" وأقام الغرباء المتحفزون للعنف صلاة الفجر ثم توجهوا للأشجار المحيطة بالطريق الزراعى فقطعوها وجعلوا منها سقفا للمسجد وفرشوا الأرضية بالحصير وزودوه بالمصاحف والكتب الدينية .

وصار الأمر واقعا لاجدال فيه ولو كانت الوسائل إرهابية والتمويل غامضا فإن أحدا لايجرؤ على مجرد التفكير فى إزالة هذا المبنى وقد أصبح مسجدا واكتسب قدسية وحرمة بيوت الله .

وبهذا أصبح فى قريتنا المغمورة ثلاثة مساجد .. وأمير ومجاهدون .

– **المسجد القديم** : الذى إختلف الرواه على تاريخ إنشائه واتفقوا على مشاركة جميع الجدود فى بنائه وتعاقبت عليه أعمال الترميم وغزوات الطامعين وإستقر على منبره صراف القرية المنتدب من الأوقاف ليقرأ خطبة الجمعة من ورقة ويصلى خلفه عجائز القرية حفاظا على العهد ووفاء لذكرى الجدود .

– **مسجد الجمعية الشرعية** : الذى أسسه فاروق بأموال – أنعم الله عليه بها – من السعودية وتبرعات أنصاره ووجهاء القرية ويصلى خلفه كثيرون من الشباب والشيوخ وأغلبهم غرباء من القرى المجاورة أتوا حباً وكرامة لفاروق .

– **ومسجد الأمراء**: الذى أقامه أمراء الجنازير وفقهاء التكفير فى ليلة مظلمة وعلى أرض مغتصبة وبأيدى الغرباء وبتمويل غامض المصادر وأطلقوا عليه وصف "التقوى" ويصلى به شرذمة من الصبية والعاطلين والمغامرين والهامشيين والغرباء المريبين أيضاً .

ومازالت الحيرة تنهش عقول أهالى "سربو" .. ففى أى المساجد تجوز الصلاة ؟

وخلف أى الأئمة تستجاب الدعوات ؟!

<u>ملحوظة أخيرة :</u>

هذه القصة تتكرر فى مئات القرى المصرية وبنفس السيناريو أو على الأقل قابلة للتكرار بكل بساطة ودون أدنى قيد أو شرط .

الفصل الثالث

وكيف يواجه البسطاء زحف التطرف ؟
تجربة تستحق التسجيل والإشادة

يجب أن نصفق لهؤلاء البسطاء من أهالى الصعيد وبالتحديد فى "تجوع البدارى" بأسيوط .

نصفق لهم لأنهم ببساطة لم يستسلموا لدعاوى المتطرفين وأفكارهم ولم يكتفوا بالرفض بل تصدوا لهم فى ملحمة رائعة كل أبطالها من البسطاء ..أصحاب الفضل على مر العصور فى صناعة الحضارات .

جرى ذلك كله بعد وفاة " العمدة " وبدأية الإستعدادات لإختيار العمدة الجديد وكان للأهالى هذا الموقف الرائع والمشرف الذى يثبت مدى صعوبة خداع المصريين وخاصة إذا كانوا من البسطاء .. والمثير أن الأمر يزداد صعوبة كلما إزداد الناس بساطة .

والحكاية بدأت حينما دبت الحياة فجأة فى النجوع عقب وفاة العمدة فهمى الرفاعى .. وعاد الصراع التقليدى القديم ليغمر مجتمع النجوع بين عائلتى الرفاعى وهمام ، وقد كان بينهما ما يشبه التحالف ضد سطوة إحدى العائلات الإقطاعية التى كانت تسيطر على مقدرات البلاد والعباد آنذاك ، وقد لعب فهمى الرفاعى طيلة سنوات حياته ضمانا شخصيا ينحصر فى ذاته هو ومقدرته على إمتصاص صدمات كانت تقع بين الحين والآخر فى النجوع وبوفاته بدأ أفراد عائلته يتحدثون عن ترشيح الحاج عبد الله الرفاعى خلفا له ، بينما يتحدث أفراد عائلة همام عن وجوب إنتقال المنصب لكبيرهم خلف همام وكانت حجتهم فى ذلك أنهم قد تركوا هذا المنصب للرفاعية حتى توفى كبيرهم وأن السلطة لابد أن تتداول بين العائلتين وفقا للتحالف القديم .. وأن الدور الآن عليهم بينما يعز على الرفاعية تسليم مقاليد

هذا الشـــرف الرفيع ببساطة فيصرون على ضرورة بقـــاء المنصـــب فيهـــم دون غيرهم – لأنهم الأكثر عددا – وبهذا اصطدمت الرغبات واحتدم الصراع ودخـــل حلبة الواقع بمجـــرد فتح باب الترشيح فتقدم خلف همام وعبد الله الرفاعى وبدأت المعركة . ففى الوقـــت الذى يقف فيه وراء خلف همام أسرة أقل عددا من هـــؤلاء المساندين لعبد الله الرفـــاعى إلا أن كل العائلات الصغيرة الأخـــرى قـــد أعلنـــت تحالفها لخلف همام ليس بدافع الحب وحده ولكن بدافع الكراهية لعائلـــة الرفـــاعى والتى استأثرت بالمنصب ما يربو على عشر سنوات .

حكاية الشيخ حمدان :

كان حمدان كعشرات الشباب فى القرية قد غادر النجوع فى طريقه لجامعـــة القاهرة يحمل بين جوانحه حلما يتجاوز قدراته ، وطموحـــا يصطـــدم بـــالظروف الإجتماعية والإقتصادية المحيطة به ، فهو الإبن الأكبر لعـــامل زراعـــى يجـــوب النجوع كلها بحثا عن فرصة عمل لدى أحد أصحاب الأراضى .. وحينما إلتحـــق حمدان ضمن عدد من أبناء النجوع بالجامعة كان زميله ورفيق مشـــواره . رغـــم تناقض الظروف والقدرات – هو سعيد خلف همام .. وقد مضت سنوات الجامعـــة بذات القانون الذى ظن حمدان أنه قد فر منه بمجرد مغادرته للنجوع ولكنـــه ظـــل يطارده فبينما استأجر سعيد وإثنان من أبناء عمومته الموسرين شقة جيدة للإقامـــة بها لم يستطع حمدان الإقامة إلا فى غرفة مظلمة ضمن عدد مـــن زملائـــه وفـــى أطراف المدينة .. وفى أحد المنازل التى هجرها قاطنوها خشية إنهيارها فى أيـــة لحظة .. بالإضافة لمظهر سعيد همام الأنيـــق الذى يكفـــل لـــه إحـــترام زملائـــه القاهريين ويستحوذ على إنتباه الفتيات نسبياً .

ظل حمدان أسيراً للبنطلون الأزرق والقميص السماوى الباهت اللذين لم يتغيرا مع تغـــير الأيام أو الفصول فكان يبدو منفراً فى مجتمع طـــلاب الجامعـــة الذيـــن يولون مثل هذه الأمور إهتماماً بالغـــاً ، وعندما شرع فـــى لفـــت الإنتبـــاه نحـــوه بمحاولة توجيه بعض الأسئلة للمحاضرين لم يكن أحدهم يمهله حتى يستكمل حديثه حتى ينهره ويبتلع حمدان مشاعر القهر والخجل وينكمش داخل نفسه ومقعده .

ولم يشعر حمدان حينذاك بشئ واضح فقد احتوته غيبوبة أفاق منها على دعوة زميل له يرتدى الجلباب ويطلق لحيته وبدعوة للصلاة عقب إنتهاء المحاضرة وقد

إمتزجت كلماته بمشاعر العطف واللوم معا فتبعه حمدان وصلى معـــه فـــى أحـــد المساجد المجاورة للجامعة واســتبقاه الأخ لإستماع درس يلقيه أحد الإخوة الذيـــن أنعم الله عليهم بفيض من علمه - على حد تعبير الأخ الملتحى - وتلقـــى حمـــدان هذه الدعوة أو الأمر بروح غلبتها الإستكانة أو الإستسلام وكمن عثر على ضالتـــه المنشودة أخيرا أوعرف طريقه الصحيح وجد نفسه يتردد بانتظام علـــى المســـجد وعلى الأخ الملتحى ويستجيب لمنهجه فيطلق لحيته ويقـــاطع الفتيـــات ومجـــالس الشباب الماجن ويتوغل فى كتب إبن تيمية والغزالى وسيد قطب .. فقد كـــان الآن يتحدث فلا يقاطعه أو ينهره أحد؛ ويسعى لصداقة الإخوة فلا يتنصل أحدهم منـــه ، بل والحديث إلى الأخوات - ولو كان فى حدود لايتجاوزها - ولكنه حديث إلى فتاة لاتسخر منه ولا تهينه ؛ ويرتدى الجلباب فيتخلص من عنـــاء إرتـــداء "**البنطلـــون الأثرى**" بلا حرج ، وهكذا أمعن حمدان فى الإنتماء للجماعة وألقى بذاته كلية فـــى أحضان أعضائها واجتهد فى التفوق عليهم بالإنقطاع للقراءة فـــى علـــوم الديـــن والإنسحاب من العالم الخارجى حتى الدراسة أهملها وكـــان يـــبرر ذلـــك لنفســـه وللآخرين بأن مثل هذه الدراسة الدنيوية لاتعـــدو أن تكون مضيعة للوقت والجهـــد فيما لاينفع المسلم فى شئ .. حتى وجد نفسه وقد صار أميرا للجماعة فى الكليـــة عقب تخرج القدامى من الإخوة وأنهى دراســـته - بالأقدميـــة المطلقـــة - وبعـــد مرورتسعة أعوام عاد للنجوع بمظهر مختلف ومسلك مثـــير للإنتبـــاه .. ومنهـــج يفرض إحترامه على الجميع فرضا ويجبرهم على إستماعه بين آهـــات الإعجـــاب وزفرات الندم ، ولما حاول رجال القرية تبين ما طرأ على شخصيته من مستجدات وكيفية حدوثها كان يكتفى بعـــبارة موجزة "إن الله يهدى من يشاء" ويعقبها بدعـــاء قرآنى يلقيه بطريقة مؤثرة "ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" .

ويعود لموضوعه مرة أخرى مفسراً وشارحاً ومفتياً ومستعيناً بقدرته الكبـــيرة على الخطابة واستقطاب البسطاء بنقد الأوضاع الإجتماعية والسياســـية (الظالمـــة) حتى صار له أنصار ومريدون وأتباع ومضت أيام حتى عين سعيد همام بفضـــل مساعى ذويه وكيلا للنيابة بينما إنحصر دور حمدان فى العمل بالمحاماه والإكتفـــاء بالدفـــاع عن المتهمين فى قضايا الإرهاب من أعضاء جماعته والإخوة الســـائرين

فى فلكهم وقويت شوكته وتصدر المجالس ورغم استمرار والده فى العمل أجيرا لدى الآخرين لم ينتقص هذا الأمر من شأنه شيئا أوعلى الأقل فيما يبديه الأهالى أمامه من احترام فكان ينظر إليه كحالة خاصة لاتخضع للمفاهيم القبلية وقانونها .

وتزوج حمدان من إحدى شقيقات أحد أتباعه والذى كان ابنا لأحد النازحين من الدلتا للصعيد للعمل كموظف صغير بالإدارة الزراعية بالنجوع واستقر به المقام فيها .. وكان إختيار حمدان من الذكاء ما يكفل له عدم الإصطدام بمنطق العصبيات فى أحرج نقاطه وهو المصاهرة .

والسؤال .. هل تمكن حمدان بهذا المنطق أن يغير خارطة المجتمع الذى نشأ فى أحضان القبلية وإحترام التقاليد الصارمة طويلا ؟

حلف (حمدان ـــ الرفاعى) :

وهذا السؤال تجيب عنه تجربة اقتحامه لإنتخابات "العمودية" فى النجوع وما لعبه خلالها من دور بالغ الدلالة والحساسية فعندما شعر الرفاعية باهتزاز موقفهم إزاء مؤازرة العائلات الأخرى لخلف همام إتجهت أنظارهم لحمدان وجماعته .. وكانت حيلة ذكية وخبيثة فهو يتمتع باحترام الجميع .

وتوجه عبد الله الرفاعى على رأس وفد من أقاربه لمنزل الشيخ حمدان وبحنكة فطرية عرضوا عليه التقدم لشغل منصب العمدة – وعلى حد تعبيرهم حقنا للدماء ومنعا للمصادمات المتوقعة وهو أحق الناس بتحمل مسئولية ولاية الناس فى النجوع أمام الرب والعبد .. وفوجئ حمدان بهذا العرض الذى لو سمعه أبوه لما صدقه ، ولكن الرفاعية مضوا فى طريقهم لإقناعه فلعلهم يفوزون بتأييده .

وأطرق حمدان مأخوذا بهول المفاجأة التى لم يستعد لها يوما وأدرك حيلتهم فاختار أن يقتنص الفرصة لصالحه وإكتفى برده أنه لابد أن يستخير الله ويستشير أهل الحل والعقد من جماعته فى هذا الشأن حتى يتدارسوا الأمر فيما بينهم ، وفى اليوم التالى إستدعى رؤوس جماعته وطرح أمامهم عرض الرفاعية بشكل محايد ودارت بينهم مناقشات ساخنة حول القبول و الرفض فمعارضون يرون ضرورة الإبتعاد عن هذه الأمور ووصفوها بالمهزلة التى ستضعهم كجزء من نظام يرفضونه بأكمله ، ويستتبعه مسئوليات رسمية ومعاملات مع أجهزة الشرطة

والإدارة المحلية هم فى غنى عنها ، ومؤيدون ينادون بضرورة عدم التنصل من واجب الولاية الذى يجب أن تقوم به "جماعة المسلمين" فكيف يرفضونه بعد أن شاء الله أن يسعى إليهم سعيا .. وأن العمدة هو الوالى الذى يجب أن تتحقق فيه شروط الإسلام المقصورة عليهم وأن الهرب منه موقف سلبى لايناسب السعى لإقامة مجتمع مسلم يحكم بما أنزل الله .

وجاءت كلمة حمدان لتكون القول الفصل مقرراً قبول العرض بشكل جزئى بمعنى تأييد عبد الله الرفاعي ليكون هو العمدة الذى صنعوه والأداة الطيعة فى أيديهم ويجيب على الجميع مناصرته بكل ما أوتوا من قوة وتأثير كل حسب قدرته حتى يفوز .

ومنذ هذه اللحظة لم تنم النجوع وساد الأجواء ترقب مريب .. وهدوء يسبق العواصف وتحول شيوخ النجوع إلى محللين سياسيين .. وشبابها إلى قادة عسكريين .. ونساؤها إلى وكالات إخبارية .. ومنازلها لقاعات مؤتمرات أو مؤامرات ، ودبت الحياة فى الشوارع والأزقة والحقول وكأنما ألقى بحجر ضخم فى بركة راكدة فتتابعت الدوائر وامتدت لتقتحم كل أوجه النشاط الإجتماعى .

هذا ما كان من أمر الرفاعية وعائلة حمدان .. وفى نفس التوقيت كان على عائلة همام مقاومة هذا التحالف والإختراق لصفوفهم بواسطة حمدان وجماعته التى تضم فى صفوفها شبابا منهم ستذهب – وفقا للتحالف والولاء للجماعة – أصواتهم لخصومهم ودعا خلف همام كل رجال عائلته والعائلات المؤيدة له لمنزله لتدبر أمرهم وحساب المتغيرات المستجدة على ساحة الإنتخابات عقب إعلان تحالف "حمدان–الرفاعى" وبدت حينئذ ملامح الحاج "خلف همام" مفرطة الجدية وكستها الجهامة وبدأ صوته يخرج متأثرا ومؤثرا يخاطب رؤوس العائلات قائلا : "إنه فى غنى عن تذكيرهم بحكاية حمدان ودوافع إرتباطه بالرفاعية والفائدة التى ستعود عليهما معاً من وراء هذا التحالف والتى سيدفع أهالى النجوع وفى مقدمتهم آل همام ثمنها من كرامتهم ومكانتهم " .

ثم لوح بالنتائج التى ستترتب على تقاعسهم وفوز الرفاعية والسنية الأمر الذى ستتضاءل معه قيمتهم وقاماتهم .. وخطورة أن تذهب أصوات الأبناء

السائرين فى فلك حمدان لخصومهم .. وأن الإبن لايجب أن ينخدع إلى هذا الحد .. وأن مسئولية كل رجل عن أبنائه لاتقل عن مسئوليته عن زوجته كماً وكيفاً .. وضماناً لجدية التنفيذ وعدم إختلاط الأوراق إشترط أن تكون وسيلة إنتخاب هؤلاء المشكوك فى ولائهم شفاهة حتى من كان منهم يجيد القراءة والكتابة .

واختتم حديثه بمشهد بالغ الجدية بأن نهض وأحضر مصحفا وطلب أن يتقدم لحلف اليمين من يوافقه على هذه المبادئ .. وحلف جميع الحاضرين . وانصرفوا وقد شعر كل منهم بخطورة المسئولية المقدم عليها فإن تأثير حمدان على أبنائهم ليس أمراً يسهل إقناعهم بالتراجع عنه ، ولم يتصور أحدهم أن تأتى المواجهة بهذا الشكل .. وبهذه الطريقة التى تلزمه إستعادة إبنه لحظيرة الطاعة فى أقرب وقت ممكن وقد كانت بالفعل معركة إجتماعية ضارية استخدم فيها حمدان كل أسلحته .

وحتى هؤلاء الذين فضلوا الهرب والإقامة بالمسجد صحبة حمدان كان يرسل لهم آباؤهم بأمهاتهم بدعوى مرض الآباء أو غيره حتى يمكن فض الأمر .. ولا ينسى الأهالى مقولة الحاج حسن همام لإبنه ..

"ياولدى حمدان مشى نبى ولا رسول علشان يأكل مخك كدة .

ولكنه رجل يعرف حدود الله جيدا .

– واحنا ميتى خطينا حدود الله .. دى انتخابات وأنا وأخوى على ابن عمى.

لكنه يعمل لوجه الله .

– كلنا نعمل لوجه الله .. والأقربون أولى بالمعروف.

كان الرجل يخاطب الإنسان الصعيدى البسيط داخل إبنه ..

.. وعلى الرغم من كل هذا فقد شهدت النجوع أنماطا اجتماعية لم تشهدها من قبل فقد كان هناك شباب يؤيدون حمدان ويجتمعون مع آل الرفاعى ثم يعودون للمبيت والإقامة بمنازل ذويهم آل همام ويتزوج من بنات عائلات أخرى .. وكان لابد أن يتسق هذا التفتت لتأخذ الأمور إطارا "متناغما" لايناقض نفسه ولايصطدم

مع مكوناته الأولية ، وأنت مرحلة الطعون الإنتخابية لتكون بمثابة المصفاه التي تعلق بها كل الشوائب والبقايا التي تطمس وجه الحقائق القابعة في نفوس البشر هنا بعد أن مزقها الصراع متعدد الأبعاد والمتشابك الأهداف .

الطعـــون :

والطعون إجراء كفله القانون لكل خصم في الإنتخابات فيحق لـــه أن يوجـه الإتهامات التي يراها لخصمه ويعد الأدلة والقرائن التي تؤيد دعواه وفي الوقت ذاته لايحرم الخصم حق الدفاع عن نفسه وتتشكل هيئة رسمية من ضباط كبار بمديرية الأمن ويرأسها قاض بدرجة مستشار للنظر في أمر الطعون ، وقد تبادل الطرفان كمية هائلة من الطعون تبدأ بالإتهام بأمية المرشح وتمر بضعف النصاب المالي المقرر قانوناً لشغل المنصب والإتهام بالتواطؤ مع الجماعات المتطرفة والقربى لخطرين على الأمن وذوي سوابق جنائية ولا تنتهي الطعون ..

وتطوع عشرات المثقفين من أبناء العائلتين من محامين وقضاة وأعضاء نيابة وضباط لتوجيه دفة الصراع القانوني يمينا ويسارا وإعداد الدفوع ضد التهم المضادة لهم ولم يفت هذا السباق طائفة محترفي الشكايات الذين يتعج بهم النجوع وضواحيها وتزدحم بهم طرقات المحاكم والنيابة .. وهنا وجد الشباب المتخبطون أنفسهم في مواجهة صريحة مع ذواتهم فهذا يطعن في أبيه وهذا يتهم إبن عمه بالسرقة أو سابقه الإعتقال وعاد الضالون إلى مواقعهم التقليدية بعد أن علت نغمة العصبية والقبلية ، وحددت جلسة لنظر الطعون وتلتها عشرات الجلسات ، وطلبت تقارير الأمن والجهات الرسمية وفوجئ الجميع بقبول كل الطعون شكلا ورفضها موضوعا وأصبحت الإنتخابات هي البديل الذي لا مفر منه لحسم هذا الصراع وعاد قانون النجوع الأزلي ليفرض مواده ونصوصه غير المدونة على الجميع ويعيد ترتيب العلاقات في مواضعها المألوفة بعد أن تمكن حمدان من إختراقها زمنا ، وكانت قد لاحت في الأفق النتائج المحتومة بعد أن حاقت بمؤامرة "الرفاعي – حمدان" ، بشائر الخيبة والتفكك وخبت آمالهم في تفريق دماء الضحايا بين القبائل ، وهنا وجد "حمدان" نفسه وقد وقف عاجزاً وحيداً تتهدده نتائج ليست في صالحه ، فلا مفر من هزيمة حليفه الرفاعي ، فانتهز فرصة

خطبة الجمعة ووقف يصف هذا الصراع بأنه مهزلة دامية ليست من الإسلام فـــى شئ وأعلن تنصله عن مواقفه الأولى وعدم تأييده لأى منهما ودعا الجميـــع إلـــى مقاطعة الإشتراك فى هذه المهزلة وانتقد الطرفين ، ولما كانت خطبة الجمعة لايليق بجلالها أن تكون مجلساً للحوار أو الإختلاف أو الجـدل فقد إبتلع المصلون ســهام كلماته بصعوبة وهم يغـالبون شعوراً جارفاً بالإبتسـام تارة والإشـمئزاز تـارة أخرى من هذا الحديث الذى لايلائم جلال بيوت الله ، وما أن إنتهت الصلاة حتـى تزاحمت التعليقات والضحكات على أبواب المسجـد وخرج المصلون كـل منهـم يتبعة أبناؤه وتحيط بهم مشاعر حميمة .. توجهوا إلى منازلهم ولـم يتبـق سـوى أسبوع على موعد الإنتخابات ..

" **الـتنـازل** "

وأدرك عبد الله الرفاعى المأزق الذى آل إليه وانزلق فيه فانطلق إلى القـاهرة ومعه عدد من أتباعه ليطرقوا الأبواب بهدف إلغاء العمودية من أساسها ٠٠ ولمـا كان مثل هـذا الأمر يتطلب قرارا وزاريا من وزير الداخلية شـخصياً ولايصـدر مثل هذا القرار بين يوم وليلة ولايصدر فى مثل هذه الظروف التى يكتـب عنهـا رجال الإدارة المحلية تقريراً لمسئولى الداخلية فقد قوبل طلبه بالرفض ، وهنا فضل عبد الله الرفاعى الإنسحـاب من المعركة على الهزيمة فيها وقـدم تنـازلاً عـن ترشيح نفسه ليفوز خلف همام بالتزكية وعندئذ تقدم الحاج خلف همـام لخصمـه الذى تنازل ليطلب يد ابنته الطالبة بكلية التربية بأسيوط لنجـله سعيد همام وكيـل النيابة ولم يتردد الرجل فى قبول طلب المصاهرة ، وقد حضر مع خـلف همـام كبار رجال النجوع ومأمور المركز ورجال الإدارة .. وقبل أن يعقد القران الـذى استعدت له النجوع بكل عائلاتها كان هناك رسول يسعى من طرف حمـدان إلـى خلف همام يطلب إليه أن يلتزم فى حفل الزواج بالتقاليد الإسلامية وأن يمتنع عـن المظاهر المخالفة للدين كالغناء أو الرقص أو الموسيقى ولاداعى لتصعيد الأمور .. ثم اختتم الرسول حديثه المنقول عن حمدان بأنه يفضل الموعظـة الحسـنة علـى غيرها .. فيمـا يشبه التهديد .. ولم يصمت الرجل كثيرا وجاءت كلماته للرسـول واضحة يقول فيها : "اذهب ياولدى إلى شيخك وأبلغه بأنه معزوم على الفـرح وأن

الله الذى يتحدث عنه هو رب العباد جميعا وأننا نخشاه ونعبده مثلنا مثل شيخك وأن الضيف لايجوز له أن يملى الشروط على طريقة مضيفة وإن لم تعجبـه الطريقـة فليلزم داره ولايملى علينا شـروطه .." واختتم حديثه بإبتسامة وأضاف للرسـول أنت أيضا مدعو على الفرح .

وحينما عاد الرحل لحمدان وجده فى حالة تستحق الرثاء والعطف فهـو قلـق لايسـتقر له قرار .. وتعلو ملامحه علامـات الـترقب فاسـتوضح الأمـر مـن الحاضرين فأجابوا بأن زوجة الشيخ قد داهمتها أعراض المخاض ٠٠ ولم يكد ينقل له رد العمدة حتى إختلطت الصرخات الأولى للطفل بطلقات الرصاص إبتهاجـا بحفل العرس على طريقة الصعايدة الشهيرة .

إضـافة أخـيـرة : تصادف أن صدر قرار وزير الداخلية بعد أسبوع مـن هذه المعركة يقضى بإلغاء إنتخابات العمودية نهائياً ، وأن يكـون إختيـار العمـد بالتعيين من خلال لجنة ثلاثية عليا مكونة مـن وزراء العـدل والإدارة المحليـة والداخـلية .

الفصل الرابـــع

الصعيـــد بين الثأر ...والإرهــاب

قراءة فى الملفات الملتهبة

هل يحتاج الثأر إلى مقدمات ؟

الحقيقة أنه فى حاجة إلى أسئلة ...

وبحث عن إجابات ؟

إن الصعيد – بكل ما له من أهمية –لايزال بئراً مجهولة فى حياة المصريين ؟

بئراً مليئة بالألغاز .. والمفارقات .. ومحاطاً بقدر هائل من سوء النوايا فـــى الفهم أو التعامل .. وعلى أدنى تقدير التجاهل المتعمد .

كيف صار هذا "الصعيدى" رمزا للعصبية والبداوة والغضب ، وقـــادراً علـــى القتل سواء فى حوادث الثأر أو التطرف .. بل وشاهداً أخرس فـــى جرائـــم قتـــل ترتكب أمامه .. هكذا بكل بساطة .. ويبقى السؤال المشروع قائماً : هل أغرق الدم حقول الصعيد وعقول أهله .. قبل أياديهم ؟

أسئلة .. مجـــرد أسئلة تضاف إلى قائمة التساؤلات الغامضة والعلاقات الأكثر غموضاً عن علاقـــة آليات الثأر ومعطياته بظاهرة الإرهـــاب الدينـــى .. ومـــدى إرتباط هذه الظواهر بعضها ببعض .. وحجم خطورة هذه الصلة – إن وجـــدت – بين الثأر والإرهاب .. وهل صحيح أن المعركة التى لم تزل دائرة بيـــن أجهـــزة الأمن وفلول جماعات الإرهـــاب الدينى قد إتخذت شكل الخصومة الثأريـــة كمـــا يروج لذلك الكثيرون من منظرى التطرف الدينى ، والبـــداية الصحيحة للخـــوض فى هذا المضمار ينبغى أن تكون من الجذور التاريخية والتركيبة الإجتماعية التـــى أفرزت هذا النمط البالغ التعقيد للظاهرتين معاً (الثأر والإرهاب) .

والمثير أن أكبر قضايا الثأر التى لاتزال قائمة حتى اليوم بين قبيلتى البلابيش والحميدات بقرى مركز دشنا بمحافظة قنا قد بدأت بحادثة تبول ؟

ورغم وجود أسباب أخرى معلنة أكثر وجاهة إلا أن ذلك يعكس عشرات الدوافع والجوانب فى التكوين الإنسانى والإجتماعى للصعيدى ، فقد بدأت الحكاية إثر مقتل أحد أعيان البلابيش على يد شقيقين من الحميدات وكان القتيل -وهو رجل تجاوز الستين من عمره - فى طريق عودته لمنزله وأثناء مروره بجوار منازل الحميدات داهمته رغبة - مردها المرض - فى التبول بجوار جدار أحد المنازل وبمنتهى البساطة فعلها .. وشاء سوء الحظ أن تخرج إحدى النساء لقضاء بعض حاجاتها فشاهدته.. وفزعت وأطلقت العنان لصوتها تصرخ صرخات مدوية خرج على أثرها زوجها وشقيقها اللذان ظنا أن الرجل يحاول الإعتداء على المرأة فانهالا عليه ضربا بالعصى والهراوات حتى أردياه قتيلاً .. ولم تشرق الشمس حتى وارى أبناؤه جثته والتزموا الصمت فلم يبلغوا الشرطة بالطبع ولم ينصبوا سرادق عزاء ولم يسمحوا للنساء بالبكاء أو حتى مجرد الحديث عما وقع سوى ما كان يدور فى مجالسهم السرية التى قرروا خلالها الثأر .

وهذا يسوقنا للنبش فى قواعد الثأر وأعرافه وحساباته ، فهذا القتيل أب لستة أبناء من وجهاء البلابيش ورثوا عنه المال الوفير والأرض الشاسعة والنفوذ .. والإحساس بالتعالى على خصومهم وهو شعور عام لدى البلابيش ، ومرجعه أصلهم الذى ينحدر من الإنتماء للمماليك والتبعية التاريخية لهم ، فى حين تنتمى قبيلة الحميدات إلى بعض القبائل العربية البدوية التى نزحت إلى الصعيد من الجزيرة العربية ، والمعلوم أن العداوة بين المماليك والعرب تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ والنفوس ولعل ذلك ما يدفعنا إلى الحديث عن الفروق بين البلابيش ذوى الأصول المملوكية والحميدات العرب ، فبينما يتمتع البلابيش بالثراء والمستوى الإجتماعى المرتفع والوجه البديع القسمات والمظهر المهندم والإرتباط دائما بالسلطة مهما كانت ، على النقيض تماماً يمكن التعرف على بنى حميد من ملامحهم الدقيقة وبشرتهم السمراء الداكنة وأجسادهم النحيلة وطباعهم المشبعة بالبداوة وعدائهم للسلطة والحكومات أياً كانت توجهاتها وما يترتب عليه من

خروجهم على كل القوانين والنظم الرسمية ، وفى ظل هذه العلاقة المتنـــافرة بــدأ مسلسل الخصومة الثأرية حينما قرر وجهاء البلابيش القصـــاص لقتيلهـــم بخمســـة رجال من أعيان الحميدات دفعة واحدة وفقا لحساباتهم التى جـــرت علـــى النحـــو التالى: أن قتيلهم كان كبيرهم وهو ما يعنى أن رأســـه تساوى رجلين ، وأن قتله قد وقع بجوار منازل عائلة الخصم وهذا يعنى إضافـــة رأس ثـــالث للمعادلـــة ، وأن رجلين قد شاركا فى قتله وهذا يقتضى الرأس الرابعة وأخـــيرا فإن هـــذه الواقعـــة تمثل سابقة فى الإعتداء عليهم ، فلابد لردعها من إظهار المزيد من العنف والتحدى وهو ما يستوجب المزايدة برأس خامسة ، وهذا ما حدث بالفعل ففى الليلة الثالثـــــة سقط خمسة رجال من وجهاء الحميدات دفعة واحدة وفى توقيت واحـــد .. وتقـــدم رجلان من البلابيش لضابط مباحث مركز دشنا يعترفان بقتـــل هـــؤلاء الخمســـة

ويبديان إستعدادهما للمثول أمام النيابة للإعتراف بتفاصيل الحادث وتسليم الأسلحة المستخدمة فى الجريمة ، وهنا وجد ضابط المباحث نفسه أمام قضية غامضـــــة .. فهى منتهية من الناحية القانونية لكنها تنبئ عن توتر أمنى وتلـــوح بـــالمزيد مـــن حوادث القتل المتوقعة ، فهذه النتيجة لن تكون مرضية أو مشرفة للحميدات الذيـــن عقدوا العزم على قتل أربعة من رجال البلابيش حتى تتزن كفة الميزان .. وعلـــى الرغم من الهدوء الظاهرى الذى إلتزم به الجميع فى مدن **(فاو والوقف والســـمطا)** إلا أن الشائعات أخذت تنتشر هنا وهناك عن الضحايا المرشحين للثأر ، مما دفـــع رجال الأمن إلى ضرورة إتخاذ موقف حازم لإيقاف نزيف الـــدم فدعـــا المحـــافظ ومدير الأمن ورجال البحث الجنائى كافة الأطراف إلى جلســـة صلح عرفية ولـــم يرفض الجانبان هذه الدعوة بالطبع ، فهم يدركون أنها لن تكلفهم أكثر من وليمـــة فاخرة وأن قبولها يعنى إثبات حسن النوايا لتحييد جانب الشرطة والحكومـــة إتقـــاء لتدخل طرف ثالث قد يفسد الأمور فى حساباتهم الثأرية ، وهكـــذا إنعقـــد "ميعـــاد العرب" فى دوار أحد أعيان عائلة الهوارة – وهم طرف محايد فى هذه القضيـــة – وحضر المسئولون من المحافظ ومدير الأمن ومدير المبـــاحث وأعضـــاء مجلـــس الشعب وغيرهم من كبار شيوخ العرب وأعيان العائلات وأقيمـــت الوليمـــة وقـــرأ الجميع الفاتحة وانصرفوا ، ولكن قبل أن يصلوا إلى قنا كانت أنباء مصرع ثلاثـــة

من رجال البلابيش قد سبقتهم وملأت المكان برائحة الدم فقد توجه عدد من بني حميد للقاهرة والاسكندرية لينفذوا قرار الأسرة بقتل ثلاثة من كبار تجار البلابيش وإستدعى مدير الأمن كبير الحميدات لمكتبه وثار فى وجهه وإستنكر أن تقع هذه الجرائم بالجملة بعد الصلح الرسمى وأكد له أن ما حدث يعتبر إستهتاراً بالنظام والحكومة والقانون .. وإستهانة بأقدار الرجال الذين شهدوا الصلح بين العائلتين ، ومضى يهدد الرجل بإعتقال كبار رجال الحميدات وتجريدهم من أسلحتهم المرخصة وغير المرخصة ، وهنا رد عليه شيخ القبيلة بقوله : إن ما حدث لم يكن إلا قصاصاً عادلاً فى حرب تستهدف الحصول على حق العائلة لا أكثر ولا أقل وأن الحرب خدعة بطبيعتها وأن كل شئ مباح فى الحرب ، ثم أضاف مستنكراً أن يغضب سيادة اللواء وقد وقعت جرائم الثأر فى القاهرة والاسكندرية ولم تحدث فى قنا إحتراماً لوجود سيادته وهكذا إنتهى هذا اللقاء إلى لاشئ .

وعلى الجانب الآخر من هذه المعركة الدامية كان رجال البلابيش يبرمون إتفاقيات ومؤامرات مع بعض المطاريد من ذوى السوابق الإجرامية والهاربين من الأحكام الجنائية وممن إشتهر عنهم الإستئجار للقتل على القيام بمهمة الثأر نيابة عنهم وبمقابل مالى سخى لن يشكل عبئاً عليهم وهم العائلة الثرية ذات النفوذ والسطوة ، وهذه الإتفاقات تتم وفقا لقواعد وإعتبارات بالغة التعقيد فكل راس لها سعر يرتفع وينخفض وفقاً للمكانة الشخصية والإجتماعية للضحية ، ويدخل فى الحسبان أيضا مقدرة المطالبين برأس الضحية وكفاءتهم المالية ومدى حاجتهم للقصاص .. ولا نرى بأساً فى هذا السياق من سرد قصة أحد القتلة المأجورين الذى كان قادماً من الجبل الشرقى عقب غروب الشمس حاملاً سلاحه فتنامى إلى سمعه نحيب إمرأة عجوز تبكى فى أحد الحقول فسألها المطرود عن سبب بكائها بهذه الحرقة فأجابته أن والدها قد قتل .. وأن إبنها الثانى الذى كانت تأمل أن يمتد به العمر حتى يثأر لشقيقه قد وافته المنية إثر مرض ألمّ به .. وتعاطف معها الشقى ووعدها بالثأر لروح نجلها ، وشاء سوء حظه أن يقبض عليه بعد أن أوفى بوعده وعندما تقصى رجال المباحث الأمر لإكتشاف الدافع على إرتكاب الجريمة إتضح أنه لاتوجد أى صلة من أى نوع بين القاتل والقتيل ، وليس بينهما ثمة خصومة

أو خلاف ، وحينما سُئل الشقى عن سبب إرتكابه الجريمة أجاب بكل فخر أنه فعل ذلك لوجه الله تعالى صدقة عن صحته وشبابه ، وهو مؤمن تماماً أنه أتى عملا كريما يثاب عليه ويستحق لأجله التكريم والفخر لا المحاكمة أو الإدانة ، والمثير أن أبناء قريته قاموا بجمع الأموال فيما بينهم لأتعاب توكيل محامين للدفاع عنه بوصفه رجلاً شجاعاً وشهماً ..

ونعود مرة أخرى لحرب الإستنزاف الدائرة بين البلابيش والحيمدات ، فقد كان ثراء العائلة الأولى سلاحها الأكثر أهمية فى هذه الخصومة وإستعاض أبناء الحميدات بالقيام بأنشطة أخرى لاتطالها يد الشرطة ، وهو الأمر الذى يؤكد أن كل الجرائم الأُخرى فى الصعيد تدور فى فلك الثأر فهو الجريمة المحورية التى يتم لأجلها توظيف الرجال والأموال والأعراف والتقاليد .. فلكى يتأهل الرجل للقصاص لابد أن يحصل على السلاح وهذا بدوره يتطلب المزيد من الأموال وهنا لامفر من المغامرة بارتكاب جرائم قطع الطريق وزراعة الخشخاش .. وهو ما اصطلح على تسميته باقتصاديات الثأر .

أما على صعيد عائلة البلابيش فإن موفدين من الأسرة توجهوا إلى أقاربهم التجار الكبار بروض الفرج ليطالبوهم بضريبة الدم ونفقات الثأر ، ولم يجد هؤلاء التجار مفراً من الإذعان والرضوخ لهذا المطلب الذى يشبه التكليف ودفع المطلوب منهم على قناعة بأنهم لم يطالبوهم شخصياً بحمل السلاح ، وإن كان هؤلاء التجار الأثرياء يدركون جيداً أن هذا لن يجعلهم بمأمن من الوقوع فى تلك الدائرة الدموية فربما دفع أحدهم حياته أو حياة أحد أبنائه ثمناً فى أى وقت يقرر فيه خصومة الثأر منه.. فمن تقاليد الثأر – وما أكثرها – أن تمتد المطالبة به إلى إخوة القاتل أو أبناء عمومته .. وربما أحفاده أيضاً شريطة أن تنحصر فى الأقارب من نفس "بدنته" حتى الدرجة الخامسة ، ويتدرج أيضا الحق فى المطالبة بالثأر وفقاً لدرجة القرابة للقتيل ، فالأخ الشقيق أحق بالمطالبة بالثأر من الإخوة غير الأشقاء .. ثم يليهم أبناء العم المباشر " اللزم " .. ثم يأتى أبناء العم غير المباشرين ويطلق عليه "إبن عم داير" ، بينما ينحصر هذا الحق فى الأقارب من جهة الأب فلا يجوز للخصم أو أبنائه المطالبة بثأر إبن شقيقتهم ، ما لم يكن

قريبهم من ناحية الدم أو كما يطلقون عليه "العصب" تمييزاً له عن صلة النسب ، وربما يحتدم الخلاف بين المطالبين بالثأر من الأقارب حتى يصل إلى حد إقتتالهم فيما بينهم للحصول على شرف الأخذ بالثأر ، ولكن يحدث تدارك للأمر خشية وقوع مكروه أن يحتكموا فى خلافهم هذا إلى رجال من كبار السن يدعون "مشايخ العرب" وذلك للبت فى ترتيب الأحقية والأولوية فى المطالبة بالثأر وتحظى أحكام هؤلاء الشيوخ بإحترام كامل من أطراف النزاع ومن الرأى العام المحلى بأسره.. ومن المثير فى هذا السياق أن نورد حكماً لأحد هؤلاء الشيوخ الذى أعطى الحق للغرباء فى القصاص ، وحتى نفهم هذا الأمر ينبغى سرد هذه القصة حتى تتضح دلالاتها ، فقد حدث فى إحدى قرى مركز البدارى باسيوط أن رجلاً فر إلى الجبل عقب مطالبته بالدم (الثأر) من جانب عائلة أخرى تتمتع بنفوذ وسطوة ، وظل الرجل هارباً قرابة عشرين عاماً حتى كاد خصومه أن ييأسوا من القصاص منه ، وذات يوم علم ذلك الهارب بوفاة أحد أعيان أسرة أخرى وكان ذلك المتوفى يتمتع باحترام الكافة ، وخرج آلاف الناس من أبناء البدارى وأسيوط كلها فى جنازته ، ورأى الهارب أنه من العار أن يتخلف عن هذه المناسبة فهبط من مخبئه بالجبل متجهاً عبر طرق ملتوية إلى السرادق المقام للعزاء ، وبين دهشة الحاضرين لمجازفته بهذا العمل الذى لم يكن ليلومه أحد إذا تخلف عنه لعلمهم بظروف فراره ، ولكن أهل المتوفى إعتبروا هذه المخاطرة التى قام بها الرجل شرفاً كبيراً لهم ، وشعروا بمدى التضحية التى تنطوى عليها هذه المجاملة التى ترفع من شأنهم فى شتى ربوع الصعيد ، فها هو الرجل يُعرّض حياته - التى حرص عليها عشرين عاما - للخطر من أجل العزاء فى كبيرهم ونهضوا للترحيب به والتعبير عن شكرهم ووعدوه أن حياته مسئوليتهم حتى يعود إلى مخبئه بأمان ، وظلت عيون الحاضرين تتفرس الرجل فى عجب وإعجاب حتى عزم على الإنصراف وسلك فى طريق عودته للجبل مسالك مختلفة وقبل أن يعبر النيل إنطلقت عليه الأعيرة النارية من حيث تربص به خصومه فسقط قتيلاً فى الحال ، وخرج أبناؤه الذين تلقوا نبأ مقتله بصبر وهدوء ودفنوا جثته وذاع الخبر فى أسيوط كلها ، وفى الليلة التالية إجتمع أقاربه فى منزل كبيرهم للتشاور فى أمر الثأر ، وإذا بباب

المنزل يقرع ويقبل عليهم وفد من أبناء الرجل المتوفى الذى كان والدهم قد ذهب للعزاء فيه ، فقابلهم الحاضرون بفتور ظناً منهم أنهم قد قدموا للتعزية فى قتيلهم وهو الأمر الذى يعد إهانة لمشاعرهم ، إذ تقضى التقاليد ألا يتلقى أهل القتيل العزاء فيه إلا بعد الثأر له ولو إمتد ذلك سنوات طويلة ، فحينما يسقط القاتل أو من يختارونه بدلاً منه ترتفع أصوات الزغاريد وتختلط الطلقات ببكاء أهل القتيل الأول إذ ليس من المسموح حتى للنساء بالبكاء عليه حتى يتم الثأر له، وكان ذلك هو سبب فتورهم فى إستقبال هؤلاء الزائرين الذين أدركوا ذلك فبدأوا يشرحون سبب زيارتهم مباشرة بقولهم بأنهم أصحاب الحق فى الثأر له لأن وفاته جاءت كنتيجة مباشرة لمجازفته بالحضور مجاملة لهم رغم علمه بتربص خصومه به للثأر منه ولولا ذلك لما كان قد لقى مصرعه ، ولكن أبناء القتيل رفضوا هذا المنطق الذى قد يعرضهم لو قبلوه للسخرية والإحتقار من الجميع، ولم يكن عرض هؤلاء الزوار مجرد مجاملة بل أصروا عليه بشدة فتطورت المناقشة إلى ما يشبه المعركة فيما بينهم واتفقوا أخيراً على اللجوء إلى أحد مشايخ العرب الذين يحتكم إليهم فى مثل هذه الأمور الشائكة ، وجاء حكم الشيخ بعد مفاوضات ومناقشات ومداولات إمتدت ليلة كاملة إلى قرار يقضى بأن الثأر فى هذه الحالة من حق أبناء المتوفى الذى كان القتيل قد ذهب لتعزيتهم فيه ، وذلك إستناداً إلى كونه فى حماهم حتى يعود إلى الجبل سالماً ، ولما كان قتله قد وقع قبل عبوره النيل فهو يعتبر قتيلهم ، فقد كان الإعتداء عليه يعتبر عدوانا مباشراً عليهم وتحدياً صريحاً لهم ، وهنا لم يجد أبناء القتيل سوى الإذعان لهذا الحكم الذى تولى الشيخ بنفسه أمر إعلانه وإذاعته عبر مجالسه الخاصة لتبرئة جانب أبناء القتيل وحتى لايظن الناس أنهم تقاعسوا عن القيام بواجبهم .

ونعود من هذا الإستطراد مرة أخرى لموقعة البلابيش والحميدات لنجد أن الصراع بينهم إتخذ مساراً جديداً عام ١٩٨٥ ، ففى الوقت الذى إستند البلابيش على أموالهم وأراضيهم وأبنائهم العاملين فى أجهزة القوات المسلحة والشرطة والقضاء وما يترتب على ذلك من علاقات وإتصالات هامة تكفل توفير الحماية لهم بشكل أو آخر ، وتصل أحيانا لحد التواطؤ معهم من جانب بعض رجال الإدارة ،

وهو الأمر الذى نكأ الجرح القديم والصراع الأزلى بين البلابيش ذوى الأصول المملوكية والحميدات ذوى الأصول العربية والذين إنخرط الكثيرون منهم فى صفوف جماعات التطرف الدينى لما يمثله لهم هذا الإنتماء من تعويض نفسى وإجتماعى إزاء ما يلقونه من تعنت وتهميش ليدخل بذلك الثأر فى حسابات سياسية ويتخذ أبعاداً أعمق من مجرد الخلافات القبلية .

فما حدث أن شباب عائلة البلابشة وهم الضباط والقضاة والتجار والأثرياء وغيرهم يعقدون صلات وثيقة برجال الإدارة المحلية والأجهزة التنفيذية وكرد فعال طبيعى ينجرف شباب الحميدات فى الإرتباط الوثيق بالخارجين على المجتمع والنظام سواء من المطاريد أو من الجماعات المتطرفة وكلتا الطائفتين تحملان عداء وخصومة مع النظام والحكومة والدولة والقانون ، ويترتب على ذلك الإرتباط بهم دعم موقف بنى حميد بعد أن يئسوا من حياد رجال الإدارة ، وهكذا إتخذت الخريطة الإجتماعية للخصومة الثأرية شكلاً مختلفاً وأبعاداً أكثر تعقيداً وهى الخصومة ذات الصفة السياسية وإن ظلت آليات الثأر هى الفيصل المتحكم فى هذا الأمر رغم إختلاف أطراف الخصومة ومواقعهم وأشكال الصراع ودوافعها مما أدى فى هذه المرحلة إلى تحول جذرى فى طبيعة المواجهة بين الأمن وجماعات التطرف لما يشبه علاقة الخصومة الثأرية ، بينما إنحصرت الفوارق فى التفاصيل والأسس الفكرية للصراع الدائر بينهما ، ففى حين إتخذت الأعراف القبلية والعادات المتوارثة إطاراً فكرياً للثأر مرجعيته العصبية وصلات الدم ، نرى أن تكفير المجتمع -حكاماً ومحكومين- هو إطار نظرية النشاط الحركى لجماعات التطرف الدينى هذا بخلاف العلاقة العدائية للقوانين الرسمية فى كلتا الحالتين وتأسيس المجتمع المضاد لكل ما هو رسمى .. وخلافه ، وبعيداً عن ذلك التنظير فإنه لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون مسقط رأس ونشأة سيد قطب هى بلدة **(موشا)** باسيوط .. وأن تكون بلدة شكرى مصطفى التى كان والده عمدتها واقعة على بعد ثلاثين كيلو متراً منها وتجثو كلتاهما فى تلال تحيط بها سلسلة من الجبال شديدة التحصين ، وإذا كان دور سيد قطب قد إنحصر -إلى حد ما - فى وضع الإطار النظرى والمرجعية الفقهية لقواعد الخروج على المجتمع وتكفيره فقد كان لشكرى مصطفى فضل السبق فى تأسيس أول جماعة تدين بأفكار سيد قطب

وتضعها موضع التطبيق – مع التشدد فى تفسيرها – بالإنسحاب التام من المجتمع توطئة للعودة إليه فاتحين على غرار ما حدث للمسلمين الأوائل فى مكة والمدينة النورة ، وبعد إنهيار جماعته – التكفير والهجرة – إنبثقت من بقاياها عشرات الجماعات المتطرفة الأخرى كالجهاد والجماعة الإسلامية والناجون من النار والشوقيين وغيرها وعلى يد شباب من أبناء عائلات الصعيد المشبعين بقيم الثأر والمحكومين بآلياته ، وقد جاءت هذه الجماعات أكثر إيجابية فى العمل الحركى وعنفاً فى الإصطدام بالأجهزة الرسمية من جماعة شكرى مصطفى ، ولعل جملة واحدة سمعتها من رجل صعيدى رداً على سؤال عن الفارق بين العرب والهوارة بقوله ، هل كان الرسول (ص) عربياً أو هوارياً .. النبى عربى يا أستاذ ، وهو ما يدفعنا للبحث فى جذور التكوين الإجتماعى على خارطة الصعيد لنجده ينحصر فى قبائل الهوارة والعرب والأتراك (ويقصد بهم الأسر ذات الأصول المملوكة) ، ثم تأتى فى المرتبة الثانية فلول الهامشيين ممن يطلق عليهم الفلاحين ثم الحلب (الغجر) والعبيد ثم الأقباط الذين إنصهروا فى البنية الإجتماعية بالإحتماء بإحدى العائلات تحت إصطلاح "بدوى عائلة فلان" فيقال أن هؤلاء (نصارى الهوارة) أى جماعة الأقباط الذين إتخذوا من قبيلة الهوارة حماة لهم وارتبطوا بالولاء لهم أيضا فصار الهوارة مسئولين عن تصرفاتهم وحمايتهم ، ونأتى للهوارة وهم تلك القبيلة التى نزحت من اليمن وجنوب الجزيرة العربية أثناء الفتح العربى لمصر وشمال أفريقيا وإستقروا فى المغرب العربى وعادوا للهجرة لمصر إبان حكم الفاطميين الذين شجعوا هجرة القبائل العربية لمصر وقتئذ فعاد الهوارة ليسقروا فى الجانب الغربى للنيل ، ومنهم توالدت بطون عرفت بعائلات : أبو ستيت وأبو الدهب وأبو كريشة والناظر ونصار وحمادى وغيرها ، وقد إستطاعت هذه القبيلة (الهوارة) حكم الصعيد بأكمله إبان عهد المماليك وعلى يد شيخ العرب الشهير همام بن يوسف الذى لم يزل أهل الصعيد يحفظون له أطيب الذكرى ويرددون سيرته بإعجاب .

بينما تأتى قبائل أخرى مثل بيت القاضى (الإشراف) ، وبنى حميد والجهمى والقرعان ، وهى ما تعرف بالعرب وقد نزحوا من الشرق العربى وبالتحديد من تبوك وضبا وسيناء وفى وقت متأخر عن مقدم الهوارة ، وإستقروا فى الجانب

الشرقى من النيل ، وتأتى فى المرتبة الثالثة العائلات ذات الأصول المملوكية التى نشأت حينما كان يفر بعض المماليك أو يستبعدون من القاهرة إلى الصعيد إثر صراعات سياسية مع السلطان المملوكى ليستقروا فى الجنوب ، ويحصلوا على مساحات شاسعة من الأراضى ويجيدون قواعد الإرتباط بالسلطة والحكام حتى ملامحهم التى تأخذ صفات المماليك من الطول الفارع والعيون الملونة والشعر الأشقر فضلا عما يحملونه فى أعماقهم من شعور بالتعالى على بقية العائلات العربية والإزدراء لهم ويطلق عليهم فى الصعيد لقب "التراكوة" أى الأتراك ويقصد بذلك المماليك ويبقى من الخريطة الإجتماعية بعض الفئات الهامشية من النازحين للصعيد من الدلتا والفيوم ويطلق عليهم "الفلاحين" وأخيراً يأتى الزنوج ويعرفون "بالعبيد" ثم "الحلب" وهم الغجر الذين يمارسون كل أنشطة الغجر المنتشرة فى شتى أنحاء العالم من الرقص والغناء وأعمال الحدادة وحلاقة الشعر والسرقة والإحتيال وغيرها .

وقد تلقى النظام الإجتماعى القبلى فى الصعيد عدة ضربات قاسية أفقدته صرامته ، وبدأت هذه الضربات فى عهد عبد الناصر عقب تطبيق القوانين الإشتراكية وخاصة فيما يتعلق بالحد الأقصى للملكية وما ترتب على ذلك من نزع حيازة الأراضى الزراعية والقصور وكافة الممتلكات ، وقد كان أعيان العائلات يلجأون إلى توزيع الأراضى "شكلياً" على أبناء عمومتهم وخدمهم للتحايل على القوانين التى تنفذها لجان تصفية الإقطاع ؛ ثم جاءت الضربة الثانية فى عصر السادات وبالتحديد عقب تطبيق سياسة الإنفتاح الإقتصادى والتى ترتب عليها بزوغ نجم عدد من الفئات الهامشية بعد أن إستطاعوا الإستفادة من هذه المرحلة وفهم قواعدها جيداً فأنجزوا من المكاسب ما مكنهم من كسر الحلقة التقليدية للنظام الإجتماعى القائم على الطبقية القبلية فى المجتمع الصعيدى ، ثم جاءت موجة سفر العمالة المصرية إلى بلاد الخليج العربى وعودتهم بالأموال الطائلة.. هكذا لم تجد العائلات ذات النفوذ التقليدى فى الصعيد أمامها مفراً من إستخدام مفردات هذه المرحلة بالتخلى أولا عن النعرات القديمة والإنخراط فى القافلة العصرية والإرتباط بالسلطة فى كافة صورها .. وحينما إنحسرت الفرص العشوائية فى مرحلة الإنفتاح .. وتضاءلت فرص السفر للخارج .. وإرتمى كبار هذا الزمان

فى أحضان المؤسسة الرسمــية ورجالها أو بالأحرى حدث العكــس .. لــم يجــد الغالبية من شباب الصعيد ملاذاً يحققون فيه ذواتهم ســـوى الإنتمــاء للجماعــات المتطرفة التى إقتنصت فرصتها الذهبية حينما تخاذلت الأجهزة الرسمية عن القيــام بدورها - المفترض - فى تقديم خدمات حقيقية للمواطنين .

ونعود لنؤكد على الدور النفسى والإجتماعى لهذه الجماعــات فقــد أصبحــت المتنفس البديل للهامشــيين المنبوذين على خارطة المجتمع الصعيدى القبلــى التــى تحدد الأدوار السابقة التجهيز لكل فرد وفقاً لإنتمائه العائلى ومكانتـــه الإقتصاديـــة فحينما لايستطيع هؤلاء الهامشيون من أبناء الفلاحين أو الحلب أو ممن يطلق عليهم العبيد أن يجاروا سلوك أبناء الأسر القويــــة .. وحينمــا يتواطــأ رجــال الإدارة الرسميون مع الأقوياء لايجد هؤلاء الهامشيون مفراً من الإنضواء تحت راية أمراء التطرف مما يكفل لهم هذا الإنتماء قــدراً لاباس بـــه مــن الإحــترام والفاعليــة الإجتماعية فى إدارة شئون قراهم ومدنهم أو حتى شئونهم الشــــخصية .. وربمــا راودهم الأمل فيما هو أكثر من ذلك .. من يدرى ؟! فقد غاب الجميــع فــى نــوم عميق لايستيقظون إلا لفترات وجيزة على دوى طلقات الرصاص ليرددوا العبارات المهووسة عن ضرورة التدخل الأمنى الحاسم أو لتزعم القوافل المثيرة للســخرية ، وحتى نفــيق مما حــدث ويحــدث يظل مسلسل الثــأر وتوابعه مســـتمراً حتــى إشعار آخــر .

البـــاب الثـــامن

مشاهد إجتماعية من داخل التجربة

سأقول فى التحقيق :

إنى قد عرفت القاتلين

وأقول

إن زماننا العربى مختص بذبح الياسمين

نزار

الفصـــل الأول

إرهـابيون ... تـحت الإخـتبـار

إسـتغـلال الأحـداث والفتيـات فى النشاط الإرهابى

حينما نكون بصدد الحديث عن جرائم إستغلال الأحــداث والقــاصرات فــى النشاط الإرهابى والدوائر المحيطة به ، فإن الأمر لايحتمل تــبريرات أو اعــذاراً ملفقة .. ذلك لأن الطعنات هنا تتجــه مباشرة إلى كبد الوطن وحلمـــه ومســتقبله أيضا ، هذا بخلاف ماينطوى عليه هذا الاسلوب من انتهازية تتنافى مع الأهـــداف السامية المزعومة لأمراء الجماعات ، وتتوارى خلف غلالة مقدسة فــى ظاهرهــا بينما تسعى فى الظلام لنصب الفخاخ لصبية وفتيات دون سن الرشــد حتــى يتــم الإيقاع بهم فى بؤرة التطرف والعنف وتستغل نزق هذا العمــر الجميــل وتمــرده لتدفعهم للتخلى عن أسرهم ومدارسهم وطفولتهم أيضا .. وعلـــى ايــدى الأمــراء يتحولون إلى كائنات عدوانية تعشق الدماء وتدمن الحقد .. وتحذفهم مــن خريطــة صناع مستقبل هذا الوطن ، وأمامنا عشرات من الروايات المتشابهة .. فالسيناريو دائما واحــد يتلخص فى استقطاب الصبية وغواية الفتيات مـــن خـــلال الإنبهــار بحديث الأمير ومنطق "الإستسهال" - وليس البساطة - المغلف دائما بإطـــار مــن الشرعية الزائفة .

وهكذا يهجر الطفل أسرته ليعيش مع الجماعة ويمارس طقوسها ويتحول فـــى البلاد عبر قوافل الدعــوة المزعومة ويدخل دائرة القنـــابل والمنشــورات أخــيرا وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة الصغيرة .. تتخلى عن أسرتها "الكافرة" وتـــتزوج أحــد الاخوة "المؤمنين" وتتفرغ للبنين والبنات ونقل الرسائل من مكــان لآخــر وحمــل لفافـــات المتفجرات وغيرها ، وفضل الريادة فى هذا المســـلك الإجرامــى يعــود لجماعة "التكفير والهجــرة" وأميرها "شكرى مصطفى" والذى تمكــن مــن تجنيــد إثنتين وعشرين فتاة وثلاثين حدثاً .

ولعل الرواية التى وردت على لسان أحد شهود القضية أمام المحكمة مثالا بالغ الدلالة على بشاعة هذا الاسلوب .. وأترك كلمات المواطن محمد عبد الرحمن عبد الجواد لتعبر عما نريد أن نقوله .. وما لا نريد أيضاً .. وهو رجل ريفى من الفيوم فى العقد الخامس من عمره يعمل بشركة حلج الأقطان بالفيوم .. يروى فصولا مريرة عن مصابة فى ثلاثة من أبنائه : سعيد الطالب الجامعى وسعاد الطالبة فى نهاية المرحلة الثانوية وسامية فتاة الأربعة عشر ربيعا .

يقول الرجل – وهو يتحدث بلهجة ريفية وتلقائية يكسوها الذهول – لما الامتحانات خلصت حضرت لى إبنتاى سعاد وسامية وصمموا أخدهم مصر يتفسحوا شوية عند أخوهم سعيد ويبقى هو يرجعهم البلد ، المهم وافقتهم وأخذتهم عند اختهم الكبيرة المتزوجة فى مصر والمقيمة هناك ورجعت البلد علشان شغلى وبعد حوالى عشرة أيام قالت لى زوجتى : روح هات البنات من مصر ولا شوف أخوهم لماذا لم يحضرهم وفعلا توجهت لزوج اختهم الكبرى وسألته "أين البنات" ، فأجاب : "أخدهم أخوهم سعيد ليرجعهم البلد" فقلت له "أنا لسة جاى دلوقت من البلدة ولم يصلوا للآن" فقال لى "يمكن يكونوا راحوا وأنت جاى .. يعنى تلاقيهم وصلوا دلوقت .. وأضاف دا إللى معاهم أخوهم" .

المهم أننى عدت للبلدة ولم أجد البنات ولا أخاهم .. فبدأ الشك يتحرك فى قلبى وثارت زوجتى فى وجهى قائلة : " أنت تروح تشوف البنات بأى شكل .. هاتهم من تحت الأرض" وأخذت تبكى وتولول فعدت للقاهرة مرة أخرى وقابلت زوج ابنتى الكبرى وقلت له إن البنتين لم تصلا للآن فاستغرب ذلك وقال : "وأنا أعملك ايه إذا كان أخوهم أخدهم واسأل ابنتك" .

وعشت قرابة الشهر فى دوامة من البحث والحيرة والسفر والمصاريف والأقسام حتى قال لى زوج إبنتى الكبرى ذات مرة : "أنا عرفت إن البنات عند واحد فى حى – أم المصريين – اسمه مصطفى الجمل" ووصف لى العنوان وتوجهت هناك على الفور وقابلته .. وكان ملتحيا تبدو عليه مظاهر التدين ولكنه قابلنى ببرود وقال لى "إنس الموضوع ده خالص .. بنتاك الآن متزوجتان من رجلين مسلمين وإبنك سعيد باشر هذه المهمة واطمئن فهما فى ذمة رجال

صالحين" ثم حاول الإنصراف فأمسكت به وصرخت وأنا أكاد لا أصدق نفسى : "أنت بتقول إيه دول بنات صغيرين ، سعاد عندها سبعتاشر سنة ، وسامية أربعتاشر سنة .. " وكادت تحدث مشاجرة لولا أنه طلب منى أن أمر عليه بعد ثلاثة أيام لمقابلة إبنى "سعيد" وهو الذى سيشرح لى الأمر كله ..

وفعلت ذلك لكنن عندما عدت فوجئت به يقول لى "معلهش بعد أسبوع تانى" وعدت للفيوم لكن امهم لم تحتمل هذا فحضرت معى وذهبنا لمصطفى هذا مباشرة فوجدنا ابننا سعيد هناك وحدثت بينه وبين أمه مشاجرة وتمالكت نفسى كثيرا حتى أعرف مصير البنات .. وكان سعيد قد أطلق لحيته وارتدى ملابس الإخوة ولم يقل سوى جملة واحدة "إخواتى تزوجتا من رجلين مسلمين ونحن نفضل المسلمين على الكفار " ولم أفهم شيئا مما يقصده بالضبط وقتها .. وأخذت زوجتى وأبلغت الشرطة وهذا ما حدث " .

ولم يكد الرجل ينهى حديثه حتى صاح ابنه "سعيد" من قفص المتهمين هاتفا "ألا تخجل من كلامك هذا ياأبى .. انك تمثل لعبة دبرها البوليس" .

وقد كان سعيد هو المتهم رقم ٤٦ فى القضية وحكم عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات وكان مصطفى الجمل هو المتهم رقم ٢٣ وقد حكم عليه بالأشغال الشاقة خمسة عشر عاما .

ونترك هذه الرواية قليلاً بكل ما تحمله من دلالات وبشاعات وننتقل لقائمة أسماء المتهمين فى تنظيم "الجهاد" والتى اشتملت على ٤١ حدثا مقابل ثلاثمائة متهم بالغ ونقرأ البند التاسع عشر من قرار الإتهام الموجه إليهم ويتضمن :

١- حازوا واحرزوا أسلحة نارية "بنادق آلية ومدافع رشاشة ومسدسات" مما لايجوز الترخيص بحملها أبدا .

٢- حازوا وأحرزوا قنابل ومتفجرات بدون الترخيص بذلك .

٣- حازوا وأحرزوا أسلحة بيضاء "سيوف وخناجر ومطاوى وبلط وسكاكين".

وكانت حيازة هؤلاء المتهمين للمضبوطات السابقة -كما جاء فى قرار الإتهام الذى أعدته النيابة- بقصد المساس بنظام الحكم والوحدة الوطنية والإخلال بالأمن

العام مع ضرورة التنويه هنا لأعمار هؤلاء الأحداث الواحد والأربعين والتى تتراوح بين الثانية عشرة والثامنة عشرة .. ! ولاتعليق .

ويأتى السؤال عن الأسلوب الذى يتبعه أمراء الجماعات لتجنيد وتوريط هؤلاء الصبية ليفرض نفسه على السياق هنا وأترك اعترافات أحدهم أمام النيابة العامة إبان اتهامه بالإشتراك مع آخرين فى حوادث الحريق العمد لنوادى الفيديو ليتولى فتح الطريق للفهم أمامنا فيقول ردا على سؤال النيابة عن تاريخ اهتدائه للمعتقدات التى يعتنقها فقال :

– من حوالى سنتين تقريبا

وكم كان عمرك حينذاك ؟

– أربعة عشر عاما .. والله يهدى من يشاء .

وما هى الظروف التى غيرت مسارك الفكرى ؟

– دعانى بعض الإخوة الكبار للصلاة فى أحد مساجد التقوى الخاصة بهم وظللت مواظبا على الصلاة معهم والسماع لدروس المتفقهين فى العلم منهم ثم أشاروا على بقراءة بعض الكتب الدينية بعضها للسلف الصالح وبعضها لعلماء محدثين وكانت التوبة التى أحمد الله عليها .

وما هى الكتب التى أشاروا عليك بقراءتها ؟

– كتب إبن تيمية "الفتاوى" و "الجهاد للمسلمين" وكتب لأبى الأعلى المودودى مثل "منهاج الإنقلاب الإسلامى" و "المصطلحات الأربعة" و "نيل الأوطار" للشوكانى و"كلمة حق" للشيخ عمر عبد الرحمن وغيرها من الكتب الدينية .

وهل أفتى أحد بضرورة إحراق محال الفيديو ؟

– المسألة مش محتاجة فتوى ولاحاجة .. دى واضحة زى الشمس إنها نواد للفسق والفجور وعلى كل مسلم يرى منكرا أن يغيره بيديه مادام إيمانه قويا .

وهل سبق لك معرفة أصحاب هذه المحال من قبل ؟

– لا ما أعرفش حد منهم فأنا "رجل" ملتزم وكل ما يهمنى هو تنفيذ تعليمات الإسلام وتطبيق القواعد الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة .

وهكذا تتضح الرؤية قليلا لتأخذ محاور ثلاثة تشكل وجدان المراهق وهى :

١- الميل الفطرى لدى المراهق للعمل السرى .

٢- الميل الفطرى للتقليد ، والتمسك بالمثل العليا .

٣- روح التمرد .

وهكذا يوجه الأمراء هذه الميول لتنفيذ أغراضهم فيتحول الميل للعمل السرى إلى الإنتماء والولاء الكامل للجماعة والإنسحاب من بيئته الطبيعية وتضخيم الشعور المرضى بالذات والإحساس الكاذب بالتميز حتى يصل الأمر لحد إرتكاب الجريمة وإقرار العنف كوسيلة شرعية ومشروعة ، وهو تطور آلىيكاد يكون محتوماً .

ويوجهون ميل هؤلاء الصبية للتقليد ورغبتهم فى الإقتداء ليتحولوا إلى أدوات للطاعة العمياء عملاً بمبدأ "السمع والطاعة"حتى يصل الأمر بهم إلى تغييب العقل تماما والولاء لشخص أمير الجماعة بغض النظر عن مناقشة ما يدعو إليه من معتقدات أو أفكار مهما كانت منحرفة أو غير منطقية تماماً كما تفعل عصابات الجريمة المنظمة والمافيا مع أعضائها .

وأخيرا يأتى دور إستغلال روح التمرد التى تتحول على أيدى هذه الجماعات إلى رغبة جارفة وعمياء فى الإستشهاد دفاعا عن الذات والتحقق وحينما تبدأ مهمة الإستقطاب بدعوة من أخ ملتح تبدو على سيماه التقوى والإعتدال والسماحة لهؤلاء الصبية فى طرقات وأزقة الأحياء الشعبية بالصلاة مع الإخوة ويعقب الصلاة لقاء يتسم بالتعارف الشخصى وإتاحة الفرصة للحوار الذى يديره "الأخر" بحنكة هى دوره الرئيسى فيما يسمى بلجنة الدعوة .. وبالطبع فهؤلاء الصبية يخرجون من المسجد وفى مخيلتهم صورة رائعة وشوق مشبوب للمضى فى هذا الطريق (القويم) ، ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل تتم فيما بعد عملية "الإستقطاب الأسرى" فيدعو الفتى شقيقه ويعيد على شقيقاته ما سمعه من "الأخ" فى المسجد ويطالبهن بإرتداء الخمار والإلتزام .. وقد تحدث الإستجابة فيتعاظم شعوره بالقيادة والسيطرة ، وقد لاتحدث استجابة وهنا ينسحب ليلقى بنفسه فى أحضان الإخوة الذين يجيدون توظيف هذه الرغبة فى تنفيذ مخططاتهم، وفى ظل غياب

المؤسسات التربوية والإجتماعية وتراجع الدور الأسرى وأشياء أخرى حتى تقع الكارثة .

وتجدر الإشارة هنا للوضع القانونى الخاص للحدث فى التشريع المصرى الذى عرف الحدث بمن لايتجاوز عمره الثامنة عشر عاما ولايجرى محاكمته أمام القضاء الجنائى العادى بل أمام محاكم الأحداث والتى تتروواح ما تملكه من عقوبات بين تسليم الحدث لذويه مع التعهد بحسن رعايته كحد أدنى والأمر بإيداعه إحدى المؤسسات التابعةِ لوزارة الشئون الإجتماعية كحد أقصى ..

وما أسهل الهروب من هذه المؤسسات التى لاتخضع لإشراف من جانب وزارة الداخلية أو وزارة العدل أو النيابة العامة سواء فى تأمينها أو تنظيمها بل يتولى هذا الأمر برمته باحث اجتماعى أو إخصائى لايملك عادة السيطرة على كل هذه الأعداد من النزلاء .. هذا بالإضافة لأحوال هذه المؤسسات المتردية من إعاشة وتنظيم وحراسة مما جعلها مناخا للتدرب على شتى فنون الجريمة وأساليبها ويبدو أن هذه الحقائق لم تغب عن فكر الأمراء ، فهم يدركون عواقب هذه الجرائم وسهولة مساعدة الحدث فى الهرب من المؤسسة ، ووفقاً لهذاالمنطق يدفعون بهم لإرتكاب جرائم الحريق العمد والإتلاف والضرب وطباعة المنشورات وتوزيعها والسرقات المسلحة أيضا وربما القتل ..

وهو منطق إنتهازى بالغ الخطورة يستغل الإستعداد الفطرى لهؤلاء الصبية للإنخراط فى العمل السرى من ناحية ، وما منحه القانون لهم من ضمانات أوعقوبات مخففة من ناحية أخرى ؛ أما الفتيات فيتم إستغلالهن بطريقة أخرى تبدأ بدعوة رقيقة لإرتداء الزى الإسلامى والخمار ثم يعقبها الدعوة للنقاب وتتطور إلى مقاطعة ما يطلقون عليه "المجتمع الجاهلى" وأدواته وملذاته ثم الإلحاح اليومى على ضرورة إرتباط الفتاه المسلمة مبكرا عصمة لها من الزلل والخطيئة فالعين تزنى والأذن تزنى وكل أعضاء الجسم تزنى وأن "الفتاة المسلمة حقا" لاتتزوج إلا مسلما يحل لها ولايجوز زواجها من كافر من غير الإخوة أعضاء الجماعة بالطبع ، ثم تتطور الأمور حيال ضعف إمكانيات مثل هذه الزيجات

العشوائية حتى تصل إلى منطقة "وهبتك نفسى" وهكـذا يلتقـى الهـوس الجنسـى بالهوس العقائدى ليصنعا خلية سرية تتفنن فى كل الممارسـات لخدمـة الجماعـة وأمرائها أصحاب الفضل عليهم وعليهن .. وربما علينا نحن أيضاً .

ولاشك أن هناك مهاما بعينها توكل للأحداث والقاصرات وتحديد هذه المهـام أمر مدروس بعناية ، فمثلا يوكل للصبية الصغار واحدة من أخطر المهـام وهـى جمع كل المعلومات المطلوب معرفتها عن أشخاص أو مواقع حيويـة لسهـولة تحرك هؤلاء الصغار واستماعهم لأقرانهم وما يردده الكبار أمامهم دون حـذر أو خوف فيصبحون بهذا جهاز المعلومات "المخابرات" الخاص بالجماعـة ، وهنـاك مهمة أخرى هى "توزيع المنشـورات" ، وتعد هذه المرحلة مـن أخطـر حلقـات إصدار المنشور بدء اً من تجهيزه وإعداده وصياغتة وطباعتة ولا سيما بعد توافـر طرق الطباعة بوسائل حديثة مثل الكمبيوتر ، وما يحدث أن كل هـذه الخطـوات يمكن أن تحدث فى سراً وفى الخفاء ، أما التوزيع فهو الحلقة التـى يلتقـى فيهـا الظلام بالنور وينتقل فيها المنشور من مرحلة السـرية إلى العلانيـة ، وبالتـالى تزداد المخاطرة بإمكانية القبض عليه متلبسا بتوزيع منشورات وما يستتبعه هذا من عواقب الإصطدام بأجهزة الأمن وتحقيقات النيابة والسجن .

وهناك مهام أخرى كأعمال الإنتقام والتصفية الجسدية لبعـض الخصـوم أو المنشقين عليهم ، وإخفاء المتفجرات ونقلها من مكان لآخر مما يقلص مـن حجـم المخاطرة على قادة هذه الجماعات ، وخاصة حينما يتقلص حجـم الشـبهات فـى هؤلاء الصبية الصغـار المدفوعين عادة بروح الطاعة العميـاء وغيـاب العقـل وانعدام الوعى ، وأما القاصرات ففضلا عن الدور الرئيسى المعد لهن فى الـزواج على الطريقة - إياهـا - فإن دورهن يمتـد ليشـمل تـأمين الإتصـالات ونقـل المعلومات من المسجونين منهم إلى أعضاء الجماعات الآخرين بالإضافة لإخفـاء النقود واستطلاع الأهداف المرصودة قبل الإغارة عليهـا .. تمامـا كمـا يفعـل اللصوص وتجار المخدرات حينما يطلبون من زوجاتهم معاونتهم فيما يقومون بـه من أنشطة إجرامية ، ولا أرغب فى التطرق لمناطق أشـد وعـورة كالشـذوذ الجنسى مثلاً درء اً لشبهة التحامل والتجنى .. وأيضاً لأن الله أمر بالستر .

على أية حال فإن الأمر ليس بحاجة للمزيد من الفضائح حتى تتضح خيوط هذه المؤامرة الدنيئة التى ينسجها الأمراء ومن وراءئهم على مستقبل الوطن وأغلى مدخراته من الشباب لتضيف إلى تاريخهم الدموى صفحة أخرى ملطخة بدماء الأطفال وبراءتهم المنتهكة ، وتكشف نفوسا مريضة يدفعها الهوس والإنتهازية والإستغلال اللاإنسانى لتحقيق أهداف باطنية هى على النقيض مما يتشدقون به ويتغنى به كهنتهم ليل نهار .

ومازلنا مع حكايات النساء والإرهاب ، وما زال لدينا الكثير منها فى أخطر صور إستخدام النساء فى النشاط الإرهابى :

فقد لا يصدق الكثيرون هذه المعلومة الجديدة التى يكشف عنها الستار أو بتعبير أدق "النقاب" لأول مرة ومفادها : أن سيدة شاركت فى عملية اغتيال السادات .. ليس بالتخطيط أو الإعداد أو إيواء الجناة كما قد يتبادر للأذهان .. ولكن بالتنفيذ أيضاً ، والحكاية لم تكتشف إلا عقب اغتيال الرئيس الراحل وأثناء البحث عن بعض المتهمين الهاربين التى كان يقوم بها فريق ضخم من ضباط شرطة وحينما قام أحد هؤلاء الجناة بالصعود إلى أحد المنازل فمضى وراءه أحد الضباط يتعقبه داخل العمارة ، وحينما طرق باب الشقة التى اعتقد أنه فيها .. فتحت له سيدة محجبة لا يبدو على مظهرها ما يدعو للريبة ، وسألها الضابط عن الشخص الهارب فأجابته بأنها شاهدته يدخل الشقة المواجهة ، وبمجرد أن إستدار الضابط صوب الشقة الأخرى حتى بادرته السيدة بإطلاق الرصاص عليه من بندقية آلية كانت تخفيها فى طيات ملابسها ، وأصابته بأكثر من عشرين طلقة فى كل جسمه كما أكد فيما بعد أثناء التحقيقات مرافقو الضابط من الجنود والشرطة السريين .

* وقد أكدت صحة الرواية إعترافات هذه السيدة لاحقاً أمام النيابة ، وأضافت بأنها كانت عضوة فى التنظيم الذى تولى مهمة التخطيط والتنفيذ للعملية وأنها ترتبط بصلات وثيقة مع كل نجوم ورموز الإرهاب المعروفين إبتداء من عمر عبد الرحمن ومروراً بكرم زهدى وناجح إبراهيم وانتهاء بصفوت عبد الغنى وغيره .

والملاحظ من خلال عمليات الرصد الإجتماعى أن فريقاً من النساء يرتدين النقاب على سبيل التطرف وحسب ، والفريق الثانى يفعلن ذلك لأنهن لايملكن سوى

طاعة أزواجهن أو إخوتهن من أمراء الإرهاب وجهابذة التطرف .. أما الفريق الثالث فيرتدين النقاب لأسباب حركية ودوافع تنظيمية بحته كالتخطيط لعمليات حرق أندية الفيديو أو محلات تصفيف الشعر أو لإغتيال رئيس .

ومن حادث المنصة إلى منطقة إمبابة وأثناء البحث عن الإرهابى الشهير جابر ريان - سنعرض قصته بالتفصيل فى موضع آخر من الكتاب - وحينما ألقت الشرطة القبض على جابر فى شقة سيدة مطلقة انضمت لجماعته وأصبحت صديقته إعترفت بأنها وثلاث سيدات أخريات كن يشاركن فى حوادث إضرام النيران بأندية الفيديو ومحلات الكوافير بمنطقة عين شمس بالإضافة إلى قيامهن بإخفاء بعض أعضاء الجماعات الهاربين من الملاحقة الأمنية .

وتشير معلومات أجهزة الأمن إلىمطلقة أخرى إسمها : سماسم عبد الفتاح عبد الرحيم" ، وهى شابة فى الثلاثين من عمرها وتقيم بحى عين شمس بالقاهرة قد إنضمت مؤخراً إلى تنظيم الجماعة الإسلامية ، وأصبحت من العضوات النشيطات به . تبدأ حكاية "سماسم" مع الإرهاب على يد شخص يدعى عشرى محمد ابراهيم ، وهو نجار عمره - ٢٦ عاما - المحبوس حاليا على ذمة احدى قضايا الإرهاب .. وكان "عشرى" قد إستطاع تجنيدها قبل أن ينجح فى إقناعها بالطلاق من زوجها بزعم أنه مرتد ولا يجوز لها الإستمرار فى إرتباطها به ، ولكن عشرى وقع فى يد أجهزة الأمن بعد ذلك بفترة وجيزة وكانت سماسم تتردد عليه للزيارة فى السجن واتضح فيما بعد أنها لعبت دوراً فى نقل تكليفات خطط تنظيم أندية الفيديو بعين شمس والزاوية من داخل السجن إلى العناصر المخولة بالتنفيذ .

والجدير بالذكر أن "سماسم" تمكنت من تجنيد فتاتين وضمهما إلى تنظيم الجماعة الإسلامية وهما : سيدة محمد جاد الرب - ١٨ سنة - وهى خطيبة أحد أعضاء الجماعة الذين اتهموا فى قضايا تفجير المنشآت السياحية والإعتداء على السياح الأجانب ، أما الثانية هى سيدة مرزوق وهى تبلغ من العمر حوالى ٢٥ عاما وقد أدلت السيدتان باعترافات هامة ومثيرة آثرنا أن ننقلها هنا دون تعليق أو تدخل فقد قالتا أنهن كن يخلعن النقاب عند استطلاع المواقع المستهدفة ثم يخططن

للبحث عن وسيلة لتنفيذ الخطة .. وقد تمكننا بالفعل من الإشتراك فـــى تنفيــذ ١٣ مهمة إرهابية ، شملت حرق ثلاث سيارات وأربعة محلات وخمسة أندية للفيديـــو ومحل كوافير ســيدات ، وامتد مجال نشاطهن إلـــى منطقتــى شــبرا والزيتــون بالإضافة إلى منطقة عين شمس .

ومن السيارات وأندية الفــيديو ننتقل إلى ديروط وما شــهدته مــن حــوادث إعتداء على قطارات السكة الحديد ، حيث إستدعت الشرطة السيدة صباح طلبة عبد الوهاب والدة الإرهابى أحمد محمد قريش الذى مزقته العبوة الناسفة .. وطلبوا منها أن تتعرف على الجثة .. إلا أنها لم تتأثر برؤية جسد ابنها الممزق ، ولــم تــذرف دمعة واحدة ولم ترتد ملابس الحداد ، واكتفت بأن تقول : "مش ابنى" ، وأضـــافت "إن ولدى مسافر ولا أعرف عنه شيئا " ويشار إلى أن ولديهــا الآخريــن صــلاح وطارق عضوان هــاربان بتنظيم الجماعة الإسلامية ، وما زالت أجهــزة الأمــن تواصل البحث عنهما لتورطهما فى ارتكاب عدد من الحوادث الإرهابية فى قــرى ومدن محافظة المنيا .

لكن أثناء قيام أجهزة الأمن بإجراء التحريات لكشف أبعاد حــوادث الإعتــداء على القطارات أشارت المعلومات إلى دور غامض لصباح فقد إتضح أنها كـــانت تأوى عناصر الإرهاب من زملاء ولديها بمسكنها ، وأنهم كانوا يطلقون عليها لقب "**أم المؤمنين**" لمعاونتها أعضاء الجماعة بالقــرية .. وبعــد أن تمكنــت أجهــزة البحث من رصد المترددين عليها الذين كانوا على علاقة بابنها المتطرف الذى سبق اعتقاله منذ خمسة شهور وكان يجرى البحث عنه للقبض عليه قبل مصرعه .

أما ما حدث فى الفيوم فقد رصدت أجهــزة الأمــن عــدداً مــن التحويــلات المصرفية الخاصة بعمر عبد الرحمن .. مفتى الإرهاب المحبوس فـــى الولايــات المتحدة والتى قــام بإرسالها إلى زوجته فى الفيوم .. وقدرت المبــالغ التــى تــم تحويلها خلال شهر واحد بنحو ٢٨٠ ألف دولار ، وهى على التوالى شيك بمبلـــغ ٦٠ ألف دولار ، وآخر بـــ ٨٠ ألف دولار ، وثالث بـــ ١٤٠ ألف دولار .

وقد أشارت المعلومات الأمنية حينئذ إلى أن زوجة عمر عبد الرحمن كـــانت تتولى توزيع تلك المبالغ على قيادات الجماعة الإسلامية فى مصر بعــد أن يقــوم

الشيخ بجمع التبرعات فى الخارج لتمويل أنشطة الجماعة وتنفيذ مخططاتها الإرهابية .

وأثناء التحقيق مع المتهم سعيد أمين أبو المجد سائق السيارة نصف النقل التى هرب بها الإرهابيون الذين هاجموا اتوبيس السياح الألمان بقنا ، اعترف بأنه عقب وصولهم إلى مشارف بلدة الحجيرات فى قنا قبل تنفيذ جريمتهم ، قام دراوى قائد العملية بمخاطبة شخص يدعى عبد الناصر من جيرانه بالقرية وسلمه حقيبة سوداء بداخلها بندقية آلية وكمية من الذخيرة وطلب منه تسليمها إلى شقيقته "أنوار" ، وعندما قامت قوات الأمن بمداهمة مسكنها بقرية "نجع معلا" التابعة للحجيرات عثرت على الحقيبة ، واعترفت أنوار فى التحقيقات بأن جارها قد أحضرها وكانت تنوى تسليمها إلى شقيقها .

وكما شاركت الأخوات المنقبات فى تنفيذ العمليات الإرهابية فإنهن أيضا شاركن فى دور آخر مفضل لدى فقهاء وأمراء جماعات الإرهاب .. وجاء فى إعترافات المتهم سيد عبد الرازق بدرى الذى ألقى القبض عليه ضمن تنظيم "طلائع الفتح" أن أمير الجماعة عادل عوض صيام قام بتزويجه لفتاة صغيرة "من الأخوات عضوات التنظيم" ودفع له مبلغ ١٠٠٠ جنيه لتقديمها شبكة لزوجته واستأجر له شقة يقيمان بها، وظل الأمير يتولى الإنفاق عليهما قبل أن يكلفه بتنفيذ عمليات السطو المسلح على محلات الذهب بالزيتون والخانكة والإشتراك فى محاولة اغتيال المقدم محمد عوض مأمور سجن استئناف ليمان طرة .

كما اعترفت منال أبو رواش زوجة قائد مجموعة السطو على محلات الذهب بالزيتون أنها كانت تعلم بنشاط زوجها الإرهابى الذى كان يصحو ليلا ليتدرب على إطلاق الرصاص فى مكان خصصه لذلك ولم يكن ينام إلا وبجواره سلاحه الآلى ، وأضافت الزوجة فى أقوالها : إنه قام بتدريبها على استخدام السلاح وإطلاق الرصاص والتعامل مع الغير عند الهجوم .

وتشير المعلومات إلى أن استخدام المرأة فى عمليات الإرهاب ليس اسلوباً مبتكراً فقد لجأت إليه الجماعات منذ بدايتها سواء فى التنظيم الإخوانى أو فى جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) على يد شكرى مصطفى ، والواقع أن ذلك

يحدث بين الحين والآخر من باب تغيير التكتيك لتضليل أجهزة الأمن عندما يتم تكثيف الإجراءات لمواجهة العناصر الإرهابية .

ويؤكد مصدر أمنى رفيع المستوى : "أن جماعات الإرهاب قد قطعت شوطاً طويلاً فى مجال تجنيد النساء داخل التنظيمات فى إطار النشاط الحركى وقد بلغ هذا النجاح ذروته بشكل خاص مع أقاربهم وزوجاتهم وأخواتهم ، حتى يسهل إعتناق أفكارهم .. ويبقى القول بأنه عندما يستخدم النقاب فى إخفاء القنابل أو الأسلحة أو كوسيلة للتنكر ، فهنا تكمن الخطورة خاصة أنه يصعب التعرف على شخصية المنقبة أو حتى تحديد ما إذا كانت سيدة أم رجلا متخفيا " .

ولعل الواقعة الشهيرة التى حدثت داخل أحد السجون عندما تمكن أحد السجناء من أعضاء الجماعات المتطرفة من الهروب .. بعد أن قامت احدى الفتيات المنقبات بزيارته وأخفت معها زى النقاب الذى إرتداه المتهم وخرج ببساطة دون أن يشك فيه أحد ثم خرجت الفتاه بعده ، ولم يكتشف الأمر إلا بعد أن تبين إختفاء المتهم المحبوس .

وكذلك إستخدمت المرأة كعنصر جذب لاستقطاب أعضاء جدد للتنظيم ، أو مكافأة لهم على بعض العمليات التى قاموا بتنفيذها .. حيث يقوم أمير الجماعة بتزويج أحد الأعضاء بأخت من التنظيم يختارها له ، وغالبا ما يكون الزواج مجانا على طريقة وهبتك نفسى ، ولا يتوقف الإعفاء عند هذا الحد بل يشمل أيضاً أعباء المهر والمسكن وكافة النفقات الأخرى ، ومن المنطقى بعد الزواج أن تتحول الزوجة إلى أداة لا تملك مجرد مناقشة أوامر الزوج ، بل تتفانى فى تنفيذ كل ما يطلب منها حتى لو كان ذلك يدخل فى دائرة التورط فى القيام بعمليات الإستطلاع أو حمل ونقل المواد المتفجرة والأسلحة ، وفى بعض الأحيان تتولى مهمة بأكملها مثل القيام بحرق المحلات أو السيارات التى يخطط لها التنظيم وفى أفضل الفروض نقل التكليفات .

وقد كان الإعتقاد السائد فى أوساط أجهزة الأمن والمراقبين لفترة طويلة أن إستغلال النساء فى النشاط الإرهابى مقصورا على عملها "كبوسطجى" بمعنى أنها

تتولى مهمة توصيل الرسائل من قيادات التنظيم المحبوسين أو المعتقلين في السجون أثناء زيارتهم وإلى أعضاء الجماعات خارج السجن ، وتتضمن هذه الرسائل في الغالب تكليفات بعمليات إرهابية أو التخطيط لحوادث اغتيال أو سرقة محلات للذهب أو حرق لأندية الفيديو ومحلات الكوافير وغيرها .. لكن هذا الأسلوب شهد تطورات مذهلة لاسيما بعد أن شاركت عضوات التنظيم في القيام بتنفيذ هذه الحوادث أيضا ، وهو الأمر الذى وقع بالفعل في حوادث السطو على محلات الذهب ونوادى الفيديو في شبرا الخيمة وعين شمس على النحو الذى أشرنا إليه من قبل .

أما في محافظات الصعيد يقل الإعتماد على المرأة وإن كان دورها في هذه العمليات – كما سبقت الإشارة إليه – يقتصر على مهمة البوسطجى ، وتوصيل الرسائل والنقود والتكليفات وفى أسوأ الفروض إخفاء الهاربين .

ويرى بعض المراقبين : أن دخول المرأة دائرة النشاط الحركى لجماعات الإرهاب يعنى أشياء عديدة أولها أن هذه الجماعات بدأت تتخلى عن وسائلها التقليدية في الإعداد والتخطيط بدليل أنهم مؤخرا بدأوا يستعينون بسيدات متبرجات في مغازلة أصحاب المحلات ، ثم يقومون بسرقة تلك المحلات والإعتداء على أصحابها وسرقتها بعد ذلك ، تماماً كما يفعل اللصوص المحترفون ولكن هؤلاء أكثر وضوحاً واحتراماً ، فهم – أى اللصوص – على الأقل لايتشدقون بما يتغنى به خفافيش الإرهاب وكهنته من مبادئ وقيم مزعومة ، ولا يستترون وراء شعارات لم تعد براقة .

الفصل الثـــانى

الحـــب والجنـــازيـــر

عن ممارسات جماعات الإرهـاب للعلاقات الإنسانية

الحديث عن مفاهيم الحب والزواج .. الصداقة والجيرة .. العيش والملح .. وباختصار المشاعر والعلاقات الإنسانية كما يتصورها ويمارسها أمراء الجنازير يعنى حتمية إقتحام الدائرة المحرمة فى نشاطهم .. فالحب مثلاً - كمجرد شعورإنسانى - لايسمح بوجوده أو تداوله فى منهجهم ، ويبقى الزواج الذى يخضعونه لمعايير حسابية وأنماط آلية فيما يشبه مواصفات درجة جودة السلعة وهو الأمر الذى يخرج به من نطاق العمل الإنسانى .

ولعل فى حكاية الفتاة "سحر" تجربة حية أو دليلاً واقعياً نترك أمر تقديره والحكم عليه للقارئ ، وسحر فتاة فى العشرين من عمرها •• ليست جميلة بالقدر الذى يثير الطامعين ويفتح شهيتهم لكن الذئاب لاتهتم كثيرا بالعيون أو القدود أو الضفائر ، بل تكتفى بلحم الضحية .. ونشأت سحر يتيمة الأم فى إحدى ضواحى السويس وحصلت على دبلوم تجارة .. وعملت كبائعة بمحل ملابس جاهزة وتعرفت من خلال عملها على إحدى المترددات وهى فتاة منقبة تدعى "هدى" وتوطدت علاقتهما سريعا وأخذت هدى تلح عليها بضرورة الإلتزام وارتداء النقاب ولكنها اكتفت بالخمار لظروف عملها .. وتكمل سحر الحكاية قائلة :

"أمى كانت متوفية وأبى تزوج من أخرى وشقيقتى الكبرى تزوجت وانتقلت فى صحبة زوجها للإسماعيلية أما شقيقى فقد سافر للعمل بليبيا .. وبإختصار أنا فتاة وحيدة .. وهدى كانت ظروفها مشابهة .. جمعتنا الوحدة وعرفنا عن بعض كل حاجة والحقيقة أنا ارتحت لها جدا ومرة طلبت منى أشوف واحد صاحب خطيبها .. وكان ملتحى زيه وبعدين قالت إنها رشحتنى له وأقنعتنى بأنه رجل متدين ويعرف ربنا وسوف يصوننى حتى كان لقائى معه ومع زوج هدى وكان صامتا .. شارداً وبدأ زوج صديقتى يمهد للكلام فقال :

- الأخ على رجل فاضل ويرغب فى الزواج منك ياأخت سحر فما رأيك ؟!

فلذت بالصمت خجلا .. فابتسم متوددا وأضاف :

- صمت البكر يعنى القبول ... ها .. متى يمكن أن نعقد القرآن ؟!

مش نكلم والدى الأول !

- إسمعى ياأخت سحر .. أنا عارف ظروفك كويس وأبوك ده زى ما عرفت رجل ماينفعش معاه كلام .

يعنى إيه ؟ .. حنتجوز من غير علمه أو موافقته ؟!

- إنت مش قاصر واتركى لى وللأخ على مسألة تجهيز كل شئ .

" تركنى على وصديقه زوج هدى يومها نهبا للحيرة بين أمرين كلاهما مر .. هل أقبل الإرتباط بهذا الأسلوب وأخسر أهلى للأبد .. أم أرفض هذا الزواج وتستمر مأساتى مع وأب غائب .. زوجة أب ظالمة .. ولكن صديقتى لم تتركنى لهذه الحيرة طويلا فقد استطاعت إقناعي بالزواج بالإلحاح على عقلى بأن هذا زواج شرعى من رجل يرعى حقوق الله وان أبى رجل نسى الله فأنساه نفسه .. وشاركتنى فى التخطيط للهرب من المنزل .. بينما كان على وصديقه فى انتظارنا ليصطحبونى بعد ارتدائى النقاب إلى أحد المساجد الصغيرة حيث كان هناك إخوة وأخوات كثيرون .. دخلت مع السيدات ودخل هو مع الرجال وبعد صلاة العشاء دخل علينا أحد الإخوة ومعه على وشخصان آخران .. وأخذ يقرأ آيات من القرآن ثم إلتفت إلى قائلا : "رددى خلفى ما أقوله" .. وأخذ يقول وأنا أكرر ما يقوله دون إستيعاب"وهبتك نفسى زوجة لك على سنة الله ورسوله .." .

ثم إلتفت هذا الأخ نحو على يطلب منه الشئ نفسه فقال : "قبلت الزواج منك لقاء الصداق المسمى بيننا" وبعد ذلك أخذ الإخوة يوزعون المياه الغازية وحبات الحلوى على الحاضرين منهم ثم اصطحبتنى هدى وزوجها وعلى الذى أصبح زوجى إلى غرفة فى أقصى المدينة مؤكدين لى أن هذا سكن مؤقت وسوف يعود زوجى للقاهرة عندما تنتهى بعض الظروف التى لم يوضحها أى منهم لى .

وحتى هذه اللحظة لم أكن أشعر تجاه "على" بشئ .. كانت مشاعرى محايدة .. وعقلى صار فريسة للحيرة والدوار .. هل ما حدث كان صوابا أو خطأ ؟ كـأننى أدخل مملكة غامضة مسحورة كل كائناتها تحجرت فى مكانها .. فلا أعرف سبيلا للحوار معها .. وكان على متجهماً طيلة الوقت .. وجاداً وغريـب الأطـوار .. ومريب السـلوك فقد كان يغيب طوال النهار ويأتى فى الليل حاملاً معـه الطعـام فيأكل فى صمت ، وكثيرا ما حاولت إختراق عالمه الغامض بالسؤال أو التـودد أو التقـرب منه لكنه كان ينهرنى مؤكداً "عالمك هو بيتك وخلاف هذا لايعنيـك فـى شئ" وعقب هذا يتحول فجأة إلى كائن مختلف تماما يتودد لـى باسـلوب شـاذ .. يتمسح فى جسدى بطريقة مخيفة .. وينقلب تجهمه إلى انبساط محموم .. ويتبـدل صمته إلى حديث متصل مفرداته غاية فى البذاءة حتى ينال ما يشتهيه فيعود إلـى سيرته الأولى ..

ومرت شهور أربعة على هذا النمط .. الوحدة طوال النهار .. الطعام معه بعد العشاء .. والوجه الشبق الذى يعقبه الوجه المتهم .. حتى زارتنى هدى وفرحت بها جدا وعاتبتها كثيرا لإنقطاعها طيلة هذه المدة وشكوت لها وحدتى فابتسمت قائلة :

– وحيدة إزاى .. دا انتى لسـه عروسـة .

المهم إزى أخبار الجماعة عندنا .. بابا .. إخواتى نفسى أطمئن عليهم .

– شوفى ياسحر إنت لازم تنسى الموضوع ده خالص .. أنـت دلوقـت فـى عصمة رجل مؤمن هو صاحب الحق فى هذا الأمر .

ساد بيننا صمت طويل حتى تحينت فرصة سؤالها عن أخبـارى مـع علـى فشكوت لها تقلب طباعه وغرابة سلوكه فاستغرقت فى ضحكة طويلـة ماجنـة لا تناسب مظهرها المتدين ونظرت فى عينى بخبث وقالت .

– حتفضلى لحد إمتى ساذجة كدة .. انت مش فاهمة طبع الرجالة .

وهو طبع الرجالة كدة دايما .

– إسمعى ياسحر .. الست المسلمة الملتزمة لازم تطيع زوجها وتسعده بكـل الطرق .. أمال هو متجوزها ليه .

بس مش بالطريقة دى .

– أنا سمعت فتوى لأخ متبحر فى العلم ينصح الزوجات بأن يفعلن أى شئ لإرضاء الزوج حتى أنه قال : "كن عاهرات لأزواجكن ".. ثم مضت تشرح تفاصيل ذلك بألفاظ خليعة .. وتعبيرات يخجل عن سردها القلم وتركتنى فريسة للشرود ولزوجى على الذى أوغل فى ممارساته الشاذة المستهجنة حتى فوجئت به يوما يسألنى بإستنكار :

– **لماذا لم تحملى طوال هذه المدة ؟**

فأجبته باندهاش إن هذه إرادة الله ولا دخل لمخلوق فيها فأطرق صامتا ولم يعقب إلا بقوله "إن حصيرا فى ركن البيت خير من امرأة لا تلد" ثم أمرنى بجمع متعلقاتى استعدادا للعودة لمنزل أهله بالقاهرة فى الغد مؤكدا بأن الظروف الآن قد سنحت لهذه العودة وبالفعل توجهت معه إلى مسكنه بعين شمس حيث قابلتنى اخواته بفتور ويبدو أنهن كن على علم بأسر زواجنا وأخباره فلم يخرج حديثهن عن دائرة طاعة الزوج وإسعاده والإنجاب .. ولم يكن هذا الوضع يحتمل المناقشة أو التعليق فقد أيقنت بأننى وصلت لنقطة اللاعودة .

وتوالت الأيام متشابهه حتى هاجمت الشرطة المنزل ذات ليلة وألقوا القبض على زوجى واكتشفت أنه متهم فى أحداث الشغب بعين شمس وكان هاربا من متابعة الشرطة له بالسويس حتى تهدأ الأمور فلما عاد وشى به بعضهم فحضرت المباحث لإعتقاله .. واستمر محبوسا قرابة خمسة شهور أجبرتنى خلالها أسرته على العمل كبائعة بسوق الخضار بشارع إبراهيم عبد الرازق للإنفاق على نفسى ولما حاولت إقناعهم بأنه من الممكن أن أعمل بمؤهلى الدراسى رفضوا بحجة أن ذلك العمل الحكومى أو حتى لدى القطاع الخاص حرام .. ومضيت أبيع الطماطم والبطاطس وغيرهما بالسوق حتى شاهدنى أحد أصدقاء زوجى ويدعى الشيخ حمدان فأرسل فى طلبى وقال لى إقتضاب :

إسمعى لى جيداً ياأخت .. إنه من الثابت شرعا وفقها أنه لا يجوز أن يترك الرجل زوجته مدة تتجاوز أربعة شهور حتى لاتقع فريسة للغواية .. وأنه إستفتى

أهل العلم فى أمرى فأفتوا بحق الأمير فى إيقاع الطلاق فى مثل حالتك وبوصفى – أى الشيخ حمدان – أميرا للجماعة الإسلامية بعين شمس فإننى قررت فك عقدة النكاح بينك وبين على لأن حبسه سيطول ، وأنه قد رشح لى أخا مسلما مؤمنا يدعى طارق للزواج منى على بركة الله تعالى .

– **بس أنا معرفش ده صح ولا غلط .**

سبحان الله ياأخت .. باقول دى فتوى شرعية لاتجوز مناقشتها .

– **ولكن هل سيقبل أهل زوجى هذا الكلام .**

اتركى لى هذه المسألة .

وحينما عدت للمنزل وجدت شقيقات على جالسات كأنهن فى انتظارى ، وقد أعددن حقيبتى والصمت والترقب يخيم على المكان كأنه جنازة .. فبادرتهن بالسؤال عما يحدث فأجابت الكبرى بأنها تعرف كل شئ .. وأن هذا قضاء الله وتمنت لى التوفيق دون أن يكون بوسعى فهم شئ أو محاولة المناقشة ، وهكذا حملت حقيبتى وقطعت سلم المنزل لاهثة لأجد سيارة أجرة بداخلها حمدان وشخص آخر له ملامح غليظة منفرة ونظرات مريبة لم تفلح تلك الشعيرات النابتة فى وجهه من إخفائها .. فابتسم حمدان بطريقة آلية ليقرر أن هذا الجالس بجواره هو الأخر "طارق" الذى حدثنى عنه .. ولم يكن بوسعى الإعتراض أو حتى مجرد التعليق ..

ورحت فى دوامة من الأسئلة بين الماضى والحاضر والمستقبل .. وكيف تحولت إلى مجرد سلعة قابلة للتداول تحت شعار الدين وعلى أيدى الأمراء وببركة فتاواهم .. ولم أعد أملك إلا الإستسلام للمزيد من التيه حتى أفقت على صوت حمدان يأمرنى بالنزول من السيارة أمام أحد المساجد ليتكرر نفس المشهد الذى عشته بالسويس أثناء زواجى من "على" وبنفس السيناريو وإن كانت الإجراءات أسرع هذه المرة .. (وهبتك نفسى زوجة .. قبلت الزواج على الصداق المسمى) .. زجاجات المياه الغازية .. هتافات سخيفة حتى وجدتنى فى أحضان ذلك الشخص المريب الذى صار منذ هذه اللحظة زوجى ..

ولم ينتظر كثيرا فقد إستهل اليوم الجديد بألفاظ السباب السوقية التى تتنافى مع مظهره الملتزم تماما .. وكان يتركنى كثيرا فى هذه الغرفة التى تحمل ملامح الوكر فى ذلك الحى العشوائى الذى يجمع شتات المدينة وأرذالها وهو "عزبة الهجانة" عند بداية طريق السويس الصحراوى .

وكثيرا ما كان أشخاص غرباء يأتون للسؤال عن "طارق السوق" وكان هذا هو إسم الشهرة الذى لا أعرفه لزوجى .. وبعضهم كان يحاول مغازلتى بوقاحة وكنت أشكو ذلك لطارق فينهرنى ويتهمنى بأننى "عايزة كدة " .. ولم تكن هناك وسيلة سوى الفرار من هذا الجحيم الشرعى .. فحملت صرة ملابسى وغادرت الوكر على غير هدى .. ولكم أن تتخيلوا فتاة محجبة تتسكع فى طرقات وأزقة مدينة متوحشة .. وفى يدها صرة ملابس قديمة وفى جيبها بضعة جنيهات قليلة.. وتواصل حكايتها قائلة :

" إستقر بى المقام لدى بائعة خضروات طاعنة فى السن لم تهتم كثيرا بالسؤال عنى أو عن حكايتى .. فقد إكتفت بمعرفة إسمى وما قلته لها من تفصيلات محدودة .. فكنت أبدأ يومى بشراء الخضر من سوق الجملة ثم أعاونها فى البيع وأعود ليلا لتنظيف غرفتها وغسل الملابس وكانت تنادينى باقب حرمت منه "يابنتى" ، وكنت أتلذذ بندائها بـ "ماما" ، وكثيرا ما بكيت على صدرها فتهدئ من روحى دون أن تسأل عما أبكانى ما لم أبادر أنا بالإفضاء .. ومرت أجمل سنوات التيه .. خلعت خلالها كل الأقنعة والنقاب .. حتى فوجئت يوما بالشيخ حمدان وقد أطلق تجاهى نظرة غاضبة فتسمرت فى مكانى .. وعلى الفور أمر عددا من مرافقيه الذين يتبعونه دائما فى كل تحركاته بأن يمسكوا بى واندفع يسبنى بأفذع الشتائم قائلا "علشان كدة هربت من زوجك يافاجرة " ..

ولم تفلح صرخات العجوز ولا استغاثتى فى إثنائهم عما يفعلونه حتى حينما تدخل بعض المارة لفض هذا الإعتداء أشهروا المطاوى ورفعوا الجنازير فى وجوههم واقتادونى مرة أخرى لطارق ووكره الذى كان شرسا لدرجة أعجز عن وصفها خجلا وخوفا .. كان يوثق ذراعى بالقيود كالأسرى .. ويربطنى بقائم

الدولاب ، والأبشع أنه كان يعاشرنى وأنا مكبلة اليدين .. ولكن شيئا ما كـــان قـد اخترق حياته وجعله ثريا أو يبدو هكذا .. فكان يعود من الخارج ومعـــه أجهـزة كهربائية حديثة يطلب منى إخفاءها بحجة أنها أمانة للإخوة طرفه .. ولم تتحســن معاملته لى حتى فوجئت بغيابه قرابة أسبوع متصل حضر بعدهـا ومعـه رجـال المباحث وهو مقيد بأغلال حديدية وفى حالة إعياء واضح وأخذوا يفتشون الغرفـة ويسألوننى عن مكان أجهزة كهربائية أخرى يكون قد أعطاهـا لـى .. فأجـابتهم بصراحة متناهية وأخذ الضابط يستجوبنى عن صلتـــى بطـارق وعـن نشـاطه وأصدقائه واستمع لكل تفاصيل مأساتى من السويس إلى عزبة الهجانة فبـدأ عليـه الوجوم ولم يكد يصدقنى إلا عندما أيدت إعترافات طارق صحة روايتـى فـأخلى سبيلى وفى نيتى الآن العودة مباشرة إلى السويس .. فلم تكن زوجة أبــى – علـى قسوتها – أكثر بشاعة من هؤلاء الأمراء الشواذ " .

عند هذا الحد إنتهت حكاية "سحر السيد أبو سيف" ولكنها تسوقنا إلى البحـث فى الطريقة التى يختارون بها الزوجة .. ومدى إرتباط الهوس الجنســى بـالهوس الدينى فى منهجهم تحت مبررات ما يسمى بالحقوق الشرعية .. والإختيــار يتـم بطرق عديدة لايدخل التفاهم فيها .. تبدأ باصطياد هؤلاء الفتيات الضائعـات مـن ذوات الظروف الإجتماعية القاسية وتنتهى بإعداد قوائـم بمواصفـات الأخـوات المنقبات وعرضها على الإخوة راغبى الزواج للإنتفاء وفقا لرغباتهم وفـى إطـار تنظيمى بالغ الدقة مستغلين تلك المغالاة التى يتبناها المجتمع فى طقـوس الـزواج وشروطه بأن يجعلوا من الزواج أمرا ممكنا .. وسهلا ثم عقب الإيقاع بهـن فـى شـرك المعتقدات والحقوق الشرعية تتم السيطرة عليهن بما يحقق المنهـج الشـاذ الذى تبرره مقولاتهم وفتاواهم ، ولعل ما أورده أبو حامد الغزالى فى كتابه "إحيـاء علـوم الدين" الذى إنتقى منه الأمراء الفقرات والفتاوى التى تروقهم لتطبـع فـى كتيب يحمل عنوان "**الزواج الإسلامى السعيد**" ، ويروى فيه عن إبن عمر رضـى الله عنهما أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبـل أن يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى لتفريغ القلب من بذرة الشـيطان ، وروى أنـه جامع ثلاثاً من جواريه قبل العشاء الأخير الذى يسبق رؤية هلال رمضان" ، لعـل

فى هذه الرواية والإلحاح على الإستناد عليها من الدلالة ما يغنى عن التعليق على مدى ارتباط الهوس الجنسى بالهوس الدينى . وأسوق هنا حوارا دار بين أحد الإخوة الذين سافروا إلى أفغانستان للإنضمام فى صفوف المجاهدين وعاد ليروى حكايات لاتنتهى عن غنائم الحرب ضد الروس الكفار من شأنها أن تلهب خيال إخوانه العاجزين عن تدبير نفقات الزواج فيقول فى معرض حديثه :

" كان الكفار الشيوعيون يبعثون بنسائهم للإشتراك فى الحرب ضد المجاهدين المسلمين فى أفغانستان وكنا نتربص بهن وننصب لهن الفخاخ والأكمنة فيقع ضمن ما يقع من الأسرى فتيات بارعات الحسن وقد أفتى العلامة أبو الأعلى المودودى بجواز التمتع بهن واتخاذهن كجوارى تقسم بين المجاهدين ضمن غنائم الحرب ووفقا لأقدار الرجال وما أبلوه من بلاء حسن فى المعركة " .

وحينما استفسر أحد الصبية عن السن الشرعية لهذا الأمر إنتفض غاضباً ومد يده لكتاب يحمله ليقرأ فتوى المودودى قائلا "إن إباحة التمتع بالجوارى بناء على حق الملكية أمر وارد وغير محظور شرعا ، وإن استبعاد الأسرى وبيعهم وشراءهم كان ولايزال تجارة رائجة فى أنحاء الدنيا .. ثم أفرضوا أن الحرب قائمة بين المسلمين وأمة كافرة - كما هو الحال فى أفغانستان مثلاً- وأصاب المسلمون آلافا من النساء منهن الجميلات والشابات فقولوا ماذا ينبغى أن نفعل بهذا العدد الكبير من نساء العدو" .

ويمضى فى الفتوى بجواز قيام الجوارى والإماء بخدمة الرجال وهن سافرات دون أن تكون هناك معصية .. وكأن حديث الجوارى قد أصبح قضية العصر وأزمته .. وهكذا يفكر الأمراء المجاهدون ويلتقون عند نقاط عدة نذكر منها :

١- إعتمادهم الجوهرى على أحاديث ضعيفة منسوبة للرسول (ص) ، وبالرغم من أن معظمها لم ترد فى الصحاح الثمانية للحديث الحسن إلا أنها تشكل العمود الفقرى للمنهج .

٢- إهدار عناصر الزمان والمكان فى الفتاوى .. فمما لاشك فيه أن الفوارق هائلة بين مجتمع المماليك الذى كان يعج بالجوارى وبين العصر الحالى الذى

يرفض مجرد التفكير فى مثل هذا الأمر .. ومكانيا هنـــاك فــرق بيــن ظـــروف المسلمين فى مجتمع الهند الذى انسلخت عنـــه باكســتان وأفغانســتان والمجتمـــع المصرى المتجانس تاريخيا وفكريا وثقافيا ، وأن مقولة صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان لايمكن أن تغفل ما يستحدث من ظروف وقضايا ومبتكرات ليست كلها بدعا كما يحلو لفقهاء التطرف أن يطلقوا عليها .

٣- إن المحاولات الدعوبة لإستغلال مناخ الحرمان والمغالاة الإقتصادية فـــى الزواج تجعل من منهج "الإستسهال" الذى يسلكونه فى الزواج كأنه حــــل حقيقـــى والواقع أنهم يحولون المرأة إلى سلعة متداولة تحت طقـــوس شـــكلية تفتقــد إلـــى الضوابط الجادة التى تكفل تنظيم المجتمع وسلامته .

٤- الإلحاح على استدعاء صور تاريخية لم تكن فى أفضل صورهـــا ســـوى ثغرة لأعداء الإسلام ينفذون من خلالها ويجعلونها مادة للسخرية من الدين كلـــــه ، كاباحة التمتع بالجوارى والرقيق وتبادلهن بين كبار القوم .

وأخيرا فإن مثل هذا الرجل الذى لا يرى فى المرأة إلاسلسلة مـــن العـــورات لايسترها سوى القبر .. ويختزلها إلى مجرد وعاء للشهوة .. ويرهـــن احترامهـــا بقدرتها على الإنجاب والإستجابة لعهر الشواذ والمرضى نفسياً منهم .. ويـــتربص لها فى الحروب ليتخذها جارية يتمتع بها .. إنه بالتأكيد لايعرف الشـــعور بـــالحب وإن تشدق به فلا يعنيه ولا يعانيه ولايعنينا أمره .

الفصل الثالث

الأمــراء سرقـوا زوجـتى

تجربة مريرة من دهاليز جماعات الإرهاب

بدأت فصول هذه الحكاية البالغة الغرابة ببلاغ للشرطة من المواطـــن رأفــت حســن السروجى – ٢٧ سنة مدرس ومقيم شارع مصطفى حافظ عــرب الجســر بعين شمس .. من أنه كان قد عقد قرانه على نجوى على عبـــاس – ٢٠ ســنة – طالبة ومقيمة بشارع عمر بن الخطاب بمنطقة عين شمس بالقاهرة ولم يدخل بهــا، ثم سافر للعمل بإحدى دول الخليج ، وحال عودته للبلاد اكتشف هروبهـــا صحبـــة آخر هو سعد كامل إبراهــيم – ٣٢ سنة – بـــائع متجـــول ، ومـــن العنـــاصر المتطرفة المعروفة ، وسبق إعتقاله وإتهامه فى أحداث الشغب بعين شمس .." أمـــا تفاصيل المأساة فجرت وقائعها على النحو التالى :

فى البداية يقول " رأفت " " لم يكن زواجى من نجوى تقليديا جرى ترتيبه فى صالون المنزل بتدبير من العجائز .. فأكاد لا أتذكر تاريخ معرفتى بها من فـــرط قدمه .. فقد كانت حلم العمر وحكايته الجميلة ، ولم أكتشف أننى أحبها إلا بعـــد أن اتجهت إلينا النظرات ورشقتنا التلميحات .. فقد كان إقتحامى لدائرتها الإجتماعيـــة أمراً مشروعـــاً بحكم الجيرة القديمة .. وروابط القرابة .. وصلة الصداقـــة بينهـــا وبين شقيقتى الصغرى "هـــناء" وكانت أسرة نجوى رقيقة الحال فقدت عائلها قبـــل أن ترى هى النور وتبقى لهم معاش حكومى ضئيل وبضعة جنيهات قليلة تنتزعها الأم بصعوبة من خلال عمليات تهـــريب تافهة ومتكـــررة تتمثـــل فـــى ســـفرها لبورسعيد ، حيث تجلب بعض البضائع والملابس وتجتهد فى تهريبها من الجمرك ، ثم تطوف بها على بيوت أسر الحى التى ينتمى معظمها لمحافظات الصعيد الذيـــن نزحوا إلى القاهرة واستقروا بها ، وشقيقها الوحيد يتخبط من مهنة لأخرى بعد فشله

فى الدراسة وشقيقتها الكبرى كانت قد تزوجت بأحد أقاربهم وتقيم معــه بمحافظــة أسيوط .. وكنت أتردد على منزلهم لأسباب وجيهه فى البداية ما لبثت أن فقــدت وجاهتها عندما وقعت أسيرها .. وكنت آنذاك فى السنة الأخيرة بالجامعة ..

تخرجت وأنهيت خدمتى العسكرية والتحقت بالعمل بإحــدى بإحدى مــدارس الحى .. وقد وضعت نصب عينى أمل كل مدرس .. وهو الإعارة لإحــدى بــلاد الخليج ، حيث فرصة العمر لبناء المستقبل وتجــاوز كل الأزمات.. ولكن حدث فى هذه الأثناء أن تقدم لها الكثيرون ، وكانت ترفضهم لأسباب واهية .. وكــانت قــد بدأت تمنحنى فرصة الإقتراب منها فتسألنى تارة عن رأيبى فــى هـــذا الفســتان الجديد ، وتارة أخرى تطلعنى على أشيائها الخاصة التى كانت تعدها لتأثيث مــنزل الزوجية .

وإجتازت نجوى امتحانات الثانوية العامة .. والتحقــت بنفــس الكليــة التــى تخرجت فيها وهى كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية .. وصرنا أكــثر تقاربــا ولا أنسى تلك الليلة التى زرت فيها منزلهم لأزف إليها خــبر فوزى بإعــارة لأحــدى دول الخليج ولم أكن حينئذ أقدر حجم ما ينتظرنى من تفصيلات مريرة ومفــردات الغربة ووحشة ممارسة الحياة هنالك – هذا إذا كانت هناك حياة –ومــدى قدرتــى على إحتمالها ، ولكن الذى حدث أننى إنبهرت بفرصة الإعارة كطفل يلهو بدميــة جديدة .. وكم حزنت حينما قــابلت نجوى سعادتى الزائفة آنذاك ببرود ، فســرته على سبيل الخطأ فى حينها ثم اكتشفت بعد الرحيل أنهــا اســتطاعت بمشــاعرها القطرية أن تستشرف المستقبل .

يصمت رأفت قليلا ويشعل سيجارة ويسعل كثيراً .. ويعنــف حتــى تصبــغ الحمرة وجهه ويتساءل ببراءة .. وكأنه لايحدثنى بل يخاطب مجهولاً ويقول :

هل كان حباً ؟ .. عموماً غاية ما حدث أنه بمجرد أن أفصحنــا عمــا يــدور بأنفسنا وكأنما الأهل كانوا يترقبون هذه اللحظة .. فقد تسابقوا إلى ترجمته لواقــع عملى يبدأ بالزيــار .. فالخطوبة .. والزغاريد .. وفســتان العــرس .. وقبــلات الأمهات وأحضان الإخــوة .. ولمســة من يديها لم أكن أدرى أن لها كل هـــذا السحر والنشوة .. وأتذكر جيدا تفصيلات تلك الأيام ، فحينما غادرت منزل نجوى

بعد أن حدثتها فى أمر الإعـارة عدت لأجد أمي وأبى يجلسـان بمفردهمـا فـى شرفة المنزل .. وللمرة الأولى منذ أيام طفولتى عانقتهما بمرح وجنون ، أندهش له أبى وفسـر الأمر بفرحتى بالإعارة .. بينما استوقفت أمى أشياء لم أتبينهـا فـى حينها فأخذت تحدق فى عينى متسائلة ودار بيننا هذا الحوار :

أنت جاى منين يارأفت ؟

– من عند أم سيد "والدة نجوى" .

وابتسمت أمى بدهاء حنون ونظرت لأبى وكنت قد عقدت العزم على الإفضاء مهما كان الأمر فأخذت أتحدث وأطيل وأدور فى حلقة مفرغة حول بؤرة اقتحمهـا أبى بحدة الصعيدى قائلا :

يعنى أنت عايز إيه .. نكلم أم سيد على نجوى قبل سفرك ؟

– مش عارف بس رأيك أنت إيه ..

فابتسم أبى وتنهد بإرتياح ، وقال بكلمات غلبها الود رغم صرامتها ..

أنت لم تعد صغيرا يارأفت ، واحنا كنا فاهمين بس قلنا نستنى لمـا تنطقهـا بلسانك .

وهكذا سارت الأمور بأفضل مما كنت أتمنى فقد صرح أبى بأنه سيتجه لمنزل نجوى لخطبتها مساء اليوم التالى .. وقد حدث .. وانطلقت عصافير الشوق مـن محبسها وحلقت فى كل أرجاء المكان .. وكفت أمها عن التثاؤب حينما أزورهم .. وكفت عن التبرم من أحاديثى عن حقوق الفتاة فى الإختيـار .. وغـيره .. أمـا نجوى فقـد توارى بعض من التعقل المتعمد الذى طالما أمعنت فى إظهاره وبـدأ من خلف غلالة شفيفة من المشاعر الرائعة التى أجادت التعبـير عنهـا بأبسـط الأدوات الإنسانية من النظرة .. للهمسة .. للإبتسامة .. لحمرة الخجل الرقيق ..

ثم يضع رأفت رأسه بين يديه ويطرق محدقاً فى الأرض كمن يبحث عن شئ فقده للتو ويشعل سيجارة أخرى رغم نوبات السعال التى يهتز جسده لها ويضيف :

– أعود لتلك الأيام .. حينما كنت مصرا على عقد قرانـى وعـدم الإكتفـاء بالخطبة رغم تردد أهلى وتحفظ نجوى وأمها لكن شيئا مبهما كان يدفعنى للإصرار على عقد القران .. وقد امتثل الجميع لرغبتى ، وحزمت حقائبى وقبلت يـد أمـى وأصابع نجوى واحتضنتها علنا فى المطار .. ورحلت ! .

وبدأت تجربة جديدة لم تكن كما حسبتها ، أو ربما أظنني لم أحسبها مطلقا فقد كان قوامها الحياة الآلية فى كل شئ .. العمل معظم النهار .. العودة للمنزل وترقب وصول الخطابات ، ثم قضـــاء حاجاتى الشخصية مساء كالغسيل وإعداد الطعـــام وكى الملابس والإستلقاء البليد أمام شاشة التليفزيون ليلا حتى يداهمنى النعـــاس ، فأنام قلقا خشـــية التكاسل والتأخير عن العمل وعواقب هذا الأمـــر مـــن إســـتغناء ومهانة وربما إهدار حقوقى المالية ، وفى الشهور الأولى كنـــت أتـــزود بـــأحلام يقظتى وأستعيد ذكرياتى مع نجوى .. وأعيد قـــراءة خطاباتها حتى أغفـــو علـــى أغنية حالمة تتحدث عن الغـــربة .. وآه من هذه الخطابات التى كانت تتدفق فـــى البداية .. ثم تناقصت شـــيئا فشيئا حتى كان ذلك الخطاب المشئوم .. الـــذى كنـــت أشك فى أنها أرسلته لولا معرفتى الجيدة لخطها ومفرداتها .

وهنا انتفض رأفت من مقعده ليبحث فى حقيبة حتى عثر على ورقة صغـــيرة وألقاها أمامى بما يعنى السماح لى بقراءتها .. وقرأت كلماتها ..

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد فإن الله تعالى هو القائل فى محكم آياته : "ما خلقت الجـــن والإنس إلا ليعبدون" – صدق الله العظيم – وإن العبادة تبدأ بالإلتزام بفروض الإسلام وسنة رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم– ولما كنت أعلم عنك قبل أن يهدينى اللـــــه إلى طريقه أنك لاتقيم الصلاة بإنتظام .. وتهمل بعض الفروض والســـنن الواجبـــة فضلا عن عدم التزامك بالمظهر الذى فرضه الإسلام على المسلمين من الرجـــال كإطلاق اللحية وحـــف الشوارب وقد لعن الله المتشبهين من الرجـــال بالنســـاء ، ولهذا فإن مسألة عقد قراننا التى تمت قبل هدايتى وعودتى لصحيح الإســـلام قـــد أصبحت معلقة على إلتزامك بما يدعو إليه الإســـلام كمـــا أوضحـــت لـــك ، وإن زواجنا الذى عقده المأذون لايزيد على كونه حبراً على ورق ، فـــلا يجـــوز زواج المسلمة من كافر أو مرتد أو مشـــرك .. ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلـــن يقبـــل منه .. اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .. ولا غالب إلا الله .. والسلام على مـــن إتبـــع الهدى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

واستطرد رأفت قائلا :

كتبت عدداً لا أتذكره من الرسائل ردا على هذا الخطاب الغريب ، وصدمتنى تلك اللهجة التى لم أعتدها أو أتوقعها من نجوى فهى تتهمنى بالكفر والردة وتصف

زواجنا بالحبر على الورق والبطلان .. وتشهر فى وجهى أسلحة لم أتصـــور ذات يوم أنها ستستخدمها أو ستلجأ إليها أو حتى ستعرفها ، ولم أطق الإنتظـــار لنهايـــة العام الدراسى فانتهزت فرصة إجازة نصف العام وعدت لأتبيـــن الأمـــر دون أن أخطر أحدا بعودتى وقد فوجئت أســرتى بى أفتح الباب ، وما أن إنتهت القبـــلات والسلامات حتى لمحت فى يد شقيقتى هــناء خاتم زواج فسألتها مستنكرا مـــا أراه وكيف حدث دون علمى ونهرتها حينئذ أمى وتدخل أبى بطريقته الحازمة موجهـــا كلماته لى :

"هناء لم تخطب وهذه الدبلة هى دبلة نجوى .. وهى فتاه لم تعد تصلـــح لـــك وكل شئ قسمة ونصيب .. نجوى بعد رحيلك للخارج تعرفت على فتاة منقبة وقـــد نجحت هذه الأخيرة فى إقناعها بإرتداء النقاب وفى البداية لم نر بأساً فـــى ذلـــك ، ولكنها تمادت فى تقليدها بالتردد على مساجد معينة وحضور نـــدوات المتطرفيـــن ومن ساعتها قاطعت أمها فلم تعد تشاركها الطعام أو الشراب ، ثم إنقطعـــت عـــن الذهاب للجامعة وامتنعت عن مقابلة شقيقتك أو السؤال عنا ، كما كانت من قبل .. وحدث ذات مرة أن طلبت مقابلة هناء وحدثتها بجفاء وغلظـــة مؤكـــدة أنهـــا لـــن تستطيع إتمام الزواج منك بحجة عدم إلتزامك بالإسلام وأعطتها لفافة تحتوى على كل هداياك وشبكتك .. وقالت إنها لن ترتبط إلا بمسلم ملتزم يعرف الله ويتقيـــه ، وحينما وصلتنى هــذه الأخبار حاولت مقابلتها فرفضت ، فأرسلت أمـــك لمنزلهـــا ووجدت أمها تبكى وتنتحب ووجدتها جالسة مع بعض المنقبات داخـــل غرفتهـــا ، وأخذن جميعهن فى توجيه عبارات اللوم والتأنيب لأمك ، ثم أضاف أبى : "يـــابنى أنصحك بطلاقها وإرسال ورقة الطلاق لأمها " .

س : وهى فين دلوقت ؟

اتجوزت واحد ملتحى وسافرت معاه برة .. مش عارفة فين .

س : وإزاى اتجوزت وهى على ذمتى ؟

اتجوزوا فى الجامع بنظام الإخوة من غير مأذون ولا أوراق ..

وانخرط رأفت فى بكاء عصبى مكتوم يتخلله السعال .. ولم يكن بوســـعى إلا الصمت .. والإنسحاب .

الباب التاسع

مواسم القتل المقدس

" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة "
" البقرة ٧٤ "

الفصل الأول

جهاد المقاهى

قصة تفجير مقهى وادى النيل فى قلب القاهرة

سنبدأ باستعراض أربعة أخبارقرأها المواطنون فى ذلك اليوم الأسود :

" إستعرض وزير الداخلية "حينئذ" عبد الحليم موسى أمام مجلس الوزراء تقريراً أمنياً بشأن المواجهة مع عناصر الإرهاب وأكد أنها مجرد عمليات فردية وأشاد بتعاون المواطنين مع رجال الشرطة " .

هذا هو **الخبر الأول** .. ثم نقرأ :

" تمكنت مباحث القاهرة من ضبط كمية من المتفجرات بلغت ثلاثة أطنان من مادة TNT بحوزة أحد أصحاب المحاجر بمدينة ١٥ مايو " .

كان هذا هو **الخبر الثانى** .. ثم نأتى **للخبر الثالث** :

" وزير السياحة سافر فى جولة أوروبية تشمل عددا من الدول لتنشيط السياحة الأوروبية لمصر" .

أما **الخبر الرابع** فكان أكثر إثارة وهو ما يعنينا فى السطور القادمة :

"إنفجار مروع بمقهى وادى النيل بميدان التحرير ، مصرع أربعة منهم سويدى وتركى وإصابة ١٨ آخرين .. والغموض يكتنف الحادث ومازالت أجهزة الأمن تواصل جهودها لكشف ملابساته " .

وللوهلة الأولى قد تبدو هذه الأخبار غير مترابطة ولايجمعها سياق مشترك ولكن مع إعمال العقل قليلا تتكشف حقيقة مفزعة إنها جميعا مجرد حلقات فى سلسلة واحدة .. أو صراع واحد .. ففى نفس الوقت الذى تؤكد فيه المصادر الأمنية إصرارها على استمرار المواجهه مع عناصر الإرهاب وعصاباته وتتمكن أجهزة الأمن من ضبط ثلاثة أطنان من الديناميت وهى كمية تكفى لإزالة هضبة المقطم

من خريطة القاهرة أو تدمير أحياء الظاهر وباب الشعرية وغمرة والفجالة فى أقل من خمس دقائق ..

وبينما تسعى الدولة بكل أجهزتها لإستقطاب السياح بعد أن كانت قد تراجعت أعدادهم بنسبة تتجاوز الأربعين بالمائة بالمقارنة بنفس الوقت من العام الماضى ..

فى هذا الوقت تمتد يد غامضة لتفجر عبوة ناسفة زنتها لاتقل عن ٢ كيلو جرام - وفقا لتقديرات خبير المفرقعات كما سيلى - وداخل مقهى بميدان التحرير فى قلب القاهرة وعقب مدفع الإفطار مباشرة لتدخل العمليات الإرهابية مرحلة جديدة وطورا آخر من حرب العصابات التى لم تشهد مصر مثلها منذ قبل الثورة وهذا يسوقنا لإستقراء سريع لتطور هذه السلسلة الداميةالتى بدأت بالإعتداء على محلات الفيديو والكوافير بدعوى وجوب تغيير المنكر باليد .. ثم امتد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لمحلات المجوهرات تحت بند استحلال أموال الكفار والمشركين .. ثم توغل الإرهاب فى نجوع الصعيد وقرى الدلتا لتضرم النيران فى موالد أولياء الله التى يرتادها الفقراء والبسطاء بزعم مقاومة البدع والمنكرات .. ولم يكتفوا بذلك لكنهم توغلوا داخل الإدارة المحلية ليفرضوا على المحافظين إصدار قرارات إدارية تحظر دخول الخمر أو بيعها فى المحافظات وبغض النظر عن المؤثرات أو الدوافع الكامنة خلف هذا القرار إلا أنه مخالف للقانون والدستور ،وقد أقام بعض التجار الدعاوى القضائية أمام القضاء الإدارى وكسبوهاورغم ذلك لم يسمح لهم بمزاولة البيع .. ما علينا ..

وتمضى قاطرة الإرهاب لتشمل المساجد التابعة للأوقاف والكنائس والأديرة والأفراح وقصور الثقافة ومنشآت الشرطة وقطارات الركاب والسياح ورجال الدولة وضباط الشرطة والمفكرين والصحفيين ، أما الجديد هذه المرة فهو سقوط أقنعة الأمراء والمجاهدين .. فمكان الحادث ليس من الأماكن السياحية ذات النجوم فهو مجرد مقهى عادى ، ولا تقدم به الخمور مثلاً فلا شئ سوى الشاى والقهوة والسحلب وعلى أسوأ تقدير الشيشة ، ولا يرتاده علية القوم بل البسطاء والهامشيون وأبناء السبيل ، على أية حال لانملك سوى الإعتذار عن هذه المقدمة السخيفة التى فرضتها نوبة الغضب ..

ولنقتحم الموضوع مباشرة ونبدأ بسرد تفاصيل الحكاية التى بدأت فصولها فى الثامنة مساء عقب إفطار يوم الجمعة الخامس من رمضان - وهو بالمناسبة من

الأشهر الحرم – وعلى مقهى "وادى النيل" الكائن أسفل العمـــارة رقـــم ٩ بميـــدان التحرير حينما بدأ توافد رواده ممن فرضت عليهم ظروف عملهم الإفطار خــــارج منازلهم كالعمال والحرفيين والغرباء وجنود الشرطة ، بالإضافة لبعض الأجــــانب ممن تبهرهم قاهرة المعز فى رمضان حيث تدب فيها الحياه رويدا رويــــدا عقــب انحسار مظاهرها فى ساعات الإفطار .. وعلى الملأ ودون ادعاء العلــم ببواطــن الأمور فإن مظهرا واحدا مخالفا للدين أو العرف أو العادات لايحدث فى مثل هـــذا المقهى .. مجرد أشخاص مسالمين يحتسون المشروبات الساخنة ويدخنون الشيشـــة وتحـــاصرهم هموم الحياة وأوجاعها وتمضى الدقائق حتى تصل الدقيقة الأربعيـــن بعد الثامنة لتغمر المكان أضواء مباغتة يعقبها مباشرة إنفجــــــار مـــروع يحطــم ويمزق البشر والمكان والزمان .. والجالسين من رواد المقهى تتطاير أعضــــاؤهم وتستقر الشظايا فى أجسادهم وتختلط الدماء بالسحلب والقهوة ، والأرجل والسيقان البشرية بحطام المقاعد والمناضــد ، ويصطدم الهـــارب من المقهـــى بـــالفضولى القادم لإستطلاع الأمر .. والحابل بالنابل وفى هذه الأثناء يتصادف مرور ســـيارة الشرطة بداخلها الملازم أول عماد عبد الله ضابط الداورية اللاسلكية بقسم شـــرطة قصر النيل ليبدأ بإخطار القســم والمديريـــــة ووزارة الداخليـــة وينتقــل الوزيـــر واللواءات والعمداء والعقداء وتبدأ تفصيلات المأساة تتكشف شيئا فشيئا .. الخراب يغمر المكان .. والدماء تروى الرصيف .. ويصعب تمييز المصابين من القتلـــى.. وتتناثر الأحذية والحقائب .. وأجزاء من مادة الفيبر جلاس والقماش وآثـــار لفافـــة متفحمة وبدأت ســـيارات الأمن المركزى والمطافئ والإسعاف تتوافـــد مـــن كـــل صوب فى مظاهرة صاخبة لتصيب الميدان بالشـــلل الرسمى والنتيجــــة المبدئيـــة ثمانية عشر مصاباً منهم ثلاثة فى حالات خطرة وأربعة قتلى .. وتلفيــــات شـــملت المقهى بكل محتوياته وتصدع العقار الكائن به وذعر شامل .. وصحافيون يلهثون يميناً ويساراً .. وفضوليون يفغرون أفواههم والأسوأ من هذا كلــــه ســـمعة ســـيئة لايستحقها هذا البلد .

كان هـــذا هو المشهد الأول من المأساه وتوالـــت فصولهـــا حيـــث تبيـــن أن المصابين الثمانية عشر هم :

١- عزت محمود حسانين ٤٦ عاماً ، عامل بالمقهى ومقيم بقرية ماى مركز قليوب محافظة القليوبية .

٢- سعد زغلول مشرقى ٢٢ عاماً ، جندى شرطة بمرور القاهرة .

٣- أحمد أبو الفتوح حسين ٧٠ عاماً ، بالمعاش ومقيم ٢٤ شارع نشأت بالهرم .

٤- حمدى صالح عبد الفتاح ٢٤ عاماً ، ترزى ومقيم ٦٦ شارع قطب - وراق العرب - إمبابة بمحافظة الجيزة .

٥- عمرو محمد على ١٨ عاماً ، طالب صومالى الجنسية .

٦- عبد الغنى أحمد على ٢١ عاماً ، طالب صومالى الجنسية .

٧- أحمد حسان أحمد ٣٨ عاماً ، حاصل على دبلوم زراعة ومقيم بمركز العدوة بمحافظة المنيا وكان فى زيارة للقاهرة .

٨- محمد مختار محمد طه ٤٥ عاماً ، خطاط سودانى الجنسية وليس له محل إقامة ثابت بمصر .

٩- عبد الفتاح كمال عثمان ٤٣ عاماً ، محاسب ومقيم ١٤٠ شارع بوبيان بالمطرية بالقاهرة .

١٠- عصام عبد الرازق أحمد ٣٣ عاماً ، وهو أحد شركاء مالك المقهى ومقيم ٢٧ حارة عبد الخالق طلعت بشبرا محافظة القاهرة .

١١- حسين على محمد ١٨ عاماً ، عامل بالمقهى ومقيم ٢٧ حارة عبد الخالق طلعت بشبرا ..

١٢- عصام عبد الحميد أحمد ٣٢ عاماً ، جيولوجى ومقيم ١٣ شارع إسكندر حنا بروض الفرج .

١٣- جاد الله صالح جاد الله ٥٨ عاماً ، مبيض محارة ومقيم ١٦ شارع محمد علام بالبساتين القاهرة .

١٤- طارق عبد المنعم محمد ٢٤ عاماً ، طبيب إمتياز بقصر العينى .

١٥- جين بانيتو ٢٣ عـاماً ، أمريكية الجنسية وتقيم بفنـدق مـاى فـير بطلعت حرب بوسط القاهرة .

١٦- ماثيو شيكو ٣٦ عاماً ، مدرس أمريكى الجنسية ومقيم بفنـدق بـلازا بشارع قصر النيل بوسط القاهرة .

١٧- مايكل نيومان ٢٣ عاماً ، طالب كندى الجنسية ومقيم بفنـدق سـيلفيا بشارع عدلى بوسط القاهرة .

١٨- بورجازية نيلى ٤٠ عاماً ، فرنسى الجنسية وحالته سيئة جداً .

أما الضحايا القتلى فهم أربعة :

١- عادل محمد أبو بكر ٣١ عاماً ، كهربائى ومقيم بلوكاندة بشارع كلـوت بك ومحل إقامته الأصلية عين شمس .

٢- عماد عبد الباسط محمد شاهين ٢٥ عاماً ، وهو حـاصل علـى دبلـوم صناعى وشهرته "مهدى" .

٣- السويدى جان كرستيان بوجيه .

٤- التركى عدنان كرياز .

وثم نقـل المصابين والقتلى لمستشفيات المنيل الجامعى وقصر العينى وبولاق العـام .

وعلى الفور إنتقل فريق من أعضاء النيابة العامة لمكان الحادث حيث قـاموا بمعاينته تفصيلياً ومناظرة المصابين وسؤال من يمكن إستجوابه منهم والأمر بنقـل جثث المتوفين لمشرحة النيابة وأصدر رئيس نيابة قصر النيـل قـراراً بـانتداب خبراء المعمل الجنائى لإجراء المعاينة الفنية لبيـان أسـباب الإنفجـار والمـواد المستعملة فيه ومدى علاقته بالشظايا واللفافة المعثور عليها بمكان الحـادث مـع التحفظ على المقهى لحين ورود تقرير المعمل الجنائى ، وفى بنده (ثانيا) بـانتداب مهندس محافظة القاهرة لمعاينة العقار رقم ٩ ميدان التحرير لبيـان مـدى تـأثره بالإنفجار تمهيداً لإخلائه من السكان ، وفى بنده (ثالثا) بتكليـف رجـال المبـاحث بإجراء التحريات لضبط الجناه وكشف غموض وملابسات ودوافع الحادث .

وبعد معاينة المعمل الجنائى ورد تقرير مفتش المفرقعات يحتوى على معلومات فى غاية الأهمية ومفاجآت نوردها كما جاءت بالنص الحرفى :

" ترجيح حدوث الإنفجار نتيجة لعبوة ناسفة محلية يدوية الصنع زنتها لاتقل عن ٢ كيلو جرام من مادة TNT شديدة الإنفجار ومعززة ببعض المواد السريعة الإشتعال والتى أشبعت بها اللفافة القماش المحيطة بالمادة المتفجرة والتى قد تكون من البنزين أو الكيروسين وقد وضعت بمدخل المقهى حيث يبدأ نقطة الإنفجار وتم تشغيلها باسلوب المؤثر الحرارى الخارجى بالإستعانة ببطارية سائلة مما يستخدم فى السيارات ، وكذلك جهاز ميقاتى " تايمر " ، ويرجح أيضاً أن تكون البطارية والعبوة داخل حقيبة بلاستيك " ، وإنتهى إلى ذلك تقرير مفتش المفرقعات والذى قدمه إلى النيابة العامة .

أما ما أكده الخبير لرجال البحث أن الجناة لم يحالفهم النجاح في ضبط وتشغيل الميقاتى لضآلة خبرتهم فى التعامل مع المتفجرات أو لأية أسباب أخرى خارجة عن إرادتهم ، ودلل على ذلك بوجود أجزاء البطارية "الفيبر جلاس" متناثرة فى مكان الحادث ، وهذا ما لايحدث عادة إذا قام به محترفون فى التفجير حيث لايلزم وجود البطارية بمكان الحادث ويكتفى بوضع المتفجرات ، بينما تكون البطارية مع "التايمر" بعيداً عن مكان الحادث ، أو يتم التفجير بالتحكم عن بعد "الريموت كنترول" ، وهذه المعلومة تعنى لرجال البحث أن أحد الجناه أو بعضهم قد يكون من بين المصابين بالضرورة وهذا هو الخيط الأول الذى تتبعه رجال المباحث لكشف غموض الحادث لكنه لم يؤد إلى نتائج ذات قيمة ، وعلى الرغم من أن تركيب العبوة الناسفة وأسلوب التعامل معها يشبه وقائع أخرى كمحاولة تفجير قطار أسيوط مثلا والتى نفذتها عناصر منتمية لمجموعات عنقودية من تنظيم "الجماعة الإسلامية" الإرهابى إلا أن معلومات الأجهزة لم تشر حينئذ إلى هذا التنظيم ، وبينما أجريت تحقيقات واسعة حول المصابين وهويتهم ومدى إحتمال إنتماء أحدهم للجماعات المتطرفة فإن المعلومات التى كانت تشير لإمكانية تورط أحد القتلى وهو عماد شاهين والبالغ من العمر خمسة وعشرين عاما وهو حاصل على دبلوم صناعة وكان يعمل بهيئة نظافة القاهرة وإستقال منها فقد إتضح فيما بعد عدم

صحة هذه المعلومات ، وكانت بعض المصادر قد رجحت حينئذ أن هـذا الحـادث يأتى رداً على الحملة المكثفة التى شـنتها أجهزة الأمـن علـى بـؤرة التطـرف المشتعلة بمنطقة إمبابة ، وذلك بهدف تخفيف الإجراءات الأمنية عنها قليلاً ، لكـن يبقى هذا التفسير غير كاف ، ولايزيد على كونه مجرد رأى لا يستند إلى دليل .

وبعيداً عن كل هذه المعلومات أو التكهنات فقد وقعت الواقعة وبـدأ الجميـع فىممارسة هواية التحليل والتخمين ووضع الفروض ، وعموماً فإننا مـن منطلـق الموضوعية لا نستبعد أى إحتمال فقد يكون الأمر من صنـع عنـاصر الإرهـاب وعصابات التطرف وهـذا هو الأرجح ، ولايحول ذلك دون إمكانية إرتكاب فئـة من الإنتهازيين الذين تدفع بهم جهات أو دول لاتريد بهذا البلد خيراً .

الفصل الثـــانى

محاولات إغتيال الوزراء

عاطف صدقى ، حسن الألفى ، صفوت الشريف

البداية مع الشـــريف :

لم يكن صفوت الشريف أول من يتعرض لمحاولة إغتيال على يـــد جماعـــات الإرهاب .. وربما لن يكون الأخير ، لكنه كان الصيد الثانى من هذا الحجم لتنظيم الجماعة الإسلامية بعد رفعت المحجوب ، والجديد فى هذه القضيـــة أن التكليفـــات والتمويل كان قادماً من بيشاور والسودان وأماكن أخرى .

وللمرة الثانية أيضاً فوجئ المراقبون بالحرفية والمهارة العالية فى التخطيـــط والإعداد وتنفيذ محـــاولة الإغتيال فقد تصرف الجنـــاة فـــى الحـــادثين بأســـلوب المحترفين .. فقبل التنفيذ تم جمع معلومات دقيقة وتفصيلية عن الهـــدف ، ومحـــل إقامته وطبيعة حراسته وحجمها وتسليحها وتحركاته والسيارت التى يستخدمها فـــى تنقلاته وقد كلفوا بعض لجمع هذه المعلومات وتحققوا من صحتها بطريقة ما قبـــل الشروع فى محاولة إغتيال صفوت الشريف على النحو التـــالى : فـــالوزير يقيـــم بالعمارة رقم ٢١ شارع الخليفة المأمون بمصر الجديدة ، فى نفس العمارة التى يقيم فيها د. عبد الأحد جمال الدين رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضـــة الســـابق وشخصيات أخـــرى لا تقل أهمية عنهما وقد إعتاد الشريف مغادرة منزله صبـــاح كل يوم مستقلا ســـيارة مرسيدس حديثة يقودها سائقه البالغ مـــن العمـــر حوالـــى أربعين عاما ويجلس بجواره حارس شاب مسلح ، ويبدأ خط ســـير الســـيارة مـــن شارع الخليفة المأمون فى الإتجاه المؤدى لميدان روكسى بضاحية مصر الجديـــدة حتى يتمكن من الدوران عبر تقاطع شارع الأسيوطى مع الخليفة المـــأمون ليتخـــذ إتجـــاه ميدان العباسية فى طريقه إلى ماسبيرو حيث يقـــع مكتبـــه داخـــل مبنـــى التلفزيون المصرى .

وتأسيساً على هذه المعلومات فقد حدد الجناة موقع نقطة بداية الهجوم وأسلوب التغطية وطرق الإنسحاب والطرق البديلة وغيرها من التفصيلات الحركية وفقاً للخطة التالية : فى المنحنى سيضطر السائق لتهدئة السرعة لأقل قدر ممكن وربما يتوقف للحظات وهذا يتيح للمهاجمين فرصة التمكن من السيارة –الهدف – فى مساحة زمنية مناسبة ؛ ثم تحددت – كالعادة – البنادق الآلية بوصفها السلاح الأمثل للتعامل مع الأهدف المتحركة نظراً لكثافة النيران الناتجة عنها فضلا عن سهولة استخدامها وخفة وزنها وتوافرها فى أيديهم .

وهكذا إتضحت المعالم النهائية لخطة الإغتيال .. فسوف يترجل شخصان يحملان بنادق الكلاشينكوف ليطلق الأول نيرانه على السيارة من الخلف والثانى على السيارة من الجانب الأيمن حيث يجلس الوزير وحارسه بينما يقف آخران لتغطية عملية الهجوم والإنسحاب على أن يظل حسن شلقانى "أمير الجيوش " فى السيارة .. وفى تمام الحادثة عشرة صباح الثلاثاء ١٩٩٣/٤/٢٠ كانت الطقوس التقليدية التى تحدث يومياً أسفل منزل الوزير تتكرر من دون أية تغييرات .. حارسان من شرطة الحراسات الخاصة مكلفان بحراسة المنزل وهما رجلان تجاوزا الخمسين بقليل ، أحدهما ممسك بساندويتش فول يأكله بدون شهية وفى يده الأخرى رشاش مصرى الصنع طراز "بورسعيد" ، والثانى يتثاءب من أثر السهر فى الوقت الذى يداعبه فيه أمين الشرطة أحمد فكرى المكلف بمرافقة الوزير فى تحركاته .. وكلهم فى انتظار هبوط الرجل من منزله وأخيراً نزل واستقل السيارة وبدأ سائقه رجب رحلته اليومية ، وعند دوران منحنى تقاطع شارع الأسيوطى انهمرت الرصاصات .. وبخبرة رجل تمرس العمل الأمنى زمناً طويلاً – فى المخابرات العامة – أدرك صفوت الشريف حقيقة الموقف وخطورته فألقى بجسده فى دواسة السيارة فى الوقت الذى تمكنت الرصاصات من ظهر الحارس وكتف السائق ، وصرخ الوزير فى السائق رجب "اطلع بسرعة فى الإتجاه العكسى .. اطلع على المستشفى" ، ولم يتردد رجب فى المضى بالسيارة – رغم إصابته ومشهد تدفق دماء الحارس بجواره – متجها إلى مستشفى عين شمس التخصصى حينما استوقفه حارس البوابة مستفسرا عن الأمر فخرجت كلمات رجب مرتبكة ومحتدة "معايا وزير الإعلام مصاب فى عملية إرهابية إفتح الباب " .

ودلفت السيارة حيث نقل الوزير وسائقه وحارسه للعناية المركـــزة وتبيـــن أن إصابة صفوت الشريف بسيطة وهى عبارة عن جروح وكدمات سطحية فـــى يـــده وذراعه اليمنى نتيجـــة لسقوط الزجاج المتهشم عليه ، وأن السائق رجـــب محمـــد على قد أصيب بطلق نارى فى كتفه اليمنى وآخر فى الفخذين بينما كـــان نصيـــب أمين الشرطة أحمد فكرى من الرصاص كبيرا فقد أصابتـــه واحـــدة فـــى صـــدره واستقرت فى الرئة ونتج عنها تجمع دموى وهوائى بالغشاء البللورى للرئة اليسرى واستقرت ست رصاصات فى الفقرات العنقية والقطنية للعمود الفقرى مما يهـــدده بالشلل التام فى معظم الوظائف الحيوية والحركية والحواس ، فضلا عـــن بعـــض الشظايا فى فروة الرأس وكتفه اليمنى .

أما ما حدث على صعيد مسرح الحادث فقد ترامت أصوات الطلقات لمســـمع المخبر السرى على حلبى الذى اندفع لمصدر الصوت وشاهد اللحظـــات الأخـــيرة للعملية ورأى شـــابين يحملان البنادق الآلية ويهربان فى اتجـــاه شـــارع رفاعـــة المتفرع من شارع الأسيوطى ٠٠وأخذ الصول على يطلق النـــيران مـــن مسدســـه "حلوان" حتى إنتهى من إطلاق خزينة سعتها ست طلقات "عهدة" ثم عـــاد لزميلـــه خشية التعامل مع البنادق الآلية ليأخذ منه الرشـــاش "بورســـعيد" – وهـــو ســـلاح متواضع الإمكانيات سواء فى معدلات الضرب أوالأمان أوالتصويب – ولكـــن .. كان الوقت قد فات وهرب الجناة ! .

وقد شاهد بعض المواطنين الجناة ولكنهم كانوا قـــد نجحـــوا فـــى تغطيـــة الإنسحـــاب وفروا فى الوقت الذى عقدت فيه الدهشة والذهـــول ألســـن المـــارة ، وتكفلت دفعات النيران العشوائية التى أطلقها الجناة على شـــهود الحـــادث بـــإلزام الجميع موقف السلبية .. وربما الهروب أيضا .

وبعد عشرين دقيقة بالضبط حضرت شرطة النجدة ومصر الجديـــدة وتوالـــى حضور مدير الأمن ووزير الداخلية وأخيراً رئيس الـــوزراء .. وقـــامت شـــرطة

إتضح فيما بعد أن الجناة هم حسن رمضان شلقانى وأحمد حسين خسن وأشرف السيد إبراهيم صالح وإبراهيم سيد عبد العال وفاروق عبد الرازق حسن وذلك بتكليف مـــن القيـــادى الهـــارب بالسودان مصطفى حمزة ، وقد قيدت القضية برقم ١٩٩٣/١١ج.ع وقضى بإعدامهم جميعاً ونفذ الحكم فيهم باستثناء مصطفى حمزة الذى لم يزل هارباً خارج البلاد .

العمليات الخاصة بتمشيط المنطقة المحيطة.. فتشوا ما يزيد على ثلاث عمارات كاملة ولم يسفر التفتيش عن شئ سوى العثور على خزينة بندقية آلية كانت قد سقطت من أحد الجناة أثناء فراره من مسرح الجريمة .. وبضع رصاصات فارغة من عيار ٧,٦٢×٣٩ وهو عيار البندقية الكلاشينكوف .. ودماء على الرصيف .. لم تكن قد تحددت هويتها حتى تلك اللحظة .. فهل كانت دماء الحارس أم أنها ناتجة عن إصابة أحد الجناه .. وزجاج مهشم .. وذهول يستغرق المكان والزمان .. والحضور .

وكما يحدث فى مثل هذه الأحوال إنتقل رجال النيابة العامة الذين أجروا معاينة تصويرية لمسرح الحادث ، وقاموا بتفتيش سيارة الوزير وعثروا بداخلها على خمس رصاصات ومبلغ ١٨٢ جنيها .. وبعض الملابس الغارقة فى الدماء .

وبدأت التحقيقات والتحريات والإجتماعات والخطط .. ولم تنته ...

ورغم فشل حسن رمضان شلقانى (أمير الجيوش) وأبو حازم (مصطفى حمزة) فى تنفيذ المهمة بنجاح إلا أن هناك من سارع بإبلاغ وكالات الأنباء العربية والأجنبية ببرقيات تؤكد "أن الجماعة الإسلامية ستواصل – إن شاء الله – عملياتها ضد من أسمتهم بالطغاة ومروجى الكفر والذين قررت المحكمة (الشرعية) قتلهم ..".

ولهذه العملية ضد هذا الرجل بالذات .. وفى ذلك التوقيت خاصة دلالات هامة تتمثل فى إرهاب جهاز الإعلام وإحراج حسن الألفى الذى كان قد تولى منصب وزارة الداخلية منذ فترة وجيزة ، أو ربما كان رداً عملياً على تصريحاته فيما يتعلق برفضه لما تردد عن الحوار مع الجماعات الإرهابية مؤكداً "أن الحوار يحدث بين طرفين متكافئين وليس بين سلطة رسمية وأشباح يحملون السلاح فى وجه الجميع ، وأن الدولة لم تصل بعد لحد أن يملى عليها فئة من الخارجين على القانون شروطهم الوقحة.. ولن يحدث هذا فلا حوار.. ولا مهادنة.. ولا مساومة، فهناك قانون ينفذ .. وشعب يجب أن نعمل على أمنه" .

ثم جاءت كلمات صفوت الشريف أمام مجلس الشورى أثناء مناقشة قضية الإرهاب لا تقل حدة عن تصريحات وزير الداخلية ، ولمن لايعلم فوزير الإعلام

إلى جانب كونه المسئول الأول عن صياغة السياسات الإعلامية لأجهزة الإذاعة والتليفزيون وهيئة الإستعلامات وما يتبعها من المكاتب الإعلامية بسفاراتنا فى الخارج ، فهو أيضاً صاحب تجربة طويلة فى العمل السياسى بعدد من الأجهزة الهامة .. وليس سراً أنه أحد المشاركين فى صناعة القرار السياسى بمصر .. وفوق كل هذا فهو المتحدث الرسمى غالباً فى معظم القضايا الهامة والسياسية ..

ويبقى هنا أن نتذكر فتوى أطلقها الشيخ الدكتور الداعية عمر عبد الكافى والذى كان* مقرراً على الشعب المصرى كله ذات يوم فى برنامج تليفزيونى رمضانى وصاحب الثلاثة آلاف شريط كاسيت ، والذى ورد ذكره كثيراً – كما سنورد فيما بعد – على لسان أحد المتهمين فى قضايا طلائع الفتح بأنهم بدأوا (الإلتزام) على يديه أثناء قيامه بالخطابة فى مساجد بولاق الدكرور ، وذلك قبل أن يرتقى سلم التطرف الأنيق ويعتلى منبر مسجد أسد بن الفرات بالمهندسين ورد ذات يوم على سؤال يقول : على من يقع ذنب ما يقدم بالتليفزيون من رقص وغناء وخلاعة ومجون ؟ فقال فضيلته بلهجة حاسمة : "يتحمل وزر هذا الفسق الجميع.. من الوزير حتى من يقدم الشاى والقهوة داخل مبنى التلفزيون، فمن أمر بذلك آثم .. ومن شارك فى ذلك آثم ، ومن سكت راضياً عما يقدم آثم .. " .

ويبقى تساؤل

ألم يكن صفوت الشريف واحدا من بين هؤلاء ؟

محـــاولة إغتيال حسن الألفــى

لم يكن قد إكتمل الشهر الرابع على تولى حسن الألفى لمنصب وزير الداخلية حتى تعرض لأكثر محاولات إغتيال وزراء الداخــلية إقتراباً من تحقيـــق الهـــدف الذى ترمى إليه جماعات الإرهاب ، ومن المعلوم أن أغلب وزراء داخلية مصـــــر على مدار ما يزيد على نصف قرن قد تعرضوا لمحاولات إغتيال فاشلة باســـتثناء حادث إغتيال محمود فهمى النقراشى الذى نفـــذته جماعة الإخوان المسلمين قبـــل ثورة يوليو .. إذن فما هو الجديد فى واقعة محاولة إغتيال حسن الألفى ؟ هذا مـــا سنحاول الإجابة عنه فى السطور التالية .. وسنحاول أيضاً البحث عن دلالته فـــى معركة المواجهة مع جماعات الإرهاب التى كانت أنشطتها قد تصاعدت بشكل لـــم تشهده مصر – وربما المنطقة العربية بأسرها – على مدار التاريخ الحديث كلـــه ، ولعل الظروف التى صاحبت تولى الألفى للوزارة كانت تمثل أصدق تعبـــير عـــن الوضع الحرج والمسئوليات القاسية التى تنتظر وزير الداخلية الجديد ، فقد كـــانت هناك محاولة – ولحسن الحظ لم يحالفها التوفيق – من جانب عبد الحليـــم موســـى وزير الداخلية الأســـبق لإقامة حوار مع قادة وأمراء هذه الجماعات وما صـــاحب تلك المحاولة التى لم تكتمل من رفض على المستويين الشعبى والرسمى كان مـــن نتائجه إقالة موسى وتكليف الألفى بمهام وزارة الداخلية فى ظـــل ظـــروف بالغـــة التعقيد والتردى .. ففى كل يوم كانت القاهرة ومدن الصعيد تشـــهد وقائع إرهابيـــة من تفجيرات تكررت فى قلب القاهرة وأصابت الملايين بـــالذعر والهلـــع ، إلـــى محاولات إغتيال طالت شخصيات هامة ومفكرين وأناس بسطاء، مروراً بحـــوادث ضرب النشاط السياحى والإعتداء على السياح الأجانب .

كان مجيئ الألفى فى هذا التوقيت أمراً له مغزاه الواضح فى تصعيد المواجهة مع جماعات الإرهاب ورفض مبدأ المهادنة أو الجلوس مع المتحدثين بإسمهم أساساً

---

* أقيل حسن الألفى فى ظروف أكثر تعقيداً عقب مجزرة الأقصر التى راح ضحيتها مـــا يزيـــد على ســـبعين شخصاً ووصفت بأنها الأسوأ فى تاريخ مصر الحديث وسنتعرض لها بـــالتفصيل فى موضوع لاحق .

ما داموا لم يلقوا السلاح بعد ، وباختصار كان يعنى إعمالاً للقانون الذى تعطل طويلاً .. واستعادة لهيبة النظام التى كادت أن تتبدد على طاولة المفاوضات ، ولم يشأ الإرهابيون أن يؤجلوا الصدام القادم لكنهم تعجلوه بحادث محاولة إغتيال صفوت الشريف وزير الإعلام وأعقبوا ذلك بمحاولة إغتيال الألفى نفسه فى رسالة واضحة الدلالة بقبولهم التحدى وإرهاب جهاز الشرطة الذى يقف فى الصفوف الأولى من معركة المواجهة .

وفى ذلك الوقت أيضاً كان تنظيم (طلائع الفتح) قد إستكمل ترتيب صفوفه وتلقى الدعم المالى والفنى والتكليفات من مؤسسيه فى بيشاور"الدكتور والعقيد" أيمن الظواهرى ومحمد مكاوى ، ورغم فشل محاولة إغتيال صفوت الشريف إلا أنها ألقت بظلال كثيفة على طبيعة الجريمة وهوية مرتكبيها وأثارت الطريقة التى نفذت بها علامات إستفهام فى أوساط الأمن والإعلام والمراقبين ، وبدا أن مخططات الإرهاب قد بدأت تنحو منحى جديداً يستهدف كبار الشخصيات وصناع القرار فى الدولة عزز ذلك القلق إستخدام الجناة لأساليب جديدة فى تنفيذ عملياتهم كالتفجير بواسطة التحكم من بعد (الريموت كنترول) والعمليات الإنتحارية ورصد تحركات الشخصيات الهامة وغيرها .

ونعود لعملية الألفى التى جرت وقائعها يوم الأربعاء ١٩ أغسطس سنة ١٩٩٣ حينما كان يسلك شارع الشيخ ريحان فى الطريق لمكتبه بوزارة الداخلية يسبقه من باب التمويه ركاب مشابه تماماً للركاب الذى يستخدمه فى تحركاته حينما إقتحمت الركاب دراجة بخارية مزدوجة الكابينة (تريسكل) يقودها شخص يجلس خلفه شخص آخر " تبين فيما بعد أنهما نزيه نصحى راشد وضياء الدين حافظ زكى " ويحملان معهما فى التريسكل عشرات الكيلوجرامات من المتفجرات التى إنفجرت وأحالت المكان إلى جحيم تتناثر فيه الأعضاء البشرية هنا وهناك ، ويختلط الدم بزيت السيارات وتنعدم الرؤية وتتداخل الأشياء وجثث الضحايا بجثث الجناة وتتوقف الحياة فى قلب القاهرة بضع ساعات وتعلن بداية حقبة جديدة فى النشاط الحركى لجماعات الإرهاب والمواجهة الأمنية والإعلامية والمعالجة السياسية أيضاً .

وانطلق موكب من نوع آخر يشق طريقه بعصبية واندفاع متجهـاً لمستشـفى الشرطة بالعجوزة فى محاولة لإنقاذ وزير الداخلية الذى لم يكن أحد يعرف علـى وجه الدقة طبيعة إصابته ومدى خطورتها التى تبين فيما بعد أنها من الجسامة بمـا يتطلب نقل حسن الألفى لتلقى العلاج فى سويسرا وبدأت فرق البحث ومجموعـات العمل الأمنى فى التحرك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

فى هذا الوقت كان بقية الجناة قد هربوا إلى أحد أوكارهم بالقرب من مدينـة بلبيس بالشـرقية حيث يوجد مخزونهم من الأسلحة والذخائر والمتفجرات بيعـدوا لعملية أخرى تستهدف شخص عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق لكن بعـد أن سقط فى يد المباحث أحدهم وهو أحمد فاروق على الذى أدلى باعترافـات بالغـة الخطورة والأهمية بشأن هذه المجموعة التى نفذت عدة عمليات إرهابيـة هـزت مصر بأسرها واكتنفها الغموض ، ولكن قبل أن يضع رجال البحث أيديهـم علـى نشطاء هذه المجموعات من طلائع الفتح وقع حـادث آخر خو محاولـة إغتيـال رئيس الوزراء السابق الدكتور عاطف صدقى .. فماذا حدث ؟

محاولة اغتيال صدقى

كان عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق يغادر منزله كل يوم فى هذا الموعد تقريبا .. حوالى الساعة ١٢ ظهرا ، وربما أضطر إلى تغيير خط سيره كما هو متعارف عليه أمنياً فيما يتعلق بتأمين الشخصيات الهامة ، وفى يوم الخميس الموافق ١٩٩٣/١١/٢٦كان الشارع هادئًا، لأن موعد خروج التلاميذ من مدرسة المقريزى لم يحن بعد .. ولم يكن هناك سوى بعض أولياء أمور الأطفال الذين كانوا ينتظرون أبناءهم داخل السيارات ؛ وبعض الجنود يتسكعون هنا وهناك .. وموكب رئيس الوزراء يشق طريقه إلى مكتبه مروراً بشارع الخليفة المأمون .. كل هذا بعد أن وضع أحدهم (السيد صلاح سليمان) عشرة كيلو جرامات من الديناميت بطريقة ما داخل سيارة ماركة أوبل قديمة أمام المدرسة ، وأثناء عبور موكب رئيس الوزراء قام آخر بتشغيل جهاز التحكم عن بعد - الريموت كنترول - لتنفجر العبوة بضراوة وتحيل المكان إلى ساحة حرب يغمرها الدخان والنيران والشظايا والأتربة .. وتتحطم النوافذ وزجاج سيارتين كانتا فى مؤخرة ركاب عاطف صدقى .. ثم أعقب ذلك صوت إنفجارين آخرين تداخلا مع أصوات زجاج يتحطم .

للوهلة الأولى تصور سكان العمارة رقم ٢ أ ش الخليفة المأمون ، التى تبعد عن المدرسة ٤٠ مترا أن المنزل ينهار، ولكن صوت الفرقعات المتتالية دفعت السكان إلى النوافذ والشرفات ، فشاهدوا دخانا أبيض شديد الكثافة ، غطى المدرسة تماما .. فلم يتبينوا إذا ما كان فى الأمر حريق أو ماس كهربائى .

وما هى إلا دقائق قليلة إتضحت بعدها الخيوط الأولى للحادث وأبعاده الصحيحة فقد تعالى صراخ الممرضات والجنود بمعمل التحليل العسكرى المواجه للمدرسة .. ثم صوت نحيب سيدة تقيم بالعمارة ، خوفا على أطفالها الموجودين فى المدرسة .. بينما هرعت بملابس النوم إلى الفصول للبحث عنهم وتحول الشارع إلى جنازة كبرى .. فالأمهات فى انتظار الأبناء ولا يعرفن ما الذى حدث

بالضبط فقد هــرب سكان الفيللا بجــوار المدرسة بعد أن تحطم زجــاج نوافذهــا بالكامل .

كانت أول فرقة انقاذ بدأت العمل فى المكان هم أهالى وسكان الشارع ، الذين إستعملوا طفايات الحريق الخــاصة بسياراتهم .. ولكن كان الأمر أكبر مــن هــذا بكثير ، وبعد دقائق وصلت سيارات الإطفاء والإسعاف وطــوق أفــراد الشــرطة العسكرية المكان .. وفرقوا الناس الذين تجمعوا حول مكان الإنفجار ، ثــم بــدأت قوات الشرطة فى الوصول على التوالى ، بينما استمرت محاولات الإطفــاء لمــا يقرب من ساعة .

فى حوالى الواحدة والربع وصلت قوات الأمن المركزى ، التى قامت بــدور الحائط البشرى بين الأهالى وموقع الحادث بالتعاون مع الشرطة العسكرية وذلــك حتى تتيح الفرصة لفريق من خبراء المفرقعات كى يبدأ العمل .

فى دقائق إتضح أن مصدر الإنفجار سيارة أوبل حمراء إندست بين ســيارات المدرسين والأهالى .. وهو ما تسبب فى إحتراق ثمانية سيارات بالكــامل ، وفــى الساعة الثالثة بدأت سيارات المطافئ فى الإنسحاب وفى الخامســة أخلــى الأمــن المركزى المنطقة لقوات الشرطة التى ظلت فى الموقع حتى صباح اليوم التالى .

فى هذا الوقت أيضاً كان المتهم نور الدين سليمان يتجه إلى أقــرب ســنترال ليبشر ياسر توفيق السرى الذى كان فى إنتظار هذه المكالمة فى لندن بتمام انتهــاء المهمة " الشــرعية " – المسماة حركياً بالفــرح – ويقوم ياسر الســرى بإرســال بيان عبر أجهزة الفــاكس من لندن يؤكد فيه مسئولية تنظيم الجهاد (طلائع الفتح) عن الحادث ، وأنهم لايزالون قادرين على تنفيذ المزيد من الجرائم حتى يحــرروا الوطن مما أطلقوا عليه "الإستعمار الأمريكى والصهيونى وأذنابه" وممن اســموهم "بعملاء الصهيونية والصليبية" .

ونعود إلى الوراء قليلاً وبالتحديد فى شهر أغسطس ١٩٩٣ حينمــا وقعــت حادثتين الأولى هى واقعة زينهم بمنطقة مصر القديمة بالقاهرة ، والثانى محاولــة اغتيال حسن الألفى وزير الداخــلية ، والربط بيــن إعترافــات المتهميــن فــى

---

* القضية رقم ١٩ / ١٩٩٣ جنايات عسكرية والتى قضى فيها بإعدام محمود صــلاح زكــى ، ومصطفى عونى .

القضيتين .. وأهمهم مصطفى عونى زكى وأحمد فاروق على وأيمن عودة محمد عودة ، بالإضافة لربط ذلك بالتصور المبدئى لرجال المعمل الجنائى الذين انتهوا من معاينة الحادث وفحص كافة مخلفاته حتى تتضح الصورة كما يراها المراقبون .

ولنبدأ بتاريخ ١٩٩٣/٧/١٨حينما وقعت حادثة زينهم وضبط كل من محمود صلاح فهمى ورجب عبد الوكيل شحاته وياسر نيازى عبد العال وكان قد لقى الثانى والثالث مصرعهما بعد أن تمكنا من إغتيال النقيب أحمد يعقوب البلتاجى وظل رجال الأمن يعتقدون أن جثة ياسر نيازى تخص مصطفى عونى زكى حتى ألقى القبض عليه حياً فى الزاوية الحمراء فى أغسطس الماضى ، وحين قام الضابط بتفتيشه عثر معه على مسدس ماركة حلوان عيار ٩مم وثلاث خزائن محشوة بالرصاص وبطاقة شخصية باسم خالد مصطفى عبد العزيز مرسى وتحمل رقم ١٣٥٦٦٤ سجل مدنى الزيتون ومثبت عليها صورته وعند مناقشته إتضح أنه من مواليد ١٩٧٥/١٢/١ بأسيوط ، ومطلوب القبض عليه فى القضية رقم ٥٤٢ جنايات مركز صدفا - بمحافظة أسيوط - إغتيال المقدم مهران عبد الرحيم مفتش مباحث أمن الدولة ونجله محمد ، بالإضافة إلى القضية رقم ٥٢٠ حصر أمن دولة عليا - الشهيرة بحادثة زينهم - وأن زميله الذى تمكن من الهرب هو ياسر زكى عبد الفتاح ، والذى لايزال هاربا حتى ذلك الوقت .. وأنهما - أى مصطفى وياسر - كانا على موعد مع المتهم أيمن عودة محمد عودة الذى ألقى القبض عليه مؤخرا للقاء بحديقة الأميرية للإعداد لعملية إرهابية بتكليف من ياسر توفيق السرى ومحمد مكاوى وأيمن الظواهرى أمير تنظيم الجهاد الذى غادر بيشاور مؤخرا ليحصل على حق اللجوء السياسى فى سويسرا ومضت اعترافات مصطفى عونى زكى لتؤكد أن إستراتيجية التنظيم فى هذه الفترة تقوم على توجيه ضربات قوية لرموز النظام بعد أن أسقطت قرابة تسعمائة شخص من أفراد التنظيم فى قضية طلائع الفتح التى أعادت النيابة توزيعها على أربعة أجزاء ثم أطلقت على بقية الهاربين مجموعة امتداد طلائع الفتح ، وقد أدانتهم المحكمة العسكرية العليا فى إرتكاب العديد من الحوادث الإرهابية وفى مقدمتها حادث مذبحة الأطفال الشهيرة بمحاولة إغتيال عاطف صدقى ..

ثم أتت اعترافات المتهم أحمد فاروق على الذى توفى عقب إلقاء القبض عليه فى أعقـاب حادث محاولة إغتيال حسن الألفى لتوضح دورتنظيم امتـداد طلائـع الفتح والذى يقوده ياسر توفيق السرى وأيمن الظواهـرى ، وتضـم حوالـى ١٨ شخصا ضبطتهم سلطات الأمن .. وتضم المجموعة التى نفـذت حـادث محاولـة اغتيال الألفى كانت تشتمل على كل من : عادل عوض صيام وأسامة رشاد محمـد وعبد العليم خليفة وضياء حافظ زكى ونزيـه نصحـى راشـد والأخـيران لقيـا مصرعهما فى ذلك الحادث ، وكانت المجموعة المذكورة قد اتخذت مـن منطقـة كفر المنفى بالجيزة ومنطقة أخـرى تعرف بأرض الحمـير فـى مدينـة بلبيـس بالشرقية أوكاراً لإخفاء المواد المتفجرة ، وذلك قبل تنفيذهم لخطة إغتيال الدكتـور بطرس غالى أمين عـام الأمم المتحدة أثناء انعقاد مؤتمر القمة الأفريقـى والتـى باءت بالفشل بسبب رحيله قبل الموعد المحدد لسفره بيوم واحد .

وكانت التكليفات القادمة إلى الجماعة من محمد مكاوى وياسر السرى تحرض على المزيد من العمليات الإنتحارية بعد أن أجهضت أجهزة الأمن المخطط الكبـير الذى كان من المقـرر أن يقوم به أعضاء طلائع الفتح وأن العمليـات يجـب أن تستهدف الشخصيات الهامة فى الحكومة ورموز الدولة على النقيض مـن منهـج الجماعة الإسلامية الذى لايفرق بين إغتيال ضابط شرطة أو وزيـر بزعـم انهـم جميعا فى سلة واحدة هى جعبة الشيطان كما يحلو لهم وصفهـا ، وأخـيرا تشـير اعترافات المتهم على ميهوب عبد العـال والذى كان قد ألقى القبض عليه ضمـن هذه المجموعة، بانه قد شارك فى سرقة محل مصوغات الإخوة الثلاثة بالزيتون.. ومحاولة إغتيال المقدم محمد عوض مأمور سجن طرة.. وسرقة محل مجوهـرات بالخانكة .. كما أكد فى إعترافاته أنه شارك فى رصـد تحركـات النـائب العـام والمحامى العام لنيابة أمن الدولة العليا ورئيس الوزراء ووزير الداخليـة وبعـض قيادات الشرطة تمهيداً للقيام بعمليات إرهابية ضدهم ، هذا وكانت أجهزة الأمن قد ضبطت معه بندقية آلية وخزنتان محشوتان بالرصاص وطبنجـة حلـوان و ٢١٨ طلقة مختلفة الأعيرة وعدة زجاجات معبأة بعجينـة الجلجـانيت شـديد الإنفجـار وتلسكوب ليلى لبندقية قناصة روسى الصنع ماركة (تينا) وأسلحة بيضاء وكمية من

المشغولات الذهبية وزنت حوالى ربع كيلو جرام هذا بالإضافة إلى ملف يحتوى على صور كان قد إنتزعها من الصحف اليومية للوزراء وقيادات الشرطة وأعضاء النيابة العامة .

ولكن يبقى التساؤل عن علاقة هذه الأحداث بواقعة قنبلة الأطفال بمنشية البكرى التى استهدفت رئيس الوزراء ، وتأتى الإجابة بتوضيح السيناريو الذى افترضه رجال المعمل الجنائى بعدها بين هذا الحادث وفحص آثاره ودراسة مسرح الجريمة حيث توقعوا قيام شخصين على الأقل بوضع العبوة الناسفة التى لاتقل عن ثمانية كيلو جرامات ولا تتجاوز العشرة داخل السيارة ماركة أوبل التى كانت تقف فى خط سير عاطف صدقى وتزويدها بمفجر يمكن التحكم فيه عن بعد ، وفى حالة مرور الركب يقوم شخص يقف على ناصية الشارع لتفجير العبوة بالريموت كنترول ، وقد تم ذلك بالفعل إلا أن موكب رئيس الوزراء السابق كان قد تجاوز دائرة الخطورة بأمتار قليلة ، فلم تتجاوز التلفيات زجاج سيارتين إحداهما للحرس والثانية هى الإحتياطية للدكتور عاطف صدقى .. وهذه العناصر قد تدربت أيضا على أداء مثل هذه المهام أثناء مشاركة أغلبهم فى الحرب الأفغانية التى كانت تعتمد فى المقام الأول على منهج حرب العصابات وتثوير المدن الذى إكسب القائمين عليه خبرة عالية فى عمليات تفخيخ السيارات وتفجير المنشآت وإغتيال الشخصيات ، وقد تولى تدريبهم على أساليب حرب المدن وإعداد المتفجرات ونصب الشراك الخداعية وغيرها من المهارات والعمليات المرتبطة بالنشاط الإرهابى خبراء من حزب الله الشيعى فى جنوب لبنان ، كما أكدت ذلك إعترافات عبد الحميد محمد حب الله المتهم الأول فى قضية تنظيم طلائع الفتح والذى صدر ضده حكم بالإعدام من المحكمة العسكرية العليا ، وحتى يكتمل سيناريو القضية وفقاً للتصور الذى إفترضه المراقبون لكيفية وقوع تلك الحوادث فإنه من الضرورى هنا أن نتعرض بالشرح والسرد لقصة ذلك التنظيم الذى إضطلع بهذه الوقائع الخطيرة فى وقت عصيب وحرج كاد أن يصيب الحياة الإجتماعية والإقتصادية فيه بالشلل والإرتباك .

الفصل الثـــالث

تنظيم طلائع الفتح

الوقائع .. الإعترافـــات .. المحاكمة

شهدت ساحة المحكمة العسكرية العليا محاكمة تنظيم طلائع الفتح الذى خطط أعضـــاؤه ودبروا ونفذوا محاولات إغتيال رئيـــس الـــوزراء ووزيـــر الداخليـــة بالإضافة لبعض الشخصيات الهامة ومن أبرزهم الدكتور بطرس غالى الأمين العام السابق للأمم المتحدة .

والحقيقة أن طلائع الفتح ليس تنظيماً مستقلاً أو قائماً بذاتـــــه ولكنـــه مجـــرد إنشقـــاق – كبير نسبياً – عن التنظيم الأم (الجهـــاد) ، كما يمكن وصفه أيضـــاً بأنه محاولة لإحياء تنظيم الجهاد بعد أن إنفض تحالفه الأول مع تنظيـــم الجماعـــة الإسلامية فى أعقاب إغتيال الســـادات ، وانفض تحالفه الثانى فى أفغانستان بعـــد خلافات أيمن الظواهرى (قائد تنظيم الجهاد) مع أبرز قادة تنظيم الجماعة الإسلامية مثل طلعت فؤاد قاسم ومصطفى حمزة ومحمد شـــوقى الإســـلامبولى وغـــيرهم ، وترجع أسباب الخلاف إلى رغبة كل فصيل فى الإستئثار بقيادة جماعات الأفغـــان العرب فى بيشـــاور وهو ما سيترتب عليه تحديد حجم القطعة التى تخصـــه مـــن كعكة النجاح الأفغانى ، هذا فضلاً عن المعونات وأموال التبرعات وغيرها .

ولم يكن هذا الخلاف هو الأخير بل أعقبته سلسلة من الخلافات التـــى بلغـــت أوجها عندما تبادل الأطراف إتهامات بالتكفير تلتها عمليات تصفية جسدية ويبدو أن هذا هو الأسلوب المفضل لدى فقهاء التطرف وأمراء الجنازير التى تحولـــت فـــى أفغانستان إلى كلاشينكوفات ، فقد إنضم كل فريق إلى مناصرة طرف من أطـــراف الصراع على السلطة بين الأفغان أنفسهم ، فهذا أسامة بـــن لادن يســـاند حركـــة طالبيان وفى المقـــابل يتمتع بحمايتها ويحيا على وعد منها بإقامة إمـــارة مســـتقلة

داخل الأراضى الأفغانية حتى يباشر منها إنطلاقه نحو ما يطلق عليه (إعادة فتح ديار الإسلام وتعبيد الناس لربهم) ، وهذا أيمن الظواهرى الذى كان - قبل فراره إلى أوروبا - يحظى بثقة ورعاية حكمتيار وحزبه .

من هنا نشأت وتصاعدت عمليات الإنشقاق بين الفرقاء حتى إنشق أحد أهم رجال الظواهرى عليه وهو محمد المكاوى (المعروف بالعقيد) وفكر فى العودة إلى الساحة المصرية لينافس الجماعة الإسلامية فى نشاطها الإرهابى ولكن بأسلوب جديد ومختلف لا يعول على عمليات هنا وهناك ضد رجال الشرطة أو الأقباط أو محلات المجوهرات على النحو الذى ظلت تمارسه الجماعة ، فقد حدد مكاوى أهداف تنظيمه الجديد أو خلايا طلائع الفتح فى الشخصيات العامة وصناع القرار وفقاً لما أطلق عليه (أولويات العمل الحركى) وهو أمر من شأنه أن يضرب عدة عصافير بحجر واحد فمثل هذه العمليات سوف تضعف النظام وتربكه وتحد من قدرة القائمين عليه فى مطاردة العناصر الموالية له من جهة ، وهذه العمليات أيضاً ستمهد الطريق لقيام ثورة شعبية ضد النظام الذى سيظهر أمام الشعب بمظهر الضعيف غير القادر على حماية نفسه ورجاله من جهة ثانية، وأخيراً فمن شأن هذا الأسلوب أن يحرج النظام الحاكم فى مصر دولياً من خلال المتابعات والتغطيات الإعلامية لهذه العمليات فضلاً عن ضرب موارد إقتصادية هامة كالسياحة والإستثمار وغيرها ، وهوالأمر الذى سيضعف قدرات الدولة ويصيبها فى مقتل .

وهكذا تبلورت رؤية مكاوى للأهداف والتحرك التنظيمى واستقر على أسلوب مبتكر إستمده من خبرته العسكرية السابقة ومن التجارب التى خاضها فى الحرب الأفغانية وهو أسلوب الخلايا العنقودية المتفرعة من التنظيم الأم فكل خلية تسمى بالطليعة ، فهذه طليعة جند الله وتلك طليعة الشهيد يحيى هاشم وهكذا ، والطليعة الواحدة تضم عدداً من العناصر لا يتجاوز عشرة أشخاص فقط ولا تعرف أية مجموعة أو طليعة شيئاً عن المجموعات أو الطلائع الأخرى .

وقام مكاوى وياسر توفيق السرى بتكليف (ضابطى إتصاله) عادل عوض صيام ونزيه نصحى راشد بمهمة التنسيق بين هذه المجموعات المختلفة من الطلائع التى دفع بها للبلاد بغرض تنفيذ العديد من الحوادث المؤثرة .

ومن خلال قراءة ملفات قضية تنظيم طلائع الفتح تبين أنها تتضمن جرائم قتل وشروع فى قتل وحيازة أسلحة وذخائر ومفرقعات وتزوير للمحررات الرسمية والأوراق وسرقة سيارات وأسلحة من الجنود وغيرها ، وضمت أوراق القضية وثائق كثيرة بدءاً من المعاينات التصويرية التى تم تسجيل وقائعها بالصوت والصورة فى مواقع الأحداث ليمثل كل متهم دوره فى الجرائم التى إرتكبها ، ومروراً بالأوراق التنظيمية والخطط والأوراق التى تحتوى على الشفرة المستخدمة فى الرسائل أو نقل التكليفات وانتهاء بالمحررات والوثائق المزورة ، وهناك إتهامان رئيسيان تم توجيههما إلى المجموعات كلها وهما :

تهمة الإنضمام لجماعة سرية أسست على خلاف القانون هدفها الدعوة إلى تعطيل أحكام الدستور والقوانين والإعتداء على الحرية الشخصية للمواطنين والإضرار بالسلام الإجتماعى ، من خلال الدعوة لتغيير نظام الحكم بالقوة ، وإشاعة جو من عدم الإستقرار ، باستخدام الوسائل الإرهابية وحيازة الأسلحة النارية والذخائر والمفرقعات بدون ترخيص .

والإتهام الثانى هو الإنضمام لإتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب جنايات القتل العمد والسرقات بالإكراه وحيازة واحراز الأسلحة النارية والذخائر والمفرقعات بدون ترخيص فى نشاط يخل بالأمن والنظام العام .

– وتضم المجموعة الأولى ٥٥ متهماً يتزعمهم طالب بكلية الطب هو: عبد الحميد حب الله* ، وقد وجهت إليهم النيابة الإتهامات التالية :

سرقة سيارة نقل الموبيليا التابعة لشركة العهد الجديد .

قتل سائقها صبحى على السيد وتباعها قاسم محمد عبد المنعم مع سبق الإصرار والترصد .

محاولة سرقة السلاح الآلى الذى كان بحوزة الجندى سعد عبد الهادى مطاوع المعين لحراسة القنصلية السعودية بجاردن سيتى .

---

* القضية رقم ١٩٩٣/١٨ جنايات عسكرية وقد قضى فيها بإعدام عبد الحميد حب الله وخويلد محمد بركات ومحمد عبد اللاه محمد ورأفت محمد عثمان ومحمد حسام أحمد الشريف وفتحى إمام وياسر كامل (هارب) ومحمد زين (هارب) .

الشروع فى قتل الجندى عمدا مع سبق الإصرار بإطلاق الرصاص عليه .

محاولة سرقة سلاحى الجنديين بخيت محمد همام وعبد الرحمن عبد الله أثناء قيامهما بعملهما فى حفظ الأمن والحراسة بالمعادى .

الشروع فى قتل الجنديين المذكورين مع سبق الإصرار والترصد بإطلاق الرصاص عليهما .

حيازة وإحراز كميات كبيرة من الأسلحة الآلية والنارية والمفرقعات والقنابل والمكونات التى تدخل فى تصنيعها من الفتائل والأجزاء المعدنية ورولمان البلى والمسامير .

تزوير محررات رسمية وبطاقات شخصية .

– أما المجموعة الثانية فتضم ٦٦ متهما بقيادة المهندس اسماعيل نصر الدين وقد وجهت لهم النيابة الإتهامات التالية :

إحراز أسلحة نارية ومسدسات وذخائر ومفرقعات لإستخدامها فى نشاط يخل بالأمن العام .

حيازة ألف نسخة من كتاب "الحصاد المر".وجدير بالإشارة إلى أن هذا الكتاب من تأليف أيمن الظواهرى لمهاجمة جماعة (الإخوان المسلمين) وأساليبهم التنظيمية والحركية منتقداً قادتهم ووصفهم بالإنتهازية ومحاولة القفز على ما أسماه بدماء شهداء الحركة (الإسلامية) ، ويذكر أن أيمن الظواهرى طبيب وهو أحد القادة البارزين لجماعات الإرهاب وخاصة فصيل الجهاد وهو هارب من تنفيذ حكم صدر ضده بالإعدام .. وكان قد سبق ذلك الحكم إتهام فى قضية تنظيم "تحالف الجماعة الإسلامية والجهاد " عام ١٩٨١ بعد إغتيال السادات .. وحكم عليه حينئذ بالسجن ٣ سنوات .. خرج بعدها ليسافر إلى بيشاور عن طريق إحدى الدول العربية وبمساعدة من أسامة بن لادن .

* بلغ عدد المتهمين فيها (٤٧) قضى فيها بسجن ١٨ منهم .

فى تحقيقات النيابة .. حاول عبد الحميد حب الله قائد المجموعة الأولى من تنظيم طلائع الفتح استبعاد أيمن الظواهرى عن القضايا وكان تبريره أنه مادامت لا ولاية لضرير (عمر عبد الرحمن) ، ولا ولاية لأسير (عبود الزمر) ، فإنه لا ولاية أيضاً لغائب (الظواهرى) .

– والمجموعة الثالثة : تضم ٣٣ متهما بزعامة يحيى شحرور .. وهو التنظيم الذى يضم أكثر من شحرور من الاخوة أبناء العمومة وقد ارتكبوا الوقائع التالية :

---

* "الحصاد المر" كتاب محظور ألفه أيمن الظواهرى وطبعه فى بيشاور ، ويناقش فيه موقف الفصائل الأخرى وخاصة الإخوان المسلمين .

* توفى فيما بعد .

* القضية رقم ١١/ ١٩٩٣ جنايات عسكرية .

* إتضح فيما بعد أن الجناة هم حسن رمضان شلقانى وأحمد حسين حسن وأشرف السيد إبراهيم صالح وإبراهيم سيد عبد العال وفاروق عبد الرازق حسن وذلك بتكليف من القيادى الهارب بالسودان مصطفى حمزة ، وقد قيدت القضية برقم ١٩٩٣/١١ج .ع وقضى بإعدامهم جميعاً ونفذ الحكم فيهم باستثناء مصطفى حمزة الذى لم يزل هارباً خارج البلاد .

* القضية رقم ١٠ / ١٩٩٤ جنايات عسكرية وقضى فيها بإعدام كل من : محمد رشاد عبد الحميد ، ومحمد عبد الحليم محمد ، ومسعود العارف إبراهيم ، وطارق أحمد عبد الصمد ، وأسامة رشاد عبد العزيز بجلسة ١٩٩٤/٧/١٦ ، ويذكر أن هناك إثنا لقيا مصرعهما أثناء تنفيذ العملية وهما ضياء زكى ونزيه نصحى راشد وآخر مات قبل إحالته للمحاكمة وهو أحمد فاروق على .

* القضية رقم ٢ / ١٩٩٤ جنايات عسكرية ، والتى أتهم فيها ٩ أشخاص منهم أربعة هاربين خارج البلاد وقضى بإعدام التسعة وهم : السيد صلاح سليمان ، وغصام عبد الرحمن تونى ، ونور الدين سليمان ، وأمين إسماعيل المصيلحى ، وطارق عبد النبى الفحل ، والهاربون هم : عادل السيد عبد القدوس ، وثروت صلاح شحاته ، وياسر توفيق السرى ، وأحمد إسماعيل عثمان .

* القضية رقم ١٩ / ١٩٩٣ جنايات عسكرية والتى قضى فيها بإعدام محمود صلاح زكى ، ومصطفى عونى .

* أعيد قيدها تحت رقم ١٩ جنايات عسكرية لسنة ١٩٩٣م .

* القضية رقم ٢٣/ ١٩٩٣ وتضم ٣٣ متهماً ، والتى قضى فيها باعدام يحيى شحرور وسجن ١٨ متهماً .

التدريب على أعمال الإرهاب فى مزرعة بقرية طحانوب بالقليوبية وذلك باستخدام الأسلحة والذخيرة الحية وحيازة وإحراز أسلحة وذخائر ومفرقعات .

تزوير الأوراق والمحررات الرسمية بهدف تضليل رجال الأمن .

هذا وكانت قد إتسمت جلسات محاكمة مجموعات طلائع الفتح الأربعة .. بمشاركة بعض المحامين المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين .. من أبرزهم عبد العزيز الشرقاوى ومنتصر الزيات ومختار نوح وسعد حسب الله ومحمد مأمون الذى جاء للدفاع عن إبنه ياسر مأمون الذى أتهم فى المجموعة الأولى من طلائع الفتح .. كما حضر أكثر من ١٨ محامياً ومستشاراً سابقاً للوقوف مع الشقيقين لؤى ونزار غراب .

وعلى هامش الجلسات .. كانت هناك عدة مفاجآت ..

المتهم إسماعيل نصر الدين (مهندس) :

قائد المجموعة الثانية من الطلائع كان يخفى الأسلحة والذخائر والمفرقعات فى وأيضا فى مقبرة والده ، وداخل عيادة زوجته الطبيبة التى تناولها الإتهام أيضاً أثناء تحقيقات نيابة أمن الدولة ، ولكن القضاء العسكرى استبعدها .

بعض المتهمين كانوا يخفون الأسلحة والذخائر والمفرقعات فى منزل تحت الإنشاء فى قرية بنى يوسف بمنطقة الهرم بالجيزة .

أحد المتهمين قام بمساعدة زميل له فى عمل حفرة عميقة وضع فيها برميلا مملوء بالأسلحة والذخائر . وإلى جوارها حفرة أخرى وضعت فيها المتفجرات والأدوات المستخدمة فيها ، والمثير أن خبراء المفرقعات الذين قاموا بالتفتيش فى المرة الأولى لم يكتشفوا الذخائر رغم تفتيشهم للمبنى عدة مرات .. لكن المتهم أرشدهم عن مكان اخفائه لها .. وفى المعاينة التصويرية بالفيديو .. شرح المتهم كيفية إخفاء المضبوطات .. وحدد كل متهم ما قام به وكيف أن الحفرة الكبيرة استغرقت منهما معا ٣ ساعات ، لأنهما قاما بحفرها بجاروف ، بينما استغرقت الحفرة الأخرى ساعتين .

طالب المحامون بضم أسباب الحكم فى القضية ٤٦٢ لسنة ٨١ المسماة بقضية تنظيم الجهاد واغتيال الرئيس السادات ، وأيضا فى القضية ٥٤٦ لسنة ٩٠ الخاصة باغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق .

أما قائمة الشهود فى تلك القضايا .. طويلة وتضم عدداً كبيراً من رجال الأمن الذين اشتركوا وشاركوا فى اجهاض هذا المخطط .. وتمكنوا من القبض على المتهمين .. ورغم ذلك كان التشكيك فى عملهم بزعم أن الضباط الشهود ، ليسوا هم الذين قاموا بإلقاء القبض على المتهمين ، ورأت المحكمة أن تتأكد من هذا الإدعاء بعد أن تكرر كثيراً .. فطلبت من أحد الضباط أن يصف تفصيلا وتحديدا إذا كانت ذاكرته تعى مكان ضبط أحد المتهمين .. فذكر كافة التفاصيل الخاصة بالشقة التى ضبط بها المتهم .. حتى أكد أن السرير الموجود بغرفة نومه مكون من دورين .. وهنالم يستطع المتهم الإنكار .. والتزم الصمت تماماً .

يتناول المتهم **محمد عبد العليم محمد خليفة** فى إعترافاته طريقة الإعداد لعملية محاولة إغتيال صفوت الشريف وزير الإعلام .. والتخطيط للمحاولة الفاشلة لإغتيال وزير الداخلية .. ومحاولة إغتيال بعض رجال الشرطة أثناء تلقيهم لتدريبات اللياقة البدنية بمركز شباب الجزيرة .

وتحدث تفصيلياً عن "أرض الحمير" فى ضواحى مدينة بلبيس بمحافظة الشرقية الذى كانوا يضعون فيها الأسلحة والشراك الخداعية التى أعدوها لرجال الشرطة إذا ما حاولوا إقتحامها ذات يوم ، ثم شرح فى إعترافاته باستفاضة خفايا عملية إغتيال السيد أبو يحيى الشاهد الأول فى قضية محاولة إغتيال الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق إنتقاماً منه لأنه أرشد الشرطة عنهم .

وأخيراً تحدث عن ظروف وملابسات إلقاء القبض عليه أثناء وجوده مع قائد التنظيم عادل عوض صيام الذى أشرف علىكل العمليات الإرهابية التى إرتكبها التنظيم بدءاً بعملية محاولة إغتيال صفوت الشريف .. وحتى عملية إغتيال عادل أنور المنشق عن التنظيم .. وكيف منعه رجال الشرطة من الإنتحار عندما خطف منه المسدس الذى صوبه إلى راسه لينتحر عندما تأكد من وقوعه فى قبضة الشرطة .

أمام نيابة أمن الدولة العليا كانت هذه الإعترافات التى سننقلها دون تعليق أو تدخل فهى أبلغ من كل كلام أو أية تحليلات وسنترك مهمة تقدير خطورتها لعقل القارئ ووجدانه .

الفصل الرابع

طلائع الفتح .. إعترافات المتهمين

حكاية خليفة .. من إدمان المخدرات إلى اغتيال الوزراء

إسمى .. محمد عبد العليم خليفة .. من مواليد ١٩٦٣/١٢/١٠ ببولاق الدكرور بالجيزة وأعمل نقاشاً .

س - ما تفصيلات اعترافك ؟

ج - أنا قبل ما أتكلم على اعترافاتي فى الحوادث التى اشتركت فيها مع الإخوة عايز أقول أننى كنت مقيم مع أسرتى المكونة من أبى الذى توفى منذ ثلاث سنوات تقريبا وكان بيشتغل فى محل جزار بتاع واحد اسمه عبده فى منطقة سكننا فى بولاق الدكرور ، وعايز أقول أن أنا قبل أن التزم دينيا كنت صايع وبشرب الحشيش (حشاش يعنى) مع أصحابى وافتكر واحد منهم اسمه أحمد جاز ، وواحد تانى اسمه عزت الرخم ، وواحد اسمه عاطف بليلة ، وواحد اسمه محمد بلية وكنا بنشرب الحشيش عند محمد بلية وأنا بدأت فى الإنحراف من سن خمستاشر سنة والسبب انى انحرفت أنى كنت بشوف والدى هو وعمى بيشربوا المخدرات عادى فى البيت ، وفى نفس الوقت والدى كان مشغول عنا لأنه كان بيحب يتجوز ستات كثير واتجوزعلى والدتىوانشغل بزوجته الجديدة فأنا كبير اخواتى واضطريت أن أسيب الدراسة وأنا فى ثالثة ابتدائى تقريبا واشتغلت فى النقاشة ووالدتى اشتغلت تمرجية فى مستشفى الشبراويشى ، المهم ربنا هدانى وسبت المخدرات والسبب فى أنى سبتها أن مرة وأنا بشرب الحشيش مع الناس اللى قلت عليهم وهما بيلفوا الجوزة على فأنا كنت شربت فى القعدة دى حشيش كثير ومرة واحدة لقيت نفسى تعبت وأخذت قرار فى نفس القعدة أننى أبطل شرب حشيش وفعلا بطلت وبدأت أتجه للعب الرياضة وفعلا تعلمت الكاراتيه فى نادى الشبان المسلمين فى مدينة البحوث ولعبت فيه وفى نادى طلعت حرب

بالكيت كات وفى نادى ضباط الشرطة اللى فى الجزيرة وكنت بتدرب مع مــدرب اسمه حسنى محمود وهو اصلا أمين شرطة وفى الفترة دى الرياضة منعت عنــى الإنحراف ، ومن خلال الرياضة اتجهت للصلاه علشــان الكابتن كان دائما بيقــول لنا صلوا وبعد كدة بدأت اصلى فى مسجد كان بيخطب فيه الشيخ عمر عبد الكافى والمسجــد ده كان تحت عمارة متفرعة من شارع عمان ببــولاق الدكــرور فــى الجيزة ، وصليت برضه فى الفترة دى خلف الشيخ إبراهيم عــزت بتــاع التبليــغ والدعــوة وبعدين عام ١٩٨٥ تزوجت من حورية عبد الستار أحمــد ودى كــانت اخت لأحد الأخوة اللى كانوا بيصلوا مع ابراهيم عزت وسكنت برضه فى بــولاق الدكرور وكنت بصلى فى مسجد اسمه مسجد عمر أمين عبد العزيز مــع أخــوه اللى هما محمد عبد اللطيف وحسن عبد السميع ومجدى غريب ودول كانوا نــاس بيقولوا عليهم أن هما تبع جماعة الجهاد ولكن أنا مكنتش لى صلة فــى الوقــت ده بهذه الجماعات ، وطبعا أنا لما تزوجت كنت ساكن فى ٣٥ شارع ضيــاء نوفــل متفرع من شارع ناهيا فى بولاق الدكرور ، وبرضه فى نفس الفترة كنت بصلــى فى جامع معروف جداً فى بولاق الدكرور اسمه جامع الشيخ سعيد الخضرى وأنــا كنت بحب هذا الشيخ قوى حتى هو اللى كتب كتابى ، وبعدين بدأت أصلــى فــى مسجد تانى فى بولاق الدكرور اسمه مسجد الرحمة كان فيه شــيخ كويــس قــوى برضه اســمه الشيخ رزق السيد وهو كان راجل عنده ثمانية وثلاثين أو أربعيــن سنة تقريبا وكان بيشرح دروس فى العقيدة وبيفسر القرآن الكريم وبــيربى النــاس تربية اسلامية وأنا واظبت معه على الدروس وكان فى الفترة دى مواظــب معــى برضه شباب من منطقة بولاق الدكرور وصاحبتهم منهم ضياء محمــود حــافظ ، واســامة محمد رشــاد ، وأحمد فاروق على ، ومسعود على العــارف ، ومحمــد رشاد ، وطارق عبد الصمد وأنا الحمد لله دعيت اخوانى البنين والبنــات للإلــتزام وكلهم التزموا وكان بيحضروا دروس للشيخ رزق والدكتور **عمــر عبــد الكــافى والسيد سعيد الطويل** ماعــدا شقيقى اللى فى الجيش واسمه محمود عبــد العليــم محمد فهو كان غير ملتزم ودايماً يختلف معايا ، وحصل أنه بعد الــتزامى بفــترة كبيرة فوجئت أن مباحث أمن الدولة بتقبض على فى بيتى وده كان بعد حادثة سرقة

محل ذهب فى الزيتون وقالوا أن جماعة الشوقيين هما اللى سرقوا المحل والسبب أن المباحث قبضت عليا أن واحد اسمه هشام محمد مسعود اللى كان فى حادثة الذهب كان بيشتغل معى فى النقاشة وجاب اسمى فى مباحث أمن الدولة فأنا اعتقلت بسبب كدة حوالى أربع شهور وبعد كده أفرجوا عنى وبعدها بحوالى شهرين تقريبا فوجئت تانى بمباحث أمن الدولة بتقبض عليا من بيتى الجديد اللى أنا عزلت فيه فى أرض اللواء فى الجيزة وبصراحة كان سبب عزالى من بيتى علشان أبعد عن المباحث لكن برضه عرفوا طريقى واعتقلونى بعد مقتل الضابط بتاع الفيوم المقدم أحمد علاء ، والسبب فى القبض على أن واحد اسمه أحمد سليم وده كان عنده مصنع طوب فى بلد اسمها العلوية على طريق الصباحية فى طريق كحك بحرى مركز ابشواى بالفيوم وأنا كنت بعمل فى الوقت ده نقاشة فى بيت جنب بيت أحمد سليم والرجل ده كان اسمه الحاج شريف المهم أن أحمد سليم اتقبض عليه ولما مباحث أمن الدولة سألته جاب اسمى فى الكلام وقال أن محمد عبد العليم جبته علشان يتفرج على بيتى اللى فى كحك قبلى علشان يعمل نقاشة وفعلا الواقعة اللى بيحكيها أحمد سليم مضبوطة ولكن محصلش اتفاق فى السعر معملتلوش شغل ، المهم أننى اعتقلت برضه فى هذه الواقعة ثلاثة شهور وخرجت بعدها وبعد كدة بحوالى خمسة شهور تقريبا قبضت على المباحث الجنائية مباحث شرق القاهرة اللى مكانها فى نقطة الماظة ومسكونى فى بيتى وجاءوا لى ومعهم والدتى وسألونى عن واحد اسمه حسين عبد الحكيم من بلد اسمها أبو شنب جنب الخالدية تبع مركز ابشواى فى الفيوم برضه فأنا قلت لهم معرفوش فتشوا الشقة وأخذونى معهم فى المكان اللى قلت عليه واحد وعشرين يوما وبهدلونى جامد بعد كده لما اتأكدوا أن أنا معرفش الشخص اللى بيقولوا عليه سابونى وكان الكلام ده عام ١٩٩١ تقريبا أو أوائل عام ١٩٩٢ تقريبا .

بعد ما خرجت فى المرة الثالثة دى كانت حالتى النفسية وحشه وزارنى صاحبى أحمد فاروق على مرة أو مرتين تقريبا فى بيتى فى أرض اللواء وتكلم معى فى موضوع وجوب تطبيق شرع الله فى الأرض فى مصر وأن الجهاد علينا فرض عين فلازم نتحرك تجاه الجهاد فى تطبيق شرع الله فى الأرض واتفقنا

على أنه لابد من وجود عمل فى مجموعة وقاللى أنه هيعرفنى بأخ اسـمه ناجى هيتكلم فى الظروف اللى احنا فيها وفعلا بعد لقائى بأحمد فاروق بحوالى عشرة أيام تقريبا جالى البيت ومعه الأخ اللى اسمه ناجى اللى أنا عرفت بعد كدة أن ده مش اسمه الحقيقى انما اسـمه الحقيقى عادل عوض صيام وكنت أول مرة أشوف ناجى ده وهو شاب فى حدود خمسة وثلاثين سنة تقريبا ووشه أبيض وعينه ملونة وشعره مصفر وجسمه رياضى وعرفنى بيه أحمد وقال أن اسمه ناجى .

التدريب على إستخدام الأسلحة والمتفجرات :

نرجع لحكاية الأخ ناجى (عادل عوض صيام) فى بداية اللقاء طلب منى ما أقولش اسمى الحقيقى وقاللى أن اسمك حسام ووافقنا احنا التلاتة أن ناجى يبتدى يدينا دروس وبصيت لقيت ناجى جالى لوحده بعد لقائنا الأول بحوالى ثلاثة أيام تقريبا عندى فى البيت وقاللى أن العمل محتاج انك تتدرب وتفهم أن المطلوب منك علشان لما تشتغل فى حاجة تبقى فاهمها وبعد كده بدأت اجتمع أنا ومحمد رشاد ومسعود وعلى العارف سواء فى بيتى أو فى بيت محمد رشاد وبدأ ناجى يشرح لنا دروس فى الأسلحة وأنواعها وأنا فاكر أن ناجى لما شرح لنا السلاح الآلى كان معه بندقية آلى وكان بيشرح لنا على سبورة عندى والدرس بتاع الطبنجة كان عند محمد رشاد وناجى استغرق فى شرح دروس السلاح حوالى خمس أو ست مرات نظرى بمعنى أن احنا لسه مبدأناش ضرب النار العملى ، وبعدين انتقل ناجى فى الشرح لينا لنوعية المتفجرات وقال لنا أن المتفجرات منها الخارقة والحارقة والصاهرة والقاطعة وقال لنا على نوعية الدانات اللى هو شافها فى أفغانستان وشرح لنا يعنى ايه حارقة وخارقة وشرح لنا بعد كده الصاعق اللى هو المفجر وقال لنا على شكله وفرجنا عليه وقال على المواد اللى فيه وكيفية تصنيعها وكيفية وضعها فى العبوة وقال أن لو العبوة أكتر من خمسة كيلو يبقى لازم يحط أكتر من صاعق وبعدين اختفى ناجى لمدة شهرين وانقطعت صلتى بيه وحتى محمد رشاد ومسعود كنت بشوفهم بس سلام سلام على السريع كده وفى الفترة دى أنا استنتجت أن يكون سبب اختفاء ناجى هو قضية طلائع الفتح اللى كانت المباحث ضبطتها ، المهم بعد الشهرين دول لقيت ناجى جالى البيت وسألته انت كنت فين قاللى أنه كان عنده ظروف لكن مقلش ايه هى وقال انما هو كويس

وقاللى رتبلى مواعيد مع محمد مسعود واسامة رشاد وضياء وأحمد فاروق وفـــى الوقت ده أنا عرفت أن ضياء واسامة رشاد تبع ناجى وأنا بدورى أخذت له ميعـــاد مع اسامة وضياء عن طريق اسامة وأحمد فاروق وسبت ناجى معاهم بعد كدة وفيه عربية ماركة فيات ١٣٢ لونها سماوى بتاعة محمد رشاد فى يوم لقيـــت نـــاجى راكبها وجالى حسب ميعادى معه على قهوة الجوهرة اللـــى فـــى نهايـــة شـــارع التحرير بالدقى عند مقار بتاع العربيات ، وكنا العصر وبعدين قاللى تعالى معايـــا وركبت معه وأنا راكب معه لقـــيته وقف العربية وقاللى وطى دمـــاغك وغمــض عينك وقاللى خليك كده لغاية ما أقولك وهو قصد من كده ان أنا مشـــفش الطريــق اللى ماشى فيه بالعربية وفعلا عملت زى ما هو عايز وأنا مسألتوش احنا رايحيــن فين المهم أنا فتحت عينى لما قاللى ولقيت نفسى داخل مبنى عبارة عن حجرتيـــن على الشمال للداخل ويتوسطهم مطبخ وحمام وبعدين حته واسعة فيها نخلـــة علـــى اليمين ولقيت فيه حشوات اللى هى العبوات الصاج اللى بتتلحم وأدوات حداده وعدد زى الصاروخ اللى بيقطع الحديد ومنشار ومطارق وماكينة لحام كهرباء وأنـــابيب اكسوجين وأنابيب بوتاجاز وجوانتيات قماش وأقنعـــة علشـــان الريحـــة بتاعـــة الديناميت اللى موجود والنظارة بتاعة اللحام وبعدين شفت كمان فـــى الورشـــة أو المكان ده ضياء ومحمد رشاد ومسعود وواحد كنت أول مرة أشوفه قـــاللى عليــه ناجى أن اسمه توفيق وعرفت بعد كده بالتحديد بعد حـــادثة الألفى وزير الداخليـــة أن توفيق ده هو نزيه نصحى راشد المهم أنه ساعة لما شفته لقيتـــه شـــاب رفيـــع وطويل قمحاوى وهو فى حدود خمسة وثلاثين سنة وناجى قاللى أن المكان ده هو ورشة تصنيع العبوات اللى بتستعمل فى التفجير وبدأ يعلمنى دورة تعليمية وعملية على الموضوع ده .

وعلى فكرة أنا فهمت وناجى بيشرح عملى للمفجرات اللى أنا اتكلمت عليهـــا أن ضياء فاهم الحاجات دى وبعد الأربعة أيام دول ما انتهوا كلفنى ناجى أنا ومحمد رشـــاد ان احنا نروح ندور فى أى مكان فى مصر على قطعـــة أرض مســـاحتها قيراط ويكون سعرها رخيص علشان تبقى مكان مخصوص لينا وبحثنا أنا ومحمد رشاد ودورنا فى أماكن كتيرة زى مديرية التحرير فى ضواحى الجيزة لقينا بـــس بسعر غالى يعنى لقينا القيراط بيقف بستة آلاف جنيه أو ســـبع آلاف جنيـــه وفـــى الوقت اللى ناجى كان محدد لنا حوالى ألف ونصف أو ألفين بالكتير وبعدين قرأنـــا

أنا ومحمد فى جرنال المساء أن فيه بيتباع المتر بعشرة جنيهات فى بلبيس بالشرقية فرحت أنا ومحمد مكتب بيع أراضى فى الزيتون مش عارف اسـمه التوفيقيـة أو التوفيق وقابلنا مدير المكتب فاكر إن اسمه الحاج حسن وقلنا له عـايزين نتفـرج على الأرض اللى انتوا معلنين عنها فقال لنا شفوى انها فى بلبيس ولـو عـايزين تتفرجوا فيه يوم بتطلع فيه عربية من المكتب بتودى على هناك وكـان اشـتراك المعاينة خمسة جنيهات للفرد ورحت أنا ومحمد معاهم فـى عربيـة بيجـو ٥٠٤ ملاكى بتاعة المكتب مش فاكر اسم السواق ايه ورحنا نشرب مياه من بيت واحـد راجل كبير طلع ان اسمه عبد الستار زى ما عرفنا بعد كده ومرة واحـدة قلنـا ان احنا عايزين أرض لأن أنا ومحمد اتفقنا أن نبعد عن المكتب على أساس أن المكتب ممكن يماطل ويقول عايز ثمن المرافق فلما سألنا عبد الستار قال لنـا أن المنطقـة اللى احنا واقفين فيها اسمها منطقة بساتين بركات ومعروفة باسم قرية أبو حمـير وأن المنطقة دى فيها أراضى تقسيم المكاتب وأراضى بتاعة الأهالى وقال أن فيـه أرض بسعر المتر عشرة جنيه فقلنا له عايزين قيراط فاتفقنا معه على ميعاد علشان نشوف الأرض لأن هو كان فرجـنا على بعض الأراضى فقلنا له عايزين نشوف تانى ورجعنا مع عربية المكتب ولكن مقلنلهمش حاجة وقلنا لهم نبقـى نجيلكـم ، وبعدين تقابلنا مع ناجى عند قهوة الجوهرة حسب المواعيد اللى كنا بنتقـابل فيهـا هناك وحكينا له على اللى حصل قال ماشى حلوة جدا وخـدوا فلـوس وروحـوا خلصوا وادانا حوالى ألف ونصف وسافرت أنا ورشاد وركبنا عربية بيجو أجـرة ورحنا قابلنا عبد الستار وقلنا له احنا جايين نخلص فى قيراط ففرجنا علـى أرض واخترنا قيراط وحولين الأرض دى أراضى كتير فاضيـة وبعديـن رحنـا معـه لصاحب الأرض اللى اسمه الأسـتاذ ماهر الطحاوى وهو محامى فاتح مكتب فـى بلبيس ورحنا بيته احنا التلاتة وقابلناه وقنا له احنا عايزين قيراط من أرضك قـال موافق وعبد الستار قال حنحسب القيراط بألف واربعمائة جنيه ووافق المحامى على السعر وأدينا له الفلوس وادينا السمسار مائة جنيه بقشيش وكتبنا العقد واللى كتـب العقد ماهر الطحاوى نفسه وكتب اسم المشترى رزق اسماعيل السيد .. أنا قلت له ان اسمى كده واديته بطاقة شخصية بالاسم ده وكان عليها صورتى ومكتوب انهـا مستخرجه من سجل مدنى حدائق القبة وطلع المحامى معانا بعد ماكتبنا العقد واستلم هو الألف واربعمائة جنيه واحنا فهمناه ان احنا هنبنى قطعة الأرض بيـت وطلـع

معنا مكان الأرض وقــاس لنا القيراط وسلمنا الأرض وبعد كده رجعنــــا وقابلنــا ناجى وقال لازم تبنوها على طول وناجى راح معانا تانى يوم وقـــال انـــه عــايز يشوف مكانها ومساحتها وبعد كده ناجى شاف الأرض وقال كويسة فـــى حضـــور عبد الستار .. ثم قال لعبد الستار عايزين تخطيط كيف نبنيها .. وهو أجاب بأنــــه ليس متذكر اسمه فهو شاب وقال انه يعمل بالمقاولات وهيبنى لــك المبـــانى كمـــا تريدها وطبعا كان يوجه كلامه لناجى وأنا ومحمد رشاد واقفين وذهب واتى أيمـــن عبد الســـتار بشيكارة بودرة لكى نخطط بهـــا الحيطـــان والأرض : تكـــون ازاى فخططها هو وناجى ومحمد رشاد وهما ماسكين حبل وبعد ما خطط نـــاجى قـــال لأيمن عبد الستار تحفر بير وتصبها خرسانة وعلشان نبنى فوقها المبـــانى وكـــان التخطيط انها عبارة عن مدخـــل كبير يدخل سيارة ويكون فى اليميـــن والنصـــف الثانى حجرتين ومدخل وحمام والباقى يترك خال ويبنى عليه سور وأعطـــــى لــــه ثلاثمائة جنيه قال له تنزل بيهم اسمنت .. ثم نزلنا نحن الثلاثة من السيارة بتاعــــة محمد رشاد اللى كان بيركبها ناجى ، وكلف محمد رشاد فنفذ المطلوب اللـــى قـــال عليه ناجى فراح مزعقله (سجن تحت الأرض) وأرغمه على جمـــــع حاجياتـــه .. ومشى – بدأ محمد رشاد يجيب بنايين بمعرفته ويبنو بالدبش وبعد كده ناجى قـــال تعمل فيها مساحة أربع حجرات تحت الأرض فى الحتة الفاضية اللى باقيــــة مـــن المبانى اللى اتبنت مساحة الحجرة اثنين فى اثنين متر وتعمل طرقة فـــى النصـــف وحمام فى الوش وفى الآخر على أساس تبقى زى السجن بالضبط .. وقال علشان لو اتينا فيها برهائن أجانب أو مصريين محدش يعرف طريقهم ، ولما محمد رشاد استأجر لودر فحتها وأنا كنت موجـــود ولما سألونا اللى هما سواق اللودر والبنــــا اللى اسمه حسن (راجل معرفه) اللى جابه محمد رشاد وهتعملوها ايــــه قلنـــا لهـــم هنعملها حوض تربية سمك والناس اشتغلت عادى وخلصت المبانى بتاعتها والبنـــا نفسه جاب لنا واحد علشان يصبها لنا وقلنا اعمل فيها فتحتين تهوية وعملنـــا فيهـــا الفتحتين وصبها وناجى كان كل مدة يذهب ليراها وتكلفـــت المبـــانى والســـراديب حوالى ثمانية آلاف جنيه غير ثمن الأرض واللى دفعهم ناجى، المهم إنها خلصـــت فى حدود شهرين وبعد كده قعدت أنا ومحمد رشاد واسامه رشاد ومسعود فى البيت حوالى عشرين يوما أو أكثر وكان بيجى ناجى فى الاسبوع مرة وكنا فى الفترة دى بنعمل النفـــق اللى يدخل للمبانى اللى تحت وطبعا احنا عملنـــــاه بنفســـنا علشـــان

مانجيبش عامل ويعرف ايه اللى بنعمله وجـبنا الوصلة بتاعـــة البـير ولحمنـــاه بالمبانى علشان الرهينة اللى تدخل المبانى ينزل على سلم مبنى بالطوب بعدما يرفع الغطاء يفضل ماشى لغاية مايلاقى الأربع أوض على الشمال على صف واحـــــد وكل باب خشب من الأرض له ترباس كان هو الترباس الكبير وباب حديـــد بعـد الأربع أوض يعنى باب رئيسى يقفل عليهم وسبنا اسامة ورشاد ومسعود قاعدين فى بلبيس ونزلت انا ومحمد ورشـــاد وأنا عايز أقول انه قبل ما أروح الورشـــة مـع ناجى وقبل ما أعرف طريقها حصل انه كان مواعدنى عند مستشفى الرمـــد فـــى حدود الساعة تسعة صباحا فرحت ووقفت عند المستشفى فلقيـــت نـــاجى ســـايق العربية الفيات ١٣٢ ومعه ضياء وأحمد فاروق واسامة وبعديـــن راح اتكلـــم مـــع الشاب اللى أنا قلت أوصافه قبل كده فى التحقيق وكان الشاب واقف ومعه تروسيكل أخضر بثلاث عجلات عجلتين فى الأمام وعجـــلة فى الخلف وبعد كده ناجى نـــده لأسامة وقال له اركب على التروسيكل ورجع ومعاه واحـــد عرفه علينـــا باســـم توفيق وعرفنى عليه باسم حسام وقال له ضياء وياسر واسامة علاء وعلى أحمـــد على ، وعلى فكرة عايز أصحح فى هذه الحكاية جزئية المحاولة الفاشلة لإغتيـــال بطرس غالى الكلام اللى سبق وقلته فى التحقيق وهو انى أول مرة شفت توفيق كان فى الورشة والكلام ده غير صحيح لأن أول مرة شفته ساعة الموضوع اللـــى أنـــا باتكلم عليه دلوقتى ، وموضوع الورشة دى كانت قبل حادثة حسن الألفى ، وبعـــد كده اسامة ركب على التروسيكل ومشى أدامنا واحنا مشينا وراه بالســـــيارة فـــى الطريق اللى نازل من كوبرى عباس ولما مشى فى الشارع الرئيسى اللى يوصــــل لحد القلعة والسيدة عائشة فأسامة عدى بالتروسيكل من تحت نفق الملـــك الصـــالح اللى يودى على صلاح سالم وقبل ما توصل عند مجرى العيون فين على اليميـــن والشـــمال حدائق ، وناجى شاور لأسامة أن يقف بالتروسيكل ونزل وصل البطارية بالاسلاك اللى جوه التروسيكل علشان يشغل العبوة اللى كانت فى التروسيكل التـــى كانت عبارة عن ثلاث عبوات الواحـــدة فيها حوالـــى أربعيـــن كيلـــو متفجـــرات وديناميت وناجى عرف اسامة حيعمل ايه لما يعدى عليه موكـــب بطـــرس غـــالى علشان هو ساعتها كان فى مصر بيحضر مؤتمر القمة الافريقى ، وسبقنا اسامة فى المكان اللى هو قبل مجرى العيون ورحنا تانى بالعربية ١٣٢ أنا ونـــاجى واحمـــد فاروق وضياء وتوفيق وبعد كده وقفنا عند أول شارع البحر الأعظم على اليميـــن

قبل تسيياس وفضلنا حوالى ساعة ونصف وبعدين ناجى مشى بينـــا بالعربية وراح لأسامة وقال له تعالى ومتنفذش العملية وبعد كده فى نفس اليـــوم ليلا قرأنــــا فـــى الجرائد أن البوليس اكتشف وجود عبوة جنب بيت بطرس غالى اللى هو بيطل على النيل ويبقى على شمال الواحد وهو فى طريقه إلى شيراتون وهو جاى من شـــارع البحر الأعظم أو لما ينزل يمين من كوبرى عباس ، وطبعا احنا ما نعرفش ميـــن اللى كان حاطط المتفجرات جنب بيت بطرس غالى ولكن فهمنا من كده السبب اللى مخلاش بطرس غالى يعدى فى المكان اللى كان واقف فيه اسامة بالتروسيكل لأنه تقريبا منزلش وسافر تانى يوم والجرائد قالت انه هو غادر القاهرة فى نفس اليـــوم وبعدها بفترة حضر ناجى وقال لاســـامة يسحب التروسيكل إلى منزلـــه وكلفنـــى ناجى بسحب التروسيكل من منزل اسامة فى اليوم التالى فى الصبح بدرى واروح بيه إلى شـــارع الخليفة المأمون قبل الدخول على روكسى فوجد قهوة على اليسار ووصلت هناك قبلهم ووجدت ناجى حضر يقـــود العربيـــة ١٣٢ ومعـــه مســـعود وتوفيق وبعد ذلك حضر ناجى ونزل من السيارة وطلب مـــن مســـعود ان يركـــب التروسيكل وافهمه ماذا سيفعل وأين سيقف والخطة كانت نفس الخطة الذى ســـيقود التروسيكل سيقف به جنب البنزينة ويطلع من الشارع ويدخل فى خط سير ســـيارة صفوت الشريف وقبل ما يقترب من السيارة يضغط على زرار التشـــغيل فتنفجـــر العبوة وجلست أنا على القهوة ومعى توفيق حتى الساعة الحادية عشر وحضر لنـــا مسعود وقال أن العملية لم تتم لأن صفوت الشريف لم يخرج ويبدو أنـــــه مســـافر وناجى كلفنى بأن ارجع بالتروسيكل عند منزل اسامة لأن محـــدش كـــان يعـــرف طريق بيت اسامة غيرى .

المهم ان توفيق قرر أن هو الذى سينفذ العملية علشان عادل أنور قال عليـــه انه مرشد للمباحث ولذلك يريد قتله وتوجد حاجة بينهم وبيـــن بعـــض وأنـــا مـــا أعرفهاش لكن أنا عرفت منهم أنه ساكن خلف مبنى المخابرات العامة فى حدائـــق القبة وعنده محل بقـــالة فى نفس البيت وكلفنى ناجى ان أنا أروح معاه وفعلا فـــى يوم ادانى موعـــد فى الصباح وركبت معه العربيـــة ١٣٢ وكـــان معانـــا ضيـــاء ومسعود ومحمد رشـــاد وتوفيق والذى كان يقود السيارة هو ناجى وقبـــل مـــنزل عادل بمسافة قال لضياء اذهب واحضر عادل فوراً وقول له انـــك انـــت ضـــابط مباحث ويكون معاك جهاز لاسلكى لعبة وطبنجة ٩مم .

أما توفيق وناجي وقفوا بعيدا علشان عادل أنور عارفهم وبعد كده رجع ضياء وقال ان عادل مش موجود وقابل نسيبه وكان في نفس الوقت توفيق معاه طبنجة وناجي معه طبنجة وقنابل وضياء معه طبنجة ومحمد رشاد (اللي هو اسماعيل) ما كانش معاه حاجة وأنا أيضا لم يكن معي شئ وبعدها بيومين ذهبنا مرة أخرى لنفس المجموعة عند عادل أنور لكن هذه المرة نزل ضياء ومعه الطبنجة واللاسلكي وعاد بعد فترة قليلة وقال أن عادل رفض النزول معه رغم أنه قال له انه ضابط مباحث وفي نفس الوقت كان محمد رشاد هو اللي نزل يسوق الموتوسيكل اللي اشتراه باسم مزور وكان ناجي يقود السيارة فيات ١٣٢ واحنا معاه وكان مع ناجي السلاح الآلي في شنطة السيارة وعندما قال له ضياء ذلك قام ناجي بركوب الموتوسيكل وركب توفيق وراه وهو مسلح بالآلي وعادوا بعد فترة قائلين أن العملية اتنفذت بنجاح فقال ناجي ان هناك قنبلتين كانوا ضمن ستة قنابل كان قد وضعهم في الجربندية الخاصة به مثل جربندية الجيش كان لابسها فوقعت منه القنبلتان بعد ما نفذوا في عادل أنور وقعوا بالموتوسيكل فوقعت القنبلتين وفي اليوم التالي قرأنا في الجرائد أن عادل أنور إتقتل وبعد يومين أو ثلاثة أيام قابلنا ناجي بعد صلاة الفجر عند المطار أنا وضياء ومحمد رشاد واتى إلينا يقود العربية ١٣٢ وكان ناجي ومعه توفيق ومعاهم عبوة عبارة عن حشوة حديد طولها ٤٠ سم وقطرها ١٠×١٠ سم وكان فيها فتحة للفتيل وفيها ديناميت فذهبنا إلى مركز شباب الجزيرة في حدود الساعة الخامسة النصف وبعد ذلك دخلت أنا وضياء من البوابة فلم يكن يقف أمامها أحد فدخل توفيق بالعبوة وبعد منه دخل ناجي وتركت محمد رشاد في العربية اللي كانت في الخارج وقمنا بمد سلك تليفون من عند السور اللي موجود في البوابة حتى الكافتريا مسافتها ٤٠ مترا وبعد ذلك ناجي قال لنا أطلعوا امشوا وتركنا ناجي وتوفيق فقام توفيق بتوصيل السلك بالحشوة (أي العبوة) وأوصلها بالتايمر وبدل ما يخرج من الباب خرج من السور وبعد ذلك لما خرجنا أنا وضياء قال لهم ذهبنا عند محل نعمة بتاع السندوتشات اللي في العجوزة وبعد ذلك أخذ ناجي وتوفيق ومحمد رشاد السيارة وبعد خمس دقائق سمعت التفجير وبعد حوالي ساعة جاء محمد رشاد مع ناجي في السيارة فركبت أنا وضياء معهم ففهمت من ناجي أن توفيق نزل قبل ما نركب معهم نزل توفيق عند قهوة الجوهرة اللي في بولاق الدكرور وبعد ذلك أخذنا

عند القهوة وقابلنا توفيق واتفقنا على ميعاد معين وتركنا توفيق مع ناجى فى العربية وتم اختيار مركز شباب الجزيرة زى ما قال توفيق انه يأتى إلى هذا النادى ناس من الشرطة بيتدربوا وهما المقصودين .. أما بالنسبة لحادثة الألفى وزير الداخلية فتم تنفيذها بالموتوسيكل التوين البرتقالى (ماركة دراجات بخارية معروفة) اللى كان اشتراه محمد رشاد علشان نعمل بيه شغل واللى حدث هو أن أنا بعد ما رحت الورشة أول مرة قبل حادثة الألفى وجدتهم يجهزون الموتوسيكل وقاموا بعمل صندوق للموتوسيكل من الخلف وقمنا بدهانه باللون الأسود ثم نمنا فى الورشة وفى الصباح وضعنا العبوات وطولها حوالى ٣٠سم فى الموتوسيكل وحجم العبوة ٢٠×٢٠ سم ووضعنا فيها ديناميت وكام قنبلة والذى وضع العبوات والقنابل داخل صندوق الموتوسيكل ناجى وقام محمد رشاد بقيادة الموتوسيكل وركب فى السيارة الـ ١٣٢ الإخوة ضياء وتوفيق وناجى وتركونى فى الورشة وخرجوا للشغل (ينفذوا العملية) وأنا فى الوقت ده لم أكن أعرف هما رايحين على فين ، المهم انهم ذهبوا وعادوا بعد الظهر ولم ينفذوا العملية ونزلوا العبوات وظل الموتوسيكل داخل الورشة والمرة الثانية كانت بعد ذلك بيومين اتجهزت نفس التجهيزة وذهبت نفس المجموعة : ناجى وتوفيق ومحمد رشاد وضياء وذهبت فى الصباح فى نفس الميعاد والذى قاد الموتوسيكل محمد رشاد وأنا نزلت معاهم ونزلونى فى أول شارع فصل وذهبوا هما للشغل وبرضه ما كنتش أعرف هما رايحين فين لكنى كنت عارف انها عملية استشهادية فى سبيل الله ، واتفقنا على ميعاد وافترقنا حتى سمعت فى الإذاعة انه تم تفجير موكب حسن الألفى وزير الداخلية وجالى ناجى ومحمد رشاد بالعربية الـ ١٣٢ على قهوة الجوهرة وسألونى وفى المساء من نفس اليوم الذى حدثت فيه الحادثة .. فسألت ناجى بعد حادثة وزير الداخلية فقال لى انه هو والمجموعة التى قلت على أسمائهم هما اللى عملوها وبعد ذلك اشترينا الجرائد وناجى رأى أن توفيق مصاب فقال ان كده فيه خطر على الورشة والمفروض ان احنا نشيل الحاجة منها وعرفت من الجرائد ان ثانى يوم ان توفيق مات وأن اسمه الحقيقى نزيه نصحى راشد المهم ان أنا تركت ناجى مع محمد رشاد وعرفت بعد ذلك ان محمد رشاد ومسعود واسامة وناجى نقلوا الأشياء من الورشة وناجى قال ذلك كما قال إنه قام بعمل مصيدة للحكومة داخل الورشة فأى أحد يقترب من الورشة تنفجر لكن لم يقل لى كيف عمله وعرفت

بعد ذلك ان الحكومة ذهبت إلى الورشة من الجرائد وأن الورشـــة فى كفر المنفـــى وأنا طبعا لم أكن أعرف مكانها لأن ناجى كان بيغمى عينى ، واللى كان بيعـــرف مكان الورشة اسامة وأحمد وضياء وناجى لأنهم هما اللذين قاموا ببنائهـــا زى مـــا عرفت من ناجى واسامة بعد ما الحكومة وصلت لها ، أما بالنسبة لحـــادث حســن الألفى قال لى ان التفجير تم عن طريق توصيل الســـلك الخـــاص بالموتوســـيكل بالبطارية وبإشارة الموتوسيكل وتم وضع وتركيب الفتيل المفجر محطـــوط فيهـــا مفجر كهربائى وذلك بمفتاح الإشارة وناجى قال ان ضيـــاء كـــان جـــالس علـــى الموتوسيكل وان أول ما رأى الموكب قـــام بتشغيل المفتاح وطبعا توفيق (نزيـــه نصحى راشد) استشهد بطريق الخطأ لأنه ذهب إلى ضياء علشان يقول لـــه قـــرب شـــويه لأنك انت كده واقف بعيد فى نفس الوقت كان ضياء بيشـــغل الموتوســـيكل وده احتمـــال والإحتمال التانى أن يكون نزيه رأى الموكب ومع ذلك قال له شـــغل العبوة ، وناجى قال له انه أخطأ لأنه جعل الحشـــوة جوفاء من غير ما يقصـــد أى أن الموجه الإنفجارى كان اتجاه ضياء لأن توجيهها بالشكل ده خلاها قوية ناحيـــة ضياء وخفيفة ناحية وزير الداخـــلية ، وبعد كده بدأ ناجى يركز أن يودى بلبيـــس محمد رشـــاد واسامة وبعد شوية كان معاهم مسعود وفكر انه يكلف محمد رشـــاد ببيع العربية الـــ ١٣٢ علشان الناس اللى جنب الورشة ميقولوش على أوصـــاف العربية وبعد كده نزل من بلبيس محمد رشـــاد مع ناجى علشان يبيعـــوا العربيـــة وفعلا باعوها لواحد بيشتغل صاحب معرض بشارع جامعة الـــدول العربيـــة أنـــا معرفش باعوها بكام وبعد كده جابوا عربية (لاندروفر) لونها أبيض - قـــالوا لـــى انهم اشتروها من سوق السيارات فى المعادى - ومحمد رشاد راح قعد فى بلبيـــس هو وأسامة - وأسامة كان بيعلم مسعود هناك ازاى يصنع البارود وبعد كده نـــزل محمد رشاد من بلبيس وساب هناك أسامة ومسعود .

حكاية إغتيال الشاهد سيد أبو يحيى

وبعد كده ناجى فكر فى موضوع الشاهد أبو يحيى صاحب معرض السيارات اللى فى شبين القناطر علشان ناجى قال أن أى واحد يرشد عن المسلمين لابد أنـــه هو يتقتل ، فذهبت أنا وناجى بالعربية (اللاندروفر) إلى شبين القناطر وسألنا عـــن المعرض فوصفوا لنا الناس معرض قالوا هو فى شارع الوكالة المهم رحنا هنـــاك ووجدنا اليافطة مكتوب عليها "سيد أبو يحيى" فـــنزل نـــاجى وكنـــا فـــى المســاء والمعرض كان مفتوح واستطلع الأماكن حواليه وشفنا صاحب المعرض موجـــود جوه المعرض وعرفنا من الجرائد والمجلات وشفنا ظروف المكـــان ازاى نهـــرب كان مدخلنا شارع المعرض ورجعنا وبعدها بحوالى يومين العصر جبنا مسعود من بلبيس – اللى هو اسمه الحركى "ماهر" – وجبنا طارق عبد الصمد – اللـــى هـــو اسمه الحركى اشرف– وطارق ده أنا اللى كنت ضميته للمجموعة قبـــل حادثـــة المعرض باسبوع ورحنا احنا الأربعة ومعنا محمد رشـــاد بالعربية "اللاندروفـــر" اللى ساقها ناجى ، وكنا واخدينهم معانا علشان يشـــوفوا المكـــان ونـــزل مســـعود وطارق ودخلوا المعرض علشان يشوفوا شكل الراجل وتقابلوا فعلا مع واحد تانى من إللى شغالين عنده والرجل مكنش موجود واحنا كنا واقفين بعيد قالوا لـــلراجل إللى قابلهم إن هما عايزين يشتروا عربية وعجبهم المكان من ناحية التنفيذ ونـــاجى حدد مكان الدخول ورسم الخطة على أساس إن هما يطلعوا من جنـــب المعـــرض يضربوا وبعدين يخشوا الزراعة اللى قدام المحل هيلاقوا العربية مستنياهم يركبوا ويمشوا وقالوا لنا ان الراجل أبو يحيى مش موجود ورجعنا علـــى مصـــر تـــانى وبعدها بحوالى يومين رحت أنا ومحمد رشاد ومسعود وناجى ندور على عربيـــة حالتها كويسة نسرقها علشان ننفذ بها موضوع أبو يحيى لأن "اللاندروفـــر" كـــان موتورها تعبان (مفوت) وماكانتش هتسعفنا ، المهم احنا شفنا عربيـــة ١٢٨ لونهـــا أبيض وحالتها كويسة واقفة جنب كنيسة فى الفجالة عند بتـــوع الأدوات الصحيـــة

ومحمد رشاد راح فتح بابها بمفاتيح كانت معاه وراح مدورها وطالع بيهـــا واحنـــا مشينا وراه على أساس انها لو عطلت نزقه وبعدين ركبنا معـــه عنـــد المستشـــفى القبطى وبعدين نزل ناجى من "اللاندروفر" وركب العربية الفيـــات ١٢٨ وســـاقها علشان هو كان معه كارنيه مضروب (مزور) تبـــع المخـــابرات وكـــان بيعـــدى بالكارنيه ده من أى لجنة وكان الكلام ده فى حدود الساعة التاسعة باليل وبعد كـــده رجعنا بيها بلبيس علشان نغير معالمها وندهنها لون تانى وفى بلبيس ناجى ركـــب العربية ١٢٨ ونزل وأنا معه ومحمد رشاد بالمواصلات .

كل ده وأسامة ومسعود قاعدين فى بلبيس وقعد معاهم محمد علشـــان يجيـــب طلبات لأسامة ومسعود وبعدها بيوم نزل لنا محمد وبعدين ناجى قال لى عـــايزين نعمل موضوع سيد أبو يحيى فطلعنا من معرض الكتاب علشان كنا رحنـــا هنـــاك نشترى شوية كتب أنا وناجى ومحمد رشاد بالعربية ١٢٨ واللى ساق ناجى وكـــان فيه ميعاد مع طارق انى أقابله عند مستشفى الرمد علشان ينفذ معانا موضوع ســـيد أبو يحيى وفعلا قابلناه وكلمته واديته ميعاد تانى الساعة السابعة بالليل وكان يـــوم جمعة واتفقنا مع محمد رشاد على ميعاد الساعة السابعة مساء نفس الميعـــاد بتـــاع طارق وبعدين أنا وناجى رحنا بيته اللى عند ترعة عبد العال اللـــى تـــابع لكفـــر طهرمس فى الهرم وجبنا بندقيتين آلى والعوزى الرشـــاش واربـــع قنـــابل يدويـــة وأخـــذنا صدارى كنا مفصلينها زى بتوع الأمن المركزى وهى قماش وفيها جيوب خزن ورجعنا الساعة السابعة على الميعاد وأخذنا طارق ومحمد من أمام مستشـــفى الرمد حســـب الموعد وسرنا بالعربية الـــ ١٢٨ المسروقة وقال لنا ناجى نشـــوف أبو يحيى فى المعرض أولا لأنه كان يوم جمعة وفى اليوم التالى ســـيذهب ليدلـــى بشهادته فى قضية عاطف صدقى وهو ما قرأناه فى الصحـــف ومررنـــا ونظرنـــا حوالى الساعة التاسعة مساء وجدنا المعرض مفتوح وأبو يحيـــى يجلـــس بداخلـــه فسافرنا إلى بلبيس وقلنا لمسعود جهز نفسك وأخذناه معنا وكان اسامة فى بلبيـــس ولكننا لم نجده لأنه لم يكن عنده اســـتعداد يومها للمشاركة فى مثل هذه الأعمـــال لأنه كان مريض شوية ، وبعد كده غادرنا بلبيس إلى المعرض نحن الخمسة بمـــا

فينا مسعود ولما وصلنا عند المعرض نزل مسعود وطارق ومحمد رشـــاد ومعهـم سلاحهم ، محمد رشاد وكان معه الرشاش العوزى وطارق معه البندقيـــة الآلـــى ومسعود معه برضه بندقية آلى وكان مع مسعود قنبلة وطارق قنبلة ومحمد رشـــاد قنبلة وضعناهم فى الصديرى، أما أنا فوقفت على مسافة مائتين متر من المعــرض تماما فى الزراعات أما ناجى فكان يجلس فى السـيارة اللى بينى وبينهـــا أربعـة أمتار تقــريبا وبعد وقوفنا بحوالى عشر دقائق وجدت محمد رشـــاد يـأتى ومعـه سلاحه ثم مسعود ومعه سلاحه ايضا واتوا إلى وكان المفـــترض أن أنـــا أخـــذ سلاحهم واحطه فى شنطة العربية وعرفنا بعد كده أن الثلاثة لم يستخدموا القنـابل، وبعدين طلعنا على بلبيـس وناجى ساق العربية على طريق القنـاطر ومنه إلــى أبو زعبل ومنه إلى بلبيس .

السلاح اللى اتنفذ بيه عملية أبو يحيى أو عملية عادل أنور كان بيتشـال بعـد العملية أو قبلها فى بيت عادل عوض صيام لأن الشقة اللى قاعد فيها عادل حاليـا كان قاعد فيها بقالة ثلاث سنين على حسب ما سمعت بعد كده من صاحب البيـت وهو بيقول للجماعة بتوع الأمن، وكمان كنت أعرف من عادل أن نزيه كان قـاعد معه فى نفس الشـقة معناه أن السلاح يفضل متواجد بالشقة معاهم وطبعـا اللـى حصل ان أنا اتمسكت (قبض عليه) يوم الإثنين فى حدود الساعة ١٠ صباحـا لأن أنا لما قابلت عادل فى بيته وقلت له على موضوع الأرض بتاعة طريق مصـر – اسكندرية الصحراوى نزلنا وأنا كان معـايا الطبنجة بتاعة عادل وهـو أدهـالى علشان لما يخش أى حتة من مشاويره محدش يعارضه .. المهم دخلت من ناحيـة المنيب وبعد قسم الجيزة أنا قلت احتمال يكون رايح عند المخزن أو يكـون رايـح عند أحمد ومحمد جمال اللى مكانهم فى عرب الحصار على طريق الصـف بعـد الجيزة وهو تاجر سلاح وأنا كنت من حوالى خمس شهور رحت مع ناجى لتـاجر السلاح ده فى بيته وناجى طلب منه أمامى بندقيـة آلى فقال له أجيبهـا لـك بعـد يومين وجابها له فعلاً بعد يومين وأنا كنت معه برضه ، وأخذ منــه أربعـة آلاف جنيه وبعدها بفترة ناجى أخـد منه حوالى ثمانمائة طلقة روسى ٧,٦٢×٣٩ بتاعة

البندقية الآلى ، الواحدة باتنين جنيه وأخد منه كمان مائة طلقة ٩مم سـعر العلبـة خمسة وخمسين جنيها والعلبة فيها تقريبـا ٢٩ أو ٣٠ طلقة وفى مرة ثالثة رحـت مع عادل برضه وأخذنا من الراجل طبنجة ١٤ مللى بلجيكى بتاعة عادل اللى هى ضبطت معى أثناء القبض علينا يوم الإثنين وطبنجة ٩مم كان ادها لى عادل للدفاع عن نفسى إذا الحكومة جت عندى البيت وكنت شايل الطبنجة دى فى البيت عنـدى وضبطت أيضا وساعة الشراء كان عادل ادى التاجر الطبنجتيـن البلجيكـى بـ ٢٨٠٠ جنيها والحلوان بـ ١٥٠٠ جنيه ، المهم لما عادل كـان سـايق العربيـة الفيات ١٢٨ يوم الإثنين اللىاتقبض علينا فيه .. وبعد قسم الجيزة فوجئنـا بنـاس شرطة بس لابسين ملكى بيقولوا لنا اقف مكانك فعادل وقف فطلعت الطبنجة علشان اضرب نفسى فلقيت واحد منهم بيضربنى على دماغى وحصلـى اغمـاء وكنـت باحاول أموت نفسى قبل ما يقبضوا عليا ، ولما افقت من الإغماء لقيت عادل مات أرشدت الشرطة والنيابة عن الأماكن والحاجات اللى أنا حكيت عنها فى التحقيـق ودى كل إعترافاتى .

البـــاب العاشـــــر

الهـــاربون

الكلاب تعض . . فى كل البـلدان

مثل إنجـليزى

الفصل الأول

الهروب الأخير

٥٠٠ متطرف هارب من قنا حتى سويسرا

إنه الهروب الأخير الذى يترك جرحاً دامياً فى المعالجة الأمنية – والدبلوماسية أيضاً – أيضاً لقضية مكافحة الإرهاب .

قوائم الهاربين تطرح أسئلة بالجملة تدخل تحت بند الألغاز :

أيمن الظواهرى .. هل لجأ – سياسيا – إلى سويسرا ؟ وطلعت فؤاد قاسم هل يعيش فى السودان أم فى الدانمارك ؟

وتضم قوائم الهاربين – وفقاً لمصادر أمنية – حوالى خمسمائة إسم موزعين فى كافة أنحاء العالم من بيشاور وكابول إلى الرياض واليمن ومروراً بأوروبا الغربية والولايات المتحدة وحتى موريتانيا والسودان وأخيراً البوسنة والشيشان ، وتأتى فى الصدارة أسماء لامعة فى قيادة الإرهاب وتصديره مثل محمد شوقى الإسلامبولى ورفاعى طه وعثمان السمان وطلعت فؤاد قاسم وأيمن الظواهرى – وجميعهم محكوم عليهم غيابيا بالإعدام – وتتخبط المعلومات حول محال إقامتهم فتقرير يؤكد وجودهم بأفغانستان وآخر يشير إلى أنهم مازالوا فى بيشاور وثالث يذهب بهم إلى السودان أو إيران .. المهم أنهم ليسوا فى مصر .. وهنا حتى لايهدأ بال الكثيرين ، فهذا ما قد يعتبره البعض بعدا عن الشر ، ولكن تأتى اعترافات المجموعات الإرهابية التى تنفذ عمليات إرهابية هنا وهناك مؤكدة على دورهم القيادى والحركى والتمويلى حتى يمكن القول بأننا لانمسك سوى بهؤلاء العرائس التى تحركها إيادى هؤلاء الهاربين .

ونأتى إلى فئة أخرى تؤكد المعلومات الأمنية هروبهم إلى دول عربية كالسودان واليمن مثلا – وليس على سبيل الحصر – ويبقى السؤال لماذا تأوى هذه

الدول – الصديقة – هؤلاء .. وتتوالى علامات الإستفهام عن الدور الدبلوماسى فى مسألة هذه القنابل الموقوتة .. فهل طلبت جهات رسمية تسليمهم لمصر .. أو حتى ترحيلهم من هذه الدول المفترضة صداقتها لمصر .. ولماذا نتركهم ينعمون بالمال والبنين وراحة البال وأشياء أخرى .. وإذا كان قد حدث وطلب تسليمهم فلماذا لا نعلن عن ذلك أو حتى لماذا لا نعلن أنه قد حدث .. ومن تم تسليمه فعلا .. ونفضل الصمت ؟!

ونعود إلى هؤلاء الهاربين ٠٠ ففى الوقت الذى أكدت فيه عشرات التقارير الأمنية والدبلوماسية على خطورة المحطة اليمنية – صنعاء وضواحيها – فى إيواء المئات من العناصر المتطرفة المطلوب ضبطها والصادرة ضد العديدين منها أحكام قضائية نهائية بالسجن والمؤبد وحتى الإعدام، ولنقرأ هذه العبارة التى نقلت بالنص من مذكرة جهاز أمنى رفيع المستوى حول المتهمين الهاربين فى قضية إعادة تشكيل تنظيم الجهاد وقد ورد بها : "إنه قد تم رصد حركة فلول تنظيم الجهاد الهاربين وتأكد أنهم يحاولون إحداث تدمير شامل ومؤثر فى النظام المصرى ، وقد قامت قيادتهم بإعادة تشكيل صفوف التنظيم وترتيب مناهجه الحركية ودعمه ماديا وعسكريا وبشريا فقاموا بإعداد منهج فكرى وتنظيمى يرتكز على توسيع دائرة التسليح والعمل على ضم العناصر ذات الخبرات العسكرية السابقة، وأن هذا المنهج اعتمد تشكيل مجموعات عنقودية وتنظيمية منها السياسى والعسكرى والمختص بأمور التمويل وتجنيد العناصر الجديدة فضلا عن القيام بإجراء بعض الإتصالات التنظيمية السرية بين عناصره بالخارج وفلوله الهاربة بالبلاد والعناصر المحبوسة بالسجون والتى انتهت بعقد عدة اجتماعات فى الداخل والخارج نوقشت خلالها أسباب فشل التنظيم فى العديد من العمليات الإرهابية السابقة ، وفى تحقيق أهدافهم المرحلية – وفقا لما اسموه بسياسة استراتيجية المرحلة – وخلصت إلى ضرورة معاودة التحرك على نطاق واسع مع توفير التمويل والتسليح اللازمين لدعم التنظيم وتمكينه من تحقيق أهدافه مؤكدين على التنسيق بين العناصر المصرية بالتنظيم وغيرها من العناصر العربية بالجزائر واليمن ودول الخليج وكابول وبيشاور" .

ومن المعلوم أن مجموعة الجهاد باليمن قد تكونت عام ١٩٨١ وضمت عناصر مصرية تحت إمارة شخص غامض هو (**محمد إبراهيم شرف**) واتخذت

شكل جماعات متفرقة فى العديد من المدن اليمنية حتى استطاع النشطون اليمنيون جمع شملها فى تنظيم له صفة مركزية وقاموا بعقد العديد من اللقاءات الفكرية تحت مسمى الدعوة ومناصرة المجاهدين الأفغان ، وتطورت اللقاءات لتأخذ شكلا حركيا وهيكلا تنظيميا بالغ الدقة ، وقاموا بجمع اشتراكات دورية إجبارية من هؤلاء الأعضاء بالإضافة لتبرعات من بعض الأثرياء العرب واليمنيين ، وقام بعض تجار العملة ومكاتب الصرافة العربية ممن استغلوا أدبيات هذه الجماعات لتحقيق مكاسب مادية فاحشة بتولى أمر توصيل الأموال إلى كوادر الجماعات الإرهابية داخل مصر للإنفاق على أنشطتها الحركية وشراء الأسلحة .

وما حدث فى اليمن تكرر فى بلدان عربية – صديقة – أخرى بصورة أو أخرى واقتصر الأمر غالباً عند حد تلقى دعم مادى ضخم من هيئات تحمل صفة الإسلامية وأحيانا العالمية وحينما انهمرت الأموال على تنظيمات الإرهاب وقع الخلاف وبدأت لعبة الإنشقاقات بين أمرائها ، ولعل ما حدث بين الجهاد والجماعة الإسلامية فى بيشاور أبلغ دليل على هذا فقد وصل الأمر إلى إستخدام السلاح المفضل لدى هذه الجماعات وهو سلاح التكفير المتبادل .. الذى يعقبه عادة إعلان الحرب صراحة .. ثم استحلال الأموال وإهدار الدماء، وحتى داخل جماعة الجهاد وما جرى من خلاف بين فريق يتزعمه الظواهرى وآخر بإمارة محمد محمد مكاوى الذى اتهم الظواهرى بالإستيلاء على الأموال وشراء سبائك الذهب والمضاربة فى البورصة والتربح من إيران بالمتاجرة بدماء من وصفهم بـ" شهداء الجهاد" فى مصر وغيرها من البلاد العربية التى تعانى من نفس الأزمات ، والمثير أن عشرات الشباب لايزالون يأخذون طريقهم فى الرحيل بعقد عمل يحصل عليه الواحد منهم بطريقة غامضة ثم ما يلبث أن ينخرط فكريا وتنظيميا على يد هؤلاء الهاربين خارج مصر مما يؤكد أن لعبة صناعة التطرف والإرهاب العابر للحدود مازالت ماضية نحو تحقيق أهدافها بجدية ، وهى صناعة تنظيم أصولى ذى صفة دولية على غرار التنظيم العالمى للإخوان المسلمين الذى يسعى أقطابه بدورهم لاستقطاب هذه العناصر واستيعاب تلك الجماعات داخلها .. وبغض النظر عما تشكله هذه العناصر من خطورة على البلاد التى توفر لها الأمن وحرية التحرك والتنظيم ، فإن ما يهمنا بالدرجة الأولى هنا .. هو السؤال

الذى سبق طرحه ماذا فعلنا .. وماذا قدمت لنا هذه الدول "الصديقة" ؟ وهل يحدث هذا النمو السرطانى لجيوب الإرهاب بعيداً عن أعين وآذان هذه الدول أم يقع مصادفة ؟

ونأتى للقائمة الثانية والتى تضم الهاربين داخل مصر ، وهناك تنظيمات بأكملها ظلت هاربة لمدد طويلة مثل مجموعة حرائق أندية الفيديو وقد صدر ضد أعضائها أحكام قضائية نهائية يصفها القانون بأنها "تحوز حجية الأمر المقضى" وتشمل أسماء وصلت إلى ١٤ متهما هاربا منهم رمضان عبد الله إبراهيم الذى صدر ضده حكم بالسجن عشر سنوات وحكم آخر بخمس سنوات ، وهناك نصر سيد على كروم وقضى بسجنه عشر سنوات ، ومدحت شوقى الخطيب وقضى بسجنه عشر سنوات ، وأحمد تونى فرحات وحكم بسجنه عشر سنوات أيضاً ، وهكذا لايزال ملف القضية رقم ٤١٢ لسنة ١٩٨٦ مفتوحا فى انتظار ما قد لايحدث وهو القبض على هؤلاء الهاربين من الأحكام القضائية والذين يتساقطون بشكل فردى وبالصدفة البحتة ، وذلك أثناء ممارستهم المزيد من العمليات الإرهابية هنا وهناك أو يسعون لتجنيد وجوه جديدة غير معلومة لأجهزة الأمن ليزداد أمر المواجهه تعقيدا بما يحقق أهدافهم فى تفتيت جهود الأمن .. وإثارة الذعر بين المواطنين تمهيداً للقفز على مقدارات البلاد والعباد .

بينما يأتى إسم هانى يوسف الشاذلى والذى يحمل إسماً حركياً هو "هيثم" ، وهو شاب لايتجاوز عمره ثلاثة وعشرين عاما وكان طالبا بآداب المنيا حينما استطاع عادل عوض صيام – أحد قادة المجموعة التى التى إرتكبت محاولات إغتيال وزراء الداخلية والإعلام – والذى تمكن من تجنيد هيثم ليشارك فى عمليات محاولة إغتيال زكى بدر وزير الداخلية الأسبق بالسيارة الملغومة أسفل كوبرى الفردوس ، وألقى القبض عليه حينئذ أمين شرطة بالمرور ، وفى ١٩٩٠/٧/١٠ وأثناء زيارة بعض أقاربه له تمكن من التنكر فى زى منقبة وتسلل بهدوء خارج السجن ولايزال هاربا وتشير المعلومات الأمنية وإعترافات المتهمين إلى اضطلاعه بأدوار خطيرة فى عدد من تفجيرات البنوك التى شهدتها القاهرة .

ثم يأتى اسم محمد حسان حماد وهو طالب فاشل من مواليد ١٩٧١/٢/٢٢ بإحدى قرى محافظة قنا وقد انضم لجماعة الجهاد ولم يكن عمره قد تجاوز ثلاثة

عشر عاما عندما انشق على جماعة التبليغ والدعوة بزعم تواكلهم وابتعادهم عن الجهاد الفعلى ضد من أسماهم بالطواغيت والفراعين وبدأ هو جهاده ضد تماثيل معابد الأقصر التى وصفها بالأصنام وفر بعدها هاربا إلى القاهرة ليشارك فى تفجير عبوة ناسفة بمركز شباب الجزيرة بإشراف نزيه نصحى راشد الذى لقى مصرعه أثناء محاولة اغتيال حسن الألفى وزير الداخلية .

ولعل حكاية نزيه نصحى تلخص لنا كل ما خضناه من حكايات وأمثلة بوضوح تام .. فقد أكدت المعلومات الأمنية الرسمية فى يناير ١٩٩٣ أن المذكور يقيم بالعنوان ٨ شارع ضيف الله المتفرع من عبد القادر طه بالساحل بشبرا ، وأنه قد غادر هذا المسكن هو وأسرته للإقامة ببلدتهم "الزبدية" مركز أوسيم بالجيزة ، وأنه متزوج منذ سبع سنوات وقد غادر البلاد إلى المملكة العربية السعودية منذ زواجه .. ولم تمض شهور قليلة حتى قام بتفجير السيارة الملغومة خلف قسم الأزبكية واتبعها - صحبة عادل عوض صيام وأسامة رشاد وضياء حافظ زكى- بحادث تفجير عبوة ناسفة داخل مركز شباب الجزيرة ثم محاولة الإعداد لإغتيال د. بطرس غالى الأمين العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة أثناء انعقاد مؤتمر القمة الأفريقية بالقاهرة ، والتى لم يتمكن فيها نزيه ورفاقه من تنفيذ عمليتهم لمرور ركاب سيارة الأمين العام بخط سير بديل ثم سفره المفاجئ لإرتباطاته بأعمال دولية ، وأخيرا وقعت حادثة محاولة اغتيال حسن الألفى ليقع نزيه نصحى راشد ولكن قتيلا بعد أن فجر نفسه فيموت ومعه المزيد من الأسرار والأخبار ، ولا ندرى سببا لإفتراض وجوده بالسعودية رغم أنشطته الإرهابية هنا وهناك .. إلا أن يكون ذلك من قبيل الأمنيات .

ولا تفوتنا الإشارة إلى الواقعة الأخيرة التى راح ضحيتها ضابطان من قوات الأمن المركزى كانا قد توجها صحبة إدارة مكافحة المخدرات للقبض على أحد تجار المخدرات بمنطقة بركة الحاج بالمطرية بالقاهرة ، وتصادف أن اثنين من عناصر جماعة الشوقيين كانا يستأجران المنزل المجاور لهذا التاجر ، واعتقدا أن هذه القوات قد أتت لإلقاء القبض عليهما فبادرا بإطلاق النيران وقتلا الضابطين وتبادلت القوات إطلاق النيران معهما فأردت أحدهما قتيلا وهو عوض عبد الصادق

عـوض وألقى القبض على الثـانى واتضح لاحقـاً أنه يدعى أحمد عبـد الحليـم عبد الجيد ، والمدهش أن تنظيم الشوقيين – الفيومى المنشأ – قد حوكم وصـدرت ضد أعضائه أحكام قضائية عسكرية وتم التصديق عليها ، ولكن قرار الإتهام لـم يكن يشمل أسماء هذين الهـاربين رغم مشاركتهما فى بعض العمليات الإرهابيـة التى حوكم فيها التنظيم وقد استطاع أحمد عبد الحليم مغافلة الحرس أثنـاء قيامـه بالإرشـاد عن بعض أتباعه وقام بإلقاء نفسه من أعلى العقـار لينتحـر ويمـوت مفضلا ذلك على الإعتراف بما فى جعبته من أسرار يعلم الله وحده مدى خطورتها وأهميتها .

وبالطبع لايمكن الإنتهاء من الحديث عن الهاربين دون الحديث عن الإرهابى عبد الحميد أبو عقرب سليل إحدى العائلات العريقة فى أسيوط التى يمثل عميدهـا جميل أبو عقرب دائرته الإنتخابية بوصفه النائب البرلمانى عن الحزب الوطنـى.. ولكن هذا لم يقف حائلا دون قيام عبد الحميد أبو عقرب إبن عمه بارتكاب العديـد من الحوادث الإرهابية من أبرزها وقائع إغتيال المقدم مهران عبد الرحيم واللـواء الشيمى بالإضافة إلى الإعتداء على استرحات الشرطة بالقوصية وأبو تيج وتشـير المعلومات إلى مسئوليته عن تنفيذ عدد من الحوادث الإرهابية التى وقعت فى قنـا ونجع حمادى وبهجورة ضد الأقباط والقطارات وغيرها .

وتبقى القائمة الثالثة التى تضم من يعرفون بالأشباح الهاربـة .. فـلا أحـد يستطيع القول بوجودهم خارج مصر.. وأيضاً ليس بوسع أحد أن يجزم بوجودهـم داخل البلاد ، ويزداد الأمر تعقيدا حينما تتضارب التقـارير مـع التحريـات ، وتتناقض شـهادة المتهمين مع المعلومات التى يدلى بهـا بعـض الشـهود مـن المواطنين .. ولايتبقى فى النهاية لدى كل الأجهزة سوى معلومة واحـدة ووحيـدة مؤكدة أنهم "هاربون" فقط .

والباقى من الأسئلة وعلامات الإستفهام يكاد يدخل تحت بند الفوازير ، ولعـل أشهر هؤلاء الأشباح هو طلعت يس همام .. الذى كان يعتبره البعـض أركـان حرب تنظيم الجماعة الإسلامية الإرهابى وظل هارباً إلى أن لقى مصرعه على يد

قوات الأمن فى واحدة من أبرز وأهم العمليات الأمنية النظيفة ، وحتى ندرك مدىخطورته نعاود قراءة أقوال المتهمين فى قضايا إغتيال فرج فودة ومحاولة اغتيال صفوت الشريف والعائدين من أفغانستان وغيرها بأنه قد أشرف شخصيا على التخطيط وتنفيذ العمليات عن كثب بينما تصر التقارير على اعتباره هاربا إلى بيشاور واحتمال تردده على السودان صحبة مصطفى حمزة فى الوقت الذى يذهب فيه رأى ثالث إلى تسلله بأوراق مزورة عبر منفذ السلوم البرى وعودته مرة أخرى كما حدث مع المتهم اشرف السيد الذى اغتال فرج فودة وشارك فى محاولة اغتيال صفوت الشريف فقد اعترف تفصيليا بتردده عبر الحدود الليبية إلى البلاد جيئة وذهابا وبالمستندات المزورة فى مطبعة بيشاور .. وتبقى أسماء اخرى فى قائمة الأشباح مثل .. عبد النبى حسين على وكنيته تايه ، ورفعت زيدان عبد الله وكنيته عمار وهو من أخطر العناصر الهاربة فى الوجه القبلى وتشير المعلومات ومشاهدات المواطنين إلى مسئوليته عن عشرات الحوادث الإرهابية التى وقعت فى قرى ومدن محافظة المنيا وأسيوط ، وهناك أيضاً أسماء أخرى مثل : عرندس على سليمان ، وفراج عبد الله عبد النبى وأحمد مصطفى نوارة وغيرهم ممن لايمكن تحديد عددهم بدقة .. فكيف يتسنى ذلك وكل المعلومات تنحصر فى الكلمة الشهيرة .. "هارب" .

الفصل الثانى

مطلـوبـون للإعـــدام

هذا الخطاب عثرت عليه المباحث الفيدرالية الأمريكية أثناء تفتيشـــها لمــنزل عمر عبد الرحمن عقب إتهامه فى قضية تفجير مركز التجارة العالمى .

الخطاب كان ضمن أوراق مكاتبات وخطابات كثيرة ، لكـــن أهميتـــه بـــدت واضحة لدى الوفد الأمنى المصرى الذى اطلع عليه فى أمريكا .

فالخطاب موجه من محمد شوقى الإسلامبولى شقيق قاتل السادات والمقيم فى باكستان وأشهر مطلوب للإعدام فى مصر ، من الإسلامبولى إلى عمر عبد الرحمن رسالة واضحة جدا وكلمات تضيف إلى أدلة اتهامه وإعدامه .

تقول بعض سطوره :

" أود أن أؤكد لكم ياشيخى الفاضل بأن كل الإخوة هنا يأبون العودة إلا فاتحين لأرض الكنانة ودك معاقل الطغاة الذين عاثوا فيها الفســاد ، فما هـــى إلا شـــهور قليلة - بــإذن الله - وستسقط رموز الطغيان بمصر كما سقطت مملكة الشر فـــى أفغانستان " .

صاحب هذا الخطاب ليس وحده المطلوب للإعدام .. إنه أشـــهرهم .. أشـــهر الهاربين من الإعدام ، الذين يحاولون الآن " غزو مصر " وتحويلها إلى أفغانستان أخرى التى أسقطوا فيها "مملكة الشر" ليبنوا "مملكة حكمتيار" ومملكـــة الطالبيـــان وممالك أخرى للدم والعبوات الناسفة .

لقد تصدرت أسماء مثل محمد شوقى الإسلامبولى ومصطفى أحمد حسن حمزة ورفاعى أحمد طه وعثمان خالد السمان وأحمد مصطفى نوارة وطلعت فؤاد قاســم وطلعت ياسين همام قائمة الصادر ضدهم أحكام بالإعدام .. وتوالت الأحـــداث ..

والقضايا .. وأحكام الإعدام .. والإتهامات شبه موحدة : " تعطيل أحكام الدستور وتكفير الحاكم وإباحة الخروج عليه واغتيال المسئولين .. وحيازة كميات من المواد المتفجرة والأسلحة النارية والذخائر فضلا عن حيازة وثائق تتضمن رصد الشخصيات العامة واستخدام الوثائق الرسمية المزورة بهدف الإخلال بالنظام العام والأمن العام " .

ومازالت الأحداث تقع هنا وهناك .. والقضايا تحال من يوم لآخر .. وأحكام الإعدام ضد الهاربين تتزايد حتى وصلت إلى ثلاثة أحكام فى قضايا مختلفة ضد طلعت ياسين همام وحده فماذا عن هؤلاء الإرهابيين الفارين .

لنبدأ بـ **محمد شوقى الإسلامبولى** مواليد مدينة ملوى بالمنيا فى ١٩٥٥/١/٢١ وحاصل على بكالوريوس تجارة من جامعة أسيوط ، وقد سبق اعتقاله قبل أن يتمكن شقيقه الملازم أول خالد الإسلامبولى من اغتيال السادات وهو الأمر الذى حال بينه وبين وضع اسمه فى قائمة المتهمين فى قضية الإنتماء لتنظيم الجهاد عقب أحداث أسيوط عام ١٩٨١ رغم أن لعب الدور الأكبر فى صياغة وتشكيل وجدان شقيقه وحرضه على ارتكاب حادث اغتيال السادات ، وانتهى اعتقاله بعد أربع سنوات ، ووضع اسمه على قائمة الممنوعين من السفر فترك المنيا واتجه لشقة يملكها والده بمصر الجديدة ، بالنزهه تحديدا ، وكان يقيم بها والده إبان عمله كمستشار فى محكمة استئناف القاهرة ، ثم عاود محمد شوقى نشاطه بالإتصال بمجموعة عين شمس واستأجر شقة أخرى وكشفها رجال الأمن فإضطر لبيعها واستأجر شقة أخرى بعين شمس أيضا وافتتح مكتبه لبيع الكتب وتصوير المستندات وخلافه بمنطقة مسجد آدم بعين شمس ، وأعيد اعتقاله مرة أخرى ثم أفرج عنه عام ١٩٨٧ ورفع قضية أمام محكمة القضاء الإدارى – مجلس الدولة – وبمعاونة قانونية من محام كان مستشارا سابقا تربطه بأبيه صلة زمالة قديمة – إستطاع كسب القضية لرفع اسمه من قوائم الممنوعين من السفر وإتجه إلى دولة عربية لم يمكث بها سوى شهرين وبمساعدة أسامة بن لادن اتجه إلى أفغانستان ، وحكم عليه غيابيا بالإعدام فى مطلع هذا العام فى قضية "العائدون من أفغانستان" ولايزال يتحرك بين أفغانستان وبيشاور فى باكستان وهو يحمل سلاحه علانية ويعتبر الرجل الأول فى الجبهه الأفغانية والممثل الشخصى لعمر

عبد الرحمن ، وحكاية خلافاته بين أيمن الظواهرى - قائد مجموعة تنظيم الجهاد - شهيرة ، وقد تدخل عبد الرسول سياف مرات عديدة لرأب الصدع بينهما دون جدوى وبدأ الصراع بإصدار مجلات منافسة فأصدر الإسلامبولى مجلة "المرابطون" واصدر الظواهرى مجلة "الجهاد" وانقسم أتباعهما فى الجبهه ورفضوا العمل المشترك معا مما حدا بالقادة الأفغان إلى تقسيمهم لمجموعات دخلت دوامة الصراع الدائر بين الأفغان أنفسهم ولايزال الصراع قائما .. والحكم بالإعدام قائما لايتقادم .. وفقا لأحكام القضاء العسكرى .

ومن الإسلامبولى إلى الثانى **مصطفى حمزة** والذى كان قد إتهم فى محاولة إغتيال الرئيس مبارك فى حادث أديس أبابا الشهير ، ولعلها ليست مصادفة أن يكون المتهم رقم ٥٧ فى قائمة المتهمين باغتيال السادات والإنضمام لتنظيم الجهاد سنة ١٩٨١على يد المتطرف الشهير أحمد راشد فى البداية ، وهو من مواليد ١٩٥٧/١٢/١٤ مركز ببا ببنى سويف ، والتحق بكلية الزراعة جامعة القاهرة وهناك التقى بمحمد عبد السلام فرج الذى تعرف عليه أثناء صلاته بمسجد صغير بحى بولاق الدكرور ، ثم انضم للتنظيم عام ١٩٨٠ والتقى بأعضاء الجماعة الإسلامية بالصعيد ، وهم ناجح إبراهيم وكرم زهدى وعلى الشريف وغيرهم وشارك فى أحداث الإعتداء على قوات الشرطة بمديرية أمن أسيوط عقب إغتيال السادات وسجن بعدها ثلاث سنوات ثم أفرج عنه ليتولى إعادة تشكيل مجموعة بنى سويف، وبدأ صراعه مع مجموعة أحمد يوسف وشارك فى قتل منافسه حسام البطوجى فى الحادثة الشهيرة بمستشفى بنى سويف العام، وظل مطارداً من الأمن حتى قام هو وعدد من أتباعهه بإحراق كنيسة أثرية بمدينة ببا تقع على النيل ، وبعدها تمكن من الفرار من مصر بأوراق مزورة إلى اليمن ومنها إلى أفغانستان حيث لعب دور أركان حرب محمد شوقى الإسلامبولى وتولى عمليات التنسيق مع المجموعات السودانية وأشرف بنفسه على تنفيذ عدد من الحوادث الإرهابية كاغتيالات رفعت المحجوب والسياح الأجانب ونجيب محفوظ وفرج فودة وغيرهم ، وقضى بإعدامه فى قضية العائدين من أفغانستان ، ولايزال اسمه يتصدر قوائم الإتهام فى قضايا أخرى أهمها المحاولة الفاشلة لإغتيال الرئيس حسنى مبارك فى أديس أبابا .

وتؤكد المصادر الأمنية حصوله إلى جواز سفر دبلوماسي سوداني وآخر أفغاني ويذكر أن والده فلاح فقير الحال يقيم بإحدى القرى التابعة لمركز ببا بمحافظة بني سويف وقد سافرت إليه شقيقة أحد أعضاء الجماعة الإسلامية ليعقد قرانه عليها في مدينة جلال أباد ويتزوجها هناك ثم تزوج أخرى أفغانية وأخيراً ثالثة سودانية ولعلها ليست مصادفة أن يكون له في كل بلد سانده زوجة .

وفي إعترافات عبد الله محمد سالم في القضية رقم ١٢٣ المعروفة إعلامياً باسم "**إعادة تشكيل تنظيم الجهاد**" يؤكد أنه الوحيد المخول فيما يختص بأعمال تصدير الأفغان المصريين لمصر والتنسيق مع جبهة الترابي بالسودان ، وأنه حر التصرف في مبالغ تقدر بحوالي ثلاثة ملايين دولار سنوياً .

– أما الثالث فهو **رفاعي أحمد طه** وهو من مواليد ١٩٥٤/١/٢٤ باسوان ويقيم بنجع دنقل التابع لمركز أرمنت بقنا ، وكان المتهم رقم ٣٤ في قضية تنظيم الجهاد الأول وكانت قد بدأت صلته بالجماعة عن طريق فؤاد حنفي المتهم الرابع في التنظيم ، أثناء فراره من قنا بالإختباء طرفه بمنزله بالمنيا عقب مشاركته في حوادث سطو على محلات للذهب في نجع حمادي لتمويل التنظيم ، وهناك التقى بكرم زهدي الذي عرض عليه إمارة الجماعة بقنا وعرفه بعلي الشريف مسئول التدريب بالتنظيم وهو من أخطر العناصر الإرهابية كما تؤكد تقارير الأمن وتربطه بالمحامي منتصر الزيات علاقة وثيقة ويتردد أنه يقابله كثيرا بالسودان ودولة عربية أخرى، وعقب اغتيال السادات أخفاه منتصر الزيات بمنزله بالقاهرة حتى ألقى القبض عليه وحوكم وقضى بسجنه ثلاث سنوات قضاها وسافر بأوراق مزورة إلى السعودية ومنها إلى أفغانستان ، وقد شارك في العمليات العسكرية هناك وتولى مسئولية تدريب القادمين الجدد لبيوت ضيافة الأنصار والقاعدة في بيشاور وورد ذكره في تحقيقات النيابة العسكرية في قضية "العائدين من أفغانستان" وثبت تورطه في ارتكاب عدد من الحوادث وحكم عليه غيابيا بالإعدام .

ومازلنا مع رموز الإرهاب الهاربين من الإعدام ..

فهذا عثمان **خالد إبراهيم السمان** وهو من مواليد ١٩٥٧/٦/١٧ وكان مقيما بالمنيا – ٤ شارع العزبي باشا وترك دراسته بجامعة أسيوط ليتعرف على

مجموعة الصعيد من الإرهابيين الأوائل حتى إلتقى بـ "على الشريف" الذى عرض عليه فكرة احتلال أقسام الشرطة والإستيلاء على أسلحة الجنود للسيطرة على مدينة أسيوط ، وبدأ نشاطه بإختطاف عدة بنادق آلية من جنود حراسات الكنائس والمنشآت الهامة وشارك فى أحداث أسيوط وهرب بعدها إلى القاهرة حيث قابل رفاعى طه الذى عرض عليه إخفاءه بمنزل منتصر الزيات فرفض واتجه لشقة أحد أصدقائه بحى إمبابة بالجيزة حتى ألقت أجهزة الأمن القبض عليه مصادفة أثناء سيره بالطريق العام ، وحوكم فى القضية وحكم بسجنه خمس سنوات قضاها وخرج ليفر إلى ليبيا ومنها إلى المملكة العربية السعودية ثم إتجه إلى أفغانستان وتزوج من باكستانية فى بيشاور وورد اسمه كمتهم خامس فى تنظيم "العائدين من أفغانستان" وقضى بإعدامه غيابياً .

أما خامسهم فهو **أحمد مصطفى نوارة** وقد كان دون مستوى الآخرين عثمان السمان ومصطفى حمزة والإسلامبولى ، فهو مجرد "فرارجى" لم يشارك فى تأسيس تنظيم الجهاد كالسابقين بل تعرف على رفاعى طه عقب الإفراج عنه واقنعه بالسفر إلى أفغانستان وبالفعل رحل إلى بيشاور وهناك أبلى بلاء حسنا فى معارك جلال اباد وغيرها حتى وقع اختيار محمد الإسلامبولى عليه لوضع خطط الحوادث التى وقعت فى ديروط فهو أصلا من أبنائها وكان مقيما بالعنوان ١٢ شارع أبو جبل بديروط ، وكان قد إستطاع التسلل عبر الحدود السودانية – كما تؤكد إعترافات المتهمين فى قضية "العائدين من أفغانستان" و "الإعتداء على السياحة" – ليشارك فى بعض أحداث الإرهاب فى بعض قرى ومراكز أسيوط وقضى بإعدامه فى تلك القضية ولايزال مطلوبا فى قضايا الفتنة الطائفية بديروط واغتيال ضابط مباحث القوصية فى أسيوط .

ونأتى لإرهابى طافت شهرته الدموية الآفاق وهو **طلعت محمد ياسين همام** من مواليد ١٩٦٣/١/١ بمدينة جرجا بسوهاج وينتمى لأسرة ثرية نسبيا ، ويمتلك والده منزلا بشارع المطافى بسوهاج وقد حصل طلعت على بكالوريوس الهندسة من جامعة أسيوط ، وكان قد إنضم لتنظيم الجهاد الأول عام ١٩٨١ حينما إستطاع كرم زهدى وفؤاد حنفى إقناعه بذلك وشارك فى أحداث أسيوط أيضا

وتربطه صلة صداقة متينة بالملازم خالد الإسلامبولى وشقيقه محمد ، واستطاع آنذاك أن يشترى – من ماله الخاصة – أسلحة نارية وذخيرة للتنظيم وشارك فى الإعتداء على الكنيسة المجاورة لشركة ادفينا باسيوط واتجه لقريب له يعمل ضابطا هو المقدم أحمد بيومى حيث اختفى عنده بضعة أيام وهرب إلى القاهرة حتى ألقى القبض عليه فى نوفمبر ١٩٨١ وحوكم وقضى بسجنه ثلاث سنوات وأفرج عنه بإنقضاء العقوبة وسافر إلى أفغانستان حيث إلتقى بمحمد شوقى الإسلامبولى الذى اتفق معه على ضرورة نقل الجهاد إلى مصر ، وهكذا شارك فى تصدير عدد من الشباب المصرى الذى كان مقيما بأفغانستان بعد أن ساعدهم فى الحصول على جوازات سفر بعد إدعاء فقد جوازات سفرهم من السفارات المصرية ببعض الدول العربية وحتى مصرعه لم يكن أحد يستطيع التكهن بما إذا كان طلعت همام داخل مصر أو خارجها فقد أكدت المصادر الأمنية تورطه فى حادث عين الصيرة –إغتيال النقيب البلتاجى ومحاولة إغتيال رئيس النيابة العسكرية– فضلاً عن صدور حكمين ضده بالإعدام من المحكمة العسكرية فى قضيتى العائدين من أفغانستان ومحاولة إغتيال صفوت الشريف وزير الإعلام ، وظل هارباً ومطلوباً لتنفيذ حكم صدر ضده بالإعدام حتى لقى مصرعه فى معركة مع قوات الأمن أثناء محاولة القبض عليه .

أما **طلعت فؤاد قاسم** فهو من مواليد ١٩٥٧/٢/٦ وحصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة المنيا ومحل إقامته المدون فى الأوراق الرسمية شارع التحرير خلف المطاحن بنجع حمادى محافظة قنا ، وكان قد إلتقى بمحمد عبد السلام فرج فى صيف عام ١٩٨٠ بأحد المعسكرات الصيفية التى كانت تنظمها جماعة الإخوان المسلمين بأسيوط ، وحدثه فرج عن فكر الجهاد بمنطق مختلف عن أطروحات الإخوان ويقوم على شمولية النشاط الإسلامى وضرورة تغيير نظام الحكم بالقوة توطئه لإحلال ما يسمى بالخلافة الإسلامية ، ثم التقى به مرة أخرى بمنزل كرم زهدى الذى اصطحبه بعدها إلى القاهرة حيث شارك فى تأسيس مجلس شورى التنظيم أو بتعبير أدق التحالف الأول بين تنظيمى الجماعة الإسلامية والجهاد ، وخطط ونفذ أيضاً أحداث الإرهاب التى وقعت فى الزاوية الحمراء آنذاك

ثم عاد إلى نجع حمـادى ليقود مجموعة للسطو على محـلات الذهـب وسـرقة محتوياتها وقد حوكم وقضى حينئذ بسجنه خمس سـنوات أمضاها وغادر مصـر إلى السعودية ومنها إلى بيشاور وتربطه علاقة تنظيمية وثيقـة بـالدكتور أيمـن الظواهرى بخلاف الآخرين الذين إنشقـوا عليه ، فهو لايزال على ولائـه لفكـر تنظيم الجهاد ، ويعتبر طلعت قاسـم مهندس التحـالف "الهـش" بيـن الجماعـة الإسلامية والجهاد فى أفغانستان فما لبث أن سقط تحالفه بعد شهرين مـن ضبـط المجموعة الأولى من العائدين من أفغـانستان ، ولكن بعد ثبوت إدانته فـى هـذه القضايا وصدور حكم المحكمة العسكرية بإعـدامه فضلاً عن كونه مطلوبـا فـى عشر قضايا تبدأ بإغتيال المحجوب وتنتهى بحـوادث التفجـيرات التـى شـهدتها القاهرة ويتردد أنه يرتبط بصلات وثيقة مع أجهزة الإستخبارات الإيرانية وأنه يلقى قبولا لدى قياديى حزب الله بجنوب لبنان وهو من المتهمين البـارزين فى قضيـة "طلائع الفتح" التى نظرتها المحكمة العسكرية ، فقد ورد بتحقيقات النيابة إطلاعـه بدور هام بالإشتراك مع الشقيقين مجدى وعبد الله سالم فى إعادة تشـكيل تنظيـم الجهاد ، ويرى بعض المراقبين أن ولاءه الأصيل لعبود الزمر وضعه فى خنـدق عداء مع محمد شوقى الاسلامبولى وعمر عبد الرحمن .. والسـلطات المصريـة أيضـًا .

القائمة طويلة أكثر مما تحتمل الصفحات لكن يبقى السؤال المريـر قائمـاً .. كيف يكون مصيرنا ومستقبل أبنائنا وهؤلاء القتلة لايزالون هاربين ؟

أخــــيراً

معزوفـــة الـــدم

من مقهى (وادى النيل) إلى معبد حتشبسوت

ها نحن ندخل فى التوحش

والتخلف . . والبشاعة . . والوضاعة

ندخل مـرة أخرى . . عصور البربرية

حيث الكتابة رحلةُ

بين الشظية والشظية

حيث اغتيال فراشـــة فى حقـلها

صار القضــية .

الفصل الأول

من مقهى (وادى النيل) إلى معبد حتشبسوت

* فى موضوع سابق من الكتاب .. وتحت عنوان " جهاد المقاهى " تعرضنا لحادث تفجير مقهى " وادى النيل " الذى لم يكشف النقاب بعد عن هوية مرتكبيه ؛ وكان بمثابة تحولاً نوعياً فى طبيعة العمليات التى ترتكبها جماعات الإرهاب مع التسليم باعترافهم بذلك من خلال منشوراتهم السرية التى يرسلونها لأجهزة الإعلام والصحف .

* وهو ما يطرح تساؤلات حول علاقة ذلك الحادث بثلاثة حوادث أخرى وقعت بعده على فترات زمنية مختلفة .. الأول .. حادث فندق أوروبا بالهرم والثانى حادث المتحف المصرى والثالث حادث معبد حتشبسوت بالبر الغربى بالأقصر .. وهل يجوز الربط (*) بين هذه الحوادث بالتحديد ؟ ...

* وللوهلة الأولى يبدو أن القاسم المشترك بين تلك الحوادث هو طبيعة الهدف .. وهو النشاط السياحى .. وما يمثله من مورد هام للدخل القومى لكن القراءة الواعية لمجمل الظروف والملابسات التى أحاطت بكل هذه الحوادث تشير إلى ما هو أبعد من مجرد استهداف الحركة السياحية وتسلط الأضواء على الغموض الذى يكتنف أنشطة وصراعات الجماعات أو المجموعات التى تورطت فى ارتكابها .. أيضاً يكشف الكثير عن أساليب التخطيط لتلك الجرائم وطرق القائمين على تنفيذها .. ومعايير اختيار الأهداف .. وقصور المعالجة على كافة المستويات لتلك الأحداث .. وما ترتب عليها من نتائج سلبية سواء على الصعيد المحلى أو الدولى أو حتى داخل التنظيمات المتطرفة أيضاً .. وخلال هذه السطور سنحاول الاجتهاد فى تحليل مضمونها .. والربط بين العناصر الأساسية المكونة لكل منها .

---

* كتب هذا الموضوع قبل طباعة الكتاب بأيام قلائل وعقب حادث الأقصر مباشرة وقد ارتأى المؤلف إضافته نظراً لضخامة وخطورة الحادث وما استتبعه من ضجة إعلامية فى الخارج والداخل .

والقراءة الهادئة لمضمون ودلالات حادث مقهى وادى النيل .. بعد ارتكابه بكل هذه السنوات تشير إلى التالى :

١ – أنه الحادث الأول من نوعه الذى يستهدف منشأة فى قلب القاهرة .. ويفرض نفسه على وسائل الإعلام الدولية لطبيعة الهدف من ناحية ووجود عدد من الضحايا الأجانب .

٢ – أنه الحادث الأول من نوعه الذى يرتكب بأسلوب التفجير بواسطة الميقاتى (تايمر) مما يشير إلى تطور فى وسائل تنفيذ حوادث العنف وطبيعة التخطيط والتدريب الذى تلقته عناصر تلك الجماعات .

٣ – أنه يشكل بداية توجه جديد لهذه الجماعات فى عملياتها ضد الدولة والنظام فلم تعد تتوقف عند حدود استهداف الشخصيات أو المنشآت بل تجاوزت ذلك إلى الاستهداف على المستوى الاقتصادى والإعلامى .

٤ – أنه يعكس التحولات والصراعات الداخلية فى التنظيمات الراديكالية حول الزعامات .. سواء بين أجيال تلك الجماعات (معركة الأسير والضرير بين عبود الزمر وعمر عبد الرحمن) . أو بين الداخل والخارج .. أو بين السجناء والهاربين خاصة فى صعيد مصر .. وما ترتب على هذا الصراع من تصاعد فى العمليات لاثبات قدرات كل طرف من أطراف الصراع على الحسم لصالحه .

٥ – أنه يؤكد على قصور فكرة الحسم الأمنى بمفرده ؛ فمن غير المتصور التعامل مع تلك الجماعات بمنطق تكثيف الحراسات وتعزيز التواجد الأمنى الذى يستحيل أن يشمل كل منشأة وموقع على أرض الوطن .. ففضلاً عن العبء الاقتصادى الذى يشكله هذا الأسلوب فهناك إستحالة عملية فى هذا التصور .. وبالتالى تبرز فكرة " تجفيف المنابع " سواء على المدى القصير أو البعيد .. وتجفيف المنابع على المدى القصير تعنى الحيلولة دون وصول دعم مادى أو لوجستى لهذه الجماعات أو المجموعات.. وكذا قطع قنوات الاتصال فيما بينها .. أما الأهم من هذا فهو تجفيف المنابع على المدى البعيد بمعنى إتخاذ ما يلزم من إجراءات تستهدف منع تفريخ المزيد من العناصر الجديدة التى تنخرط فى

الإنضواء تحت لواء هذه الجماعات .. وهى بالطبع ليست مهمة أمنية وحسب بل هى تربوية وإجتماعية وسياسية أيضاً فى المقام الأول .

* وبتطبيق تلك المؤشرات أو البنود على حادث معبد الدير البحرى فى البر الغربى بالأقصر .. أو على حادث الاعتداء على السياح أمام المتحف المصرى فى ميدان التحرير نكتشف تطابقاً له دلالته فى هذا السياق .. فحادث معبد الدير البحرى بالأقصر .. الذى يعد الأسوأ فى تاريخ مصر الحديث والذى راح ضحيته ما يقرب من سبعين قتيلاً منهم ثمانية وخمسون من السياح الأجانب(من جنسيات مختلفة) ، لا يشكل منعطفاً فى أساليب الجماعة الإسلامية المحظورة كما يصف البعض الأمر .. بل هو فى الحقيقة مجرد حادث فى تلك السلسلة الدامية التى بدأت بمقهى وادى النيل .. كل ما فى الأمر أن تنفيذه جاء على درجة عالية من الاتقان الذى ساهم فيه الترهل الأمنى والقصور الذى اعترى تأمين ذلك الموقع خاصة بعد أن مرت إحتفالية أوبرا عايدة قبل ذلك بحوالى شهر بسلام ومن دون منغصات ؛ ومن هنا لم يعد هذا الموقع موضع تكثيف أمنى أو إهتمام كذلك الذى سبق الإعداد لاحتفالية أوبرا عايدة وما صاحبها من حالة إستنفار وتحفز أمنى ما لبثت أن انهارت وتراجعت بشكل حاد كان من نتائجه أن حصد ستة أشخاص كل هذا العدد من الضحايا .. وكان بوسعهم الهرب لولا مطاردة وتعقب الأهالى مع بعض رجال الشرطة القريبين من موقع الحادث والذين تعاملوا مع العناصر الستة وقتلوهم .. وهو مازاد فى غموض الحادث حين لم تتعرف أجهزة الأمن سوى على واحد من الجناة الستة وهو : مدحت محمد عبد الرحمن بينما تعرفت أجهزة الأمن على ثلاثة آخرين بعد أسبوعين تقريباً من موقع الحادث (*) وهم : -

* حامد أحمد عريان وشهرته عصمت عريان الطالب بكلية الطب البيطرى بجامعة أسيوط وهو من قرية نجع العرك - مركز قفط بقنا .

* سعيد محمد سلامة دسوقى وهو طالب بالمعهد العالى للتعاون والارشاد الزراعى بأسيوط ومقيم ببندر قنا .. وله سكن آخر بمدينة الأقصر .. وربما كان لهذا دلالته فى كونه مرشد هذه المجموعة لتحديد الهدف أو إيواء المجموعة .

---

* وقع الحادث فى الساعة التاسعة صباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٩٧ .

* محمود محمد أحمد عبد الكريم وهو طالب بكلية الطب البشرى بجامعة أسيوط ومن قرية البراهنة – مركز قفط بقنا ..

بينما لم يكشف حتى تاريخ كتابة هذه السطور عن الشخصين الباقين ؛ وربما صار من السهل الكشف عن هويتهما فى وقت لاحق .

ويأتى هذا الحادث المروع فى توقيت له دلالته .. فبعيداً عن التفسيرات تحت مظلة فكرة المؤامرة .. إلا أنه لا يمكن إغفال الظروف التالية :

– إختيار مكان الحادث الذى شهد احتفالية دولية .. أوبرا عايدة .. حيث قدم إليها ضيوف من كافة بقاع العالم ومن صفوة المشهورين والأغنياء مما يعنى محاولة من جانب هذه الجماعات لإجهاض تجربة سياحية الصفوة التى أعلن عن بدايتها من خلال تصريحات مسئولين بتكرار عرض أوبرا عايدة سنوياً فى هذا التوقيت من كل عام .

– إن هذا الحادث جاء بعد ما سمى إعلامياً بمبادرة قادة الجماعة فى السجون بوقف العنف من جانب واحد .. وهو ما يشير إلى وجود آخرين سواء فى الداخل أو الخارج ممن رفضوا مبادرة أعضاء الجماعة المسجونين واعتبروها – وفقاً لبيانات ومنشورات أرسلت للصحف ووكالات الأنباء – أنها مجرد مبادرة فارغة من أى مضمون .. يتحدث عنها قيادات فقدوا شرعيتهم داخل التنظيم وأصابهم الوهن من جراء السجن والتعذيب وانفصلوا عن الواقع الحالى للتنظيم .. ولم تعد هناك قنوات اتصال بينهم وبين الهاربين أو اللاجئين خارج مصر من عناصر التنظيم ؛ ومن جهة أخرى هناك صراع آخر بين الفلول الهاربة داخل البلاد وخاصة فى الصعيد وبين اللاجئين فى بعض بلدان أوروبا وخاصة بريطانيا .. فيما سمى بمعركة الشريد والطريد .. وفتوى لا ولاية لشريد .. وقصد بها ياسر توفيق على السرى المقيم فى لندن ويدير ما يسمى بالمرصد الإعلامى الإسلامى .

– مثلما عكس هذا الحادث ما يدور داخل أروقة التنظيم السرى المحظور من صراعات يعكس أيضاً صراعات من نوع آخر .. فقد سبقته وعلى مدار شهور حملات إعلامية مكثفة من جانب صحيفة " الشعب " وهى كما هو معلوم تعبر عن فصيل إخوانى فعال ضد وزير الداخلية السابق حسن الألفى اتهمته فى العديد من

الأمور من أبرزها ذمته المالية ونزاهته وطريقة إدارته للمؤسسة الأمنية ؛ وهي معركة سياسية – رغم كل ما يمكن أن يقال رداً على ذلك من جانب طرفي الخصومة – تستهدف استنزاف جهد ووقت كبار المسئولين عن الأمن وتهيئ الأجواء للتعامل مع أية حادثة – خاصة لو كانت بحجم حادث الأقصر وما اكتنفه من قصور واضح – بصورة حاسمة من جانب صناع القرار السياسى واعتبار مثل هذا الحادث بمثابة القشة التى ستقصم ظهر البعير .. وهو ما حدث بالفعل .

– **وأخيراً** .. فهذا يشير إلى طبيعة توزيع الأدوار بين فرقاء هذا التيار .. وكما نؤكدها فى كل موضع من هذا الكتاب.. فالإخوان للعبة السياسة والإعلام .. والجماعات السرية غير الشرعية .. للعمل الحركى والحوادث الإرهابية .. وآخرون للتمويل .. والتسليح .. وعناصر الخارج – خاصة أوروبا – للتعامل الدولى والإعلامى الخارجى .. بما يخدم أهدافاً مشتركة ويؤكد أن كلهم هذا الرجل .. وهذه حقيقة لا ينبغى إغفالها بأى حال من الأحوال سواء على صعيد المواجهة السياسية أو الأمنية أو الإعلامية أو حتى لدى المراقب لتلك الظاهرة وما يحيط بها من ظروف ومتغيرات .

* هناك حادث آخر لا ينبغى أن نغفله فى هذا السياق .. وهو حادث فندق أوروبا بالهرم والذى راح ضحيته ١٧ قتيل خلاف المصابين .. وهو محطة هامة فى ذلك المسلسل الدامى الذى بدأ من مقهى وادى النيل .. وما زال مستمراً حتى معبد حتشبسوت بالأقصر .. ودلالته ليست خافية فيما يتعلق بأسلوب الجماعات الراديكالية وانتهاجها لمبدأ " الضرب تحت الحزام " وكالعادة إنبرى البعض ممن لا يلمون بالظاهرة بشكل بانورامى وجيد .. وركنوا إلى " شماعة " إسرائيل .. والحقيقة أن أية حادثة أو جريمة إرهابية بصرف النظر عن مرتكبيها أو ضحاياها أو ظروفها تخدم إسرائيل .. وغير إسرائيل أيضاً .. فى منطقة تتضارب فيها المصالح .. وتتبلور فيها معطيات جديدة تعيد صياغة أوراق المنطقة سياسياً وإستراتيجياً وإقتصادياً أما الجناة فهم دائماً من بين ظهرانينا .. ويرتكبون ما يرتكبون دائماً لأهدف أخرى قد تخدم إسرائيل .. لكنهم معنيين بأهدافهم الحركية والاستراتيجية لتلك التنظيمات فضلاً عن قناعتهم الفكرية التى ينطلقون منها قبل أن يفكروا بأمر مصر أو إسرائيل .. من هنا تفرض علينا

مقتضيات النزاهة العقلية أن ننحى قصة إسرائيل هذه جانباً - ولو قليلاً - ونحن فى سياق تحليل وقراءة هذه الحوادث حتى لا نساهم فى تفريق دماء الضحايا بين القبائل .. فهذا الحادث الأخير يفتح العديد من الملفات التى أهملت كثيراً .. ويجبرنا على النظر فيها مجتمعة .. ومن خلال رؤية شاملة وموضوعية وهى :

١ - ملف الهاربين خارج البلاد ليس فى بريطانيا وحدها .. بل فى العديد من البلدان العربية والغربية وضرورة تفعيل آليات التعامل مع وجودهم فى الخارج خاصة إذا ثبت - وهو ما يحدث بالفعل - أن أنشطتهم الحركية والدعائية تستهدف دعم تلك المجموعات المنفذة لحوادث العنف داخل البلاد .. أياً كانت طبيعة هذا الدعم أو حجمه .

٢ - ملف العناصر والمجموعات الصغيرة الفارة فى صعيد مصر ومن أبرزهم على سبيل المثال لا الحصر فريد كدوانى ومحمود الفرشوطى وعلاء عبد الرازق عطية ورفعت زيدان وعبد الحميد أبو عقرب ومن الجدير بالذكر أن العنصر القيادى الذى تعرفت عليه أجهزة الأمن بعد مصرعه فى حادث الأقصر مدحت عبد الرحمن كان من مجموعة البدارى التى ارتبطت بالعديد من تلك الأسماء مما يشير إلى استمرار بعض قنوات الاتصال بين هذه العناصر الهاربة فى الداخل .. ومن السهل استنتاج إمكانية اتفاقهم على التخطيط والإعداد والتنفيذ أيضاً للعديد من الحوادث الإرهابية وهو ما حدث ويحدث بالفعل حتى الآن .

٣ - ملف الصراعات والخلافات بين قيادات هذه التنظيمات سواء داخل السجون أو خارجها من الهاربين داخل مصر وخارجها أيضاً وما تفرزه هذه الصراعات من نتائج يحاول كل فريق منها - كما أسلفنا - إثبات قدرته على قيادة التنظيم وهى مسألة جوهرية بين كافة تنظيمات التطرف عامة .. فلعبة الإنشقاقات هذه من أهم سماتها ومن الممكن أن تكون موضع إختراق لو تم التعامل معها . بجدية وذكاء وعدم إستخفاف .. ودون التورط لصالح أى من الفرقاء بالطبع .

٤ - ملف علاقة هذه المجموعات بالفصيل الأم " الإخوان المسلمون " والربط بين الدور السياسى والإعلامى الذى يمارسه الإخوان وبين الدور الحركى

الذى يقوم به عناصر التنظيمات الراديكالية .. فضلاً عن جهود الإخوان الدؤوبة فى الالتفاف على الشرعية الدستورية والاختراق الاجتماعى والإعلامى لفصائل وشرائح هامة فى المجتمع .

٥ – ملف تفعيل المؤسسات الأخرى .. الرسمية والشعبية .. الثقافة والتعليم والإعلام والإدارة المحلية والأحزاب والنقابات وغيرها من المؤسسات الوطنية التى آن أوان دورها الحقيقى فى تجفيف منابع التطرف وإغلاق صنابير ضخ المزيد من الشباب فى قنوات الجماعات الإرهابية .. وإدراك حجم الصراع على هؤلاء الصغار الذين تستقطبهم تلك الجماعات فى صفوفها .

٦ – ملف التنمية فى صعيد مصر.. وهو دور سياسى واقتصادى واجتماعى لم يعد يكفى التعامل معه إعلاميًا فى مناسبة أو أخرى وحسب بل ينبغى أن تسبقه خطوات جادة على المدى القصير .. أو البعيد .. وعلى كافة المحاور والأنشطة ومن خلال مشروع قومى ضخم يستهدف التنمية الحقيقة لهذا الجزء الملتهب من خريطة الوطن .

ويبقى التأكيد على الطبيعة التآمرية والمسلك الانقلابى لتلك الظاهرة فى مجملها سواء فى مضمونها الفكرى أو هيكلها التنظيمى ، ومع سلسلة الأخطاء التى أرتكبت طيلة سنوات إخراج ذلك المارد من القمقم إبان عصر السادات أو التسامح مع عناصره فى مراحل لاحقة .. أو تصور إمكانية انسجامه مع الشرعية والتعددية وفقًا للمفاهيم الديمقراطية كما يحلو لبعض الحالمين التغنى بذلك الحلم أو بالأحرى الوهم المستحيل الذى يراهن على مصالحة لن تحدث وعقلانية يجرى إقصاؤها من جانب هذا الفصيل الإرهابى كما يشهد بذلك تاريخهم وسلوكهم ..

يبقى ملف أخير .. وخطير .. وربما كان الأخطر .. وهو الإصلاح السياسى . فمن المعلوم أن هذه التنظيمات الإرهابية لا تستمد قوتها من ذاتها فحسب بل مما تلقاه أيضًا من دعم وما ترتبط به من عناصر فى الداخل والخارج .. إنها ببساطة تلقى ما تلقاه من تأييد .. ليس بسبب ما تطرحه من تصورات أو أدبيات وليس بسبب ما تعترض عليه من أوضاع أو ممارسات .

فهل تداركنا الأمر قبل فوات الأوان ؟

الفصل الثانى

نجـــوم وطـــن

زهـرتان من باقة شـهداء الوطـن
خـالد زمـزم ٠٠ ومهـران عبد الرحيم

لماذا إخترت الشهيدين النقيب خالد زمزم والمقدم مهران عبد الرحيم للحديث عن حكاية إستشهادهما من بين مئات الشـهداء الذيـن تمنيـت أن أجـد القـدرة والمعلومات الكافية حتى أتمكن من التأريخ لسيرة كل رجـل مـن هـؤلاء الذيـن إخضوضرت بدمائهم أرض بلادنا الطيبة ؟ وكثيراً ما سألت نفسى هذا السـؤال .. لكننى عجزت عن العثور على جواب منطقى .. لعله ذلك الشعور الإنسانى الرائع الذى إصطلحنا على تسميته بالحب والذى لا يخضع عادة للمنطـق وحسـاباته ولا يقبل التبرير العقلى مهما كان محكماً .. فقد جمعتنى بكل من خـالد ومهران صداقة عميقـة فالأول كان منى بمنزلة الصديق الأصغر ، أما الثانى فقد كنت أنا بمثابـة صديقه الأصغر .. ونحن – كبشر – لا ندرك حجم المأساة وأبعادها الحقيقية جيداً إلا حينما نكون طرفاً فيها بشكل مباشر ، وحتى هذه اللحظة .. وبمناسبة الحديـث عن المنطق وحساباته فربما أظل لوقت قد يطول أو يقصـر مطـارداً بعشـرات التسـاؤلات عن ذلك المنطق الذى أضطرهما لدفع ثمن أخطاء وخطايا لم يشـاركا فى ارتكابها .. وتلك العبثية التى إختارت إستشهادهما بتلك الطريقة –على قارعـة الطريق – .. وفى ذلك التوقيت الذى كانت رائحة الفضيحـة المثـيرة والشـهيرة بقضية (لوسى أرتين) تزكم الأنوف .. وتطال عدداً من المسئولين .. فى هذا الوقت كان خالد ومهران وغيرهما تراق دماؤهم بينما كان غيرهم يتصارعون على حـب لوسى.. ويتبارون على تقديم الخدمات القانونية وغير القانونية لها .. وبدا الجميـع وكأنهم قد فقدوا رشدهم .. وبدا الأمر وكأنه كوميديا سوداء .. ولله الأمر من قبـل ومن بعد .. ما علينا ندع حكاية العفن هذه فقد دفع أبطالها الثمن ونعـود لحكايـة الشرف .. أليس ذلك أفضل ؟ ولنبدأ بقصة إستشهاد خالد زمزم .. وألتمـس مـن

القارئ المعذرة إن لم أستطع الحديث عن خالد زمزم بنفس المرح الذى كنت أتحدث به معه ، فقد كان رفيق أيام العمر الجميل .. وبعضاً من الحلم الذى نلهث سعيا وراءه فى هذا المشوار.. فلا مفر من أن أدعوكم لمشاركتى حسرتى على هذا الكائن الجميل الذى أفتقدته إنسانا .. وصديقا .. وزميلا .. فلم يكن منصب والده اللواء ماهر زمزم كمدير لمكتب وزير الداخلية الأسبق زكى بدر، ثم مديراً لمباحث الضرائب والرسوم .. لم يقف هذا حائلا – كما هى العادة – بينه وبين سعيه للتميز .. والتفرد .. والخروج من دائرة أبيه ، فكان قد تخرج فى كلية الشرطة عام ١٩٩١ وعمل بمديرية أمن الجيزة ، ولم يمض عليه سوى عام واحد وألحق بالعمل كمعاون مباحث قسم شرطة العجوزة ، وكان بإمكانه أن يقبل عروض والده وأصدقائه من قيادات الأمن بالقفز إلى مواقع الراحة والطمأنينة المكتبية ، لكنه تمسك بحقه فى صياغة مستقبله بيده وفضل الخيار الصعب فى العمل الميدانى وسعى جادا يخطو خطواته الأولى نحو تحقيق حلمه النبيل ، ونبدأ تفصيلات الحكاية التى جرت صباح الخميس المشئوم من حيث انتهت فصولها الدامية .

فحينما سقط فى يد رجال المباحث المتطرف أحمد درويش الشهير "بالشيخ يحيى" ، والذى كان عنصراً قيادياً ضمن ثلاثة أشخاص يقومون بدور التنسيق والإتصال بين قيادات الإرهاب السجناء من ناحية ، وبقية عناصر الجماعات المتطرفة خارج السجن التى يوكل إليها تنفيذ العمليات الإرهابية من ناحية أخرى ، وذلك فى إطار نشاط تنظيم "الجماعة الإسلامية" الإرهابى ، وهو التنظيم الذى انشق عنه تنظيم آخر هو "الجهاد الجديد" المعروف إعلامياً باسم "الشوقيين" نسبة إلى شوقى الشيخ الذى لقى مصرعه فى معركة مع قوات الأمن بقرية كحك فى الفيوم كما سنفصل ذلك فيما بعد .

وكانت قد نشبت خلافات فكرية وحركية بين تنظيمين بالفيوم هما : الشوقيون بقيادة شوقى الشيخ والجماعة الإسلامية بقيادة عمر عبد الرحمن أدت إلى صراعات دموية واستخدمت فيها أسلحة التطرف والإرهاب التقليدية بدءاً بإصدار فتاوى التكفير وانتهاء بعمليات التصفية الجسدية لبعضهم البعض ، وقاد الشوقيون أحداث كحك الشهيرة بالفيوم وقتل شوقى الشيخ، ونفر من جماعته فى مواجهة مع الأمن ، بينما اعتقل آخرون وفر من نجا منهم هرباً من الفيوم إلى الأحياء

العشوائية بالقاهرة الكبرى وضواحيها مثل عين شمس والمطرية والزاوية الحمراء وإمبابة ..

ثم برز إسم على عبد الوهاب جودة كأقوى بقايا عناصر التنظيم خارج السجن وبدأ نشاطه بلعبة الإنشقاق مرة ثانية على البنية الفكرية والتنظيمية لجماعة الشوقيين أنفسهم ، وكون تنظيمه العنقودى المسمى بالشوقيين الجدد أو "تكفير الكافر" كما كان يحلو له تسمية هذه الجماعة التى إتخذت من التكفير أساساً ومنهجاً لها فأفتى جودة بتكفير الجميع .. السلطات .. وعامة الناس .. والإخوان المسلمين .. وحتى عناصر الجماعة الإسلامية والجهاد والشوقيين ، وأفتى بما يعرف فى أدبيات هذه التنظيمات بـ "التكفير بالمعصية" ولم يكتف بذلك لكنه إبتدع ما عرف لاحقاً بمبدأ "التوقف والتبين" ، وهو يكاد يتطابق منهجياً مع ذلك التنظيم المعروف إعلاميا بـ "الناجون من النار" ، والذى كان قد نفذ عمليات محاولة اغتيال وزراء الداخلية السابقين حسن أبو باشا والنبوى اسماعيل وزكى بدر والكاتب الصحفى مكرم محمد أحمد .

وبدأ الأمير الجديد "على جودة" نشاطه بعملية إغتيال المقدم أحمد علاء البراوى ضابط أمن الدولة بالفيوم ، وحتى ندرك خطورة هذه الجماعة رغم ضآلة أعداد المنتمين لها نسبياً ينبغى علينا فى البداية أن نتوقف أمام مفهوم هذه الجماعة لما أطلقوا عليه مبدأ "**التوقف والتبين**" الذى يقوم على أساس ضرورة "**التوقف**" عند كل شخص فى المجتمع بوصفه حالة قائمة بذاتها تمثل اتجاها مخالفا أو رمزا معاديا للجماعة ويتم فحص هذا الشخص وسلوكه وآرائه وتاريخه ، ويجرون ما يمكن وصفه بالمحاكمة الغيابية له حتى "**يتبين**" لهم إسلامه المتمثل – وفقاً لمعتقداتهم–فى إنضوائه تحت لواء الجماعة أو على الأقل تقديم العون المادى لهم ، وفى حالة رفضه ذلك يصنف باعتباره كافراً فيصدرون قرارهم بإهدار دمه وتصفيته جسدياً ، ثم يعدون الخطة ويكلفون بها العناصر المنتمية حديثاً للجماعة وهم عادة لا يعرفون شيئاً عن العملية المكلفين بها سوى أدوار متفرقة عن المهمة المنوطة بكل منهم على حده دون إلمام كامل بشخص الهدف أو مبررات اغتياله أو حتى الحق فى مجرد التساؤل عن أدوار الآخرين .

ولما كان تنفيذ مثل هذه العمليات يتطلب نفقات شراء الأسلحة والمتفجرات والإقامة والتنقل بين الشقق المفروشة فضلاً عن نفقات الزواج التى تنفرد هذه

الجماعة بكفالته لأعضائها باعتباره شرطا أساسيا لقبول عضوية الفـرد الجديـد ، ولهذا الأمر مغزاه وحكاياته المثيرة والمخيفـة أيضاً والتى سنتناولها فى موضـع آخـر .

وأخيراً وجد أعضاء هذه الجماعة حلا سهلا و "شرعيا" لتمويل أنشطتهم مـن خلال تطبيق الفتوى التى تعتبر قاسماً مشتركاً بيـن أنشـطة كافـة الجماعـات الإرهابية والمعروفة بـ "الإستحلال" ومقتضاها إباحة السطو على محلات الذهـب المملوكة للأقباط ، وعلى الفور قاموا بارتكاب عدة جرائم سـطو مسـلح وسـرقة بالإكراه لمحلات مجوهرات بدأت بمحل مجوهرات "الإخوة الثلاثة" بحى الزيتـون بالقاهرة ، ثم أتبعوهـا بالسطو على محل آخر للمجوهـرات بالخانكـة المملـوك للمواطن عماد إيليـا ، وأخيرا قاموا بالسطو علـى محـل مجوهـرات "البتـول" بالمطرية واسـتولوا على الذهب والنقود وفواتير البيع ، وفى أعقاب كـل عمليـة سطو أو "إستحلال " يقومون بتكليف زوجاتهم المنتقبات ببيع المسروقات الذهبيـة على فترات متفـرقة ولمحلات معينة ، وبموجب الفـواتير التى بحوزتهـم بعـد تدوين البيانات التى تروق لهم وتيسر البيع دون مخاطر .

ومن هذه الأموال دبروا نفقات استئجار الشقق المفروشـة وشـراء الأسـلحة والمتفجرات ووسائل المواصلات من سيارات ودراجات بخارية ثم نفـذوا عمليـة محاولة اغتيال المقدم محمد عوض مأمور سجن استقبال طرة الـذى يـودع بـه عناصر الإرهاب على اختلاف إنتماءاتهم وانشقاقاتهم .

وهكذا إتبع أمراء الشوقيين سلوكاً إنتهازياً يبيح لهم تبرير كل وسائلهم وتجاوز كل المحـاذير الإنسانية والإجتماعية والقانونية ، وقاموا بتوجيـه عـدة ضربـات إرهابية متلاحقة إستهدفت تفتيت جهود أجهزة الأمن ، وتشتيت المواجهة الأمنيـة، وإشاعة الذعـر على المستويين الرسمي والشعبى حتى سـقط الإرهـابى أحمـد درويش الشهير بالشيخ يحيى ، وعلى الرغم من كونه ينتمـى لتنظيـم "الجماعـة الإسلامية" ويعد أحد أعضاء ما يعرف بمجلس شورى التنظيـم المكلفيـن برصـد أنشطة الشوقيين الحركية ومتابعة عملياتهم الإرهابية بأسلوب لا يقل كفـاءة عـن أجهزة الأمن ذاتها ويرجع ذلك لأسباب متعـددة أهمها المنافسـة على اسـتقطاب العناصر الجديدة والتعامل حركياً مع أجهـزة الأمن وتحديد مصـادر الضربـات الإرهابية والمسئول عن تنفيذهـا ، وهو مسلك يتطابق تماما أسـلوب عصابـات

الجريمة المنظمة حينما تتبع كل عصابة أنشطة العصابات الأخرى بغرض استغلال المواقف والقفز على النتائج وانتهاز الفرص ومآرب أخرى ، وهكـذا كـان إلقـاء القبض الشيخ يحيى أو (أحمد درويش) هو خيط البداية الذى أمسكت بـه أجهـزة المباحث خاصة وأنه اعترف بمعلومات هامة ودقيقة عن عناصر وبـؤر وأنشـطة جماعة الشوقيين الجدد أو التوقف والتبين ، وعلى الفور بدأت أجهزة الأمن خطـة تمثلت فى الإنقضاض على كل هذه البؤر التى تقع فى أربع محافظـات مختلفـة ، وذلك من خلال عدة عمليات متزامنة من أسـوان حتى القاهرة ، ومن الجيزة إلى القليوبية لضبط عناصر هذا التنظيم وإجهاضه بضربة أمنية واحـدة ، وسـنكتفى هنا بالحديث عن عمليات محافظة الجـيزة فقط والتى كان قـد إستشـهد خلالهـا الملازم أول خالد زمزم وهى أربع مأموريات على النحو التالى :

المأمـورية الأولـى :

وتقع فى المنزل رقم ٧ ش حسن حسين بعزبة الصعايدة بإمبابـة ، وحينمـا توجهت قـوات الشرطة إليها بحثاً عن المتطرف خليفة محمود رمضان إسـتخدم نفس الاسلوب الذى تم اغتيال النقيب على خاطر به فى الأسكندرية فقد إتخذ مـن زوجته نوال صالح وطفله عبد الرحمن ذى العامين سواتر بشرية ثم أمسك بندقيـة كلاشيكوف ، وكذلك فعل زميله محمد محمد عبد المنعم والذى كان يقيم معـه فـى نفس الشقة فقد أمسك هو الآخر ببندقية آلية وقاما بإطلاق الرصاص على قوات الشرطة فقتلا جنديين وأصابا ضابطين أحدهما بترت ساقه مما دفع القوات لـلرد عليهما فأردوهما قتيلين .

المأمـورية الثانيـة :

داهمت العقار ٦ ش النصر بالجيزة وتمكنت قوات الأمن من إلقاء القبض على إثنين من عناصر جماعة الجهـاد الجديد المعروفة إعلامياً بالتوقف والتبين وذلـك من دون إصابات أو خسائر من كلا الجانبين ، وضبطت بحوزة المتهمين أسـلحة نارية ومتفجرات ومجوهرات من متحصلات جرائم السطو المسلح على محـلات الصاغـة وكميات كبيرة من المنشورات المعدة للتوزيع وثلاث دراجات بخاريـة مسروقة .

المأمـورية الثالثـة :

كانت ببلدة أبو النمرس حيث تمكنت قوات الأمن من إلقاء القبض على ثلاثـة أشخاص من عناصر الجماعة دون وقوع أية خسائر من كلا الجانبين .

المأمـورية الرابعة :

فهى موضوع حديثنا بشكل مفصل فى هذا الموضوع حيث جرت وقائعها فى المنزل رقم ٣٢ ش أحمد منصور بالوراق التابع لمركز امبابـة بـالجيزة حينمـا توجهت قوات الأمن فى الثالثة من فجر الخميس الموافق١٣ مارس سنة ١٩٩٣ .. وبعد محاصرة العقار وتأمين منافذه تسلل الملازم أول خالد زمزم يرافقـه ضـابط آخر من قوات الأمن المركزى وعدد من الجنود المسلحين إلـى المـنزل ومـا أن شرعوا فى فتح باب الشقة حتى فتح الإرهابيون الباب بحركـة مفاجئـة وانهمـر الرصاص فى صدر الملازم خالد وأحد الجنود ثم أغلـق البـاب وتدحـرج خـالد والجندى على السلم غارقين فى دمائهما ، وحينما تقدم أحد سكان العمـارة وهـو المواطن محمد على أحمد الذى كان قد إستيقظ على صوت الرصـاص وأثنـاء قيامه بمحاولة إنقاذ خالد والجندى المصابين عـاود الإرهابيون فتح البـاب مـرة أخرى وأصابوا المواطن بطلقة فى كتفه ثم توجه أحدهم لشرفة الشقة وأخذ يطلـق النيران بشكل عشوائى ويصرخ بهيستيرية مرددا عبـارات بذيئـة يقـول فيهـا : "الراجل فيكم يطلع لى هنا ٠٠ أنا عايز راجل واحد وأنا .. " .

وقد استدعيت قوات تعزيز إضافية وقاموا بإلقاء قنبلة مسيلة للدمـوع علـى الشقة مما أجبر الإرهابيين على الخروج منها وبأيديهم بنادقهم الآليـة يضربـون بطريقة عشوائية فى كل صوب ، وتعاملت معهم قوات الأمن المركـزى وقتلـت إثنين منهم تبين فيما بعد أنهما خالد عبد الحميد إمام ، وفرج جيلانى جاد ، بينمـا أصيب الإرهابى الثالث حسين على حسين، وألقى القبض عليه وأستدعيت الإسعاف لتنقل جثث الإرهابيين والضابط والجندى .. جميعا داخل سيارة واحدة ، وتنتهـى ساعات المواجهة الطويلة مع بزوغ شمس يوم الخميس الدامى .

ولما أبلغ ضباط مباحث الجيزة والد خالد زمزم بإصابته أثناء الأحداث دفعـه حسه الأمنى بوصفه لواء شرطة سابق ، وحسه الإنسانى لكونه أبا إلـى مقاطعـة محدثة قائلا : " خالد مات ؟ " وكان هذا ما حدث فعلا .

حكاية الشهيد مهران

وتتراجع كل العبارات والحكايات التى تتكرر دائماً فى قصص إستشهاد البشر على إختلاف مواقعهم وحجم مسئولياتهم ، ويتبقى الجانب الإنسانى من حكاية الفتى مهران ، كما سجلتها ملفات القضية ويرويها لنا زملاؤه المقربون .. :

فحينما إشتعلت المواجهه منذ قرابة عامين بديروط بعد أن توغل أمراء الجنازير فى شرايين قراها ونجوعها وسيطروا على كل مظاهر الحياة اليومية هناك ، حتى أصبحت إمارة معلنة .. وفعليه لايجوز إنكارها بمجرد الإدلاء تصريح وردى كاذب وعبارات إنشائية جوفاء .. وحينئذ إستيقظ المسئولون على الكارثة التى إنفجرت فى وجه الجميع .. رسميين وشعبيين .. مسلمين وأقباط ، وأرسلت وزارة الداخلية من يتحرى حقيقة الموقف هناك ، وعاد ليلقى بما فى جعبته من الحقائق المفزعة على رؤوسهم فقد سيطر الإرهاب على المدارس والمنازل والمستشفيات والمجالس المحلية ودور العبادة .. والمتاجر .. والحقول .. وفرض صبية الإرهاب قانونهم على الجميع ، فهذا قبطى يتحتم عليه أن يدفع الجزية التى يحددها الأمراء .. وإلا يعاقب بتحطيم يديه وقدميه ويطرد من البلدة وتحرق زراعته أو متجره ، وهذا محل للفيديو لابد من إغلاقه ولا مجال للمناقشة فى هذا الأمر .. وذلك تاجر مسلم عليه أن يتبرع للإخوة مما رزقه الله وإلا تغلق تجارته وتلك خصومة قبلية – تحدث كثيرا فى الصعيد – بين عائلة وأخرى ويتدخل الأمراء وأتباعهم لفضها بالعنف وفرض غرامات مالية وعينية كالأسلحة والذخائر على أطراف الخصومة ، ويقوم الأمراء أيضاً بتحديد قيمة هذه الغرامات وحجمها وفقا لكل حالة على حدة ، وفى ضوء إمكانيات كل طرف من أطراف النزاع ، وهذا رئيس نقطة شرطة صنبو الأسبق يحيل شكاوى المواطنين المقدمة له من المواطنين إلى ما يسمى بالشيخ عرفة درويش –الذى قتل فى المواجهة غير مأسوف عليه – ليفض النزاع وفقا لظروف الحال ، ولعل ذلك يرجع لما أدركه الضابط حينئذ من سطوة هؤلاء الأمراء على مقدرات العباد هناك فى الوقت الذى

كانت تنحسر فيه قدرات أجهزة الأمن المحلية فى هذه المنـــاطق خاصـــة بعــد أن إستغل مرشحـــو مجلس الشعب عن دائرة ديروط هذا النفوذ الجماهيرى للأمـــراء فمضوا يغازلونهم ويزايدون على كسب ثقتهم ضمانا لأصوات قطاعات عريضــة من الناخبين الذين أصبحت تسيطر عليهم هذه الطغمة الإرهابية.. فمضوا يقدمـــون لهم التسهيلات والأموال وغيرها حتى بلغ بهم الأمر إلى حد التستر علـــى بعــض الهاربين من الملاحقة الأمنية أو حتى المتورطين فى ارتكـــاب جرائـم إرهابيــة والصادر بحقهم أحكام قضائية .

وبدأت فصول المواجهة الأمنية التى تأخرت أربعة عشر عاماً بقيـــادة مديــر مصلحة الأمن العام ومدير قوات الأمن المركزى وقيادات مباحث أمن الدولة ومدير أمن أســيوط والنتيجة المتوقعة بالطبع لابد أن تكون المصادمـــات الداميـــة التـــى أسفرت عن عدد من الضحايا من الجانبين .. الإرهابيين ورجال الشرطة ، بينمـــا لاذ الناجون من المتطرفين بالجبال والمغارات بالصحراء الغربية والشرقية ليبدأوا ممارسة الحياة مع المطاريد والخطرين جنائيا وعلى طريقتهم.. وهنا كان لابد مــن ترشيح شخص له مواصفات خـــاصة ليتولى مسئولية إدارة مكتب جديد لمبـــاحث أمن الدولة فى ديروط ، وفرض اسم المقدم مهران عبد الرحيم نفسه على صنـــاع القرار باعتباره أحد أبناء أسيوط الملمين بالطبيعة الجغرافيـــة للمكـــان والتكويـــن النفسى لهذا الطراز من المتطرفين (الصعايدة) فضلا عن سمعته كـــأحد الضبـــاط الأقوياء ذوى الخبرة العريضة فى التعامل مع التنظيمات المتطرفة ، ولـــم يـــتردد مهـــران لحظة فى قبول هذه المسئولية التاريخية بكل ما يحمله هذا التعبـــير مـــن معان ، فهو كان يعلم تماما مدى خطورة التصدى لهؤلاء الذين تركوا زمناً طويـــلاً وتوحشوا .. وأصبح لهم أعوان وأتباع ونفوذ ورصيد إجتماعى لا يســـتهان بـــه، وباختصار كانت مهمة شاقة أن يحاول مهران اختراق تلك القاعدة العريضة التـــى نجح الأمراء فى تجنيدها أو على الأقل تحييدهـــا فـــى صراعهـــم ضـــد الســـلطة ومؤسساتها الرسمية ، فبدأ يرسم ملامح خريطة الموقف هنـــاك برصـــد الأســـماء المؤثرة منهم وتتبع أنشطتهم وفحص علاقاتهم ومدى توغلهم .. وفى الوقت الـــذى فضل فيه الكثيرون إيثار السلامة ظل المقدم مهران وزمـــلاؤه يتحملـــون أعبـــاء

التصدى لكل من تحدثه نفسه من هؤلاء الصبية الدمويين بحمل سلاح لإرهاب مواطن أو إثارة الفزع فى ديروط .. ولعلنا فى غير حاجة لأن نؤكد على عدم وجود شبهة خلافات أو نزاعات شخصية بين مهران وهؤلاء الخوارج فقد كان الرجل يدافع عن قضية وطن ومستقبل أمة .. ويتصدى لأخطار تحدت وهزت هيبة دولة .. ومست شرعية نظام .

وتطلب الإضطلاع بأعباء هذا الدور عملاً دءوباً كان على حساب صحته ووقت أسرته ووجوده الإنسانى المشروع بين أطفاله وزوجته ، ولم يلق بالا للتحذيرات العائلية أو التهديدات الإرهابية .. بل كان يقابل كل هذا بإبتسامة معبرة .. تعنى أنه اختار .. وقال كلمته .. ولم تعد لديه مساحة للتراجع أو الضعف ، ولم يكن مهران قديساً بل كان مجرد شاب مصرى فرضت عليه طبيعة عمله مسئوليات لم يفر منها أو يتحايل عليها بل واجهها برجولة .. وكانت له زوجة وطفلان .. ومجرد شقة صغيرة بالمساكن الشعبية بأسيوط ، مكونة من غرفتين وصالة .. وكانت له مطالب وإحتياجات يومية .. من مأكل وملبس ونفقات إيجار وكهرباء ومرض أطفال ..

ولم يكن له مصدر للدخل سوى راتبه الذى لم يتجاوز حينئذ الثلاثمائة جنيه مصرى ، وحتى السيارة التى شهدت مصرعه هو وطفله لم تكن ملكه بل كانت مملوكة لوزارة الداخلية وهى ماركة فيات ١٢٨ ، وعلى الرغم من كل هذه الظروف غير المغرية فقد كان الرجل يقضى أياماً متواصلة فى مقر عمله بين مأموريات متعاقبة .. ونوم وأكل .. وباختصار كافة مظاهر حياته هناك .. بينما كان يكتفى بمجرد الإطمئنان هاتفياً على أسرته بأسيوط فى نهاية كل يوم .. ويزورها إذا تصادف واقتضت ظروف عمله الذهاب لمدينة أسيوط فى مهمة رسمية ، ينتهزها فرصة للإطمئنان على زوجته وطفليه دون أن يفكر فى المبيت ليلة واحدة بمنزله فى هذه الظروف الحرجة التى كانت تمر بها مدينة ديروط وقراها .. ضمن ما يجرى فى مدن وقرى الصعيد عامة .

وكان طبيعيا أن يذيع صيته بين أوساط الإرهابيين هناك ، بإعتباره المسئول الأول عن مواجهتهم .. وكان طبيعياً أيضا أن يلجأ أمراء الإرهاب والجنازير إلى

مسلكهم التقليدى حيال من يخالفونهم الآراء أو المواقع .. وهو التصفية الجسدية ولم تكن واقعة إغتيال مهران هى المحاولة الأولى ، فقد سبقتها عدة محاولات تعرض فيها للموت وباءت كلها بالفشل ، ليس بسبب حرصه وحذره فحسب بل لجبن خصومه وخستهم أيضا .. فقد شارك فى كل مأموريات التفتيش والضبط والمطاردة والتمشيط الأمنى من صنبو لكودية الإسلام .. ومن ديروط لمنقباد .. للقوصية وحتى البدارى وساحل سليم ، وكان يلعب دور الدليل لكل أجهزة وقوات الشرطة بفضل ما تراكم فى ذاكرته من معلومات عن أشخاص الإرهابيين وأنشطتهم حتى أصبح يشبه أرشيف معلومات متنقل ..

وكان أول من يقتحم وكراً للإرهاب وآخر من يغادره ، حتى أتت هذه الجهود بثمارها وتراجع النشاط الإرهابى كثيراً وتقلص دوره فى ديروط بل وكافة مراكز أسيوط ، وأصبح من حق مهران أن ينال يوماً فى الأسبوع كراحة عمل .. وكان يوم الأربعاء من كل أسبوع حيث إعتاد أن يتناول مع أسرته الصغيرة طعام الإفطار ثم يصطحبهم لزيارة أهل زوجته فى قرية "النخيلة" بمركز "أبو تيج" ثم زيارة أهله "بالدوير" التابعة لمركز صدفا فى أقصى جنوب أسيوط .. وهكذا حتى كان يوم الأربعاء الثالث من مارس حينما أفطر كعادته واصطحب أسرته لزيارة أهل زوجته وجلس معهم وقتاً ثم إستأذن لزيارة والدته وأشقائه فى قريته "الدوير" حينما أصر طفله محمد ذو الأعوام الثمانية على مرافقته ، لأنه وبإصرار طفل فى هذه السن وعلى حد تعبير والدته فيما بعد أن "جدته وحشته " .. ورضخ مهران بقلب أب إزاء إصرار إبنه ولم يكن يعلم أن الحقد يترصد له ويتتبع خطاه، فلم يكن مصادفة أن يكمن له صبية الإرهاب الدمويون بعد أن تجاوز مزلقان السكة الحديد وقبل دخول قريته بنحو كيلو مترين وفى منطقة زراعية مهجورة فى هذا الوقت ، وأمام محطة بنزين مهجورة أيضا ومتوقفة عن العمل ، وفى تمام الساعة التاسعة والثلث مساء ، وقد لاذ معظم الناس بمنازلهم عقب العشاء ليمطروا سيارته برصاص بنادقهم الآلية من الخلف وجهة مقعدة صوب عجلة القيادة فارتمى على طفله ليجعل من جسده ساترا بشريا لحمايته .. فليس من العدل أن يدفع هذا الطفل ثمن حسابات لم يشارك فى صنعها .. ولكن إرادة الله أبت إلا أن تلوث أيادى هؤلاء الإرهابيين بدماء الأطفال .. فقد إخترقت جسد مهران ثلاث

وعشرون رصاصة ، بينما إستقرت رصاصة واحدة فى راس محمد ، كانت كفيلة بأن تلوث تاريخ أدعياء الإسلام والجهاد المزعوم وكما ورد بتقرير مفتش الصحة بأن مهران عبد الرحيم ونجله محمد قد وصلا لمستشفى صدفا العام جثتين هامدتين .. فعندما تأكد الإرهابيون من انتهاء مهمتهم الآثمة فروا كالحشرات الجبانة وقبل أن يتجمع الأهالى على أصوات الرصاص ، واقترب بعضهم بحذر من السيارة وتعرفوا على قائدها ، وقد كان منكفئا بجسده كلية على طفله الذى انكمش تحته وقد تجمدت ملامحه المذعورة وانقبضت يده اليمنى على قطعة شيكولاته لم يتناول منها سوى قضمة واحدة .

وفى المستشفى لم يعثر الأطباء مع مهران على شئ سوى سلاحه الأميرى وهو مسدس صغير لم يتمكن إزاء وقع المفاجأة أن يستخدمه ضد البنادق الآلية ومبلغ من المال قدره أربعة وثمانون جنيها وبضعة كارنيهات وبطاقة عائلية ولفافتى قمر الدين وكيس زبيب وفول سودانى فى المقعد الخلفى للسيارة كان ينوى إهدائها لأمه بمناسبة رمضان .. تجمع خارج غرفة الرعاية المركزة اشقاؤه بعد أن وصلهم الخبر المشئوم وهم محمود المحاسب بمصنع سماد أسيوط ودرويش المزارع وسيد المدرس بالمدرسة الإعدادية .

وفى مكان آخر كانت السيدة أزهار زوجته تتلقى مكالمة هاتفية من إرهابى وغد يزف إليها الخبر بلهجة متشفية وكلمات حاقدة ، فاستغاثت بشقيقها ليتحقق من صحة هذا الخبر الذى رفضه قلبها وعقلها .. وجاءها الرد الأسود يؤكد صحة ما حدث .. وهكذا لم يتبق للسيدة أزهار عبد الرحمن التى لم تكن تعمل رغم مؤهلها الجامعى مراعاة لظروف عمل زوجها البالغة الصعوبة ، ومتطلبات رعاية أطفالهما .. لم يتبق لها سوى الحسرة التى ستمتد معها حتى آخر العمر.. ومسئولية تربية طفلها الرضيع ذى العام الواحد ، ورغم التفاف الجميع حينذاك حولها ومواساتهم لها فإنها كانت مثل كل الثكالى تدرك أنهم - لابد - منفضون مغادرون إلى منازلهم ومنصرفون إلى ذويهم ولن يتبقى معها سوى برودة ليالى الشتاء الطويلة وأحزان عميقة تستعد للإقامة معها طويلا .

الملاحـــق والوثـــائق

مجموعة حوارات مع

١ - عمر عبد الرحمن

٢ - أيمن الظواهرى

٣ - طلعت فؤاد قاسم

٤ - صفوت عبد الغنى

٥ - لواء/ مجدى البسيونى

أحصائيات ورسوم بيانيـــــة ذات صلة بالظاهرة

- عدد الحوادث الإرهابية من عام ٩٣-١٩٩٦(رصد نوعى وكمى)
- عــدد المتهمين المضبوطين فى القضايا الإرهابية من عـــام ٩٣ - ١٩٩٦
- عدد القتلى والمصابين من الجماعات والمواطنين والأمن والسياح.
- عدد الأسلحة والمتفجرات غير المرخصة المضبوطة من عـــام٩٣-١٩٩٦
- رسوم بيانية للتحليل الإحصائى الذى أجراه تنظيم سلسبيل الإخوانـــى وفقاً لرؤيتهم خلال رصد قوى المجتمع ومتغيراته الهامة .

حوار مع عمر عبدالرحمن
فى نيويورك

كان مقرراً أن القاه فى منزله بنيوجرسي .. ولكنه طلب تغيير مكان اللقاء لأقابله فى مسجد السلام بالقرب من ميدان "جورنالز" وبينما كنت أنتظر فى سيارتى حتى منتصف الليل جاء من يخبرنى بأن إدارة المسجد ترفض إجراء أحاديث صحفية داخله .. وأخبرنى أن الشيخ عمر عبدالرحمن سيحضر بنفسه الى الفندق الذى اقيم به .

وهكذا التقيت بالشيخ عمر وأجريت معه هذا الحوار :

س : لماذا يتم ضرب السياحة فى مصر وهى تمثل مورداً اقتصادياً هاماً للبلاد؟

ج – الدول الصحيحة هى التى تعتمد على التجارة والصناعة وليس على السياحة وينبغى أن يكون اقتصاد البلد ثابتاً وقائماً على أسس قوية .

س : لكن هناك ملايين من المصريين الذين يعتمدون على السياحة كمورد رزق ماذا كان الهدف من الاضرار بهؤلاء ؟!

ج – أليس الذين تعتقلهم الحكومة لهم أسر وزوجات وأولاد لماذا نبكى على سائحه قتلت ولا نبكى على ألاف الاسر من أسر المسجونين أنهم أحق أن يبكى عليهم .

س : عفواً لم أذكر موضوع السائحة فى معرض سؤالى ولكن سؤالى موجه الى الخسائر التى منيت بها مصر نتيجة محاولات ضرب السياحة !

ج – فضلاً عن أننا غير مسئولين عن هذا الامر ، فإننا ننظر الى الاسر التى قد أعتقل ذووها وأربابها ، لابد أن ننظر اليهم وان يكون ميزاننا بالقسط – نحن غير مسئولين عن الاسر التى أضيرت بضرب السياحة ، ذلك لأن هذا الامر ليس مسئولية الجماعة الاسلامية .

س : ماذا تعنى "بالمسئولية" ؟! خاصة أن جماعة الجهاد بمصر أعلنت مسئوليتها عن تلك الحوادث؟!

® أجرته مجلة أكتوبر & العدد ٨٤٣ فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٢

ج – لايوجد مايسمى بجماعة الجهاد ، فهذه التسمية هى تسمية مباحث أمن الدولة ، على شاكلة الـــ FBI هنا بالولايات المتحدة أنمـــا هـــى "الجماعـــة الاســـلامية" .. والجماعة الاسلامية هى التى نسب اليها ضرب السياحة ، وقلت أنه إذا حدث هـــذا من بعض الافراد فإنما هو من باب الضغط على الحكومة فى أمر المعتقلين الذيـــن ظلوا معتقلين من قبل الحكومة سنوات دون محاكمة، ودون إفراج عنهم وبدلاً مـــن محاكمتهم أمام المحاكم المدنيه فإنها تقدمهم الى المحاكم العسكرية .

س : المحكمة التى برأتكم من تهمة المشاركة فى إغتيال السادات ٠٠ هل كـــانت محكمة عسكرية أو محكمة مدنية؟!

ج –كانت محكمة عسكرية !!!٠

س : ولماذا فى إعتقادكم قامت الجماعة الاسلامية بإغتيال الرئيس السادات ؟

ج – عندما جار على الحق وهاجم الإسلام وحكم بغير ما أنزل الله وهاجم أمهات المؤمنين وإعتبر مصطفى كمال أتاتورك نموذجاً .. فضلاً عن طغيانه فـــى أمـــور الدولة السياسية وماقام به من إعتقالات للمفكرين والمسلمين وغيرهم .

س : تطالب بتطبيق الدستور فيما يتعلق بالعدالة الاجتماعية وتطبيق الإســـلام٠٠ وفى الوقت نفسه تعترض على مبدأ الديمقراطية والدستور٠٠ ألا تـــرى أن هـــذا يمثل تناقضاً ؟

ج – أنا لا أوافق على تطبيق الدستور ، وانما أبين انهم لجأوا للمحاكم العســـكرية وهذا منتهى الإستبداد .

س : وماذا عن تدخل إيران فى سياسة مصر الداخليـــة بمســـاعدتها للجماعـــات الإسلامية لإثارة القلق داخل مصر ٠٠ بل وفى دول عربية أخرى ؟

ج– إيران ثورة من الثورات التى استطاعت أن تشق طريقها ، وليس للجماعـــات الإسلامية أى صلة بإيران من الناحية التنظيمية أو السياسية أو المالية ، بـــل كـــل مافى الأمر أنه مجرد مشاركة وجدانية .

س : أنتم تعيشون فى الولايات المتحدة حالياً ، وفى الوقت نفسه تهـــاجم الـــدول التى تربطها علاقات صداقة مع الولايات المتحدة٠٠ ألاترى تجاوزاً فى اســـتثمار وجودك فى الولايات المتحدة ؟

ج – هذا لايحتاج الى شرح لأننى دخلت الولايات المتحدة بطريق مشـــروع، وإذا ارادت الحكومة الامريكية إخراجي فلابد أن يكون ذلك فى ظل قوانينها التـــى لـــم أتجاوزها،وفى ظل تصريحات الحكومة الامريكيـــة،تصريحـــات واضحـــة بهـــذا الخصوص ، فى انهم لايستطعيون إخراجى مادمت لم أخالف القانون .

س : لماذا اخترت المعيشة فى الولايات المتحدة وهـــى دولـــة الفســـاد والإيـــدز والسياحة وأهل النار؟

ج –أنا دخلت أمريكا للدعوة الى الله،وقبلها ذهبت الى بريطانيا خمس ست مرات، والى الدانمارك والســـويد وسويسرا وغيرها من الـــدول ، والحكومـــة الامريكيـــة أخذت أوراقى وجواز سفرى ، ولهذا أنا مستمر فى البقاء هنا .

س : هل تشعرون أن الحركة الإسلامية فى الولايات المتحدة آخذة فى الانتشار؟!

ج – نعم والحقيقة أن الشعب الامريكى شعب يستجيب للدعوة وليس لديه رواســـب تعصبية مثل أوروبا ، وإذا عرضت عليه الدعوة الإسلامية عرضاً صحيحاً فـــإنهم يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وهى أرض خصبة للدعوة الإسلامية.

س : وماذا عن موقفك من الاقامة فى أمريكا والقضية التى ســـتنتظرها المحـــاكم الامريكية خلال أيام ؟

ج – عند عودتى من إحدى سفرياتى سحبوا منى "البطاقـــة الخضـــراء" (الجريـــن كارد) فى المطار .. رغم أننى حصلت عليها بطريق مشروع .. عن طريق وظيفة فى المسجد .. وغير صحيح أننى تزوجت بأمريكية .. وزواجى من أمريكية أمـــر مشروع كفله الدين الإسلامى لى .

س : لماذا اخترت أن تكون بعيداً عن مصر وتعلن عليها الحرب الكلامية .. لماذا لاتناقش الموقف مع المسئولين فى بلدك ؟

ج – لأننى لا أثق فى أحد من المسئولين .. وإذا كان الجلـــوس مـــع المســـئولين سيحقق نتائجه فيجب الجلوس مع علماء موثوق فى ذمتهم وضمائرهم .. بشـــرط ألا يكونوا من علماء السلطة كشيخ الأزهر والمفتى .

س : وما هى مطالبك؟

ج – مطلبنا الرئيسى تحكيم شرع الله والحكم بكتابة والافراج عن المعتقلين ورفع الظلم عن الذين يقولون الحق وينطقون بالصدق .

س : ومن اذن يمكن أن يتكلم معكم؟

ج – هناك الشيخ سيد سابق والشيخ عبداللطيف مشتهرى .. والشيخ محمد متولى الشعراوى .

س : لكن الشيخ الشعراوى متهم من جماعتكم ويعتبرونه ضدكم؟

ج – قد يحدث خلاف فى الرأى .. ولكن لا أرى تناقضاً .

س : إذا حدث واضطررت للخروج من الولايات المتحدة .. فالى أين ستذهب .. الى السودان أو الى ايران كما يتوقع الكثيرون ؟

ج –أنا مستعد للذهاب الى مصر .

س : وماهى علاقتك بالجماعة الإسلامية فى مصر؟

ج – علاقتى بها هى علاقة المدافع عن الحق .

س : وماذا تقول للجماعة الإسلامية فى مصر؟

ج – لا أقول شيئاً .. فهذا ليس عملى .. انما أوجه كلامى للحكومة .. لأن هدفى هو أن تحكم الحكومة المصرية بما أنزل الله .

س : وكيف ترى تطبق الشريعة فى مصر ؟

ج – لابد من ازالة نظام الحكم(!!) .. ومجىء علماء ينفذون شرع الله .

س : وماهو شكل الدول الاسلامية التى تنظمون لها ؟

ج – هذا موضوع يطول شرحه .. فالحكم الإسلامى يدعو للتقدم العلمى فى كافة المجالات ويدفع الناس دفعاً للازدياد من هذه العلوم .. والنظام الاسلامى لن يتدخل فى العلم .. فكل إنسان فى تخصصه فى إطار الفكر الإسلامى بالصدق والامانة والاخلاص فى العمل .. وفى الإسلام توجد الشورى وتوجد المعارضة .

س : وإذا كان من يخالفكم فى الرأى له اتجاهاته المخالفة لكم، وإذا كان من يخالفكم الرأى قد حكم عليه بالردة والكفر وانتم لستم فى الحكم، وإذا كان من يخالفكم فى الرأى علمانى ، وأنتم ضد كل هذا،كيف إذن تكون المعارضة التى ذكرتها ؟ .

ج – المهم ألا تكون المعارضة لتشيع الكفر،وفى ظل الحكومة الإسلامية يتبين له الحق .. ولن يحكم عليه بالكفر إلا إذا قال أو فعل كفراً .. لكن إذا عرض أمراً وقال أنا أعرض هذا ، ثم نصحح له رأيه ، لاشىء فى هذا .

س : قصدت من سؤالى الطويل أنكم أفتيتم بقتل السادات ، ثم فرج فودة ، ثم قائمة بأسماء كتاب ومفكرين وعلى رأسهم نجيب محفوظ ، وفرج فودة ، أين هى اذن حرية المعارضة فى الإسلام كما تقولون ٠٠ وكلنا نعرف أن الإسلام لم يفرض بالحديد والنار؟ .

ج – لم يفرض ، لكن الإسلام بين صراحة أن من كفر بعد إيمانه مرتد ، وان المرتد يقتل .

س : ومن الذى يحكم بكفر هذا أو ذاك ؟ .

ج – الرسول قال : " من بدل دينه فاقتلوه " .

س : من يحكم بالردة ؟

ج – العلماء .

س : ومن هم العلماء الذين تقصدهم تحديداً ؟

ج – العلماء هم من وصلوا فى العلم الدينى الى مرحلة ، وشهادة .

س : لكن فى حالة فرج فودة لم يحكم علماء الازهر بإرتداده ؟

ج – لم تحكم على فرج فودة القلة ، ولكن علماء الازهر يشهدون أنه مرتد ولو اعطيت لهم الحريات لكتبوا ذلك وأكدوا ارتداده .

س : وما هو شعوركم بالديمقراطية فى ظل حكومة إسلامية ؟

ج – الإسلام يدعو الى ماهو أفضل من الديمقراطية والشورى .. الديمقراطية إذا كانت فى أجزائها الواضحة أنها شورى فالإسلام يوافق على ذلك .. والديمقراطية

إذا كانت حرية التنقل والاجتماع ووجود جماعات تعبر عما تريد هذه الأمور كما يراها الإسلام من أحزاب وإنتخابات فنحن بالطبع لدينا تحفظات وبالمناسبة فإن الديمقراطية لم تطبق فى مصر حتى الآن .

س : قلت من قبل ان الإسلام يرفض الديمقراطية على اساس أنها حكم الشعب للشعب .. وفى الإسلام الحكم لله وحده .. كيف يمكن أن نتخيل نظام الشورى فى عصر لغة الكمبيوتر .. وكيف نطبق هذا النظام فى بلد يبلغ تعداد سكانه ٥٦ مليون نسمة ؟

ج - إذا كانت الديمقراطية على أساس حرية الرأى والرأى الآخر فهذا مانقبله .. لكن الحكم فى النظام الإسلامى لله وحده وفق الشريعة والكتاب والسنة فلا يصح للشعب أو لغيره أن يقول محكماً غير ما جاء من عند الله .

س : بالنسبة للمرأة ماهو موقعها فى النظام الإسلامى الذى تتحدث عنه ؟

ج - هذا كلام شرحه يطول ، المرأة مقرها البيت والمرأة عندنا يقوم بشأنها الرجل فهى أم أو أخت أو بنت أو زوجة ، ووجب لها النفقة والكسوة فلا تعيش كما تعيش المرأة فى الغرب فى ذلة ومهانة وعمل بالليل والنهار .

س : المرأة فى التاريخ الإسلامى كانت تشارك فى العمل والحرب ، وقال عمر: أخطأ عمر واصابت إمرأة اذن فالمرأة تشارك بالمشورة !

ج - كانت حالات نادرة ، والمرأة تبدى رأيها فى أمورها فقط ، فى نظام تربية الأولاد والأسرة .

س : لكن لدينا عالمات تلقين العلم ، فهل تنادى بإغلاق الأبواب على كل تلك الخبرات ؟

ج - ما شأنى أنا بهذه الخبرة .. لاشىء .. دعينا من هذه الموضوعات لقد جئت هنا لأمور أخرى أهم (!!) .

س : يقال إن داخل بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة عناصر تحركها قوى خارجية معادية لمصر فما تعقيبك ؟

ج – هم يظنون أن لدينا تنظيماً ، لكن الجماعات الإسلامية هى عبارة عن شباب .. ليس هناك تنظيم عنقودى أو غيره .. إنهم شباب ومن ورائهم من يقتنـــع بدعــوة الإسلام من الشيوخ .

س : ولكن المحللين يرون أن الحالـــة الاقتصاديـــة لهــذا الشــباب ومشــاكلهم الاجتماعية وعودة العمالة من الدول العربية كانت سبب تطرف هؤلاء الشباب؟

ج – الحقيقة أن أعضاء الجماعة الإسلامية يضمون أغنيــاء وفقــراء ومتوسطين، لكن دائماً من يتبع حركة الثورة والدعوة هم الشباب .. والرسول عندما دعا الــــى الله حالفه الشباب وخـــالفه الشيوخ ، وليست الأسباب إقتصادية أو إحتماعية إنمـــا هو الفهم فى الدين والتعمق فيه .

س : ما رأيك فى مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية ؟

ج – هى الخيانة بعينها ، وهى الغدر وهى الاستسلام وهى المذلة والمهانة وفيهـــا باع الحكام المسلمون ضمائرهم وذممهم .. متى كانت إسرائيل تحافظ على وعـــود وهى لعبة دولية ، فالصهيونية بعد أن كانت عنصرية حولها الرئيس بوش إلى نظام ليس عنصرياً .

س : معنى كلامك هذا أنكم تشجبون معاهدة كامب ديفيد ؟

ج – هل إتفاقية كامب ديفيد أقيمت على نظام إسلامى حتى تسألوا عنها .

س : لكنها أعادت الأرض المسلوبة إلى مصر؟

ج – أعادت الارض المسلوبة الى مصر لكنها منعت مصر من أن تكون صاحبة الحق فى التصرف فيها (!!!).

س : مارأيكم فى سباق التسلح النووى ؟

ج – كل مايضر العالم ولاينفعه لايوافق عليه الإسلام ، ولو وجد نظام عالمى يمنع أى شىء يضر بالبشـــرية فيكون الإسلام أول من يوافـــق عليــه .. وأنــا أؤيــد المعاهدات الدولية التى تجنب البشرية الضرر.

حوار مع أيمن الظواهرى قائد تنظيم الجهاد

أيمن الظواهرى أحد مؤسسى حركة العنف فى مصر ..وشارك فى تكوين النواة الأولى لجماعة الجهاد سنة ١٩٦٦ ، واتهم فى قضية إغتيال السادات وبعد الإفراج عنه سنة ١٩٨٤ سافر إلى أفغانستان للعمل مع جماعات "المجاهدين" ضد النظام الشيوعى السابق ، وقد إرتبط اسم "الظواهرى" مؤخراً بتكوين تنظيم "طلائع الفتح" الذى انتهت المحاكم العسكرية من نظر قضاياه .. وأصدرت أحكاماً بإعدام أكبر عدد من المتهمين .

ويطلق الظواهرى على نفسه لقب "أمير جماعة الجهاد فى المهجر" وهو يتنقل بين عواصم مختلفة ، ويقيم حالياً فى "جينف" العاصمة السويسرية، ومن هناك جاءتنا إجاباته بـ"الفاكس" فى حوار أجرته "العربى" بحثاً عن سبيل لوقف تدفق تيار العنف المدمر .

بدأنا بسؤال الظواهرى : أثناء محاكمة المتهمين فى قضية طلائع الفتح لوحظ أنهم يهتفون بإسمك .. ماهو تعليقك ؟

ج - هذا شرف لا أستحقه .

س : لماذا حملت جماعة "طلائع الفتح" اسماً محدداً بالرغم من تأكيد اعضائها بأنهم جزء من جماعة الجهاد؟

ج - لأنهم طليعة الفتح .. وهذه بمثابة فصائل وألوية تصب فى قناة واحدة وهى جماعة الجهاد وهناك أسماء لاصلة لنا بها .

س : هذه الأسماء الكثيرة والجماعات المختلفة للتيار الدينى .. كيف تفسر تعددها رغم زعمكم بوحدة الأهداف والطريق؟

ج - تعددت الجماعات لأسباب يطول شرحها وترجع الى إختلاف ظروف النشأة فى المكان والزمان ولاختلاف فهم الواقع أو عدم إقتناع الشباب المسلم بصدق بعض "الجماعات القديمة" فى مواجهة الحكومات " العلمانية " منذ الاربعينات وحتى

® أجرته صحيفة العربى بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٩٣.

الأن .. وقد دعونا لتكوين جبهة واحدة تقوم بالعمل على تغيير النظام والدعوة لذلك كل بما يستطيع وتقديم الولاء والنصرة للمسلمين على الولاء للنظام وعدم التشنيع على "المجاهدين" والتقرب للنظام وأعتقد أن الأخوان المسلمين لن يوافقوا على هذه الدعوة وعلى الرغم من كل مواقفهم السابقة فإننا نمد لهم أيدينا ولاندرى فى حالة رفضهم أى مبرر سيقدمونه الى شبابهم ليبرروا عدم موالاتهم "للمجاهدين" والاستمرار فى التشنيع عليهم .

س : ما هى طبيعة الخلافات الفكرية والعقائدية بين جماعتكم والجماعات الأخرى؟

ج – ليس هناك بين الجماعات الدينية الرئيسية خلافات عقائدية أو جوهرية بل هى إما خلافات فرعية لاتمنع وحدتنا أو خلافات عملية ترجع الى الاجتهاد فى فهم الواقع .

س : إذا كانت الخلافات لاتمنع وحدتكم بماذا تفسر الانشقاقات المتعددة التى تصيب جماعتكم ؟

ج – ليس هناك حديث عن الانشقاقات بين القادة ولكن على العكس هناك حديث عن التوحد بين الجماعات ذات الثقل وكيف يمكن أن يصلوا لوحدة العمل فى ظل الظروف الصعبة التى نمر بها.

س : نحن لانفهم ماذا تريدون بالضبط هل يمكن أن توضح لنا مطالبكم بالتحديد وهل تختلف مطالب "الجهاد" عن مطالب "الجماعة الإسلامية" ؟

ج – مطالبنا لخصناها فى بيان أصدرناه فى شهر سبتمبر الماضى وقلنا أن هدفنا الأول هو العمل على إقامة دولة إسلامية .. دولة الخلافة التى تعمل على نشر عقيدة التوحيد وتحرير أراضى المسلمين وأولها "القدس" وإحياء فريضة الجهاد لتحرير أراضى المسلمين وتحرير الأمة الإسلامية من التبعية الاقتصادية ونشر الفضيلة والأخلاق الإسلامية والتقسيم العادل للثروة وإرساء العدالة الإجتماعية وتحقيق التكافل الاجتماعى ورفع الظلم عن الطبقات الفقيرة المحرومة وتشجيع العلم ورفع مكانة العلماء واحترام القضاء الشرعى الذى يحفظ الحقوق ويساوى بين الخصوم وصيانة الحريات الاساسية للناس وفق أحكام الشريعة ومنع العدوان على تلك الحريات وهذه مطالب "التيار الإسلامى" كله .

س : أعضاء "الجماعة الإسلامية" يقولون أن عبود الزمر ترك "الجهـاد" وإنضـم الى مجلس الشورى بجماعتهم فماحقيقة ذلك ؟

ج - الأخ عبود أخ فاضل يعتز الجميع بأخوته بغض النظر عن إنتمائه التنظيمـي وهو من أنشط الداعين الى وحدة الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد ولذلك أتوقـع أن تنتهى مسألة تفسير موقفه بنجاح مسعاه لتوحيد الجماعتين .

س : كيف كان التخطيط لعملية إغتيال اللواء حسن الالفى ؟ وهل أصدرت بـالفعل تكليفاً لنزيه نصحى راشد بتنفيذ العملية ؟

ج - كان التخطيط على أساس القيام بعملية "استشهادية" وبالفعل كلفنـا الأخ نزيـه بالعملية .

س : لكن عملية الالفى تمت بالاسلوب الذى يتبعه أعضاء الجماعة الإسلامية ؟

ج - إذا كان البعض اعتقد ذلك فإنه مما يشرفنى أن نتبع أساليبهم ونتعلـم منهـم ونتكامل معهم .

س : وهل ترى أن أغتيال وزير أو شخص مسئول هو الذى يقيم "دولة إسلامية"؟

ج - هذه بداية تمهدية لعملية التغيير .

س : هل دخلت العمليات المسلحة ضد المسئولين مرحلة العمليات الانتحارية ؟

ج - نحن نسميها "إستشهادية" والمسألة ليست جديدة فالأخوان الذين نفـذوا عمليـة السادات كانوا على يقين أنهم سيقتلون .

س : من يصدر لكم فتاوى القتل وعلى أى أساس؟

ج - نحن لدينا لجنة من علماء المسلمين العاملين معنا ، ولعل النـاس أن يطلعـوا على مفاجآت إذا قدر لهذا التاريخ أن يكتب .

س : ألا ترى أن الجماعات الدينية فقدت كثيراً من شعبيتها بسبب تزايد موجـات العنف ؟

ج - فى رد غريب يقول الظواهرى:الشعب يتعاطف معنا ويفرح لانتصارنا ونحن جمعياً نتألم للإصابات التى تلحق بأفراد الشعب أثناء العمليات علـى الرغـم مـن تحذيراتنا المتكررة لإخواننا من أفراد الشعب أن يبتعدوا عن مناطق العمل!!

س : أحمد فاروق عضو جماعة الجهاد أثناء التحقيق معه أعلن أنه اعترف قبل موته أن جماعة الجهاد هى التى نفذت حوادث التفجيرات التى وقعت فى أماكن عدة بالقاهرة ؟

ج – استنكرنا فى بيان صدر عن جماعتنا حادثة إنفجار شبرا وسقوط ضحايا أبرياء فى الميادين العامة وقلنا أن حربنا ليست ضد الشعب .. أما أحمد فاروق فمات تحت وطأة التعذيب .

س : قيل أنكم أعددتم خطة لإغتيال الدكتور بطرس غالى ؟

ج – المسلمون فى البوسنة وأفغانستان والعراق والصومال وفلسطين ومصر يترقبون الخلاص من غالى .

س : تأكد للجميع أن الذين سافروا الى أفغناستان عادوا ليرتكبوا أعمال عنف فى مصر وتم القبض على عدد منهم واتهموا فى قضايا محددة٠٠ما رأيكم ؟

ج – من قام بحادث الفنية العسكرية .. وإغتيال السادات ومن حاول اغتيال حسن أبوباشا والنبوى اسماعيل ؟ وهل هم الذين تدربوا فى أفغانستان ؟

الذين ذهبوا الى هناك ، ذهبوا ليجاهدوا ثم يعودوا ليغيروا الفساد والأنظمة داخل بلادهم .

س : واضح أنكم على خلاف مع "الاخوان المسلمين"٠٠هل هناك سعى للبحث عن نقطة التقاء؟

ج – نحن لانرضى عن نشاط الأخوان لأسباب فصلناها فى كتابنا الصادر تحت عنوان "الحصاد المر" .. وعلى الرغم من ذلك ندعوهم للانضمام الينا على الشروط التى ذكرناها من قبل .

س : هناك كلام كثير حول تمويلكم ٠٠ ومن تأتون بهذه الأموال ؟٠٠وماهى الدول التى تقف وراءكم ؟

ج – التمويل يأتى من داخل مصر وليس من خارجها.

س : ما رأيك فى حوادث السطو على محلات الذهب واستغلال المسروقات فى تمويل النشاط ؟

ج – نحن لم نقم بهذه العمليات .

س : ماهى طبيعة علاقتكم بإيران ؟

ج – ليس بيننا وبينهم أية علاقات .

س : بعد أن نجحت الحكومة فى مصر فى تصفية جناح طلائع الفتح كيف سيكون نشاطكم فى الفترة المقبلة ؟

ج – قام الأخ نزيه نصحى راشد بعملية حسن الالفى واسمه مدرج فى قضية طلائع الفتح وسيرى الجميع أعضاء طلائع الفتح فى "الميدان" مرة أخرى كما رأينا نزيه نصحى راشد .

س : لوحظ أن البيان الأول "لجماعتكم" حول عملية الألفى ذكر أن اثنين من أعضاء الجماعة قتلا فى العملية وهما نزيه راشد وطارق الفحل ..ثم ثبت أن من قتل مع راشد هو ضياء الدين حافظ ماهذا التضارب ؟ وهل تعتمدون على ماتذيعه الإذاعات وتنقله وكالات الانباء ؟ أم لديكم معلومات مسبقة عن القائمين بالعملية ؟

ج –كانت هذه محاولة لتغطية وجود الأخ طارق الفحل الذى ذكر إسمه كهارب فى القضية الثانية لطلائع الفتح ولذا حاولنا أن نغطى وجوده .. ونحن لاتنقصنا المعلومات .

س : هل أدى الحوار بين المعتقلين داخل السجون وعلماء الدين الذى جرى قبل عدة سنوات الى نتائج ملموسة؟وهل يمكن معاودته مرة أخرى ؟

ج – لم يؤد الى نتائج ايجابية ولن يؤدى !! لأن الحوار أصبح مرفوضاً وكان مجرد تمثيلية حيث حاورت السلطة نفسها .

س : ألاترى أن اعتمادكم على من سافروا الى أفغانستان يؤكد أن أعضاء الداخل ليس لهم القدرة على إحداث تأثير ؟

ج – يؤسفنى أنكم تصدقون ذلك .. فمعظم الشباب الذين شاركوا فـــى العمليـــات الأخيرة لم يذهبوا الى أفغانستان .

س : بالنسبة لك ‥ متى وكيف غادرت مصر؟

ج – غادرت مصر بمعاونة كثير من أنصار "الحركة الإسلامية" وكـــان خروجـــى صدمة للحكومة حيث بدأ الأمر قانونياً تماماً ويوماً ما قد نستطيع أن نـــروى هـــذه الوقائع ،وقد رحلت فى عام ١٩٨٥ ومررت بعدة بلدان حتى وصلت الى باكســتان حيث عملت جراحاً لمعالجة الجرحى والمهاجرين الأفغان وحالياً أقوم فى الخـــارج بخدمة إخوانى فى الداخل والخارج ومساعدتهم فى معركتهم .

س : هل تنوى الاستقرار فى سويسرا ؟

ج – ليس لى موقع ثابت بل أنا أتنقل بين مواقع مختلفة .

حـوار مع طلـعت فـؤاد قاسـم

قال الناطق بإسم "الجماعة الإسلامية" المصرية طلعت فؤاد قاسم المكنى باسم "أبو طلال القاسمى" فى حوار هاتفى مع "الحياة" من كوبنهاجن أن الجماعة لم تعـد لوائح (قـوائم) إغتيالات وأن "لجنة شرعية" فيها تتولى "إصـدار فتـاوى القتـل لحالات معينة " .

وأكد مسئولية الجماعة عن إغتيال الرئيس السابق لمجلس الشعب (البرلمـان) المصرى الدكتور رفعت المحجوب ، مشدداً على رفض المصالحة مـع الحكومـة المصرية ، وأوضح أن إصدار المحكمة العسكرية حكماً بإعدامه سهل حصوله على حق اللجوء السياسى فى الدانمارك بإعتبار أنه "مضطهد سياسـى" ، ونفـى تلقـى الجماعة دعماً من جهات أجنبية مؤكداً أنها تختلف مع إيران .

وقال أن واشنطن تعلم أن الشيخ عمر عبد الرحمن برئ من التهم التى وجهتها إليه ، مؤكدا أن تسليمه إلى مصر "سيكون خطأ كبيرا" ترتكبه السلطات الأمريكية .

وهذا هو نص الحديث :

س : كيف غادرت مصر ؟ وكيف حصلت على اللجوء السياسى فى الدانمارك ؟

ج – كنت عضواً فى الجماعة الإسلامية واعتقلت فى أيلول (سبتمبر) ١٩٨١ ضمن قرارات التحفظ التى أصدرها السادات ، ووقع حادث اغتياله ثم أحداث أسيوط فـى أثناء وجـودى داخل السجن ، ومع ذلك فوجئت بوجـود اسـمى ضمـن قائمـة المتهمين ، وصدر ضدى حكم بالسجن لمدة ست سنوات قضيتها ، وبعد ثلاثة أيـام فقط على خروجى من السجن اعتقلت مجددا وقضيت بضعة أشهر ثم يسر لى الله الهرب من السجن ومن البلاد أيضا وذهبت إلى باكستان ، هناك أصـدرت مجلـة "المرابطون" فى بيشـاور وواصلت إدارة المجلة الدعوة إلى الدين ، ثم علمـت أن هناك ضغوطاً يمارسها سفير إحدى دول الخليج على الحكومة الباكستانية لتسـليمى إلى مصر بسـبب نشـر المجـلة موضوعا تعرض لبلده فى هذا الوقت كانت لدى

® أجرته صحيفة الحياه اللندنية فى٣٠ أغسطس ١٩٩٣ .

دعوة لزيارة الدانمارك وبالتعاون مع إخوة آخرين غادرت باكستان وتوجهت إلى كوبنهاجن ، وبعد وصولي إليها علمت أن اسمي ورد ضمن المتهمين فى القضية رقم ٣٩٢ (أمن دولة عليا) التى عرفت باسم "العائدون من أفغانستان" ، وصدر ضدى مع سبعة آخرين حكم بالإعدام ، وأصدرت منظمة العفو الدولية تقريراً أكد أننى مضطهد سياسى وأن حكماً بالإعدام صدر فى حقى على رغم وجودى خارج مصر لسنوات عدة ، وكنت قدمت طلباً للحصول على اللجوء السياسى فى الدانمارك ، وجاء حكم الإعدام وتقرير منظمة العفو ليعجلا الموافقة على طلبى .

س : كيف تمارس العمل السياسى على رغم أن أحكام اللجوء السياسى تمنع ذلك ؟

ج - لايوجد هنا فى الدانمارك مثل هذه القوانين ومسموح لى بممارسة أى عمل سياسى وبالتحرك وإرسال وتلقى الرسائل ، المهم أننى لا أسبب ضررا للبلاد التى أعيش فيها ولا أخرق قوانينها .

س : متى أصبحت الناطق باسم الجماعة الإسلامية ؟ ...وهل هى المهمة نفسها التى كان يتولاها الدكتور علاء محيى الدين الذى قتل فى أيلول (سبتمبر) ١٩٩٠ ؟

ج - الأمور التنظيمية والحركية ليست مجالا للحديث ، وأنا أعلم أن أجهزة الأمن المصرية لاتعلم الكثير عن حركة الجماعة وأعضائها وتتخبط فى تعاملها معنا ، وهذا يسعدنا ويسهل مهمتنا ، ونريد دائما أن نتركهم على تخبطهم .

س : كيف تمارس مهمتك ، هل تكتفى بالإطلاع على ما تنشره الصحف وتنقله وكالات الأنباء ، أم أن هناك اتصالات بينك وبين قادة الجماعة خارج مصر وداخلها ؟

ج - هذه أيضاً من الأمور التنظيمية الخاصة بنشاط الجماعة الإسلامية ولست فى حل للإفصاح عنها .

س : وجهت السلطات الأمريكية الإتهام إلى عمر عبد الرحمن فى قضية التفجيرات ، ومع ذلك لم تعلن الجماعة موقفا معينا من هذه الخطوة ، فلماذا ؟

ج – لاتعليق ، ونحن فى الجماعة الإسلامية كنا أصدرنا بيانا حذرنا فيه من تسليم الدكتور عبد الرحمن إلى مصر بإعتبار أن الرجل كان معتقلا دون تهمة محـــددة ، والآن اختلف الموقف وهم لم يسلموه وتوجد ضده تهمة وبالتالى لن نعلق .

س : لكن الجماعة إعتادت التعليق على أحـــداث وقضايا أقـــل أهميـــة ، فكيـــف لايكون لها موقف محدد بعد إعتقال زعيمها ؟

ج – لنا معطياتنا ونترك الجهات الأخرى تضرب أخماسا فى أســـداس ، ونتوقـــع المغزى من عدم التعليق ، لكن ما أورد أن أقوله هو أننا مازلنا على موقفنـــا فـــى شأن قضية التسليم إلى مصر ، ونقول إذا سلمت السلطات الأمريكية الدكتور عمـــر عبد الرحمن إلى مصر فـــإنها تكون أخطأت خطأ كبيرا هى فى غنى عنه . أمـــا وقد وصل مكرهم إلى هـــذا المستوى ولفقـــوا له تهمة هم أول من يعلم أنه منهـــا برئ .. ففى هذه الحالة لن نعلق بالكلام .

س : وما تعليقك على ما تردد عـــن أن عمـــر عبـــد الرحمـــن كـــان عميـــلا للإستخبارات الأمريكية ، وأنه متورط بالفعـــل فى حادث تفجير مركـــز التجـــارة العالمى فى نيويورك ؟

ج – هذا إفك وبهتان لايحتاج إلى رد شكلا وموضوعا ، ونحن أعلنا أن الجماعـــة الإسلامية وزعيمها ليس لديهما أى دور فى قضية التفجـــير فى أمريكـــا ، ونحـــن على يقين أن أول من يعـــلم ببراءة الدكتور عمر عبد الرحمـــن هـــى الســـلطات الأمريكية نفسها .

س : هناك إتهام يوجه إلى عمر عبد الرحمن مفاداه أنه إستولى على قـــدر مـــن الأموال التى كانت تجمع من المسلمين فى الولايات المتحدة لمصلحة المجـــاهدين الأفغان ، وأن ذلك هو السبب فى وقوع خلاف بينه وبين مصطفى شـــلبى ، وأن عبد الرحمن كان وراء قتل شلبى ؟

ج – هذا كلام مضحك لايقوم على ساق سليمة أو عرجاء ، أولا : الدكتور عمـــر عبد الرحمن ذهب أخـــيرا إلى أمريكا بعدما أوشكت القضية الأفغانية على الإنتهاء، وقبلها ظل محصورا داخل منزله لمدة سنتين ، ثانيا : شلبى كـــان مديـــر مكتـــب الجماعة الإسلامية فى الولايات المتحدة وإتهام زعيم الجماعـــة بأنـــه كـــان وراء

تصفيته اتهام باطل ، لأن الأصل أن المسلم لايجرؤ على قتل أو إستحلال دم مسلم آخر ، ثالثا : نحن نظن أن الغرض من ترديد مثل هذه الإشاعات هو إبعاد الأنظار عن الجهه التى إغتالت مصطفى شلبى وبهذه الصورة البشعة.

س : ومن هى هذه الجهه ؟

ج – نرجح أنها "الموساد" (الاستخبارات الإسرائيلية) ، إذ كانت العلاقة بين السيد نصير الذى اتهم بقتل كاهانا وبين مصطفى شلبى وطيدة ، ونعلم أن جهاز "الموساد" كانت لديه معلومات تؤكد أن شلبى كان المخطط الأساسى لعملية إغتيال الحاخام كاهانا.

س : هل يعنى ذلك أنه لم تنشأ خلافات بين عبد الرحمن وشلبى ؟

ج – لم تكن هناك خلافات جوهرية تؤدى إلى مثل هذه الأعمال ، كان الخلاف فى وجهات النظر وفى شأن إدارة العمل .

س : من هى "الجماعة الإسلامية" ومن أعضاؤها وما الفرق بينهم وبين أعضاء "الجهاد الإسلامى" و "الشوقيون" و "الناجون من النار" وغيرهم ؟

ج – هناك خلط وروايات غير صحيحة عن نشأة الجماعة الإسلامية وتطورها ، وأنا أتحدث عن الجماعة وامور خاصة بها رأيتها وعاصرتها بنفسى وليس نقلا عن أشخاص . بدأ نشاط الجماعة الإسلامية فى الجماعات المصرية أواسط السبعينات ، وفى عام ١٩٧٨ جاءت فكرة تكوين التنظيم العسكرى للجماعة وكان هناك مجلس شورى للجماعة تم إقراره فى ذلك الوقت وكان يرأسه كرم زهدى ، ومن بين أعضائه طلعت فؤاد قاسم ، ومحمد عبد السلام فرج وعصام دربالة وغيرهم ، ثم انضم عبود الزمر ووقعت أحداث ١٩٨١ ، واختار جهاز مباحث أمن الدولة اسم "الجهاد" ليطلقه على التنظيم العسكرى للجماعة الإسلامية ، أرادت المباحث أن تضم إلينا فى القضية بعض المجموعات الأخرى التى لم يكن لها أى دور سواء فى الدعوة أو العمل العسكرى ، وضمت إلينا مجموعات صغيرة مثل مجموعة أيمن الظواهرى ، وتعرفنا إلى هؤلاء الأشخاص داخل السجن ، وهم أساسا لم يكونوا أعضاء فى الجماعة الإسلامية وعندما خرجوا كونوا لأنفسهم تنظيما لاعلاقة لنا به وهو غير منشق عنا .

س : لكن عبود الزمر إنشق عن الجماعة الإسلامية أواسط الثمانينات ومعه مجموعة من الأعضاء الذين رفضوا ولاية عبد الرحمن على التنظيم ، وأطلق الزمر مقولة أن "لاولاية لضرير" ؟

ج – كما قلت ، لسنوات طويلة لم يحدث أى انشقاق عن الجماعة .. أما حالة أخينا عبود فكانت لبعض الظروف ، وهو عاد إلى الجماعة منذ تسعة أشهر وهو الآن عضو فى مجلس الشورى .

س : كيف قبلتم بعودته إلى مجلس شورى الجماعة على رغم معرفتكم بأنه المنافس الأول لعمر عبد الرحمن ؟

ج – القضية ليست قضية تنافس .. الزمر كان يحتل منصبا رفيعا قبل أن يدخل السجن ، وحقيقة ما حدث نقاشا دار حول قضية ولاية الضرير واستمر لفترة هوأن عبود الزمر قال أنه يريد فتوى تحسم هذا الأمر ، ثم التزم قرار مجلس الشورى وعاد إلى الجماعة .

والدكتور عمرعبد الرحمن قبل بأن يكون أميرا للجماعة مضطرا وبعد ضغوط شديدة ، وهو لم يكن يريد هذا الأمر ، إننى أؤكد أن عبود الزمر عاد إلى الجماعة الإسلامية وكأن شيئا لم يكن .

س : ولماذا إنشق شوقى الشيخ وجماعته عن الجماعة ، وكونوا تنظيماً باسم "الشوقيين" إستمر فى العمل حتى بعد مقتل الشيخ ؟

ج – شوقى الشيخ هذا لم يكن يوما من أعضاء الجماعة الإسلامية ، هو ومجموعته اعتقلوا ضمن الحملات التى كانت الشرطة تقوم بها فى الفيوم ضد أعضاء الجماعة الإسلامية ، ولم يكن هو أو من معه من بين الأعضاء لكنهم عذبوا داخل السجن ، وبالتالى نبتت لديهم نزعة التكفير ، نحن فى الجماعة الإسلامية لنا موقف من موضوع التكفير ، وقمنا بإعداد أبحاث دينية فى هذا الأمر ، المهم أن وجود مثل هذه المجموعات الصغيرة التى تظهر فى بعض الأوقات هو نتيجة لممارسات الدولة وتقصير علماء الدين الذين صارت مهمتهم تقتصر على إصدار الفتاوى التى تعمل على تثبيت الوضع القائم . وحتى الشيخ الغزالى عندما قال قولة حق فى شهادته فى قضية فرج فودة حدثت هجمة علمانية شرسة ضده .

س : وما رأيك فى عمليات السطو المسلح على محلات الذهب واستحلال أموال غير المسلمين ، التى نفذها "الشوقيون" ؟

ج – نحن لانقر هذا الأمر ، والقضية من وجهة النظر الشرعية قضية بالغة التعقيد لها ضوابط مفصلة لأن الإسلام ضد السرقة والقتل والغدر إلا فى حالات الحرب فقط ، وبالتالى لانقر إستحلال أموال أى إنسان هكذا من دون الضوابط التى وضعها العلماء .

س : لكن ما ترتكبونه من أعمال يذهب ضحية له مواطنون أبرياء ؟

ج – حين ننفذ عملياتنا نحرص على ألا يصاب أحد من عامة الناس ، وتكون العملية موجهه ضد الشخص المستهدف ، والدليل أن محاولة اغتيال وزير الداخلية السابق زكى بدر نفذناها فى منطقة صحراوية بعيدة عن تجمعات المواطنين كى لايصاب أحد من الأبرياء، على أى حال ، من يصادف وجوده فى مكان تنفذ فيه عملية لنا ويصاب ، نأسف له ، وأؤكد أنه لم يحدث فى أى عملية لنا أن أضير أحد ، عمليات التفجير مثلا نسبت إلى الجماعة الإسلامية والحقيقة أننا لم نقم بها ، وحينما ينفذ أعضاء فى الجماعة عملية نعلم عنها كل شئ بالتفصيل ، ولا نقول هذا خوفا أو خشية مذمة الناس أو جذباً لمحمدة .

س : لكنكم قتلتم سائحة بريطانية وأصبتم آخرين فى عملياتكم التى إستهدفت ضرب السياحة فى مصر ؟

ج – مسألة السياحة لنا فيها رأى خاص ، فاقتصاد الدولة يعتمد بشكل كبير على قطاع السياحة ، وبالتالى ضرب السياحة يعنى ضرب الإقتصاد وبالتالى ضرب النظام نفسه وليس المقصود من هذه العمليات قتل السياح أنفسهم ، نحن ضد السياح لأن ما يضخونه فى خزينة الدولة سنوياً يشكل إستمراراً لهذا النظام الذى فى عقيدتنا يجب أن يزول ، وإنتعاش أنشطة السياحة فى مصر يمثل لنا مصاعب فى طريق انشاء الدولة الإسلامية .

س : ومن يصدر الفتوى بالقتل ؟

ج – هذه مهمة النخبة الشرعية فى الجماعة الإسلامية وهم مؤهلين شرعاً للتصدى للفتوى .

س : ومن هم أعضاؤها ؟

ج – لست فى حل أن أذكر أسماء ، لكننى أقول أنهم حققوا درجة الإجتهـاد التـى حددها علماء الأصول ، ولدينا فى الجماعة الإسلامية عدد لابأس به ممـن حققـوا درجة الإجتهاد يتجاوز العشرات .

س : وهل صدرت فتوى بقتل اللواء غبارة ؟ أم أن هناك فتوى بقتل جميع رجال الشرطة؟

ج – نحن نفرق بين القتل والقتال ، فى حالة القتل يجب أن تكون هناك فتوى عينية ضد من يقتل أو يشارك فى قتل أحد من الأخوة أو يمثل جزءا من النظام ، أما حالة القتال فتحدث عادة فى أثناء المواجهه الشاملة كما حدث فى ديروط فالشباب هنـاك اعتبر أنه فى حالة قتال مع أجهزة الشرطة أو مع كل من يمثلها لأنها اعتدت عليه وعلى عائلته ، وهم يعتبرون كل هؤلاء أعداء ، وإذا جئـت بحمامـة وأردت أن تذبحها فتراها تضرب بجناحيها ولاتلوم الحمام لأنها تقوم بذلك فكيف بشباب مسلم يجد هذه الممارسات وهو يعتبر أن أى عنصر من عناصر الأمن التى تشارك فـى هذه الممارسات مستهدف فى القتال .

س : ومن الذين تشملهم قوائم الإغتيالات التى أعددتموها ؟

ج – مسألة القوائم هذه من وسائل الإثارة التى تستخدم ضد الجماعـة الإسـلامية وتطلقها أقـلام العلمانيين أو بعض صحف الدولة ، هنـاك مـا يثـار فـى هـذا الموضوع واعتبره من الأمور المضحكة ، فقد قيل أننا وضعنا أسماء فـى قوائـم الإغتيالات لأن أصحابها يستمعون إلى القرآن بصوت الشيخ عبـد الباسـط عبـد الصمد ، هل يمكن أن يصدق إنسـان ذلك ؟ وهناك من يقول أننا نريـد أن نقتـل فلانا من الفنانين والحقيقة أن قضيتنا وعداءنا الرئيسـى ينصبـان علـى السـلطة الحاكمة والطائفة التى تعاونها كرجال الشرطة وكتاب السلطة مثلاً .

س : ومن هى هذه الطائفة ؟

ج –كما قلت هم كل من يعين ويثبت أركان الحكم ،مثلا من هـو عيـن النظـام ؟ بالطبع جهاز مباحث أمن الدولة ، ومن يده ؟ أنها الشرطة بكل أجهزتها ، وأنا فى

الحقيقة أتعجب من أناس يجعلون من أنفسهم قيمة ويدعون أنهم مستهدفون .. هـذا ليس وقتهم ، مواجهتنا الآن مع النظام .

س : كيف تقوم علاقتكم بالأقباط ؟

ج – لنا فى هذا الأمر بحث نشر فى حلقات عدة فى مجلة "المرابطون" وهؤلاء النصارى لن يجدوا عدلا إلا فى ظل الدولة الإسلامية ، وأنا أرى أن جهاز الأمن فى مصر يحاول إثبات أن أعضاء الجماعة الإسلامية يعتدون على النصارى .. وهناك أيضا بعض الأفراد من النصارى لهم ممارسات خطيرة ويعمدون إلى إثارة المشاكل كى يستفزوا الأمن ليضرب الإسلاميين فى بعض المناطق وتتحقق لهم مآرب معينة ، ومثل هذه الممارسات فى غير مصلحة النصارى ، وأؤكد أن المسلمين لن يحكموا ولن يتعاملوا إلا بالعدل ، فقضية العدل بالنسبة إلينا ، حتى مع الذين ظلمونا ، هى قضية واجبة .

س : لكنكم قتلتم ١٣ مسيحيا فى يوم واحد فى ديروط فى مذبحة صنبو !

ج – ديروط مجتمع خاص يعيش فيه النصارى منذ زمن بعيد جدا ، ولم يحدث فى مصر ان كان أحد "العمد" نصرانياً إلا فى ديروط ومع ذلك لم تقع أى أحداث من قبل ، أما الجديد فهو أن أحد الأسباب التى ذكرتها وقع ، هناك ممارسات دفعت عوام المسلمين إلى أن يدافعوا عن أنفسهم، وبالتالى أنا لا أرد كل الأحداث التى وقعت فى ديروط إلى الجماعة الإسلامية . ومعظم الأحداث التى وقعت ضد النصارى فى ديروط وغيرها هى ردود أفعال طبيعية لممارسات قد تحدث فى أى مكان .

س : أثير من فترة موضوع المصالحة بين الحكومة المصرية وأعضاء الجماعات الدينية لكنه انتهى بعزل اللواء محمد عبد الحليم موسى وزير الداخلية السابق.. ما هو موقفكم الآن من قضية الحوار والمصالحة ؟

ج – المصالحة بين الحكومة والجماعة الإسلامية كانت من وجهة نظرنا عبارة عن شئ معد من قبل بعض ذوى المصالح ، أما نحن فكانت وجهة نظرنا التى أعلناها عبر بيان أصدرناه تؤكد رفضها .

س : لكن أحد الأعضاء البارزين فى الجماعة وهو صفوت عبد الغنى أدلى بتصريحات أثناء احدى جلسات محاكمته أعلن فيها إستعداد الجماعة لوقف العنف بشروط محددة ، فهل كان يعبر عن وجهة نظره الشخصية أم عن رأى الجماعة ؟

ج - وجهة نظر الجماعة هى التى أعلناها فى بياننا، نحن نقول هل أدت سياسة الإعدامات والمحاكمات العسكرية والإعتقالات إلى فرض الأمن ؟ هل أصبح هناك مسئول يأمن على نفسه فى بيته أو عمله أو منتجعه ؟ هناك قرار واحد نطالب به .

المطلب الأساسى هو إقامة الدولة الإسلامية .. أما إذا أطلقوا جميع المعتقلين وأعطوا كل واحد منا منصبا وأموالا كثيرة على أن نترك هذا الطريق ولم يطبقوا واحدا من المليون من الشرع فستستمر المواجهه بالعنف والقتال .

س : تصريحات صفوت عبد الغنى التى أشرت إليها ، هل تعكس خلافا داخل الجماعة على المصالحة ؟

ج - رأى الجماعة واحد ومحدد ، وربما الظروف التى يعيشها بعضهم - ومن بينهم صفوت عبد الغنى - داخل السجن تدفعهم إلى قول يخفف عنهم .

س : أعلن تنظيم "الجهاد" مسئوليته عن محاولة الإغتيال التى تعرض لها وزير الداخلية اللواء حسن الألفى ، ورأى مراقبون أن التنظيم إتبع اسلوباً يشبه اسلوب الجماعة الإسلامية .. فهل عاد "الجهاد" ينافس الجماعة بعد سنوات من الغياب؟

ج - لايوجد ما يسمى بتنظيم "الجهاد" وهذا المسمى أطلقته مباحث أمن الدولة على الجماعة الإسلامية .

س : لكن هناك تنظيما يصدر بيانا ويتبنى عمليات عنف ويحمل اسم "الجهاد" .

ج - ذكرت أن بعض الذين خرجوا من قضية أحداث ١٩٨١ وحصلوا على براءات أو قضوا بالسجن مددا قصيرة ولم يكن لهم فى السابق دور فى الدعوة أو العمل العسكرى عذبوا فى السجون، وبعد خروجهم ذهبوا إلى باكستان وأفغانستان وبعضهم أطلق على نفسه فى البداية اسم مجموعة الجهاد ثم جماعة الجهاد لاحقاً ، ومن بينهم أيمن الظواهرى .

س: كيف تخططون لأعضاء الجماعة الاسلامية الموجودين في باكستان وأفغانستان، خصوصا أن هناك جهود مصرية لتسلمهم؟ جماعة الجهاد اعلنت ان اعضاءها سيتجمعون في عاصمة غربية، فهل ستحذون حذوهم؟

ج – النظام الامني في مصر ضيق على الاخوة في محافظتي الميـنا واسيوط تضيقا شديدا مما دفعهم الى الارتحال الى القاهرة والاسكندرية، وفي وقت من الاوقات كان نشاطنا محصورا فى محافظتى المنيا واسيوط ، ولكنهم ضيقوا على الشباب الذى اتجه لينشر الدعوة فى القاهرة والاسكندرية وانضم إليه كثيرون ، بعد ذلك ضيقوا عليهم فى بقية المحافظات فاضطروا إلى الرحيل إلى خارج البلاد ، فذهبوا إلى أفغانستان ، وهناك وجدوا فتحاً من الله تعالى على كل المستويات ، والأن يضيقون عليهم ، لذلك بدأوا بالرحيل إلى بلاد أخرى. وأؤكد أن الحكومة المصرية ستعانى منهم معاناة شديدة ، وأرى أنها تتمنى عودتهم إلى المنيا وأسيوط وتتمنى لو كانت تركتهم داخل البلاد .

س : هناك تحليلات ترى ان ازدياد اعمال العنف فى الصعيد يعود إلى ظروف اقتصادية واجتماعية ، وأن المناطق العشوائية والفقيرة فى القاهرة وباقى المحافظات المصرية هى التى يأتى منها المتطرفون ؟

ج – هذا تحليل سطحى ومحاولة للهروب من الواقع ومواجهة الحقيقة ٠ إذا كانت القضية تتعلق بمشاكل اجتماعية واقتصادية فإننى أقول أن لنا اخوة فى الجماعة الإسلامية يملكون الملايين ، وإذا كانت القضية تتعلق بعادة الثأر فى الصعيد فإننى أشير إلى وجود أخوة لنا فى الجامعة من محافظات الوجه البحرى .

س : أعلنتم مسئوليتكم عن عملية اغتيال المحجوب ، وبرئ المتهمون من أعضاء الجماعة فى القضية ، فهل هؤلاء المتهمون هم منفذوا العملية ؟

ج – نعم أعلنت الجماعة مسئوليتها وأرى أن فشل رجال الشرطة وجهاز أمن الدولة فى إعداد التحقيقات وتجهيز القضية تسبب فى إصدار أحكام البراءة، لأنهم اعتمدوا على الأسلوب الذى اعتادوا أن يمارسوه مع أعضاء الجماعة فى أثناء التحقيق معهم بانتزاع الإعترافات عن طريق التعذيب والأمر الطبيعى أن من يعذب قد يقول كلاما صحيحا أو كلاما مبالغا فيه أو غير صحيح كى يدفع عن نفسه ما يتعرض له . وبهذا وجد القضاة ثغرات فى القضية وحكم لصالحهم بالبراءة .

س : أنتم تعترضون على محاكم أمن الدولة العليا والمحاكم العسكرية على رغم أن محكمة أمن الدولة العليا أصدرت أحكام البراءة فى قضية المحجوب ،

ج – تعليقى على ذلك أن اذكر ما حدث لى شخصيا أثناء وجودى فى الدانمارك وجدت اسمى ضمن المتهمين فى قضية "العائدون من افغانستان" أمام المحكمة العسكرية ، وصدر بحقى حكم بالإعدام من هذه المحكمة ، والأخ الذى اعدم بعد ادانته فى القضية وهو شريف أحمد حسن ، يعلم الله أنه مظلوم ولم يفعل شيئاً يستحق عليه هذا الحكم .

س : وماذا سيكون رد فعل الجماعة الإسلامية فى حال إذا ما حوكم المتهمون فى قضية المحجوب مجددا ؟

ج – إعادة المحاكمة أو عدم إعادتها بالنسبة لنا سيان ، فنحن نعلم أن الإخوان الذين حصلوا على البراءة سيحالون عندما يخرجون على محكمة عسكرية وقد يحكم عليهم بالإعدام .

س : هل تربطكم علاقة بجماعة الإخوان المسلمين فى مصر ، وما رأيك فى ممارسات الجماعة ونشاطها ؟

ج – "الإخوان" إخوة لنا ، ولهم توجههم وطريقتهم فى العمل ، ونحن نعلم أن لهم مصالح معينة يعملون على حمايتها ، فهم يرون أن مصالحهم معتبرة ونحن لانرى ذلك صحيحاً ، وفى كل الأحوال هذا هو رأيهم الذى سيحاسبون عليه أمام الله تعالى ، ونرى أن مواجهة النظام للإسلاميين تكون على مراحل ، تأتى فى المقدمة الجماعة الإسلامية وفى مرحلة أخرى الإخوان فهم لم يتركوا لهم هذه المقاعد فى بعض النقابات ليهنأوا بها .

س : من أين تمول الجماعة الإسلامية نشاطاتها ؟ هناك اتهامات توجه اليكم بتلقى دعم من دول معينة كايران ؟

ج – أؤكد أن ليس لنا أية صلة بأى دولة فى العالم ، ولو إستطاعت الحكومة المصرية أن تثبت ولو بنسبة واحد فى المائة من هذا الكلام لقدمته دليلا ، فنحن

لانقبل الإتصال بدول أو تلقى دعم مادى منها ، لأن الواقع يقول أن هـــذه الــدول لاتعطى إلا لغرض ما فى نفسها ، ومن يعطون يدفعون لأناس يبغون أن يكونـــوا تابعين لهم أو يحققوا بهم مآرب معينة أو يأخذوا جزءا من قرارهم ، وهذا مرفوض بالنسبة لنا .

س : إذن فمن أين تأتون بالسلاح وتمولون نشاط الجماعة ؟

ج – هذه الأمور ليست مجالا للحديث ، ونحن لانقبل دعماً من أحد.

س : وما طبيعة علاقتكم بإيران ؟

ج – الايرانيون من الشيعة وخلافنا معهم خلاف عقائدي يسميه العلماء خلاف تضاد.

س : ما تعليقك على تقارير منظمات حقوق الإنسان التى انتقدت بشـــدة سـلوك أعضاء الجماعات الإسلامية ؟

ج – إن كانوا ينظرون إلى ردود الأفعال فهذا ليس من العدل ، عليهم أن يكشــفوا عن الذى يأتى بالفعل ثم بعد ذلك يكون النظر فى رد الفعل ، ولكن ليس بالمقاييس ذاتها ، وأنا أؤكد أن ما يحدث منا ردود أفعال وليست أفعالا .

حوار مع صفوت عبد الغنى

"صفوت عبد الغنى "إسم ذائع الصيت ولايحتاج إلى تعريف ، فقد تصدر اسمه الصحف والمطبوعات فجأة ٠٠ ليس بسبب إنجازات من أى نوع حققها فى أى مجال ، فهو مجرد طالب فاشل ولا بسبب بطولات أوليمبية فاز بها ، فهو لم يمارس سوى لعب الكرة الشراب ، ولكن ذيوع صيته لأنه أحد أبرز المتهمين فى قضية تنظيم الجهاد الذى اغتال الرئيس السادات وهو المتهم الأول فى واقعة إغتيال رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق ، وهو أيضا صاحب خطة اغتيال الدكتور فرج فودة والتى أعدها من خلف القضبان ، والأهم أنه أبرز عناصر ما يسمى بالجناح العسكرى لتنظيم الجماعة الإسلامية الإرهابى٠

حاولت الإقتراب من هذا النموذج الإرهابى٠٠ طرحت عليه عدة تساؤلات بسيطة ، لكنها تشغل بال الكثيرين من المثقفين والعامة ، وعلى الرغم من المحاذير المحيطة بهذه المنطقة وهذا الشخص ، إلا أننى قررت المغامرة واقتحام هذه الدائرة الملغومة ، وكانت الفرصة سانحة داخل مبنى محكمة أمن الدولة العليا بمدينة نصر حيث كان يحاكم هو وآخرون فى قضية اغتيال المحجوب ، وداخل أربعة أقفاص حديدية على يسار منصة المحكمة أودع المتهمون ثلاثا وأربعا فى قفص بينما انفرد بالقفص الأول صفوت عبد الغنى الذى كان زائغ النظرات يحدق فى وجوه الحاضرين حينا وفى فراغ المكان أحيانا كثيرة ، لايقطعها سوى اقتراب زملائه فى القفص المجاور لتبادل التعليقات الساخرة على بعض الشهود من الضباط أو المواطنين ويتبعون ذلك بضحكات عالية هستيرية تحمل قدرا واضحا من المبالغة .. ربما للتغلب على رهبة المكان .. أو الرغبة فى الظهور بمظهر الواثقين من أنفسهم .

---

* أجراه المؤلف ونشر فى مجلة :"صباح الخير" إبان محاكمة صفوت عبد الغنى أمام محكمة جنايات أمن الدولة العليا بتهمتى إغتيال الدكتور رفعت المحجوب ، وواقعة هروبه من الحرس ببنى سويف .

وقبل بداية الجلسة طلبت إجراء حوار معه فامتعض ورفض الحديث فى البداية متعللا بعدم اختصاصه فى الإدلاء بأحاديث قبل الرجوع لمن أطلق عليهم أولى الأمر من إخوانه ، لكنه عاد وتراجع بعد أن طرح شروطه المتمثلة فى عدم تسجيل الحوار على جهاز كاسيت ، وذلك لأسباب تتعلق بظروف محاكمته وحتى يصبح بوسعه نفى أجزاء منه إذا إقتضى الأمر ذلك ، ولم يكن أمامى سوى القبول بشروطه طمعا فى استكشاف ذلك المجهول الذى حيكت حوله قصص تدخل فى دائرة الأساطير التى تشابكت فيها الحقائق بالأكاذيب ، والجريمة بالبطولة ، والعقيدة بالإدعاءات وبدأت أطرح عليه أسئلتى وأكتب إجابته :

س : ما الصفة التى تحب أن تقدم بها نفسك للقارئ ؟

ج – أنا صفوت أحمد عبد الغنى – مسلم يعتصم بحبل الله ولا شئ أكثر .

س : وأنا أيضا مسلم فهل ترى هناك فرقاً بين إسلامى واسلامك ؟

ج – سبحان الله .. أنت من أولها بتتكلم كده .. طبعا لا فرق بين مسلم وآخر إلابالتقوى والعمل الصالح .

س : وهل من التقوى إطلاق الرصاص على الأبرياء ؟

ج – لم نطلق رصاصاً على الأبرياء .. إننا نطلقه قصاصا ، ولكم في القصاص حياة ، أما من قد تطاله إصابة غير عمدية من آحاد الناس فقد أفتى العلماء بإعتباره شهيداً ، ولله حكمته التى لا يمكننا إدراكها فى مثل هذه الأحوال .

س : وأى قصاص من رفعت المحجوب ؟

ج – رفعت المحجوب كان رمزاً لنظام يمعن فى إضطهاد المسلمين .. والشهيد الدكتور علاء محيى الدين الذى إغتالته رصاصات الغدر كان رمزاً للجماعة الإسلامية ، وقد حباه الله لساناً فصيحاً ، وعقلاً راسخاً ، وإلماماً بقضايا الدنيا وعلوم الدين معا ، وكان الإخوة قد أعدوا العدة للإنتقام له فى شخص عبد الحليم موسى "هامان مصر" ، ولكن مشيئة الله أبت إلا أن يكون القصاص فى شخص

المحجوب الذى كان يمثل نفس الدور والأهمية للنظام ، وهذه حكمة إلهية وكرامة من الكرامات رسخت إيماننا بالله وبأن ما فعلناه هو الحق بعينه والرصاص قصاص .

س : وكيف تحول شخص الضحية من وزير الداخلية إلى رئيس مجلس الشعب؟

ج – دى قصة معروفة للجميع ، فالمكان الذى كان مقرراً أن يمر به وزير الداخلية هو نفس المكان الذى مر به رفعت المحجوب ، وفى نفس التوقيت تقريباً وبنفس السيارات ، ولكن لظروف خارجة عن إرادة البشر ولحكمة إلهية حدث ذلك .

س : وهل هذا يعنى إعترافا منك بمنهج التصفية الجسدية لخصوم الرأى ؟

ج – وهل كان مقتل علاء محيى الدين مجرد خصومة فى الرأى ؟ .. إنه القصاص السماوى العادل ، فالعين بالعين .. وقتيل بقتيل .

س : أنت تمارس نشاطك منذ إغتيال السادات ، وقد إتهمت حينئذ وخرجت لتعاود نفس الأسلوب وهربت من الحرس لتعود مرة أخرى ٠٠ فإلى متى ؟

ج – إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ، ثم إحتد فجأة قائلا : "يا أخى أنت بتقول تمارس نشاطك .. نشاط أيه ده .. هوأناحرامي والعياذ بالله .. أنا مسلم قطع على نفسه عهدا بأن يجاهد فى سبيل الله حتى ينال إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، والنصر ببساطة شديدة يعنى إعادة الخلافة الإسلامية للديار التى أخرجت منها، والقضاء على كل الأنظمة العلمانية الكافرة وتطبيق شرع الله وبناء المجتمع الإسلامى .

س : إية خلافة تقصد ٠٠ أهى الأموية أم العباسية أم الفاطمية أم العثمانية ؟

ج – إسمعنى جيدا ، لقد كانت كل هذه المسميات والدول حلقات فى تاريخ الخلافة ، وكلهاكانت تحكم بما أنزل الله ، ولا أنت هتتكلم زى سعيد العشماوى .

س : وكيف تحدث المستشار سعيد العشماوى ؟!

ج – لقد إنتهزها فرصة سانحة ليقذف فى حق الصحابة والتابعين والخلفاء وأمراء المسلمين ، بل وفى الإسلام ذاته كمنهج حياة وعقيدة وعموماً فهو رجل معروف

النوايا والميول ، وحتى الأزهر الرسمى قال كلمته فى حق هذا الرجل ومنع كتبه من التداول لأنه رجل علمانى يؤمن بالفكر الوجودى الملحد وينتمى لجمعيات الروتارى الصهيونية ، وقد كرس جهده للهجوم على كل ما هو إسلامى وخاض بلا علم فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والصحابة .

س : وهل قرأت كتبه لتصدر مثل هذا الحكم ؟

ج - هناك إخوة ثقاة لنا تحملوا مشقة قراءة هذه الأباطيل وتحققوا مما ورد فيها من كفر بواح ولا أخفيك سراً أننى لا أحتمل قراءة مثل هذه الكتب الكفرية .

س : يقال إنك قائد الجناح العسكرى فى الجماعة الإسلامية .. فما مدى صحة ذلك ؟

ج - مفيش حاجة إسمها جناح عسكرى أو جناح مدنى ، نحن لسنا تنظيما شيوعيا حتى نطلق مثل هذه المسميات غير الإسلامية .. ياأخى نحن فتية أمنوا بربهم واللى يقدر على حاجة فى سبيل الله يعملها وله الأجر من الله تعالى .

س : يقال إنك أعددت خطة اغتيال د. فرج فودة من محبسك فهل هذا صحيح ؟

ج - أولا وفى البداية أنا لست مؤهلا من الناحية الشرعية للتصدى للفتوى .. فهناك من يملك المؤهلات الشرعية لذلك الأمر ، وإن كنت سعيدا بما انتهى إليه أمر ذلك المرتد فرج فودة وكان من الضرورى أن يطبق عليه الحكم الشرعى خاصة وأنه قد أدين حتى من الأزهر الرسمى ومن علماء السلطة أنفسهم قبل غيرهم من العلماء .

س : ولكن أجهزة الأمن تملك أدلة ضدك بخصوص قيامك بالتخطيط لإغتياله وقد قدمتها للقضاء.

ج - أجهزة الأمن تملك دائما أدلة ، والقضاء الحكومى يبرئ ساحتنا أيضا ، ويهدر هذه الأدلة المزعومة ولك أن تفهم مدى صحة هذه الأدلة التى يهدرها قضاء الدولة الذى نرفضه نحن أيضا لعدم تطبيقه للشريعة الإسلامية ، ولكن هذا لايحول دون استحقاق فرج فودة للقتل .

س : لماذا تصر على إدانة فرج فودة رغم أنه لم يشهر سلاحه ضد أحد ؟

- ما هـذا الذى تقوله ، لقد رفع سلاحه وأطلق سموم كلماتـه فـى عـدة كتـب ومقالات ، وخاض فى أعراض المسلمات والمسلمين ، واتهمنا كذبا وبهتاناً بأبشـع الإتهامات التى لاتستحق مجرد مناقشتها ولعلك تابعت أو سمعت بما دار فى ندوة معرض الكتاب والمناظرة التى أجراها معه علماء أفاضل سبهم وسـب الإسـلام خلالها ، وقد قال رجال الأزهر الرسميون كلمتهم فى هذا الملحد المرتد الذى كـان يجب أن تطبق فيه حدود الله .

س : ولنفترض جدلا صحة ما تقوله عن الرجل رغم أنه لم يقل شيئا مما نسـبته إليه ، فهل هذا يعطى الحق للعامة فى إقامة الحدود الشرعية ؟

ج - ياأخى تنفيذ حدود الله فرض عين على كل مسلم حينما يفقد الوالى شـرعيته بتعطيله عمدا لشـرع الله ، والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسـلم ، وهـذه مسألة ثابتة شرعا ولا تجادلنى فيها فهناك أهل الفتاوى .

س : يقال إنك العقل المدبر لمعظم الحوادث التى ارتكبتها الجماعة الإسلامية مـن إغتيالات وتفجيرات وحرق أندية الفيديو وحتى ضرب السياحة ، فمـا ردك علـى هذه الإتهامات ؟

ج - إبتسم بتهكم وقال : "والله ده شرف كبير لا أدعيه ولكن هل تتصور أن فـردا أسيرا يملك التخطيط والإعداد لكل هذا ، وفى طول البـلاد وعرضهـا ؟ .. هـل تصدق أن فردا مهما أوتى من أسباب القوة أن يواجه مؤسسات رسمية بأكملها تملك النقود والسلطة والرجال والعتاد ؟ .. إسمع ياأخى هذه افتراءات من أعداء اللـه ، ولن أجهد نفسى فى الرد عليها .

س : وهل تعتبر نفسك فى حالة حرب مع الدولة ؟

ج - نعم ، أنا وإخوانى نحيا فى دار حرب مع حكام لايطبقون شرع اللـه وهـى حرب مفروضة علينا شئنا هذا أم أبينا ، فالناس على دين ملوكهم ،ولن يحسم الناس هذه الحـرب ولا نعول عليهم كثيراً بل على الحكام وشرع الله هـو الـذى يكفـل سلامة الناس ، وهذه نقطة أفتى بها شيخ الإسلام "ابن تيمية" منـذ قـرون بتحديـد شروط دار الحرب وما يجب على المسلم فيها .

س : هل تحفظ القرآن الكريم ؟

ج – لا حتى الأن لم أحفظ القـرآن كاملاً حتى الأن وإن كنت أحفظ قسطاً كبـيراً منه ، لكننى أسعى لذلك وفرصة الأسر قد تمكننى من بلوغ هذا الهدف .

س : لمن قرأت من فقهاء السلف وعلماء الدين ؟

ج – قرأت لكثيرين مثل ابن تيمية وابن القيم الجوزيه وحجة الإسلام أبـو حـامد الغـزالى ومن المحدثين لأبى الأعلى المودودى والشهيد سيد قطب وشيخنا عمـر عبد الرحمن بالطبع وغيرهم .

س : وهل أشار عليك أحد بقراءة هؤلاء دون غيرهم ؟

ج – لقد قرأت لغيرهم بالطبع ولست بحاجة لوصاية من أحد ليشير علـى بقـراءة هؤلاء أو غيرهم فأنا أدرى لمن أقرأ ومن أصدق .

س : وما رأيك فيما ارتكبه البعض من وقائع ضد النشـاط السـياحى والسـياح الأجانب و الآثار ؟

ج – هؤلاء ليسو سياحاً بل مجموعة من الجواسيس الذين يتسترون وراء السـياحة ويشيعون الفساد وينشرون الإيدز بين المسلمين للقضاء عليهم والمال الـذى يـأتى منهم هو مال حرام ، والآثار التى يمجدونها هى أصنام نهى الله عـن عبادتهـا أو تقديسها أو حتى مجرد الإبقاء عليها وقد حطم الرسول صلـى اللـه عليـه وسـلم الأصنام داخل الكعبة .

س : هل نعتبر هذا الكلام فتوى بتحريم السياحة سبقتها فتـاوى بتحريـم الفـن والموسيقى والشعر ويستتبعها فتاوى أخرى ربما بتحريم الطب والتكنولوجيا ؟

ج – فاحتد بشدة وقال : اسمع ياهذا يبدو أنك علمانى فالسياحة التى تتحدث عنهـا لاتحتاج إلى فتوى ولا حاجة إنها حرام .. حرام .. حرام والآثـار أصنـام نهـى الإسلام عن الإبقاء عليها ولو قدر لنا التمكين سنبادر إلى تحطيمها بلا تردد .

س : وهل لديك تفسير عن السبب الذى منع عمرو بن العاص وهـو الصحـابى حينما فتح مصر ولم يهدم تمثالاً واحدًا وكان ذلك فى صدر الإسلام ؟

ج – الحقيقة ببساطة أننا نرد على النظام بطريقته ، فأجهزة الأمن تضربنا تحت الحزام ، ونحن بدورنا نرد عليها بطريقتها ..فاعتقال الإخوة والتحرش بهم وانتهاك أعراضهم لابد أن يقابل بعمل يحرض الدول الأجنبية على الحكومة كقتل السياح وتدمير المنشآت التى يأتون من أجلها كالفنادق والآثار ، وذلك التعنت الأمنى تجاه الإخوة فى أسيوط وديروط لابد أن نواجهه بأعمال تشتت شمل الأمن وتفتت تركيزهم على الإخوة فى أسيوط ونعلنها حربا شاملة فى طول البلاد وعرضها ثأرا لنا وللإخوة الذين قتلوا فى منقباد وهم نيام .

س : إذن فالمسألة هى تصعيد المواجهه لما يسمى بحرب العصابات ؟

ج – سمها كما شئت حرب عصابات أو حرب شوارع إنها حرب وخلاص ، وقد أتت هذه الطريقة بنتائج جيدة فى حرب أفغانستان ضد الشيوعية وقد توج الله جهادهم بالنصر واندحار الشيوعية حتى فى عقر دارها .

س : بمناسبة أفغانستان فما تعليقك على ضبط مجموعتين من العائدين من هناك وبحوزتهم السلاح والأموال والخطط التى تستهدف اغتيال شخصيات هامة ؟

ج – هذا تصعيد ينذر بالخطر تجاه الإخوة فمسألة تقديمهم لمحكمة عسكرية فى قضية مدنية هى النزع الأخير للنظام الذى بات يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وعموما فهذا يؤكد أننا على حق والنصر قريب إن شاء الله ، وهؤلاء الإخوة تدربوا على ملاقاة الموت دون أن تهتز فى أجسادهم شعرة .. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

س : هل يمكن الإستفسار عن مصادر تمويل الجماعة ؟

ج – الجماعة تمول نفسها بتبرعات أعضائها ، وأؤكد أنها تبرعات وليست شيئاً آخر ، وإذا كان المرء قد قدم روحه ودمه فداء لله ولدينه فهل سيعز عليه متاع الدنيا من مال أو غيره .

س : وماذا عن عمليات السطو على محلات المجوهرات..وما يطلق عليه "الغنيمة" ؟

ج – إبتسم بثقة ودهاء وقال بكلمات بطيئة : "الغنيمة هى مسألة ثابتة شرعا فى حالة الحرب مع الكفار وقد تكون مالا أو عتادا أو رجالا اسرى أو جوارى ولعل

لنا فى سير الفاتحين الأوائل ما يعزز كلامى ، ومسلك الإخوة تجاه أعداء الله وعموما فنحن لسنا عصابة كما تصور أجهزة الإعلام هدفنا هو الذهب لأننا وقد بعنا وبايعنا على السمع والطاعة لن نتوقف عند طلب المال وهناك بعض الأفعال التى ترتكبها عصابات محترفة وتلصقها بنا جهات الأمن والنيابة ونحن منها أبرياء" .

س : هل سبق أن أحببت .. ؟!

ج – ماذا تقصد بالحب ؟ .. إن كان حب النساء ، فالزوجة فقط هى التى يجب على المسلم أن يحبها ، وبالطبع ليس بطريقة المخنثين من رجال الغرب ، فقد وضعت الشريعة إلتزامات علىالزوج والزوجة ، وهذا هو الحب ، أما كلام الشعراء والأغانى فهذا عهر ومجون لا شأن لنا به ، وهو جزء من مخطط صهيونى معروف يستهدف إفساد الشباب المسلم وإغراقه فى مستنقع الجنس والمخدرات حتى ينسى أمور دينه ودنياه وبالتالى يسهل قياده والسيطرة عليه .

س : وهل إستمعت إلى الغناء من قبل ؟

ج – كان هذا أيام الصبا والجاهلية قبل أن يهدينا الله إلى سواء السبيل ، وأدعو الله أن يغفر لى هذه الذنوب والمعاصى .

س : يقال إنك على خلاف تنظيمى مع عبود الزمر داخل السجن حول إمارة العدة (الجناح العسكرى) إبان قيام التحالف بين الجهاد والجماعة الإسلامية ؟

ج – أى خلاف يمكن أن ينشأ بين أسير وأسير ..ومجاهد ومجاهد،نحن لسنا طلاب سلطة حتى نختلف على هذه الأمور ، إننا رجال تجمعنا محنة الأسر وفقدالأهل، ووحدة العقيدة والهدف والعدو المشترك،الأخ عبود من الرعيل الأول الذى اقتدىخطاه ، وقد ضحى الرجل بالمال والجاه والأهل والمنصب وتحمل ولم يزل محنة الأسر تقرباً لله ، ولا وجود للخلاف الذى تتحدث عنه، لأننا بحاجة للتعاون والتعاضد لا للخلاف أو الشقاق .

س : يقال إن هنالك خلافاً بين عمر عبد الرحمن وعبود الزمر على إمارة الجماعة ، فهل تعرف شيئاً عن هذا الأمر ؟

ج – أولاً الشيخ عمر عبد الرحمن رجل فاضل ومشهود له بالعلم والزهد حتى من أعدائه ، ويكاد أن يكون العالم الوحيد الذى وقف ضد كل الأنظمة على الرغم من العدوان عليه كثيراً وهو الضرير فلم يلن ولم يخضع ، والأخ عبود الزمر كما حدثتك عنه من قبل فكيف يكون الخلاف هذا رجل علم وهذا رجل ضحى بنفسه وماله ومنصبه .. فلكل منهما دور يحتاجه الإسلام والمسلمون ، وحكاية الخلاف هذه شائعات وأكاذيب لا أساس لها وهى من إختراع أعداء الإسلام .

س : أراك تستخدم إصطلاح "أعداء الله" و "أعداء الإسلام" لكل من يخالفك الرأى ، فهل هذا يليق بحوار حضارى ؟

ج – أى حضارة هذه التى تتحدث عنها هل هى حضارة الغرب والجنس والشذوذ فإن كان الأمر هكذا فلا حوار بيننا بالطبع فالحضارة التى أعرفها هى حضارة الإسلام التى تقوم على وحدانية الله وحاكميته والتبرؤ ممن سواه وليس بعد الإسلام إلا الكفر ومن يقول بغير هذا يسقط فروض الله كالجهاد ، وهو بهذا عدو لله ولدينه .

س : وما دور الشيخ عمر عبد الرحمن وموقعه الحقيقى داخل الجماعة ؟

ج – إنه رجل عالم ومؤهل شرعاً للتصدى للفتوى ، ونحن نستعين به فيما يلتبس علينا من أمور الدنيا والدين وهذه مسألة معروفة ، وهو بمثابة المرشد الروحى للإخوة وليس للرجل أية أطماع دنيوية وقد كان محاصراً ومطارداً فى ديار المسلمين فكتبت عليه غربة الأهل والهجرة فى سبيل الله ،لكنه على الرغم من تباعد المسافات وتوالى المحن إلا أن المسلمين على قلب رجل واحد .

س : ما هى مصادر دخلك وإنفاقك الشخصى ؟

ج – من كان حسبه الله فلا يخشى وهذه مسألة لاشأن لك بها .

س : هل لديك مسكن بالقاهرة ؟

ج – لا يوجد عندى شقة فى القاهرة أو غيرها ولا حتى فى المنيا بلدى ، هناك شقة بالإيجار فى المساكن الشعبية باسم والدى ، وفى القاهرةكنت أنزل ضيفا على إخوانى فى الجماعة ، أوعند خالى فىالزاوية الحمراء .

س : وماذا يعمل والدك وخالك ؟

ج – والدى رجـــل فقير موظف بسيط يسكن فى حى شعبى فـــى مدينـــة المنيـــا ، وخالى قهوجى فى الزاوية الحمراء على قد حاله يعنى لاوزير ولا مدير .. خلاص ارتحت ياأخى ؟

س : هل شاركت فى تصعيد المواقف ضد الأقباط وما تعليقك على ذلك ؟

ج – أولاً يجب أن يكون معلوماً أن النصارى هم الذين يحرضون الحكومة والأمن ضد الإخوة والصحوة الإسلامية وهم بذلك أعداء الله ورسوله ماداموا قد وضعـــوا أنفسهم فى خندق العداوة مع المسلمين وشروط عقد الأمان لأهل الذمـــة لاتنطبـــق عليهم وهى عدم الجهر بصلواتهم ودفع الجزية وعدم التعرض للمسلمين فى دينهـــم أو أنفسهم أو أموالهم وكل هذه الضوابط الشرعية لايلتزمون بها وبالتـــالى فقتـــالهم فرض على كل مسلم وأموالهم غنائم لنا وهأنت تســـمع بمـــا يفعلونـــه الصـــرب بالمسلمين فى البوسنة لابد أن يأتى ردنا أشد ضـــراوة كـــى لانصبـــح أمـــة مـــن المستضعفين حتى فى ديارنا .

س : ألا تخشى من ترديد هذه الآراء داخل قاعة المحكمة ؟

ج – المهم ألا أغضب الله وقولة الحق هى الأولى أن تقال ، وردا عليـــك فـــإننى أتساءل أخشى ممن ؟ وعلى ماذا ؟ وهل يملكون معى شيئا أكثر من هذا ؟

س : أنت تواجه العديد من الإتهامات فى العديد من القضايا قد يكون الحكم فيهـــا بالسجن مدى الحياة إن لم يكن الإعدام ، فأى أمل يراودك ؟

ج – والله إنت غريب ياأخى لقد بعت وبايعت وانتهى الأمر كله والشهادة أســـمى أمانينا والأمل فى وجه الله كبير وليس فى وجه الطغاه الكافرين .

س : هل تقرأ الشعر ؟

ج – الشعراء يتبعهم الغاوون .

س : هل قرأت شيئا للفقيه الأندلسى "ابن حزم" ؟

ج – ربما لكننى لا أتذكر ولكننى أعرفه وهو أحد مفسرى القرآن العظام .

س : هل تعرف أنه كتب كتابا عن الحب اسمه "طوق الحمامة" ؟

ج – لم أسمع بمثل هذا الكتاب وإن كان له وجود ربما كان مدسوسا عليه .

س : هل شعرت بالندم على ما ارتكبته من جرائم ؟

ج – لم أشعر بالندم إلا على ضياع الوقت بالحديث معك .

وهكذا دار حديثنا ، لم يقطعه إلا هتاف حاجب المحكمة معلنـــا قــدوم هيئــة المحكمة بصيحته التقليدية "محكمة" ... بينما هب الحضور وقوفــا كمــا تقضـــى التقاليد القضائية المرعية إرتفعت عقائر صفوت وإخوانه من داخل الأقفاص وهـــم يهتفون فى مشهد مســـرحى هزيل قائلين : "إن الحكم إلا لله" وعلى الفـــور ودون أن أدرى ســـبباً لذلك تذكرت صيحـــة الخـــوارج التاريخية .. وكلمة الإمام علـــى بن أبى طالب الشهيرة : **كلمة حق يراد بها باطل .**

حدث فى أسيوط ... ذات يوم
حوار مع مدير أمن أسيوط السابق

شهدت أسيوط منذ أواخر عام ١٩٩٥ وحتى مطلع عام ١٩٩٧ حالة من الهدوء النسبى والإستقرار الأمنى بعد سنوات من الصراع الدامى .. وهذه حقيقة لا ينكرها أحد وإن كان من الممكن الإختلاف حول طبيعة هذا الهدوء وأسبابه ومغزاه لكن يبقى السؤال الهام وهو .. كيف حدث ذلك ؟ ولماذا لم يحدث من قبل ؟ وكيف إنتقل سيناريو العنف من أسيوط إلى المنيا ؟ .. ونحن هنا لن نحاول الإجابة بقدر ما سنطرح المزيد من التساؤلات تاركين مهمة فهم مضمون هذه السطور .. وماورائها .. وما بينها لفطنة القارئ .. فى محاولة لنبش الجروح التى تقيحت من فرط الإهمال حتى نسجل للناس .. وللتاريخ ولوجه الله من قبل ومن بعد حقيقة من دافعوا بشرف .. ومن أهملوا بقصد.. ومن تاجروا بالأزمة .. ومن اختاروا منتصف المسافة فى تواطؤ مريب ؛ وإذا كانت نشأة جماعات التطرف فى أسيوط حكاية معروفة للجميع فإنه من الضرورى أن نؤكد على بعض الحقائق فمن المعلوم أن هذه الجماعات لم تكن تعمل سراً بل كانت تتعمد العلانية وتفرض قانونها على الجميع بوقاحة ولم يكن قادتها أشباحا بل كانوا نجوماً يشار إليهم بالبنان يصدرون الفتاوى ويتصدرون الندوات التى يلقون أثناءها خطبهم الحماسية والسياسية .. ووصل بهم الأمر إلى إقامة الحدود "الشرعية" على قارعة الطريق وإحتلوا المساجد .. وخاضوا الإنتخابات وفازوا ..

وإجتمعوا بالمسئولين وأملوا شروطهم وجندوا الآلاف من الشباب وجمعوا الأموال والتبرعات حتى وقعت أحداث أسيوط عام ١٩٨١ عقب إغتيال السادات مباشرة حينما إقتحموا مبنى مديرية أمن أسيوط وأقسام الشرطة وقتلوا أكثر من مائة ضابط وجندى .. والسؤال ماذا فعلت حينئذ الأجهزة المعنية ؟ ولماذا لم تقع

® أجراه المؤلف ونشرت أجزاء منه بمجلة "روز اليوسف" عام ١٩٩٥

المواجهة الشاملة ولمصلحة من ترك أمـراء الجماعـات حتـى يعيـدوا ترتيـب صفوفهم ويجمعوا الأسلحة ويدربوا مئات الشباب على إستخدامها ويكونوا الخلايـا العنقودية ويمارسون حرب العصابات ضد الجميع ؟.. وماذا كنا ننتظر حتى نفيـق ونفعل شيئاً جاداً وحاسماً قبل أن يستكملوا إختراق كافة مؤسسات المجتمـع مـن المدرسة إلى الجامعة ومن القرية إلى المدينـة ؟ .. وبإختصـار لمـاذا تـأخرت المواجهه كل هذه السنوات ومن المسئول عن ذلك .. وهل كان الأمر يتعلق بالكفاءة أو بالإخلاص ؟ .

وإستطراداً فى طرح التساؤلات البديهية فإنه ينبغى الإستفسار عمن سمح لهـم عمداً بالسـفر إلى الخارج تارة للعمل فى بعض البلدان "الشقيقة" .. وتارة أخـرى تحت مسمى "الجهاد" فى أفغانستان .. ثم من غض الطرف عن نتـائج إحتمـالات عودتهم محملين بأموال النفط والتبرعات المريبة، أو بعد أن تدرب المئـات منهـم على خوض حـرب المدن والعصابات واستخدام الأسـلحة - وهو مـا حـدث بالفعل - وماذا فعل قيادات العمل الحزبى والشعبى من محترفى السياسة والوطنية حيال هذه الأزمة .. ولماذا إفتعلوا المشكلات ومازالوا يتربعون حتـى الآن علـى عروشهم رغم كل الدلائل التى أكدت متاجرتهم بالأزمـة وبـالأعلاف والمـواد الغذائية أيضا ؟ .

ونحن فى هذه السطور لاندعى إحتكار الحقيقة ولانسعى لذلـك فقـد إكتفينـا بطرح - ما تيسر - من الأسئلة على رجال خاضوا التجربة كاملة ورأينا أن نسجل أقوالهم للقارئ .. وللتاريخ .. ولوجه الله لكننا فى البداية نؤكد على بعض النتـائج التى لمسناها من واقع المعايشة اليومية للأحداث والمتغيرات على مـدار عـامين متواصلين والتى يمكن إيجازها فى النقاط الآتية :

١- أن الأمن الرخيص سلعة فاسدة لاتحقق شيئاً إيجابياً بل على العكس فهـو يأتى بنتائج وخيمة من شأنها إحراج الدولة وزعزعة الثقة فى قدراتها خاصة فـى مجتمع الصعيد الحاد الذى يؤمن بالقوة ويحتقـر الخـائفين والمهزوميـن ، فمـن المعروف أن أجهزة الأمن فى الصعيد عامة وأسيوط خاصة كانت - فيما مضى -

تستعين بضباط وجنود دون المستوى على إعتبار أن النقل إليها شكلاً من أشـــكال العقوبة للمهملين أو المنحرفين أومحدودى القدرات فضـــلاً عـن تدنـــى مســتوى الإمكانيات المادية من وسائل إنتقال وإتصال وتسليح ، فهل كان ضرورياً أن تقـــع الكوارث ويموت الضحايا حتى تتذكر أهمية العنصر البشرى والمادى والأســلوب العلمى فى إدارة الأزمات والشجاعة فى اتخاذ القرارات الحاسمة دون إرتعـــاش ؟ فالحقيقة الملموسة فى تجربة أسيوط أن النتائج المرجوة لم تكن لتتحقـــق إلا بعـد التخلى عن مفهوم الأمن الرخيص ، وضرورة الإنفاق على المتطلبـــات اللازمـة لأجهزة الأمن .

٢- ثبوت فشل سياسات "**الإحتواء والتعايش**" التى طبقت على مدار عشــرات السنوات فى أسيوط خاصة وقد كادت أن تصبح عرفا مستقراً فى الأداء الحكومـــى بصفة عامة ، والأداء الأمنى على وجه الخصوص فلم يكن أحد ليجرؤ - مهمـــا كانت سلطاته وقناعاته - أن يقتحم جوهر الأزمة ويدخل عـــش الدبـــابير وكـــان الاسلوب المفضل ينحصر فى تعاطى المزيد من المسكنات والمهدئات حتى وصـــل الأمر إلى حد إبرام الإتفاقات - من تحت الترابيزة أو من فوقهـــا - مـــع أمـــراء الإرهاب بما لايمكن وصفه إلا بالتواطؤ وعلى أفضل تقدير بالتخاذل .

٣- أن نجاح أجهزة الأمن فى أســيوط حــرض أو شــجع كافــة الأجهــزة الأخرى الحكومية منها والشعبية على ضرورة العمل الجاد لأنه ببساطة كان يعنى تمسكهم بالأساليب السابقة أن يضعوا أنفسهم موضع الحرج أمام الجميع لكن ذلك لم يقف حائلاً دون بعض محاولات المتاجرة بالأزمة رغبة فى إثبات الوجود وطمعـــا فى قطعة من كعكة النجاح ولعل حكاية المسئول الشعبى المزمن - المعروف جـــدا فى أسيوط - مع قضية التائبين وإصطحابه للمئات من أبناء قريته لإدعاء توبتهـــم على خلاف الحقيقة ، فلم يكن هؤلاء ضمن عناصر التطرف أصلاً وكان الهـــدف الحقيقى يتمثل فى ضرب عدة عصافير بحجر واحد فهو انجاز شـــعبى وسياســـى أمام القيادة السياسية والحزبية من جهة؛ ووسيلة للحصول على فرص عمل لأبنــــاء الدائرة بهذه الحيلة تأكيدا على قدراته وأهميته التى تزعزعت مؤخرا وهو أخــــيراً محاولة للبحث عن دور وبريق إعلامىكاد أن يفقده .

٤- أن تحقيق النجــاح فى تجربة المواجهه فى أسيوط لم يأت بسن قوانيـــن جديدة لأنه - ببساطة - كان يكفى جداً تطبيق القوانين القائمة بالفعل ومـــا كـــانت ترتكبه جماعات الإرهاب من وقائع قتل .. وإستحلال للأمـــــوال والأعــراض .. وإغتصاب للمساجد .. وإنتهاك للحريات الشخصية وإحترام لعقائد الغير كل هـــذه الجرائم مؤثمة بقانون العقوبات ، وما كان يحدث من قبل لانستطيع أن نطلق عليه سوى التراخى وتعطيل القانون وإهدار هيبة الدولة ، وبإختصار فلم تكـــن الأزمـــة قانونية بل كانت أزمة إدارة فى المقام الأول .

٥- وأخيرا فمن المعلوم أن المواطن - خاصة فى الصعيد - لن يتعاون مـــع جهاز أمنى ضعيف .. خائف لايستطيع حماية رجاله لأنه ببساطة لايثق فى قـــدرة هذا الجهاز على حمايته لو تعاون أو أبلغ أو حاول التصدى لعناصر االتطـــرف ، ولعل فى حكاية ناظر مدرسة موشـــا أبلغ دليل على ذلك حينما أبلغ الأمـــن عـــن بعض الإرهابيين الذين كانوا يختبئون داخل مسجد القرية وبحوزتهم أسلحة ناريـــة وقد لقى الرجل جزاء تصرفه هذا أن قتل على مسمع ومرآى من كل أهالى القريـــة حتى تصل الرسالة للجميع .

وفى حـــوار شـــديد الصراحة والوضـــوح مع مدير أمن أسيوط الأســـبق .. وصاحب تجربة هامة بها وهو **اللواء / مجدى البســيونى** وطرحنـــا عليـــه هـــذه التساؤلات وسعينا لمحاولة فهم ما جرى ٠٠ وتحدث الرجل عن كل شئ -بـــالقدر الذى كان يسمح به موقعه الرسمى حينذاك -من صراحة ٠٠بينما ترك ما لايريـــد الخوض فيه لفطنة القارئ .. وحينما سألناه كيف وجد الموقف الأمنى فى أســـيوط حينما جاء إليها عام ١٩٩٣ أجاب :

ج - هذا السؤال لايحتاج إلى إيضاح فقد كان أمـــرا معروفـــا لرجـــل الشـــارع وللمسئولين وحتى لوسائل الإعلام الأجنبية وهو تاريخ لن يستطيع أحد تزويره .

س : ما تفسيرك لإشتعال الموقف فى أسيوط خاصة،

ج - ما حدث كان نتيجة حتمية لتراكمات وتناقض السياسات الأمنية منذ ســـنوات عديدة ما بين تشدد وتهاون .. والبداية معروفة حينما غـــض البصـــر عـــن هـــذه

الجماعـــات مما مكنهم من ترتيب صفوفهم وتسليح أنفسهم فـــى هـــدوء ودونمـــا منغصات ، وكانت هذه الفترة بمثابة الأرض الخصبة لهـــم حيـــث اســـتطاعوا أن يفرضوا قانونهم ووجودهم بشكل علنى ومن هنا قويت شوكتهم وتوغلوا فى كافـــة المؤسسات ، وحينما وقعت أحداث ١٩٨١ كان يحب القضاء عليهم فى هذا العـــام وأن تكون المواجهه الشاملة منذ ١٤ سنة ؛ ولأن تكوين هذه الجماعـــات تـــم فـــى أسيوط لإعتبارات يفهمها الجميع فقد تحولت المحافظة إلى مســـرح تقليـــدى لكـــل حوادث العنف وأصبحت بؤرة لتفريخ العناصر الإرهابية. وللأسف فقد مر حادث ١٩٨١ وكأنه حـــادث فردى أو مجرد جريمة قتل تنتهى بـــالقبض علـــى الجـــانى وأؤكد أن الموقف عومل بكثير من الإستهانة والتراخى وكان لابـــد مـــن موقـــف حاســـم ومواجهة شاملة .

س : وهل يعنى ذلك أن المواجهه تأخرت كثيرا ؟

ج – ما حدث أن سياسات الأمن تخبطت كثيرا واتبعت سياسات مختلفة أهمها إحالة قضية أحداث أســـيوط وتنظيم الجهاد للقضاء العادى كأن ما حـــدث كـــان مجـــرد جريمة عادية فضلا عن السماح لبعضهم بالسفر إلى أفغانستان وباكستان وبعـــض البلاد العربية ، وكانت هذه هى الطامة الكبرى فقد وجدت العناصر التى سافرت–بطرق مشروعة – كل مقومات الرعاية فكانت هناك مصادر التمويل وفرصة تجنيد المئات من العاملين المصريين بهذه الدول وهم شريحة يمكن التأثير عليها بالخطاب الدينى وفى ظروف الغربة والمعاناه .. لقد وجدت عناصر التطـــرف مـــن ينفـــق بسخاء ومن يتبرع بلا تردد ومن يتورط معهم من العاملين والمدرســـين مـــن دون مقاومة وهناك عشرات النماذج التى اعترفت بأن تجنيدها تم خارج مصر ؛ وطيلـــة تلك السنوات منذ عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٩٢ لم تشهد أسيوط أية حوادث عنـــف أو إرهاب لكن ذلك لم يكن يعنى اندثار التنظيمات فمن المؤســـــف أنهـــم كـــانوا يعملون علانية ، ومن المنطقى أن تكوين هذه الجماعات لم يتم بين يوم وليلة بـــل نضجت على نار هـــادئة وفى مناخ مهيئ حتى أنه يمكننى أن أطلق علـــى هـــذه الفترة مرحلة التكوين التنظيمى الدقيق الذى كان يبدأ بإمارة قرية ثم إمارة مركـــز فمدينة وهكذا وحينما إتخذت هذه الجماعات اسلوب العمل الصدامى والإســـتفزازى

حدث ما حدث فى مذبحة صنبو بديروط وتدخل جهاز الأمن وبـدأت لعبـة الثـأر وحساباته بين الجماعات والأمن وإمتدت لكل أنماط الحـياه الأخرى ، والخلاصـة أن هذه السنوات إسـتفادت منها العناصر الإرهابية كثيراً بينما تجمدت المواجهـه إلى أن قرروا هم – أعضاء الجماعات – بداية الصدام مع السلطة .

س : يؤكد تقرير الأمن العام أن أسيوط ليست الأولى فى معدلات جرائم الإرهـاب فحسب بل هى الأولى أيضا فى الجـريمة الجنائية خاصة تلـك المتعلقـة منهـا بالعنف .. كالقتل والسرقة بالإكراه فما تفسيرك لذلك ؟

ج – ربما تندهش لو قررت لك أن الجغرافيا بريئة تماماً من ذلـك علـى عكـس التفسيرات الشائعة فالجغرافيا فى أسيوط تشبه تماما سوهاج وقنا والمنيا وغيرهـا وأسيوط محافظة أعلم عنها تماما أن طابعها هو العنف والأمـر يتفـاوت مـن محافظة لأخرى ولهذا دلالته المتمثلة فى الموروث الإجتماعى فالطابع هنا أكثر حدة وهناك عامل أهم يجب ألا نغفله وهو الإقتصاد والدليل أنه فى محافظة قنـا مثـلا تنحسر معدلات الجريمة فى الأقصر بالقياس لدشنا مثلا وهكذا فى أسـيوط حيـث تتراجع أرقام الجريمة فى مركز تجارى مثل أبو تيج عنه فى أبنـوب أو البـدارى ولعل أسيوط واحدة من أفقر محافظات الصعيد فلا سياحة كافيـة كقنـا وأسـوان والمنشآت الصناعية أقل من سوهاج والمنيا وهكذا .

س : ما تفسيرك للهدوء الذى تشهده أسيوط الآن بينما إنقلبت الصورة وإشـتعل الموقف فى المنيا التى كانت هادئة نسبياً ؟

ج – لايحتاج الأمر للشـرح فالسؤال يصبح محيراً فيما لو إنقلبـت الأمـور مـن إشتعال حاد إلى هدوء من دون أن يكون هناك وقائع محددة وملموسة والإحصائيات تؤكد مصرع العشرات من عناصر الإرهـاب أو القبض عليهم .. وهنـا تكمـن الإجابة ؛ وأكرر مرارا أنه لايجوز الإطمئنان لهذا الهدوء أو التعامل معه باسـترخاء فمعدلات الأداء الأمنى وفقا للعناصر المتفق عليها يجب ألا تتراجع عـن ذى قبـل فعلى العكس ينبغى الحذر فمازالت هناك عناصر مجهولـة مـن الجيـل الرابـع للجماعات وتمثل لغزا لابد من السعى لاكتشافه فهم غير معروفين وأغلبهم صغـار السن والمعلومات الأمنية عنهم غير كافية .

أما ما يحدث فى المنيا فإننى أراه محاولة لتكرار سيناريو أسيوط على أرض جديدة ولايعنى قصورا أمنيا بل العكس فلولا تحرك جهاز الأمن واصطدامه بالجماعات ما كان حدث منهم رد الفعل وتجربة أسيوط هى مفتاح الحل وأتوقع بعض الوقت حتى تهدأ الأمور .

س : كيف تقيمون تجربة التوبة وبماذا تفسر تسليم كل هذا العدد من التائبين خلال الفترة الماضية دفعة واحدة..وما النتائج التى ترتبت على ذلك ؟

ج – عندما إشتدت قبضة الأمن وتلاحقت الضربات وتساقطت رؤوس الإرهاب كان ذلك دافعا للأجهزة الشعبية والمحلية لضرورة التعاون مع الشرطة وتمثل ذلك فى تسليم بعض العناصر فعلا، أما عن التائبين فمن الملاحظ – بعد دراسة لكل حالات التوبة – أن البعض منهم كان من المتطرفين بغض النظر عن حجم الدور الذى كان يؤديه أو أهميته لكن كان هناك آخرون لاعلاقة لهم بالجماعات من قريب أو بعيد وكانت حيلة لإستثمار الظرف ومحاولة رخيصة من جانب البعض للحصول على فرصة عمل متميزة وتقييمى للتجربة ككل فإنها كانت لتفادى المزيد من الإجراءات الأمنية وربما غاب عن ذهن البعض أننا لم نركن للنوايا الحسنة بل كانوا تحت المراقبة الدقيقة وقد ثبت بالفعل أن بعض الذين إدعوا التوبة كانوا يناورون ويحاولون تضليل الأمن ولازال لهم دور حركى وتنظيمى فى العمليات الإرهابية .

س : من واقع تجربتك فى متابعة ومكافحة الجماعات المتطرفة.. فهل هناك فئات أكثر تعرضا للإنخراط فى هذه الجماعات من غيرها ؟ ..وما تفسيرك لإنتشارهم فى قطاع التعليم مثلاً ؟

ج – إنهم يعولون كثيراً على المؤسسة التعليمية .. لكن دعنى أقولها لك بصراحة شديدة إنه الفقر .. فلم أجد من بين العناصر المتطرفة شخصية واحدة كانت تحيا فى مستوى معيشى جيد وأغلبهم من خريجى العشوائيات والبطالة .. ومن بين صفوف الموظفين ذوى الدخول البالغة التواضع ، أما من يكون منهم طبيبا أو محاميا أو مهندسا فالحقيقة – رغم ما تنطوى عليه من قسوة – أنهم ينتمون لأصول

فقيرة أيضا وأرى أن دافعهم الرئيسى هو الحرمان والتهميش الإجتماعى ، لهذا فنادرا ما وجدت قياديا فى هذه الجماعات يقيم وأسرته بمنطقة راقية .. أنهم أبناء العشوائيات ولارصيد لديهم سوى ذلك المؤهل أو العمل الوظيفى البسيط وعموماً فهذا مجرد رأى شخصى أما القول الفصل فى هذه القضية فهو لعلماء الإجتماع والنفس المتخصصين .

س : هل ثبت لديكم من خلال تجربة المواجهة أن هنالك ثمة علاقة فكرية أو تنظيمية بين جماعة الإخوان المسلمين المحظورة والجماعات الإرهابية الأخرى؟

ج – هذا أمر مؤكد وأقولها صريحة: أن هناك علاقة وطيدة بين الإخوان والجماعات ، وقد استخدم الإخوان هذه العناصر كمخلب قط فى عنق المجتمع والدولة ودعنا عما يردده الإخوان من بيانات انشائية بلا موقف حقيقى وسؤالى للإخوان المزعومين ماذا فعلتم لمواجهة فكر هؤلاء الجماعات أو نشاطها وإذا كنتم حقاً حريصين على الإسلام فلماذا لم تعلنوا صراحة خروج عناصر هذه الجماعات عن صحيح الإسلام وهم القتلة والسفاحون ، ولماذا تدافعون عنهم فى كل مناسبة وتفتحون لهم صفحات مطبوعاتكم .. ولماذا ولماذا ..

الموقف لايحتمل التمييع فمن لايقف ضد هذه الجماعات وإرهابها بوضوح فهو معها بلا جدال ، وهناك عشرات الأدلة الدامغة على علاقة الإخوان بالجماعات ولامجال هنا للإستفاضة فى هذا الشأن .

س : هل تؤمن بجدوى الحل الأمنى بمفرده لمواجهة ظاهرة الإرهاب ؟

ج – لا بالطبع فالحل الأمنى هو الورقة الأخيرة التى يجب أن نبرزها فالمسألة تبدأ من الأسرة ثم المدرسة والجامعة وكافة المؤسسات الإجتماعية الأخرى .. وحينما يفشل الجميع يتدخل الأمن .. وأنا على يقين بأن كل هذه المؤسسات لو قامت بدورها الصحيح بإخلاص لتقلص دور الأمن كثيرا .. فالشرطة يجب ألا تتدخل إلا بعد وقوع الأزمة .

بيان إحصائى بالحوادث الارهابية موزعة على محافظات الجمهورية خلال أعوام ٩٣،٩٤،٩٥،١٩٩٦

المحافظة	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦
أسيوط	٨٩	٣٨	٤	٩
المنيا	١	٣١	٨٥	٤٥
قنا	٧	١٦	٧	–
سوهاج	٤	٣	–	٢
القاهرة	٢٩	–	–	–
الجيزه	١٢	٢	–	٢
القليوبيه	٤	٢	–	–
الفيوم	٤	–	–	١
بنى سويف	٣	١	١	٢
أسوان	١٨	٢	–	–
البحر الاحمر	–	١	–	–
بورسعيد	١	–	–	–
السويس	١	–	–	١
الاجمالى	١٧٣	٩٦	٩٧	٦٢

بيان إحصائى بالتقسيم النوعى للحوادث الارهابية
خلال أعوام ٩٣،٩٤،٩٥،١٩٩٦

التقسيم النوعي	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦
التعدى على الشخصيات	٣	-	-	-
التعدى على رجال الشرطة	١١٩	٨٠	٥٩	٢٥
التعدى على السياحة	١٣	٩	٤	١
التعدى على المواطنين	٣٥	٦	٣٤	٣١
التعدى على دور العبادة المسيحية	-	١	-	١
التعدى على بنوك القرى	-	-	-	٣
التعدى على البنوك الرئيسيه وفروعها	-	-	-	١
التعدى على محلات الصاغة	٣	-	-	١
المجموع	١٧٣	٩٦	٩٧	٦٢

بيان إحصائى بعدد المتهمين المضبوطين فى قضايا إرهابية

خلال أعوام ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ١٩٩٦

السنه	المتهمين المضبوطين فى القضايا الارهابيه
١٩٩٣	٧٧٢
١٩٩٤	٩٨٧
١٩٩٥	٦٣٥
١٩٩٦ حتى ١٠/٣١	٦١٠

بيان إحصائى بعدد قتلى الحوادث الارهابية

خلال أعوام ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٦ / ١٩٩٧

العام	عدد الحوادث	شرطة	مواطن	سياح	المجموع
١٩٩٣	١٧٣	٧٩	٤٧	٦	١٣٢
١٩٩٤	٩٦	١٠١	٢٧	٣	١٣١
١٩٩٥	٩٧	٩٦	٧٧	-	١٧٣
١٩٩٦	٢٨	٤١	٥٩	١٨	١١٨
الربع الاول من ١٩٩٧	٧	١	٢٧	-	٢٨
الاجمالى	٤٠١	٣١٨	٢٣٧	٢٧	٥٨٢

بيان إحصائى بعدد مصابى الحوادث الارهابية

خلال أعوام ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٦ / ١٩٩٧

العام	عدد الحوادث	شرطة	مواطن	سياح	المجموع
١٩٩٣	١٧٣	٩٠	١٦٦	٢٤	٢٨٠
١٩٩٤	٩٦	٨٤	٤٧	٢٣	١٥٤
١٩٩٥	٩٧	٧٧	٧٣	٤	١٥٤
١٩٩٦	٢٨	٢٨	٣٦	١٤	٧٨
الربع الاول من ١٩٩٧	٧	٤	١٥	–	١٩
الاجمالى	٤٠١	٢٨٣	٣٣٧	–	٦٨٥

بيان إحصائى بالاسلحة والمتفجرات غير المرخصة المضبوطة

خلال أعوام ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ١٩٩٦

العام	عدد الاسلحة المضبوطة	سلاح الى	مدفع	سلاح مششخن	غير مششخن ومحلى	مسدس	المتفجرات
٩٣	١٦ألف و٧٩٤	١٧٣٦	١٧٩	٩٨١	١٠٢٨٧	٣٦١١	١١٠٤ كجم تى ان تى – ١٨٤ قنبلة يدوية – ١٨٧ مفجر قنابل – ١٩٥ كجم بارود اسود
٩٤	١٥ألف و٣٢٨	١٣٥٨	١٨٢	٦٩٣	١٠٣١٨	٢٧٧	٢٦٢٠ كجم تى ان تى –١٣١ قنبلة يدوية –٩٠٩ مفجر قنابل– ١٩٨٥,٢٥٣ كيلو جرام بارود اسود
٩٥	١٣ألف و٤٩٩	١٢٠٥	١٠٩	٧٨١	٩٨٢٧	١٥٧٧	٤٧٠,٧٥ كيلوجرام تى ان تى – ٦٤ قنبلة يدوية ٥٠٣ مفجر قنابل – ٣٩١ كجم بارود اسود.
٩٦	٣٨٢٩	٣٠٣	١٩	١٧١	٢٨٥٠	٤٨٦	١٨٣ كجم تى ان تى ١٧٢ كجم بارود اسود – ٤ قنابل يدويه– ٩٧ قذيفة مضادة للطائرات –عدد ٢ مدفع مضاد للطائرات – ١٣ دانة مدفع – ٧٠ كيلو ديناميت – ٧٤ متر فتيل إنفجارى – ١٠٠ كجم نترات أمونيوم

أمراء ومواطنون

رصد لظاهرة الإسلام الحركي في مصر خلال عقد التسعينات

لماذا يخرجون من جحورهم عند كل منعطف تـــاريخى يمر به الوطن ؟ ..

ولماذا يتسللون من خلف ظهورنا فى أعقاب كل أزمة أو كارثة تحل بنا ؟ ..

ولماذا ينقضّون على كل بارقة أمل تلوح فى الأفـــق .. كما حدث فى مجزرة الأقصر ؟

ولماذا يشهرون فى وجوهنا سيف التكفير .. ويسلطون على رقابنا خناجر الطاعة العمياء .. والرغبات العميـــاء .. والضمائر العمياء .. والحياة العمياء ؟

البداية الصحيحة والمنطقية لمعرفة إجابة هذه التساؤلات وكما ورد فى مقدمة المؤلف : " تكون بالوعى .. ومحاولـــة الفهم بلا توقف .. أو تبنى مواقف مسبقة ، وهو ما لن يتأتى إلا بمزيد من المعرفة والمعلومات عن هذا التيـــار .. وتلـك الجماعة .. وذاك التنظيم ، وهو ما لا أعد القارئ بسواه، فقد أخذت على عاتقى فى كل كلمـــة مـــن هـــذا : " الكتـاب المحاولة " أن أرصد حجم الظاهرة وأصولها وتفاعلاتهـا وعلاقـــاتها وممارســـات أمرائها . آراؤهم ورؤاهم خاصـــة فى تلك القضايا التى تهمنا جميعا - كشركاء فى الوطـــن - كالديمقراطيـــة مثـــلا .. أو وضـــع المـــرأة .. أو حقـوق الإنسان أو حتى فى الشعر والعلـــم والفـــن .. والحـاضر والمستقبل ، وحرصت فى نهاية الكتاب على نقل حوارات مع أقطاب هذه الظاهرة من أجيال مختلفة ليس بـــالطبع بهـدف الترويج لأفكارهم ومعتقداتهم .. وليس أيضا بقصد التربص بهم وتصيد الأخطاء هم .. ولكن للقارئ .. وللنـــاس حتى نحتكم إليهم فى نهاية الأمر .. وحتى نطلعهم على بعض مما ينتظرهـــم فيما - لا قـــدر الله - لو حكمهم هـــؤلاء الأمراء الطغـــاة " .

الناشر



نبيل شرف الدين

- ★ تخرج فى أكاديميـــة الشـــرطة عـــام ١٩٨٥ وحصـــل علـــى ليســـانس القانون ودبلوم علـــوم الشـــرطة ، وعمل بالعديد من المواقع الأمنية فـــى حقـــل البحـــث الجنـــائى بالقـــاهرة ومحافظات الصعيد .
- ★ له عدة أبحاث علمية منشـــورة فـــى دوريات علمية محكّمة عن ظـــاهرة " الإسلام السياسى " وتفاعلاتهـــا علـــى الصعيدين المحلى والدولى ، كما شارك فى العديد من المؤتمـــرات والنـــدوات المعنية بهذا الشأن .
- ★ خبير بالأمانة العامة لمجلـــس وزراء الداخلية العرب .
- ★ يكتب بصفته مراقبا لظاهرة الإســـلام السياســـى منـــذ عشـــر ســـنوات بمجلات " روز اليوسف " و " صبـــاح الخـــير " و " الأهـــرام العربـــى " وغيرهـــا .